الضياء الشمسي على الفتح القدسي

شرح ورد السحر للبكري

تأليف

شيخ الإسلام الأستاذ قطب الأقطاب
مصطفى بن كمال الدين البكري
المتوفى ١١٦٢ هـ

تحقيق وتعليق
الشيخ أحمد فريد المزيدي

المجلد الثاني

BOOKS - PUBLISHER
كتاب - ناشرون

الضياء الشمسي على الفتح القدسي

شرح ورد السحر للبكري

تأليف

شيخ الإسلام الأستاذ قطب الأقطاب
مصطفى بن كمال الدين البكري
المتوفى ١١٦٢ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

الجزء الثاني

BOOKS - PUBLISHER
كتاب - ناشرون
بيروت - لبنان

Explanation of Al-Bakri's
" WIRD AL-SAHAR "

AD-DIYĀ' AŠ-ŠAMSĪ
'ALĀ AL-FATḤ AL-QUDSĪ
ŠARḤ WIRD AS-SAḤAR AL-BAKRĪ

الضياء الشمسي
على الفتح القدسي
شرح ورد السحر البكري

Author : *Sheikh AL-Islam Mustafa ben Kamaluddin Al-Bakri (D 1162H)*

المؤلف : شيخ الإسلام مصطفى بن كمال الدين البكري (ت١١٦٢هـ)

Editor : *Al-Sheikh Ahmad Farid Al-Mazidi*

المحقق : الشيخ أحمد فريد المزيدي

Classification : *Sufism*

التصنيف : تصوف

Year : *1434 H. - 2013 A.D*

سنة الطباعة : [illegible]

Pages : *1056 (2 Volumes)*

عدد الصفحات : [illegible]

Size : *17 x 24 cm*

القياس : [illegible] x 17 cm

Printed in : *Lebanon*

بلد الطباعة : لبنان

Edition : *First edition*

الطبعة : الأولى

ISBN : 978 2-7451-5994-6

BOOKS - PUBLISHER

كتاب - ناشرون

Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel :+961 76 944 855-P.O.Box: 11- 374 Ryad Al-Solh
E-mail: books.publisher@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

(حَرف الصَّاد)

قال المصنف: (إلهي صرفنا في عوالِمِ المُلك والملكُوت وَهَبنَا لقَبُول أَسْرار الجَبَرُوت وَأَفِض عَلينَا مِن رَقَائِق دَقَائِق اللاهُوت).

قال الشارح: فلذا قال: (**إلهي صرفنا**) أي: حكمنا وفوض لنا الأمر، يقال: صرفه في الأمر فتصرف؛ أي: حكمه فيه، وفوضه له فتحكم.

وقال في «القاموس»: وصرفته في الأمر تصريفًا فتصرف: قلبته فيه فتقلب، واستصرفت الله المكاره: سألته صرفها عني، وانصرف: انكسف، وإنما قال: صرفنا؛ أي: اجعل تصرفنا بك لا بنا؛ ليكون تصرفًا تامًا وتحكمًا عامًا، ولنحفظ فيه من أن ننسب شيئًا منه إلينا؛ فإن من رأى ذلك فهو الهالك لا السالك.

قال سيدي أبو المواهب الشاذلي ﷺ في «قوانين الإشراق»: التصريف يعطي للكامل إذنه فيما قل وجل من المضار والمنافع، ومن دونه يتصرف بالإذن بحسب النوازل، والوقائع من أعطي التصريف لا يخرج عن مشيئة الفاعل بالاختيار، ومن زعم غير ذلك حجبت عنه المعارف، والأنوار التصريف يكون بالهمة القلبية العاملة الغيبية قال ﷺ: «**اللهم مصرف القلوب أعني في عالم الغيوب**»[1].

وإذا تحقق به صاحبه في المقام تصرف بالكلام في الأنام؛ وهذا من سر الفهوانية في الحضرة الإلهية، وهي كلمة الحضرة؛ كمن يقول للشيء: كن فيكون، ومن هذا الوادي ما حكي عن أبي يزيد أنه مر بيده على ساقه فقتل نملة، فما علم بها نفخ فيها، فقامت حية تمشي بإذن الله[2].

وكان عيسى ابن مريم ﷺ يحيي ويميت ويبرئ الأكمه والأبرص بمجرد النطق.

وقد رأينا من صرفه الحق بنطقه في البرية من خلقه، من شأنه مشيئة القبول أن

---

(1) لم أقف عليه.

(2) انظر: الفتوحات (1/ 115).

يشاء يشي، ويقول قول القوم، قيل لي: يريدون بذلك أمورًا: منها ما يسمع من هاتف الحقيقة، ومنها ما يسمع من الملائكة من غير رؤية لهم، ومع رؤية على غير صورهم المعتادة لهم؛ كما نظر الصحابة جبريل ﷺ في صورة دحيه الكلبي، ومنها ما يسمع من القلب، ومنها عن حال الشيء بحسب الواقعة؛ كما اتفق الشبلي مع الرجاء والشجرة، وعد ذلك من القول فافهم، انتهى.

واعلم أن التصرف على أقسام: تصرف خاص، وعام ظاهر، وباطن قدسي، وأقدسي أسمائي، وصفاتي، وذاتي عرشي فرشي تفصيلي إجمالي، وتصريف جامع لسائر الأقسام، وهذا خاص بالمحمدي يثربي المقام، وقد يكون في اليقظة لا في المنام وبهما، أو بالنوم فقط، وصاحبه قد يشعر بذلك وقد لا يشعر، وربما يكون باطنًا من حيث الحقيقة، وغير ظاهر للنفس الموثقة، ومن أهل الله من يتصرف بآية من كتاب الله، أو سورة، أو بالبسملة، أو بكلمة الحضرة، أو بالاسمة؛ لكن التصرف بها إذا لم يقترن بالبسملة لا يعول عليه.

ومنهم: المتصرف في بعض الأوقات دون بعض كالرجبيين.

ومنهم: المخصوص تصرفه ببلدة دون أخرى وإقليم دون آخر.

ومنهم: الذي يرتقي للتصرف في العناصر.

ومنهم: الذي تصرفه على مقام واحد قاصر، وإذا أراد أن يتسلق للغير لم يقدر؛ لأن من أحد له لا يستطيع أن يتعداه، وهكذا الأمر دنيا وبرزخا وحشرًا وجنة وكثيبًا، والرجال المتصرفون في الكون المسبل عليهم رداء الصون كثيرون: منهم: رجال الأيام السبعة، ورجال الشهر، ورجال أيام العام، ورجال الساعات ويسمون: رجال الفتح، ورجال الصلوات الخمس ويقال لهم: رجال الاشتياق، وكان عند هؤلاء السادة أمانة لبعض الفقراء، فمن كشف لهم عن صاحبها أدوها لأهلها، وسجدوا شكرًا لأداء الأمانة، ومنهم رجال المنازل، وربما يكون لأحدهم نائب فرشي بمطره إمداد عرشي، وقد يشعر النائب، ويعرف أنه غير أصيل، وقد لا يشعر، وبعضهم من يشعر بمقامه منامًا لا يقظة، واعرف رجلاً له النيابة منامًا عن الإكليل، وقد يظن أنه أصيل.

ومنهم: رجال الجهات، ويلقبون برجال الأيمة وآيتهم ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق:38].

ورجال الأقاليم، ويقال لهم: الأقطاب السبعة، ورجال العطف والهيبة وهم خمسة عشر، ورجال التوه وهم ثمانية، ورجال المساء، ورجال الفناء وهما اثنان، ورجال الغيب تسعة، وقيل: أكثر، والنجباء ثمانية، والنقباء بعدة الشهور، ومثلهم البدلاء، ومنهم الأبدال، والرجبيون، والأوتاد، والإمامان، والممتد للجميع هو القطب الغوث صاحب المقام الرفيع، وغير ما ذكرنا هم من أهل هذه المراتب فكثير جدًا؛ لكن لا يزيد أهل التصريف في العالم على مائة ألف، وأربعة وعشرين ألفًا عدد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأما الأفراد وإن تصرف منهم البعض فالبعض لا بالذات، وكذلك إذا خص وافي الجمع فعن اختيار؛ لانشغالهم بما هو أهم وأرفع من هذه اللذات، وأما غيرهم فيحضرون الديوان جبرًا، ولو أرادوا التأخر ما استطاعوا عنه صبروا، وما اتفقوا عليه فيه وقع في العالم دون تمويه؛ إذ هم الحكام على الحقيقة، وما عداهم فالمجاز في هذه الطريقة.

فإن قلت: هل يمكن أن يحضر معهم أحد من حيث الباطن، وهو لا يدري من حيث الظاهر؟ قل: هو أمر واقع كثير لسر باهر، وربما خص ذلك الجمع الزاهر عند بعض الناس، ولم يدر لحال قاهر.

أخبرني بعض الأفراد: أن هؤلاء الأمجاد حضروا عند بعض الفقراء؛ لأجل الإكرام لحقائقه، والقراء نحو سبعة عشر مرة، أو أكثر، ولم يشعر إلا نادرًا بحضور ذلك العشر، فقلت له: ولا بُدّ إذا حضروا من حصول مدد كبير كذلك الفقير، فقال: وأي مدد وحدثني بعض الإخوان أنه رأى أحد الفقراء، يقول له في المنام: يا فلان قد عرضت علي قطبانية المغرب فلم أقبلها، وأفاده أن القطب إذا كان وجهه طويلاً دل على طول مدته وبالعكس.

وهذا الحكم من حيث الظاهر؛ فإن الوجه الذي يواجه به القطب الحضرة العلية إذا كان طويلاً، طالت مدة تصرفه في ذلك المقام، وإذا قصر قصرت، والسلام والعرض كان وقع من حيث الباطن قبل أجداده بنحو ستين أو أكثر، وهو أول جمع أكبر وقع في الديار الرومية يحق له أن يذكر، وأخبرني كبير ذلك المحضر: أني نظرت إليه كالمستتر في قبول

ذلك المقام الأفخر، فأشار بالتنزه عنه؛ لنيل ما هو أبهر فقبلت إشارته، وحمدت على القبول، وشكر منه ذلك الأمر المقبول؛ ثم أن ذلك الفقير توالت الجموع لديه، فأغدقت الخيرات عليه، والثامن عشر، كان يوم الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة الحرام عام ثمانية وثلاثين بعد المائة والألف، وقبل هذا بأيام حصلت غيره، وفي ليلة الجمعة الرابعة والعشرين من شعبان المبارك، وهي ليلة الجمع المنخبة اللمع، المؤذنة باللمع، المذيبة النفس بالقمع، المرتبة أهل الطاعة والسمع، المزينة بقناديل الابتهال.

وشرح المعراج الغنية عن السمع المجرية الدموع المعنية، وناهيك بذاك الدمع حصن حظ وافر، سافر عن فوق الفرق وجمع الجمع، وفي ثالث ساعة من صبيحتها فاحت روائح لوائح أولئك الجمع الجامع لكل مدد مؤيد بالعقل والسمع.

فقلت: مشيرًا لهذا الفيض الرباني، والإسعاف، والإسعاد الإحساني السبحاني، وفي رابع العشرين من شهر:

أحمد إمام الهدى من جاء بالعقل	والسمع توالى ورود الجمع
في يوم جمعة رابعة منه	فنلت بهم جمعي
وبصحبهم لمع البوارق والسنا	وملمع غيوث البر في الفرق والجمع
فحق لنا من فرحة فيه إن	نمت وإلا بأن تبكي إلى منتهى الدمع
إلهي لك الحمد الذي أنت أهله	على نعم شرفت في ذكرها سمعي
ويا ربنا صل وسلم على الذي	لقد حضنا أن نجهد النفس بالقمع
وآل وأصحاب كرام أئمة	وأتباعهم ما ارتاح قلبي لهذا الجمع

وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من الشهر المبارك، ظهيرة ذلك اليوم الذي في الفضل الذي لا يشارك من الحق سبحانه وتعالى عليّ، وله الحمد والمنة برؤية سيد أهل الله الذي هو لنا جنة، وبه ندخل إن شاء الله تعالى الجنة، فرأيت أني نمت في المنام، فشاهدت جمال طلعته ﷺ، وهو جالس في مكان مشرق بأنواره المحمدية منير، والفقير قائم بين يديه في صفة خادم كبير، والخلق مقبلة للفوز برؤيته من كل فج عميق من كل جنس، أو شخص يرتجي النجاة من اللهيب الحريق، وبيد الفقير عصى أذود بها عن الناس عن التهجم عن على جنابه، ولا أخالفه في تلك الحضرة التي لا تمثل الكمال دنو العبد واقترابه،

والعبد يشارك في بعض أمور بعدما إليه يتقدم وغيره، لا يرفع لتلك المرتبة الشامخة قدمًا عن قدم.

ثم رأيته ﷺ وأنا معه في مكان رفيع مكين يباشر بيديه الشريفتين شيئًا كالعجين، وهو ﷺ ينظر إليّ، ويتعطف بالتفاته عليّ، وسمعته ﷺ يدعو إليّ بدعوات منها الثبات والقوة، فحمدت الله تعالى العظيم ذي القوة، وأنا مسرور بدعائه ﷺ السرور التام؛ لتحققي بقبول ذلك منه ﷺ؛ ثم غيب عني شخصه الشريف، فشاهدت مهدي الزمان المبشر به في الأحاديث الحسان قائم مقامه المنيف، وقمت بين يديه؛ كقيامي بين يدي جده الحبيب المعظم ﷺ؛ ثم أنه دنى إليّ، وألقى ثقله باتكائه عليّ، ولما استفقت من المنام أخبرت به بعض الناس أحبابنا الكرام، فسر بذلك السرور التام، وقال: هذا منام لا يعادله منام، فالحمد لله على الدوام حمدًا نفوز به بحسن الختام.

ولما كان التصرف قد يكون في عالم من عوالم الملك أو عوالمه كلها، قال: **(في عوالم الملك)** جمع عالم، قال في «المختار»: والعالم: الخلق، والجمع: العوالم بكسر اللام، والعالمون: أصناف الخلق، انتهى.

والملك: هو عالم الشهادة المقابل لعالم الغيب، والمعنى اجعلنا متحكمين بتحكيمك في كل عالم ظاهر **(والملكوت)** أي: وصرفنا في عوالم الملكوت، صار له ذلك وهي كل عالم باطن، وكل من دخل عالم الملكوت صار له ذلك العالم ملكًا؛ أي: مشهودًا له ويعاين في ضمن ذلك العالم عالم آخر فيسمى ما غاب عنه ملكوتًا، وإذا دخل العالم الثاني صار له شهادة، ورأى في باطنه عالمًا غيبيًا سماه ملكوتًا، ولا يزال كلما رقا يشاهد ما لم يكن عاينه من قبل حتى يصير غيبه شهادة وشهادته غيبًا، قال في «المختار»: والملكوت من الملك؛ كالرهبوت من الرهبة، يقال له: ملكوت الطرق وهو الملك والعز، انتهى.

وفي الاصطلاح: هو عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس، ويقال له: عالم الأنوار القدسية، والأسرار الإنسية، وعالم الأمر، وحضرة القدس.

وقال سيدي محمد المهدي الفاسي -رحمه الله تعالى- «شارح الدلائل»: والملكوت: فعلوت من الملك وهو العز والسلطان والمملكة، وباعتبار العوالم الأربعة فعالم الملك ما شأنه أن يدرك بالحس والفهم، وعالم الملكوت ما شأنه أن يدرك بالعقل والفهم، وعالم

الجبروت ما شأنه أن يدرك بالحس أو ما معه؛ لكن لا في الحال، أو بالعقل، أو ما معه؛ لكن لا في الحال؛ بل في ثاني الحال؛ كما في الدنيا مما لم تصل إليه وهمًا ولا فهمًا؛ كتعلق الجسم بالروح وهي به، وما في الجنة؛ إذ هو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وستراه العيون، وتسمعه الأذان، وتعرفه القلوب.

وقيل: إن عالم الجبروت أعلى وأرفع من عالم الملكوت، وهو ما يدرك بالمواهب، ولهذا سمي جبروتًا مأخوذًا من الجبر وهو القهر؛ أي: العباد مقهورون عن إدراك كنهه، فيكون على هذا كعلم الذات، والملكوت كعلم الأسماء والصفات الدالة على الذات، والملك علم فعله الظاهر الدال ما سبق، ويقال: الإنسان روح ثم نفس ثم جسم؛ فالروح عالم الجبروت، والنفس عالم الملكوت، والجسم عالم الملك؛ فالروح الجبروتي مظهر الذات، والنفس الملكوتي في مظهر الصفات، والجسم الملكي مظهر الأفعال.

وعلى القول الأول: الملك راجع إلى الأمر، والملكوت راجع إلى الذات، والجبروت راجع إلى الأسماء والصفات، وهو متوسط بينهما، فيدرك بالبصر الأثر الدال عليها، والبصيرة المعاني الغيبية؛ فالملك ما ظهر، والملكوت ما بطن، والجبروت جامع لهما؛ كالإنسان ظاهره ملك وباطنه ملكوت، وحيث جمع بينهما كان جبروتًا فيدرك بالبصر والبصيرة، والعالم الرابع: هو عالم العزة وهو مما امتنع إدراكه بكل وجه بحيث تفرد الله تعالى به وانفرد بعلمه، فلم يظهر لأحد من علمه؛ كتعلق أسمائه وصفاته من حيث تعلقها بها.

وقال في محل آخر منه: قال الشيخ أبو محمد الفريري المهدي ﷺ: العوالم عندنا عالمان: **عالم العلم والإرادة**: وهو المعبر عنه بالعالم العلوي، **وعالم الملك والشهادة**: وهو المعبر عنه بالعالم السفلي، فالعالم الملكوتي هو الذي لا يقتضي الترتيب ولا الزمان ولا المكان، وإنما هو أمر رباني إرادي إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون؛ إذ ليس في وجوده تقديم، ولا تأخير، ولا زيادة، ولا نقصان، فهذا عبارة عن العالم الملكوتي المستمر على حقيقة واحدة وهو الأزل الذي لا كسب فيه، وإنما الكسب في عالم الملك والشهادة والمضافة إلى القدرة المصرفة للحكمة، وفيه الترتيب والكسب والزمان والمكان والأكوان، فعبر عما ظهر في عالم العلم والإرادة المسماة بالعالم الملكوتي بالأزل.

وعبر عما ظهر في اختراع القدرة المصرفة للحكمة المسمى بـ: عالم الملك والشهادة

بالأبد؛ إذ في شأنها ظهر الترتيب الحكمي والارتباط والزمان، وظهر الكسب وشرعية الشرائع، وخرجت لا اله إلا الله محمد رسول الله على هذه النسبة من معنى العالمين؛ اللذين هما عالم الغيب والشهادة، وعالم الملكوت والأزل والأبد، فلا إله إلا الله أزلية؛ لفراغ الخلق منها، وهي من صفات عالم الملكوت، ومحمد رسول الله أبدية، وهي من صفات عالم الملك، فما يظهر بغير كسب يعزى إلى الأزل، وما يظهر مع ترتيب الأسباب يعزى إلى الأبد، انتهى[1].

---

(1) **فائدة جليلة: قال القاشاني: العالَم**: اسم لما سوى الحق تعالى، وإنما بني على هذه الصيغة لأنه اسم لما يعلم به كالطابع اسم لما يطبع به، والخاتم اسم لما يختم به، فكذا العالم اسم لما يعلم به، وذلك لكونه هو العلامة الدالة على موجده، وحقيقة العالم هو الوجود المقيد بصفات الممكنات، ولهذا يطلق عليه بأنه سوى الحق، وهو بالنسبة إلى الحق كالظل، وليس هو بشيء زائد على حقائق معلومة للحق تعالى أولاً، متصفة بالوجود ثانياً، فجميع الكائنات ليست إلا حقائق معلوماته تجلت من باطن الحق الوجود إلى ظاهره على الوجه الذي عرفت في أغمض المسائل، من كون المراد بتجليها إنما هو تجلي الحق بأحكامها، لأن البطون ذاتي لها على ما مر في بابها، فهو تعالى الظاهر في المظاهر، وهو الباطن عنها، فظهوره باعتبار تجليه في أعيانها، وبطونه باعتبار عين ذاته، التي لا يصح إدراكها لغير ذاته، فهو الظاهر في كل مفهوم، الباطن عن كل فهم، لأن أعرفهم من قال: إن العالم صورة وهو هويته.

فهذه التقيدات والتعددات في الوجود الواحد إنما هي أحكام الاسم الظاهر من حيث إن ظاهر الحق متجلٍ لباطنه، فأحكام الظهور تعدد مطلق وحدة البطون، وتلك الأحكام هي المسماة بالقوابل، وهي صور الشؤون التي عرفتها ليست غيرها.

عالَم المعاني: هو حضرة المعاني الذي هو التعين الثاني كما عرفت أنه سمي بذلك لتحقق جميع المعاني الكلية والجزئية، وتميزها في علمه تعالى لاستحالة خلو شيء عن علمه تعالى.

عالَم الجبروت: هو عالم الأسماء والصفات الإلهية والحقائق الكونية في العلم الأزلي، ويسمى مقام الجمع، وجمع الجمع، والمرتبة الثانية للألوهية.

عالَم الملكوت: هو عالم الأرواح والملائكة.

عالَم الجَمْع: هو حضرة الجمع التي عرفتها، وقد يعنى به عالم الجبروت، ويعنى بعالم شهود الوحدة في الكثرة بحيث يشاهد الذات من حيث واحديتها المشتملة على جميع الأسماء والحقائق.

عالَم الأمر: هو عالم الملكوت، سمي عالم الأمر لوجوده عن أمر الحق من غير سبب.

عالَم المُلْك: هو عالم الأجسام والجسمانيات.

=

كلام مهدي على تصحيف فيه أصلحت من أجله بعضه والله أعلم

(وهيئا) أي: اجعل فينا فراغًا واستعدادًا وصلاحًا، قال في «المصباح»: وهيأت الشيء: أحدثت له أهبه، وتفرغت له، وهيأته للأمر: أعددته فتهيأ وتهايأ مهيأة، وقد تبدل للتخفيف فيقال: هيئته هايأته، وفي «القاموس»: وهيأت تهيئة، وتهيأ: أصلحه، و مهيئه لأمر امتهيأ عليه، انتهى.

(لقبول) أي: لأن نقبل ما يرد علينا، فلا ترد النفس؛ لوجود برد نقدس من (أسرار الجبروت) شيئًا، قال في «المختار»: وقبله يقبله قبولا بفتح القاف، وهو مصدر شذ، يقال: به لا نظير له، وقد ذكرنا في وضأ فقال: والوضوء بالفتح الذي يتوضأ به، وهو أيضًا مصدر كالولوع والقبول، وقيل: المصدر الوضوء بالضم، وقيل: الولوع والقبول مصدران شاذان وما سواهما من المصادر مضموم، وقيل: ما سوى القبول من المصادر مضموم؛ ثم قال: ويقال على فلان قبول إذا قبلته النفس، والقبول أيضا الصبا؛ وهي ريح تقابل الدبور، انتهى

وأنشدوا في معنى على فلان قبول:

وجـــوه علـــيها للقـــبول علامـــة ولـــيس عـــلى كـــل الوجـــوه قـــبول

أسرار الجبروت؛ تقدم الكلام عليها؛ إذ كل من لم يأهله الحق لتلقي فيض هذه الأسرار الجبروتية، لا يثبت للمحة من لوامع أنوارها السنية؛ لكن الأمر كما قال العارف مولاي: إذا أرادك لما يختاره هيأك.

(وأفض علينا) أي: أفرغ يا واهب يا جواد على ذواتنا المتعطشة نزلاء إحسانك، وبرك، وامتنانك (من) بحار جوائز، (رقائق) جمع: رقيقة، ومعنى ذكرها (دقائق) جمع

عالم الخلق: هو عالم الحسيات، وهو ما وجد عن الحق بواسطة سبب. عالم الصور: يراد به عالم الصور الحسية العلوية منها والسفلية، وهو عالم الأجسام. عالم الغيب: يطلق ويراد به ما ليس بمحسوس كعالم الأرواح. عالم الشهادة: هو عالم الأجسام. العالم الكبير: يراد به جميع الممكنات. العالم الصغير: يراد به الإنسان هكذا عند الأكثرين. وقال الشيخ في الفتوحات: إن العالم الكبير هو الإنسان الكامل، وإن العالم الصغير هو العالم، وذلك لكون الإنسان الكامل قد جمع كل ما في العالم وليس في العالم عند قطع النظر عن الإنسان الكامل، كل ما فيه»

دقيقة، وهي كما في «القاموس»: الأمر الغامض، وفي «المصباح»: ودق الأمر دقة: صار دقيقًا؛ أي: غمض وخفي معناه، فلا يكاد يفهمه إلا الأذكياء، انتهى.

ورقائق الدقائق لا تحوم حذاق الأفاضل حول حماها؛ لأن الحكيم أحدق وصانها وحماها؛ سيما وتلك الرقائق المطلوبة المحبوبة المرغوبة من عالم أخفى، ومن طور أرق من غيره وأصفى، وهو السر الخفي، والحضرة الغيبية المعبر عنها بعالم (اللاهوت) وقد سبق بيانه.

ولما سأل المؤلف -رحمه تعالى- بقلبه التصرف والتهيئة لموطن الشرف والإفاضة بما يوجب علاء المعرفة، وتحقق أن هذه المطالب عالية غالية شامخة الأبواب من دونها قطع الرقاب، ناسب أن يقوله بذلة واكتئاب

(حَرف الصّاد)

قال المصنف: (إلهي ضُرِبت أعناق الطّالبين دون الوصول إلى ساحات حضَراتِك العليّة وتَلَذّذُوا لِذَلِكَ فَطَابُوا بِمِيتَتِهم المرجية)

(إلهي ضربت) بالبناء للمجهول، والتاء علامة التأنيث؛ أي: قطعت، (أعناق) جمع عنق، وهو نائب فاعل، والعنق الرقبة، قال في «المصباح»: وهو مذكر والحجازيون تؤنثه، فيقال: هي العنق، والنون تضم للإتباع في لغة الحجاز، وساكنة في لغة تميم، والجمع أعناق، انتهى.

وفي «مختاره»: والأعنق الطويل العنق، والأنثى عنقاء؛ ثم قال: والعنقاء الداهية، وأصل العنقاء طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم، انتهى.

قلت: ومن الرحال المعيبين لتنبيه الغافلين رجل يقال له عنقاء مغرب، وقد سمع تسميه بعض الفقراء مرارًا، وتحقق أنه الطارق جهارًا، فجزاه الله عن نفسه خيرًا، ولا برح يكتسب من أنفاسه للمعاني سيرًا

(الطالبين) جمع طالب، والطلبة، والطلاب بتشديد قصم له نص، قال في «مختاره»: والتطلب الطلبة مرة بعد أخرى، والطلبة بكسر اللام الشيء المطلوب، وأطلبه وأطلبه؛ أسعفه بما طلب، وأطلبه أيضًا: أحوجه إلى الطلب، انتهى.

ولما رد بهم أهل السير، والورود في ميادين أهواء الشهود الناهجين منهج الوفود

بكعبة الوجود (دون الوصول) أي: قبل أن يمنحوا الوصول، قال في «القاموس»: دون بالضم نقيض فوق، ويكون ظرفًا، وبمعنى أمام ووراء، وفوق ضد، وبمعنى غير، فمن ومنه ليس فيما دون خمسة أواق صدقة؛ أي: في غير خمسة أواق، قيل: ومنه الحديث آخر الخبع دون عقاص رأسها، وبمعنى: الشريف، والخسيس ضد، وبمعنى الأمر والوعيد، ثم قال: ويدخل على دون من والباء قليل، أو دون النهر جماعة؛ أي: قبل أن تصل إليه، ويقال: هذا رجل من دون، ولا يقال: رجل دون، ولا ما أدونه، انتهى. ومن معنى الوصول.

(إلى ساحات) جمع ساحة، قال في «القاموس»: الساحة الناحية، وفضاء بين دور الحجج وسوح وساحات، انتهى.

وفي «المصباح»: ساحة الدار: الموضع المتسع أمامها، ويجمع على ساحات وساح مثل: ساعات وساع، انتهى.

(حضرات): جمع حضرة، وتقدم الكلام عليها (العلية) أي: الرفيعة الشامخة المنيعة الذاخة ذات حرف المطموس الذي لا يقرأ، والسر المهموس الذي لا يدرك، وسبب قطع الرقاب من دون هذه الحضرات عزتها، وصعوبة قطع هاتيك العقاب إلا أن حفت العناية، وحفظت الطالبة عيون الرعاية.

وأنشد الجيلي المقدام في هذا المعنى المرام قوله:

جـــبـــ‌ء لـهــــــد يمــــع الأعــــتـاب — عـــلى المكافـــأة شـــامخ الأبـــواب

مـــن دونـــه ضرب الـــرقاب وكلـــما — تـــستطيع الخلـــق فـــيه مـــن إعـــراب

لـــو أن ســـترا هـــب مـــن أرجائـــه — ســلب العقـــول وطـــاش بالألـــباب

وأنشد الفرضي الفاتح الفائح طيبة النافح، مغلق الأبواب المانح من بر الاقتراب برشا الاكتساب شراب الحب، وأنعم به من شراب:

أرومُ وقـــد طـــال المـــدى منْك نظْـــرَةً — وكـــم مـــن دمـــاء دونَ مـــرْمايَ طُلّـــت

وأنشد سيدي أسعد اليافعي الأسعدي في «نشر المحاسن» قوله:

عـلى مـثل حـد الـسيف يـسمون للعـلا — لـتجلى فـم بـيض هـناك صـباح

أتـــوا تلـــك والخطـــي بـــالخط حـــاضر — لـــه الـــصبر تـــرس والـــدعاء سلاح

يحدمهم قتل الغرام شهادة وشهد وحقون الدماء صباح

وأنشد فيه على بشمعه وبكفيه

يا سادة إن قلتم مهجتي ودمي بنظرة في الجمال المعالي العالي

فقد أليم جميع الفضل عبدكم وقد ربحت سيع الدون بالمعالي

وعلى قدر عزه المطالب تتوعر المسالك على الطالب، ولا أحل ولا أعز من تقرب إلى الحب، ومن لم يجد بالنفس في طلب النفيس الأنفس، وبالروح في سبيل الأرواح كيما صبح وصاله يتنفس، فما عنده خبر بمبتدأ الشوق الدسيس ولا منتهى، ولا فتت اليشرة لم مع التداني من مشتهاه وأنشدوا:

تريدين إدراك المعالي رخيصة ولابُدّ في الشهد من جنى النحل

وأنشد الآخر:

إن كَانَ سَفكُ دَمي أَقصى مُرادِكُمُ فَلا عَدَت نَظرَةٌ مِنكُم بِسَفكِ دَمي

وإذا كانت المطامع في الوصال تقطع أعناق الرجال، فكيف تمتني وصل الوصال دون انفصال؟ وأنشدوا:

أتطمع في ليلى وتعلم إنما يقطع أعناق الرجال المطامع

ومن رغب وخطب وما رغب من الخطب والعطب فلا يبخل بروحه في طلب سبوحه.

ومن يخطب الحسناء يسبع بمهرها وطالب شهد لم تخفه اللواسع

وحق لمن ركب سرج المطلب، واستوى على ظهر براق الرغب أن يموت من ترهب حال توجهه لتلك الساحات الجامعة لكل ما هو أعجب، والجامعة لكل غريب، وأغرب كي ينشد في نعته ذو الأدب:

ماتوا على تلك السروح مخافة فكأن هاتيك السروح مقابر

وقد بالنية الفاخرة صغر أنت شعب في سماعها مصرها، إن كنت ترجو شرب من أقداح الحالية الحالية كؤوس أفراحها؛ فإن الوصول إلى ساحات الحصول مسع مدل مع مثل، فتشوق لوصلها قلبي، أو سقي لرتقي؛ بل بقي بأول وجهه لا أن أمده خو في فمي، ولكنهم تلذذوا وما زعجوا ولا جرعوا (بذلك) أي مصعب لأعنق؛

لشهودهم أن المحبوب هو الفاعل، وفعله لهم مطلوب؛ إذ كل ما يفعله المحبوب فهو محبوب، وإيثارٌ لمراده على مرادهم، وهذه علامة تؤذن بصحة إسنادهم، وأنشدوا:

أريـــد وصـــاله ويـــريد هجـــري ... فأتـــرك مـــا أريـــد لمـــا يـــريد

وكان أبو علي الدقاق ﷺ كثيرًا ما يقول: إنما استعذب الأولياء البلوى لمناجاته مع مولى؛ يحكي أن رابعة العدوية – العارفة الناهجة الطريقة السوية رضي الله تعالى عنها – كانت عابرة مع نفر من أصحابها لبعض حاجاتها، فضرب رأسها ركن جدار، فرضه وجري الدم على وجهها ويديها، وهي لا تلتفت إلى ذلك، ولا اكترثت به، فقال لها بعض أصحابها: أما تحسين بما جرى عليك، وهذا الدم قد خضب وجهك وثوبك، فالتفتت كالمتطرقة لذلك والمستيقظة؛ ثم أقبلت عليه من سنة غفلتها، وقالت: يا إخوتي اشتغلت بموافقة مراده فيما جرى، اشغلني عن الإحساس بما ترون من شاهد الحال، انتهى.

(فطابوا) أي: فتمتع عن تلذذهم بحكم الحكيم، طيب قلوبهم بما قدره الخبير العليم، قال في «المصباح»: طاب الشيء يطيب إذا كان لذيذًا، أو حلالاً، وطابت نفسه تطيب إذا انبسطت وانشرحت، انتهى.

(بعيشتهم) قال في «القاموس»: العيش الحياة عاش يعيش عيشًا، ومعاشًا، ومعيشًا، ومعيشة، وعيشة بالكسر، وعيشوشة، وأعايش، وعيشه والطعام، وما يعيش به والخبز والمعيشة التي تعيش بها من المطعم والمشرب، وما يكون به الحياة وما يعاش به، أو فيه جمعه معايش والمعيشة الضنك عذاب القبر، انتهى.

وكان سيدي سهل بن عبد الله التستري ﷺ يقول: العيش على أربعة أقسام: عيش الملائكة في الطاعة، وعيش الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في العلم وانتظار الوحي، وعيش الصديقين في الاقتداء، وعيش سائر الناس في الأكل والشرب، والضرورة للأنبياء، والقوام للصديقين، والقوت للمؤمنين، والمعلوم للبهائم، انتهى.

إذ كل من مات في حبه عاش في قربه، وأنشد سيدي عمر قدس الله سره:

فـإن شـئتَ أن تحيـا سـعيداً فمُـتْ بِـهِ ... شـهيداً وإلّا فالغـرامُ لـهُ أهْـلُ

فمـن لم يمُـتْ في حُبِّـهِ لم يَعِـشْ بـه ... ودون اجتنـاءِ النَّحلِ مـا جنَتِ النَّحلُ

وأنشد الشاب الذي تقرب بروحه من أجل المنى: لما رأى الناس يتقربون فأنشد:

وا عمم في سى

إنّ الحبيبَ الذي يُرضيهِ سَفكُ دَمي	دَمي حَلالٌ لَهُ في الحِلِّ وَالحَرَمِ
وَاللهِ لو علمت روحي بِمَن عَلِقَت	قامَت عَلى رَأسِها فَضلاً عَنِ القَدَمِ
يا لائمي لا تلُمني في هَواهُ فَلَو	عايَنتَ مِنهُ الَّذي عايَنتُ لَم تَلُمِ
يطوفُ بِالبيتِ قومٌ لا بِجارِحَةٍ	بِاللهِ طافوا فَأَغناهُم عَنِ الحَرَمِ
ضحى الحَبيبُ بِنَفسي يَومَ عيدِهِمُ	وَالناسُ ضَحّوا بِمِثلِ الشاءِ وَالنَّعَمِ
لِلناسِ حَجٌّ ولي حَجٌّ إلى سَكَني	تُهدي الأَضاحي وَأُهدي مُهجَتي وَدَمي

ومعنى الطواف بالله التقرب به إليه، والاشتغال بكل ما يوجب له الإقبال عليه، ومعنى (طابوا بعيشهم) أي بحياتهم بعد الموت، ووجدهم المطلوب عن الفقد والفوت، وإن كانت العيشة التي هي الحياة السرمدية قد تكون مرضية له ولهم، وقد تكون غير مرضية، قال (المرضية) أي له؛ لأنهم لما سمحوا بأنفسهم دون الوصول إلى منازل قربه، رضي عنهم ورضوا به ومنه، فلذلك خصهم بخالص شربه، وجعل حياتهم لديه أبدية وعيشتهم مرضية، أو أنها مرضية لهم؛ لأنهم ضربت أعناقهم (وتلذذوا بفقده) انشرحت صدورهم بحياتهم المسفرة بإقباله عليهم

وكان المؤلف- سامحه الله تعالى- يقول: إذا كان الطلاب المحبون في حضرتك، الراغبون في نيل وصالك، المطرودون من ذلك تضرب أعناقهم قبل الوصول، فأين لي ولأمثالي بذلك؟ ومن يقدر على قطع هذه المهالك؟ وتخطي عقبات هذه المسالك؟ إلا من أسعفته وأسعدته؛ فألحقني يا مالك من أولئك القوم المشرقة بهم الحضرات، الذين قد صفت منهم السرائر وتجليت عليهم، يا قلبي يا مالك، حتى لم استطاعوا حمل أثقال واردات جلالك، وانقطعت بذلك عنهم مواد القواطع الحاجبة عن شهود صولة سطوع كمالك، فظهرت بذلك منهم الجملة، وعدوا من الجملة المكلفة لأحمال الصلات، وبه تحقق بأن حصول نفث الساحات بدون صفاء السريرة كالمحال على السالك

(حرف الطاء)

قال المصنف: (إلهي طَهِّر سَريرَتي مِن كُلِّ شَيءٍ يُعلقني عَنْ حَضَراتِكَ ويَقْطَعني عَنْ

لِدِيدِ مُواصلاتك)

قال الشارح قال (إلهي طهر) بالمتدأ بلداي، قدس ونقي من الأدغال، قال في «المصباح»: طهر الشيء من باب قتل وقرب طهارة، والاسم الطهر، وهو النقاء من الدنس والنجس، انتهى.

اعلم ان الطهارة على أقسام. طهارة القلب من التقلب، وطهارة الروح عن التشعب بالمعارف والفتوح، وطهارة السر عن شهود غير الحق، وطهارة الخفي والأخفى عن الوقوف مع المشرب الأصفى، وطهارة العمل عن التقييد والنفس من التقييد، وقد جاء في الحديث الشريف: «دم على الطهارة يوسع عليك الرزق»(1)، وكما أن الرزق حسي ومعنوي، كذلك الطهارة، وفي الحديث: «إذا نام العبد وهو على [طهارة](2) عرج بروحه إلى العرش، فكانت رؤياه صادقة، وإن لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ وتكون أضغاث أحلام لا تصدق»(3)، فمن طهر ظاهره وباطنه عرج بروحه، وأدرك قربه على طهارة جسدك ومعناك، ليظهر لك سر مغناك.

قال الشيخ ﷺ في باب الحج من «فتوحاته»: وكل سبب موجب لنظافة ظاهرًا وباطنًا فينبغي استعماله في كل حال، فإن الله جميل يحب الجمال، ثم قال: فصل في فضل دخول الحمام، فمن الناس من كرهه، ومن الناس من قال: لا بأس به، وبه أقول: وليس في أحوال الدنيا ما يدل على الآخرة؛ بل على الله تعالى، وعلى قدر الإنسان مثل الحمام يقول عمر بن الخطاب ﷺ: لما دخل الحمام بالشام نعم البيت بيت الحمام ينعم البدن، ويزيل الدرن، ويدل على الآخرة، انتهى.

بل يدل على الله، ومن هذه آثاره في العبد لا يكره استعماله، فإنه نعم الصاحب وبه سمي؛ لأن الحمام من الحميم، والحميم الصاحب الشفيق، قال الله تعالى: ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾ [الشعراء 10-11] أي: شفيق، وسمي حميمًا لحرارته، والمستعمل فيه الماء لما فيه من الرطوبة، فالحمام حار رطب وهو طبع الحياة، وبه ينعم البدن

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 3/ 2).

(2) سقطت من الأصل.

(3) ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب (1/ 44)، والعراقي في تخريج أحاديث الإحياء (3/ 13).

والماء يزول عنه، وتجريد الداخل فيه عن لباسه، وبقائه عريانًا ما عدا عورته حتى يُرى لا شيء في يده من جميع ما يملكه يذكره الآخرة، وقيام الناس من قبورهم حفاة عراة لا يملكون شيئًا، فدخول الحمام أدل على الآخرة من الموت؛ فإن الميت لا يُغسل فيه حتى يكسى، وداخل الحمام لا يدخل إليه حتى يعرى، والتجريد أدل؛ ثم أن دعاء النبي ﷺ: «اللهم نقني من الخطايا؛ كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس»[1] وتنقية البدن من الدرن والوسخ من أخص أوصاف الحمام؛ ومن أجله عمل، واعتبار الحمام بأحوال الآخرة شديد عظيم الفائدة ما يعلمه إلا العلماء بالله، انتهى.

فإن قلت: ألم يقل الشيخ ﷺ في «المعادلة»: طهارة الأسرار دينية، وطهارة الطبيعة عرضية فقدس طبيعتك؛ فإن سرك مقدس وتحصيل الحاصل تضييع الوقت، وأراك تحرص على طهارة السريرة، فما هذه الحيرة؟ قلت: لا حيرة؛ فإن كون طهارة الأسرار ذاتية لم تعلم إلا بعد حصول الطهارة الطبيعية، فقولنا: (طهر سريرتي) المعنى: امنحني طهارة الطبيعة العرضية التي ينكشف بها أن طهارة السريرة ذاتية، فأتحقق بطهارتها، ويرتفع حجاب عن وجه إشارتها وصراحتها، وأيضًا فما من مقام إلا وفوقه ما هو أعلى منه، وما من صفاء إلا وفوقه ما هو أصفى، وما من سر ولا سريرة، ولشمسها شروق وضحى وزوال وظهيرة، ولكن من يقبل الكمال، وما بلغ أقصى النهايات إلا سيد أهل الحلال والجمال.

ولما كانت الطهارة مطلوبة في أشياء كثيرة خص بالذكر السريرة، فقال: **طهر سريرتي**، قال في «القاموس»: السر: ما يكتم؛ كالسريرة جمعه أسرار وسرائر، انتهى.

والسريرة ما يقابل العلانية، وفي الحديث الشريف: «قال: **اللهم اجعل سريرتي خيرًا منه علانيتي، واجعل علانيتي صالحة، اللهم إني أسألك من صالح ما تؤتي الناس من المال، والأهل، والولد غير الضال ولا المضل**»[2] رواه الترمذي عن عمر.

ويقال: من صفت سريرته حسنت سيرته، وأنشد بعضهم:

إذا طهرت لله منك السرائر ... تجلى عليك الله والسيل عاكر

وحيث كانت الموانع غير محصورة، والقواطع ليست على عدد معين مقصور ...

---

(1) رواه البخاري (1/ 259)، ومسلم (1/ 419).

(2) رواه الترمذي (5/ 573).

في (من كل شيء) ظاهر وباطن، قال في «المصباح»[1]: والشيء في اللغة عبارة عن كل موجود إما حسًّا كالأجسام، وإما حكمًا كالأقوال، نحو قلت شيئًا وجمع الشيء أشياء غير منصرف، واختلف في علته اختلافًا كثيرًا، والأقرب ما حكي عن الخليل أن وزنه شيئاء وزان حمراء، فاستثقل وجود همزتين في تقدير الاجتماع، فنقلت الأولى إلى أول الكلمة فبقيت لفعاء؛ كما قلبوا أدؤر، فقالوا: آدُرٌ وشِبْهِهِ وَتُجْمَعُ الأَشْيَاءُ على أشاوى انتهى

وشيء أنكر النكرات؛ كما أن الله أعرف المعارف. (يبعدني) بالتخفيف ويصح فيه التثقيل؛ أي: يجعلني بعيدًا عن حضراتك الإلهية، (ويقطعني) أي: ويمنعني، يقال: منعه عن حقه إذا قطعه عنه (عن لذيذ) أي: شهي، قال في «المصباح»: لذ الشيء يلذ من باب تعب لذاذة، ولذاذًا بالفتح: صار شهيًا فهو لذ ولذيذ، ولذذته لذيذًا، واللذة بالفتح اسم، والجمع لذات، انتهى

(مواصلاتك): جمع مواصلة، وهي ضد المقاطعة مفاعلة.

قال في «المصباح»: ووصلت الشيء بغيره وصلاً فاتصل به، ووصلته وصلاً وصلة ضد هجرته، وواصلته مواصلة ووصالاً، من باب قاتل كذلك، انتهى

وليس في العالم لذة أعظم من مواصلة الأحباب، فلا تقاس بغيرها من لذة منكح، ومطعم، ومشرب، ولذا قال بعض المقربين: لم يبق من لذائذ الدنيا إلا مواصلة المحبين، وأكبر عدو للإنسان العاشق الأواه من قطعه عن مواصلة من يهواه، وأعظم صديق له من تسبب في القرب منه، ولو قدر أنملة؛ إذ المواصلة شراب وغذاء وقوت، ومن فقد القوت فلا عجب أن من أجله يموت، وأنشد:

وإذا كنت قوت النفس ثم هجرتها ... فلم تلبث النفس التي أنت قوتها

فالمواصلة هي الخمرة التي بها سكر الأحباب، والقهوة القديمة التي تدهش الألباب، فكم من شرب منها؛ ليشفي حر الظمأ، زاده الشرب تعطشًا فيضمه هي، فمن حقيقة تحسبه هو الظامي بلا ارتواء، وبحرها الظامي كم تراقيه بالجوى من الشرب من قدحه نوى

(1) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (5/ 143).

(حرف الظاء)

قال المصنف: (إلهي ظَمِؤْنَا إِلَى شُرْبِ حُمَيَّاكَ لَا يَخْفَى وَلَهِيبُ قُلُوبِ إِلَى مُشَاهَدَةِ جَمَالِكَ لَا يُطْفَى).

قال الشارح: ولما كان طلبها مطلوب، والظمأ إليها مرغوب ناسب أن يقول (إلهي ظَمِؤْنا) أي عطشنا. قال في «القاموس»: ظمئ، كفرح ظمأ وظماء وظمأة فهو ظمئ، وظمآن، وظمآنة، والجمع: ظماء، ويضم نادرًا.

عن اللحياني: عطش، أو اشتد العطش، وإليه اشتاق، والاسم منه الظمء بالكسر، ورجل مظماء: معطاش، وكمقعد موضع الأرض من العطش انتهى.

(إلى شُرْبِ حُمَيَّاكَ) الحميا من أسم الخمرة، وهي هنا كناية عن خمرة الشهود، وسلافة المعرفة، والورود، وعقار المواصلة، وشموس التقربات الخاصة، وخندريس الساقي الحبيب، ولم ليل اللقاء حال غفلة الرقيب وعروس التداني وملجأ التهاني، وهي مدومة المحبة ورحيق القربة، وعاتق الدنان العاتقة من رق الكيان المشار إليه بقول ذي اللب من بيوت العارف العارف بأقداح الأعيان. شربنا على ذكر الحكيم مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم، ووجه شبهه خمرة المحبة بخمر الحبة الإسكار والغيبة عن الحصار، وقلنا من قصيدة:

ومـا الخمـر إلا مسكر العقـل وحـده   وخمـرتها تسـري إلى كـل شـعره

ومعنى ظمأونا (إِلَى شُرْبِ) حمياك المضافة إلى علياتك؛ إضافة تشريف التي حصلتها لأهل التعرف، والتعريف لا يخفى عليك؛ لأن السر والنجوى سواء لديك، ولا على من أطلعته على ذلك من كل مقرب إليك قائم بمخالص العبودية بين يديك؛ ولأن زفرات الأشواق، وحسرات الأشياق، وتلهف الظمآن، وتقلب العرقان لا تكاد تخفى على إنسان.

في اصطلاح أهل اللسان. والظمأ ثمرة الإيمان؛ فمن اشتد إيمانه قوي ظمأه معنى، وشرب أقداح التجلي المصان، ومنه الذوق من ذاق عرف، ومن عرف اعترف بكر في عنه حب، فمن ظماؤه إلى مشاهدة المحسان؛ ولذا قال: (وَلَهِيب) قال في «القاموس»: لهيب، وتلهب، واللهاب بالضم واللمسات محركة اشتعال النار إذا خلص من

الدحب، أو هيه لساها، وهيها شدة الحر، واليوم الحار، والعطش كلهب، ولهبة نصمه، انتهى.

(قُلُوبَنَا) أي إشعال نيران الحب والوجد فيها، وأنشدوا:

كلما قلت قربي مطفئ لهيب ... نيران حبي زادني القرب لهيب

هكذا حب المحب، وقلت في مطلع قصيدة مكرر:

أزيد شوقًا كلما ازددت ... من قربي ويقلقني وجدي

فأنشد بالركب.

وازدادني شربي إليكم تعطشًا ... ويطلق دمع العين ينهل كالسحب

(إِلَى مُشَاهَدَةٍ) أي معاينة، والمشاهدة في الاصطلاح تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، وتطلق بإزاء رؤية الحق في الأشياء، وتطلق بإزاء حقيقة اليقين من غير شك جمال المقدس المنزه عن المثيل، والتجزي، والتقسيم، والمعني نوره الأقوياء الأشداء من أرباب التحكيم، المنسي لذة الدار الآخرة ونعيمها المقيم.

ولذا قال صاحب «بدء الأمالي»: فينسون النعيم إذا رأوه، فيا خسران أهل الاعتزال غير أن رؤية الكئيب بصريه، ورؤية هذه الدار قلبية، والعجيب من وجود اللهيب للمحب الذي هو ظاهر لا يخمد، وباطن نوره لا يخبو ولا يطفئ؛ وهذا كل لتهب القلوب إليه كذلك؛ كما أن الظمأ لشرب حياه ماء للناجي به

(جَمَالِكَ لَا يُطْفَى) أي لا يخمد بل يتوقد، ومنه ذاك يخمد، قال في «مصباح». وطفئت النار تطفأ بالهمز من باب تعب، طفوء على فعول، خمدت فأطفأتها، ومن أطفأت الفتنة إذ سكنتها على الاستعارة، انتهى.

وهذا توسل أحار محرض بالطلب، وحيث سبق في علمك حصول هذا الظمأ واللهيب، فمن علينا بالشرب والتقريب، فإنك المنان لا سواك الحنان، فلا دواء إلا دواءك، ونشتاق لذي المشاهدة التي لا توصل إليها بدون العنانة المجاهدة، وإذا كان محض محض الشمس في الحال الفاني لا يستطيعون رؤية نحوبهم حال التداني، فكيف تقدر هائم في حب تشفي الرباني الثبات عند صدمات ذلك التجلي السبحاني بدون رعاية أزلية، وعنايه أبديه؟ هيهات هيهات تلك أماني.

وقد تشفع الأصمعي الداني في حكاية رشيقة المباني، رفيقة المعاني عن فتاة فتكة سيف لحظ هاروت الفعل في المعاني لشاب قتيل غرامها، أن تواصله ليحيي نفسه، ويشفي المعنى، فأجابته إكرامًا بدون توانٍ، فلما رأى أثر غبار نعلها غشي عليه كتميس القلب، وألقى نفسه في نار بين يديه، فاحترق بعض أعضائه قبل التداني، فلامها الأصمعي على عدم كشف لثام وجهها المتواري، فقالت: يا سليم إذا كان لا يطيق مشاهدة غبار نعلي، فكيف يطيق أنوار جمالنا؟ فهذا حال محب تيمه الجمال المجازي وكأسه الرحيقي، فما بالك بمن هيمه الحب الرحيقي

ولما تحقق المؤلف –رحمه الله تعالى– بنبات الظمأ واللهيب؛ لأنهما فروض لازمة عند الصب الكئيب بنظر بعين التدريب، والتقريب بعد مكابدة التجريب، ومكابدة النفس في التجريب، فرأى أن الشرب والشهود بدون معرفة المشروب والمشهود لا يكون، وأن الحزن بغير المعرفة الخاصة لا يهون، وإن الذي يلزم السالك أن يتعلق به؛ ليتحقق بأوصاف أرباب هذه المسالك هي معرفة الأسماء؛ لا سيما الحسنى والاطلاع على المعارف الإلهية هنا، ولذا ناسب أن يلحق هذا التوسل بقوله.

(حرف العين)

قال المصنف: (إلهي عَرِّفني حَقَائِقَ أَسْمَائِكَ الحُسنى وَأَطْلِعْني عَلى رَقَائِقِ دَقَائِقِ مَعَارِفِكَ لَحْنا وَأَشْهِدْنِي حَتى تَجَلياتِ صِفَاتِكَ وَكُنُوزَ أَسْرَارِ ذَاتِكَ)

قال الشارح: **(إلهي عرفني)** أي علمني، قال في «القاموس»: عرفه يعرفه معرفة وعرفانًا، وعِرفة بالكسر، وعِرِفانا بكسرتين مشددة الفاء: علمه فهو عارف وعريف وعروفة، انتهى.

وقال السيد –رحمه الله تعالى– في «التعريفات»: المعرفة إدراك الشيء على ما هو عليه وهي مسبوقة بنسيان حاصل بعد العلم، ولذلك يسمى الحق وتعالى بالعالم دون العارف، انتهى.

وقيل: إنه يوصف الحق بها لعدم التوفيق وإلا فهما بمعنى، وقال الشيخ أبو بكر الموصلي –رحمه الله تعالى– في مختصر «منازل السائرين»: وهي: أي المعرفة على ثلاث درجات: معرفة الصفات والنعوت، ومعرفة الصفات من غير تفرقة بينها وبين الذات،

ومعرفة مستغرقة في محض التعريف لا يوصل إليها الاستدلال، ولا يدل عليها شاهد، وهي على ثلاثة أركان، مشاهدة قرب صعود عن علم مطالعة جمع فلخاصة الخاصة. انتهى

وقال الإمام القشيري ﷺ في «الرسالة» في باب المعرفة: قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (1) [الأنعام ٩١].

جاء في التفسير: ما عرفوا الله حق معرفته، وروي بسنده عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن دعامة البيت أساسه، ودعامة المعرفة بالله واليقين والعقل القامع، فقلت: بأبي وأمي ما العقل القامع؟ قال: الكف عن معاصي الله، والحرص على طاعة الله» (2) والمعرفة على لسان العلماء: هي العلم فكل علم معرفة، وكل علم بالله تعالى عرفان، وكل عارف عالم.

قلت: لكن في «مواقع النجوم» للأكبري: المعلوم أن لفظة عالم أبلغ من عارف، وأن السنن والقرآن يشهد له، وأنكر على القوم تسميتهم العالم منهم عارفًا؛ ثم اعتذر بأن ذلك صدر منهم؛ لغيرتهم لما شاركهم في هذا الاسم من ليس منهم، ورجع الخلف إلى اللفظي، وذكر أن الخلاف وقع بينهم فهو لفظي.

ثم قال القشيري قدس الله سره: وعند هؤلاء القوم المعرفة صفة من عرف الله بأسمائه وصفاته، ثم صدق الله في معاملاته، ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال بالباب وقوفه، ودام بالقلب اعتكافه، فحظي من الله بجميل إقباله، وصدق في جميع

---

(1) قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ قطع الله بهذه الآية أطماع الحدثان عن إدراك كنه قدمه وعزة أزليته؛ لأن الحدثان لا يبقى أثرها في جمال سطواته عزة الرحمن، كيف يعرف قدره من لا يعرفه؟ وكيف يعرفه من لا يعرف نفسه؟ وكيف يعرف نفسه من لا يكون خالق نفسه؟ وكيف يكون خالق نفسه، والأزلية منزهة عن الأضداد والأنداد؟! لأن سطوات عظمته لا يبقى للحدثان أثر في ساحة كبريائه، عرف قدره بنفسه لا غيره عرف قدره، نطاق الألوهية لا يجري ... لأن عن مساحيه في العقول، غير محدودة في القلوب، غير معروفة بالحلول في الأماكن والأزمنة.

قال بعض المشايخ: كيف يعرف أحدٌ حق قدره وهو تعالى ... يريد أن يعلم قدره وأوصاف الحدثان أثر يمنع من أوصاف القدم، وقال بعضهم: ما عرفوا حق قدره، لو عرفوا ذلك لماتت أرواحهم عند كشف ... وريد عليه من ... [عرائس 1/ 465] بتصرف.

(2) ذكره القشيري في الرسالة (1/ 141)

حو به، و نقطع عن هواجس نفسه، ولم يصح نقله إلى خاطر يدعوه إلى غيره، فإذا صار من الخلق أجنبيًا، ومن آفات نفسه بريئًا، ومن المساكنات والملاحظات نقيًا، ودام في السر مع الله مناجاته، وحق في كل لحظة إليه رجوعه، وصار محدثًا من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجري من تصاريف أقداره؛ سمي عند ذلك عارفًا، وتسمى حالته معرفة وبالجملة، فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربه ﷻ، وقد تكلم المشايخ في معرفة، فكل نطق بما وقع له، وأشار إلى ما وجد في وقته.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق - رحمه الله تعالى - يقول: من أمارات معرفة الله تعالى حصول الهيبة من الله، فمن ازدادت معرفته ازداد هيبته، وسمعته - رحمه الله تعالى - يقول: المعرفة توجب السكينة في القلب؛ كما أن العلم يوجب السكون، فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته؛ ثم قال: وقال أبو يعقوب النهرجوري: قلت لأبي يعقوب السوسي ﷺ: هل يتأسف العارف على شيء غير الله ﷻ؟ فقال: وهل يرى غيره فتأسف عليه؟ قلت: فبأي عين ينظر إلى الأشياء؟ فقال: بعين الفناء والزوال.

وقال أبو يزيد ﷺ: العارف طيار، والزاهد يسار، وقيل العارف: تبكي عينه ويضحك قلبه.

وقال الجنيد ﷺ: لا يكون العارف عارفًا؛ حتى لا يكون كالأرض يطأه البر والفاجر، وكالسحاب يظل كل شيء، وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب.

وقال يحيى بن معاذ: يخرج العارف من الدنيا، ولا يقضي وطره منها من شيئين بكائه على نفسه، وثنائه على ربه إلى آخر الباب الجامع للباب.

وعنه ﷺ: «لو خفتم الله حق خيفته؛ لعلمتم العلم الذي لا جهل معه، ولو عرفتم الله حق معرفته لزالت لدعائكم الجبال»[1] رواه الحكيم عن معاذ.

قال سيدي محيي الدين - قدس الله سره - في «المبادئة»: المعرفة معرفتان:

معرفة تحصل بالأحوال، وعن هذه المعرفة تظهر الآيات في خرق العوائد لأربابها، فتخيل بعض الناس أن ذلك الأثر عن الأحوال؛ وإنما الأثر للمعرفة التي تكون عن الحال، وهذا هو لكون الحال، ولا أثر لكون الحال لم يكسب المعرفة بالله، فمن من قبل

(1) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (3/ 106)

الأحوال لكرامات إذا كانت عنها المعرفة، وهو قول صاحب «محاسن المجالس»، وقد نبهت أسوة على هذا الفصل من المعرفة في خبر روي عنه ﷺ: «لو عرفتم الله حق المعرفة لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال»[1]، انتهى.

وعبارة سيدي أبي العباس أحمد بن موسى الصنهاجي ﷺ في «محاسن المجالس»: المعرفة مهجتي والعلم حجتي، فالعالم يستدل بي، والعارف يستدل إليّ، فالعلماء والعارفون في عين العباد بالأعمال، والمريدون بالأحوال، والعارفون بالهمم، والحق وراء ذلك كله، ليس بينه وبين العباد نسب إلا العناية، ولا سبب إلا الحكم، ولا وقت غير الأزل، وما بقي فعمى وتلبيس؛ فالأعمال للجزاء، والأحوال للكرامات، والهمم للوصول، وإنما يعرف الحق عند اضمحلال الرسم؛ فالإشارة نداء على رأس البعد، وبوح بعين العلة، والغيم على القلوب كالأسباب على العيون، وما سوى الحق حجاب عنه، ولولا ظلمة الكون لظهر نور الغيب، ولولا فتنة النفس لارتفعت الحجب، ولولا العلائق لانكشفت الحقائق، ولولا العلل لبرزت القدرة، ولولا التكليف لصحت المعرفة، ولولا الطمع لرشحت المحبة، ولولا حظ باق لا أحرق الاشتياق الأرواح، ولولا البعد لشوهد.

فإذا انكشف الحجاب عن جسم هذه الأسباب وارتفعت العوائق بقطع العلائق بدلك سر طال عنك اكتتامه، ولاح صباح كنت أنت ظلامه، فأنت حجاب القلب عن سر غيبه، ولولاك لم يطبع عليه ختامه، فإن غبت عنه حل فيه، وطنبت عن مكنف لكشف المصون خيامه، وجاء حديث لا يمل سماعه شهي، إلينا نثره ونظامه إذا بقي لنفس طالب نعيمها، وزال عن القلب المعنى غرامه، انتهى.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] قال ابن عباس رضي الله عنهما ووافقه المحققون: ليعرفون، فمن لم يعرف الحق سبحانه بمعرفة الخصوص لا يراش جناح سره المقصوص.

قال سيدي محمد بن عبد الرحمن الفاسي رحمه الله تعالى في «حاشيته على الحزب»: المعرفة لله تعالى هي أعلى المطالب وأسمى المواهب؛ والمعنى بها ما يقع من تجلي الحق تعالى في قلوب خواصه، وتحقق أسرارهم بأحديته؛ وذلك لما أفاض الله عليهم سبحانه من أنوار

(1) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (1/ 352)

شهود، وأطلعهم عليه من مكنون الوجود، فانغمسوا في بحار الأنوار، وعرفوا في المعاني والأسرار.

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: 46] أنه جنة معجلة وهي جنة المعارف، وجنة مؤجلة وهي جنة القيامة، وأن من دخل هذه لا يشتاق إلى تلك؛ يعني: بالنسبة إلى حورها وقصورها، وأما بالنسبة ما يحصل هناك من التعرف والتعرف فشتان ما بين الحالتين؛ فإن ما يفتح على قلوب العارفين في هذه الدار، بل هي ثمة ما عندهم أكرموا بتعجيله في هذه الدار، والله أعلم، انتهى.

وقال بعض العارفين: مساكين أهل الدنيا خرجوا منها، وما عرفوا طيب ما فيها، قيل له: وما هو، قال: معرفة الله تعالى.

وقد ألف الهمام الأكبري -قدس الله سره- فيها كتابًا، وأبدى فيه من أسرارها عجائب، وعقد لها في «فتوحاته» بابًا قد جمع من الأسرار لبابًا تحير من العارفين أبابًا، ونثر منظوم دررها ونثر مظنون غررها في كثير من مألوفاته -روح الله روحه ومنحه كمل هبته- وكذلك الغزالي في «إحيائه»، والسهروردي في «عوارفه»، وأبو طالب في «قوته» -قدس الله أسرارهم آمين- وهي أول الواجبات، ومنتهى الطلبات.

قال منشئ الزبد الصارب بحر عرفانه بالزبد: أول واجب على الإنسان معرفة الإله باستيقان، وصحح قوم أن النظر الموصل إليها هو الواجب الأول، وقيل: قصده والمآل واحد.

واعلم أن المعرفة على أقسام: معرفة خواص، وخواص الخواص، ومعرفة عوام، وذاتية وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: 1-2]

وخصوصية وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65] وأسمائية وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31] وتنقسم من حيث الأصل إلى قسمين: معرفة الله لعبده، ومعرفة العبد لربه، وكل منهما خاصة وعامة؛ فالمعرفة الإلهية العامة: هي علمه سبحانه وتعالى بعباده، واطلاعه على ما أسروه وأعلنوه، وعلى ما يجري لهم مما سبق به العلم من الأزل إلى الأبد.

والمعرفة الإلهية الخاصة: هي التي تقتضي محبته لعبده وتقربه له، وإجابة دعائه،

وإليه الإشارة بحديث قرب النوافل، والحديث الذي رواه أبو القاسم بن بشران في أماليه عن أبي هريرة، وهو قوله ﷺ: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»(1)، فإن العبد إذا اتقى الله تعالى، وحفظ حدوده، ورعى حقوقه حال الرخاء، فقد تعرف بذلك لمولاه؛ حيث شاهد ربه في تلك المواطن من إقباله في الظاهر، فعرفه ربه سبحانه معرفة خاصة من هذا الوجه الخاص به، وشكره الحق سبحانه وتعالى على ذلك، وذكره ذكرًا خاصًا في هنالك، فنجى به من الشدائد والمهالك، وهذا المعرف السالك هو الذي إذا دعا تقول الملائكة: يا رب صوت معروف من عبد معروف.

أما معرفة العبد العامة: فهي الإقرار بالوحدانية، والتصديق والإيمان بالأمور الغيبية؛ كأنها عيانية.

والخاصة: هي التي تنجذب بها القلوب إلى المحبوب، وينشأ عنها التبتل له والأنس به، والطمأنينة بذكره، والحياء منه والهيبة له، ولكل من العامة والخاصة درجات بحسب الأذواق والمقامات، وقد سئل الصديق ؓ: بم عرفت الله تعالى؟ فقال: عرفت ربي بربي، ولولا ربي ما عرفت ربي.

وسئل -مصباح التوحيد ومفتاح التفريد الليث الغالب- مولاي علي بن أبي طالب ؓ: بم عرفت ربك؟ فقال: بما عرفني به نفسه لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب في بعده بعيد في قربه، فوق كل شيء، ولا يقال: تحته شيء، وأمام كل شيء، ولا يقال: أمامه شيء، وهو على كل شيء، ولا يقال: كشيء في شيء، فسبحان من هو هكذا، وليس هكذا غيره، انتهى.

وما من ذوق في كل مقام إلا وثم أعلى منه؛ ولكن إذا أراد الحق سبحانه وتعالى أن يطوي لعبده الطريق جمع له في الذوق الواحد ما لا نهاية له من الأذواق، ورفعه في آن واحد إلى أعلى الطباق، وكما أن للعامة طريقًا وهو النظر؛ كذلك للخاصة طريق موصل إليها، فيجب سلوك طريقها الشاهد السالك، ويفيض بريقها، ويمزج كأس ذوقه برضاب حسنٍ مشاهدها وبريقها، ويدرك حلاوة شهد سحيقها، وعقيقها، وجمعها، وتفريقها، ويكون من الذي زال عنه البين؛ هو الجامع لها في آن لا آين، وهناك تطهر منه الثياب

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 51)، والطبراني في الكبير (11/ 123، 223)

ويحصل له الثبات دون ارتياب.

قال سيدي أبو الحسن علي الشاذلي قدس الله سره: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقال لي: يا علي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس، فقلت يا رسول الله: وما ثيابي، فقال: اعلم أن الله تعالى قد كساك حلة الإيمان، وحلة المعرفة، وحلة التوحيد، وحلة المحبة، قال: ففهمت حينئذ معنى قوله تعالى: ﴿وثيابك فطهر﴾ [المدثر 4]، انتهى

ولنذكر لك وصية ذكرها الأكبري –قدس الله سره– آخر مسامراته هنا تعمّ بها النفس، وتعشق لها الألباب، وهي الذي أوصيك بها أيها الأخ –أيدك الله بروحه– منه أن تعرف الحق سبحانه وتعالى من حيث ما أخبرك به عن نفسه، إن عليه اعتمادك على ما اقتضاه البرهان الوجودي؛ مما ينبغي أن يكون الحق سبحانه عليه من التنزيه والتقديس، فيجمع بين العلم الذي أعطاك الإيمان، وبين العلم الذي اقتضاه الدليل القطعي، ولا تطلب الجمع بين الطريقين؛ بل خذ كل طريق على انفرادها، واجعل الإيمان لقلبك ما أعطاك من معرفة الله بمنزلة النصر، وحسبك ما أعطاك من معرفته ما تقتضيه حقيقته.

واحذر أن يتصرف بصرك الفكري فيما أعطاك من الإيمان، فتحرم عين اليقين؛ فإن الله أوسع من أن يقيده عقل عن أبدان إيمان، وأبدان عن عقل، وإن كان نور الإيمان يشهد للعقل من حيث ما أعطاه فكره بصحة ما أعطاه نور الإيمان والكشف؛ لكن نور العقل الذي يكون به القبول الخارج عن الفكر يشهد بصحة ما أعطى الكشف، والإيمان للشرع نور، وللألباب ميزان، والشرع للعقل تأييد وسلطان، والكشف نور؛ ولكن ليس تدركه العقول له في القلب رجحان.

واعلم يا أخي أن العقول بأسرها الملكية والبشرية؛ بل العقل الأول الذي أول موجود في عالم التقدير، والشطر قد علمت قصورها وجهلها حقيقة ذات بارئها، وأنها ما تعرف من هذه الذات المنزهة إلا قدر ما يطلب العالم منها من المناسبة، وتلك صفات لأنه لا تعرف سر المرتبة؛ فاشتركت النفس البليغة والقاصرة في هذا الجهل والقصور، وما هذه المعرفة وهو العلم بما سوى الله تعالى، لا حاجة لنا به؛ إنما الحاجة المهمة التي تكون محصورة كمال النفس؛ فإن الصفة النفسية التي لهذه الذات المنزهة من المحال أن تكون سوى واحدة؛ وهي عين الذات، ومعناها من حيث الإثبات، فمحال أن نعلم موجدها

عظمة نفسه، قال الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران 28]، وقال ﷺ: «لا تفكروا في ذات الله»[1]؛ فالشغل بما لا يوصل إليه تضييع.

واعلم يا أخي أن ما انتقش من العلم الإلهي في العالم، إلا قدر ما هو العالم عليه إلى يوم القيامة علوًا، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت 12] وسفلًا وهو قوله تعالى: حين ذكر الأرض: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت 10]

فكن يا أخي مع الله على الصفاء، وتجريد الباطن، والتعلق بغير ذات الحق سبحانه وتعالى؛ أي: فإن ذات الحق من حيث هي لا يتعلق بها كما أسلفه، ويكون حالك في جلوسك بين يدي الله من غير تخيل؛ بل بتحقيق الحدوث، لا تخيلها يحصل الفتح الإلهي لك بواسطة هذا الجلوس، وهذا الحال واذكره بمثل ذلك الذكر. ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران 191] فلا يكون ملحظك إلا ذكر الله باطنًا وظاهرًا، سرًا وعلانية، وليكن حالك مع الأرواح والأسماء، وشهودك مع مرضات الله سبحانه وتعالى، وحقيقة أمرك مبنية على ما يوافق الشرع، فقد دللتك على ما فيه سعادتك في الدارين، والله يتولى هداك فتأمل هذه الوصية؛ فإنها كافية وفية

وقال سيدي عبد الوهاب الشعراني -قدس الله سره- في «الميزان الذرية». فصل لا يكمل لعبد مرتبة العرفان إلا إن جمع بين القول بالتشبيه، والقول بالتنزيه؛ كما جاءت بذلك الأخبار والآيات، فمن قال بالتشبيه فقط، أو التنزيه فقط، فهو على النصف من مقام المعرفة، وإن كان كل منهما يسمى عارفًا بالله ﷻ، وقد انقسم الناس فريقين. فريق: نفى معرفة الله ﷻ وقال: لا يعرف الله إلا الله.

وفريق أثبت المعرفة لكل مخلوق، وهو الحق الذي ارتضاه المحققون؛ لأن الله تعالى ما خلق الخلق إلا ليعرفوه، فلا بُدَّ أن يعرفوه، إما كشفًا، أو عقلًا، أو تقليدًا لصاحب كشف، أو عقل، والمعرفة تابعة للرؤية، فكما تعلقت الرؤية به تعالى فكان مرئيًا، كذلك تعلقت المعرفة به فكان معروفًا

وأيضًا فإن الله تعالى ما خلق المعرفة المحدثة به تعالى إلا لكمال مرتبة العرفان،

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (1/ 371 - 471)

ومن صفة الوجود، ولا يتم ذلك إلا حتى يتعلق العلم المحدث بالله على صورة ما تعلق به بنفسه، وما تعلق القديم بالعجز عن العلم، فكذلك العلم المحدث ما تعلق إلا بما هو المعلوم عليه في نفسه، وعمدة هذا الباب. خلق الله آدم على صورته لمن فهم المقصود على وجهه، وإن قال منكر الرؤية والمعرفة لمن لا يقول بالوصول إلى معرفته، ولا في رؤيته المراد منه عن «العجز عن درك الإدراك إدراك»، وهي المسمى عنده بالمعرفة، فبئس جهل منه، وهو بذلك حوري بقوله: لا يرى الله أبدًا، كما لا يعرفه أبدًا، وإن لم يجريه الله بذلك، وبدا له من الله ما لم يكن يحسب، وعلم منه ثاني حال خلاف ما كان يعلمه؛ فإنه يراه ويعلم إنه هو ضرورة

ولما سُئل الجنيد عن المعرفة والعارف؛ فقال للسائل: لون الماء لون إنائه، ولم يزده بقول ﷺ إن الماء يقبل جميع الألوان فيصير في رأي العين متلونًا بلون إنائه، وهو في نفس الأمر شيء آخر، لا لون له يعرف، فالعارف يعرف الماء، ويعرف أن ذلك لون إنائه.

وكذلك القول في «التجليات الإلهية» فإن العارف يدركها دائمًا، والفرقان عنده دائم، فهو يعرف من يتجلى، وبما لا يتجلى؟ وتختص الحق تعالى دون العارف بكيف يتجلى لا يعلم ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فهو من خصائص الحق تعالى؛ إذ الذات مجهولة في الأصل، فعلم كيفية تجليها في المظاهر غير حاصل، ولا يدرك لأحد من خلق الله تعالى، وإذا كان الحق تعالى غير محسوس فما بقي إلا ما أنتجه الفكر، وتعالى ربنا في علو ذاته عن ذلك، انتهى.

( ) قال سيدي علي وفا في هذه المقولة: هو على قسمين: هو أن الماء على لونه، وإناؤه لا لون له، كالأواني المتخذة من الزجاج الصافي من الصبغ، فيكون الإناء مشهودًا على لون مائه، والثاني عكسه، فليس التحقيق إلا في الأمر دائر كل حضرة بمقتضياتها في كل مقام بحسبه، فافهم انتهى.

وكان ؓ وعنا به كثيرًا ما يقول في كتابه «السامع» الذي لم يسمع بمثله سامع: تعرف على معرفته، وتحقق حقيقة ما حققته، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل يكون محبه شاهدًا لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التخلي يكون التحقق بحكم ما تجلى به عينًا وأثرًا، ولكل مقام مقال، ولكل مجالي رجال، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ ... ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت: 54].

قال المصنف:

باب العين

[إلهي عرفني حقائق أسمائك الحسنى وأطلعني على رقائق دقائق معارفك المانحة طيب عوارفك الموصوفة بين أهل لطائفك بأنها الحسنا وأشهدني خفي تجليات صفاتك وكنوز أسرار ذاتك]

قال الشارح: ولما كانت أقسام المعرفة كثيرة ذات نور أسنى، قال (حقائق) جمع حقيقة، (أسمائك) جمع اسم، وهو اللفظ الدال على ذات المسمى، وهي كثيرة قيل ثلاثمائة، وقيل: ألف وواحد، وقيل: مائة ألف وأربع وعشرون ألفًا على عدد الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام؛ إذ كل نبي تمده حقيقة اسم خاص به، مع إمداد بقية الأسماء له؛ لتحققه بجميعها، فمن الاسم الجامع تفرعت الأمهات السبع وفروعها، وعنها بقية الأسماء، وقيل: ليس لها حد ولا نهاية، ولا يحيط بها عد ولا غاية، وإلى هذا جنح ابن عطاء الله، وهي ذاتية كالله والرحمن، وصفاتية كالحي والعليم، وأفعالية كالمحيي والمميت، والصفاتية على أقسام:

أسماء صفات جمال: كالرحيم والكريم.

وأسماء صفات جلال: كالكبير والعظيم.

وأسماء صفات كمال: كالسميع والبصير.

وإذا كانت أفعاله لا تنحصر، فكذلك أسماؤه، لكن هل يزاد في أسمائه على الوارد؟ فقيل: لا، وقيل: نعم، فيجوز تصريف الاسم: كالعليم والعالم والعلام، وقيل: إن كان فيه معنى التعظيم جاز، وإلا لا، والأسماء دالة على المسمى، ومدلوله هو الذات والنسبة بين الاسم والذات، وهي الحقيقة الاسمية.

مثال: كحقيقة الإنسان هي الحيوان الناطق، فمعرفة حقائق الأسماء تعطي علم النسب والإضافات، وهو علم كبير وعالمه عالم فيضه كثير، ومنه تُرتقى إلى عالم رقائق المعارف الحسنى، ومنه إلى شهود وخفي تجليات الصفات الأسنى، ومنه إلى كنوز أسرار الذات التي مثلها أعلى وأثنى، وأتقى وأهنى، وأقرب وأدنى، ولما كان علم الأسماء هو الذي يعني، وعنه لا يستغنى طلبه، وحض بعد العموم علوم الأسماء الحسنى

قال (الحُسْنى): الدلائل مصدر وصف به، أو مؤنث أحسن، فأفرد؛ لأنه وصف جمع ما لا يعقل، فيجوز فيه الإفراد والجمع، وحسن أسمائه تعالى هو بتحسين إطلاقها شرعًا، مع تضمنها معاني حسان شريفة من المدح والتعظيم والتحميد، قال الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف 180]

قال البيضاوي - رحمه الله تعالى: لأنها دلالة على معان هي أحسن المعاني، والمراد بها الألفاظ، وقيل الصفات: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف 180]، وسموه بتلك الصفات، ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف:180]، واتركوا تسمية الزائغين فيه الذين يسمونه بما لا توقيف فيه؛ إذ ربما يوهم معنى فاسدًا كقولهم: ما نعرف إلا رحيم اليمامة، أو ذروهم وإلحادهم فيها بإطلاقها على الأصنام، واشتقاق أسمائها منها: كاللات من الله، والعزى من العزيز، ولا توافقوهم عليه، أو أعرضوا عنهم، فإن الله مجازيهم، كما قال: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:180]، انتهى.

ويحتمل أنه أراد التسعة والتسعين، المشار إليها بحديث: **«إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة»**[1]، **«إنه وتر يحب الوتر»**[2]، وفي رواية: **«من حفظها»**[3]، وقد استخرجها بعض العلماء من القرآن العظيم، وبعضهم من السنة.

وخرج الترمذي - رحمه الله تعالى - في «جامعه» تعيين هذه الأسماء، فروى عن إبراهيم بن يعقوب عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْغَفَّارُ الْقَهَّارُ الْوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْحَكَمُ الْعَدْلُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ الْغَفُورُ الشَّكُورُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ الْحَفِيظُ الْمُقِيتُ الْحَسِيبُ الْجَلِيلُ الْكَرِيمُ الرَّقِيبُ الْمُجِيبُ الْوَاسِعُ الْحَكِيمُ الْوَدُودُ الْمَجِيدُ الْبَاعِثُ الشَّهِيدُ الْحَقُّ**

---

(1) رواه البخاري (2/ 981) بنحوه.

(2) رواه مسلم (4/ 2063).

(3) رواه مسلم (4/ 2062).

الْوَكِيلُ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ الْمُحْصِي الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْوَاجِدُ الْمَاجِدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخِّرُ الْأَوَّلُ الْآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ الْوَالِي الْمُتَعَالِي الْبَرُّ التَّوَّابُ الْمُنْتَقِمُ الْعَفُوُّ الرَّءُوفُ مَالِكُ الْمُلْكِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْمُقْسِطُ الْجَامِعُ الْغَنِيُّ الْمُغْنِي الْمَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ النُّورُ الْهَادِي الْبَدِيعُ الْبَاقِي الْوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ»[1]

وفي رواية أبي الشيخ وابن مردويه معًا في التفسير والحاكم وأبي نعيم عنه أيضًا بعض زيادات ونقص في سردها، وكذلك وقع في رواية ابن ماجه عنه أيضًا.

قال بعض العلماء: ويحتمل أن يكون ذلك مدرجًا من كلام أبي هريرة، سمعه أحدًا فسقه، فحصل بعض اختلافات في الروايات من تقديم وتأخير، وزيادة ونقص.

قال شارح «الدلائل»: وقال الخطابي على قوله في أول الحديث: **«إن لله تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة»**[2]، في هذا الحديث الكريم من الأحكام إثبات هذه الأسماء المحصورة بهذا العدد، وليس فيه ما يدل على نفي ما عداها، وإنما وقع التخصيص بذكر هذه الأسماء؛ لأنها أشرف الأسماء، وأبينها معاني وأظهرها.

قال: فجملة قوله قضية واحدة لا قضيتان، ويكون تمام الفائدة خبر إنَّ، وهو قوله: **«من أحصاها دخل الجنة»**[3]، لا في قوله: **«تسعة وتسعين اسمًا»**[4] وهو بمنزلة قولك: إن لزيد تسعة وتسعين درهمًا، أعدها للصدقة، أو من زاره أعطاه إياها، فهذا لا يدل على أنه ليس عنده من الدراهم غيرها، ولا أكثر منها، وإنما يدل على أن الذي أعده زيد من الدراهم للصدقة أو للعطية من ذلك العدد المذكور.

قال: ويؤيد هذا التأويل ما ذكر في حديث ابن مسعود في دعائه: **«أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك»**[5] الحديث، قال غيره: ويؤيد قوله ﷺ: **«وأسماء الله الحسنى كلها**

(1) رواه الترمذي (4329)، والبيهقي في الشعب (97)، وفي الأسماء والصفات (6)، و«الاعتقاد» (15)، والطبراني في الدعاء (103)، والدعوات الكبير (247)، وأبو نعيم في «إن لله تسعة وتسعين اسمًا» (23)، وأبو بكر الإسماعيلي في معجم مشيخته (237).

(2) سبق تخريجه. (3) سبق تخريجه.

(4) سبق تخريجه. (5) رواه أحمد (1/ 452).

ما علمت منها وما لم أعلم»(1)، وقوله ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»(2)، وقوله في حديث الشفاعة: «فيفتح علي من محامده وحسن الثناء عليه ما لا أقدر عليه إلا أن يلهمنيه الله تعالى»(3) أو كما قال ﷺ.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: 110]، فتم الإحصاء صادق بالعد والحفظ، والعلم والفهم، والعقد والتعلق، والتخلق والتحقق، ووجوه ذلك لا تنحصر من حيث التحقق تفصيلاً، فتتفاوت رتب المعارف من أجل ذلك تفاوتًا خارجًا عن الإحاطة والضبط، ولكن الكلام على الأسماء من العلوم المكنونة، والأسرار المصونة التي ضن بها عن غير أهلها، وأعطيت لمن جعل نفسه أقل مهورها» قاله بعض العارفين. انتهى

وقال سيدي محمد القونوي في مقدمة «شرح الأسماء»: وصح عن المخبر الصادق ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة»(4)، وقوله: «مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة»(5)، وقوله: «مائة إلا واحدًا»(6) على وجه التأكيد، كقوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞ﴾ [البقرة: 196] فقيده على التأكيد عند أكثر العلماء، وهو أبعد عن التصحيف في الكتابة؛ لأن التسعة والتسعين تشبه في الكتابة السبعة والسبعين، فما زال الالتباس بالقيد، وأما قوله ﷺ: «من أحصاها» عند علماء الظاهر هو بمعنى: العلم، وهو معرفة ألفاظها ومعانيها، والعثور على حقائق نتائجها، وآثارها، وعند أهل الله: هو الاتصاف بها، والظهور بحقائقها والعثور على مدارج نتائجها، بحيث يصدق عليهم إطلاق أعيانها، كما أنه تعالى وصف نفسه بأنه خير الناصرين، وخير الحاكمين، وخير الحافظين، وخير الرازقين، وأحسن الخالقين، وأخبر عن نبيه أنه رؤوف رحيم، ففي أمثال هذه التنبيهات مجال متسع لأهل العناية من أرباب النفوس، وأصحاب الكشف والشهود فيتصفون بما نعتها هو وبهم، ويتصفون بصبغ ثم في سلوكهم على مناهج السنن المشروعة، ويسيرهم على مدارج طريقة أهل الولاية،

---

(1) رواه مالك في موطئه (2/951) (2) رواه ابن ماجه (1/373)

(3) رواه مسلم (5/455) (4) سبق تخريجه

(5) سبق تخريجه (6) سبق تخريجه

(7) سبق تخريجه

واستحقوا بالأخلاق الإلهية، ويصير ذلك قربة لهم إليه، ووسيلة لديه، نسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من أهله، فإنه ولي ذلك؛ لأنه ما أولى من ولي إلا من هو من ذوي الأهلية لأهلية

واعلم أن كل من دخل عالم حقائق الأسماء بسر فتر هذه الأسماء، وشاهد حضراتها التي لا تنضبط حسًّا ورسمًا، وحداوها السائحة بها فنون فنيت رسمًا وسمًا، وبقيت بالمعنى لما أتاها من أجسامه قسمًا يعاين إمدادًا لا ينسج؛ إذ يصبح وعمًى، فكيف وأمله دهون الطيب سمًّا، ويكشف له عن علوم تهتك سترًا، وتنهك حسنًا، وتمد الرقائق، والحال أن مددها من مدد [شذي] المليحة وأسمى، ولقد قلت في هذه المعنى مشيرًا من حل ذا المغني:

مُدَّتْ رَقَائِقُنَا مِنَ الأَسْمَاءِ ... وَعَلَى الحَقِيقَةِ فَهُوَ مِن أَسمَاء
وَبِبُرْقُعِ الحَسْنَاءِ بَدَتْ حَسْنَاؤُنَا ... تَجَلَّى فَبَشِّرْ صَاحِبَ الإِخْفَاءِ
وَالمنح قُلْ أَدْعُو اللهَ وَأَعْرِفُ سِرَّهَا ... فَمَدَائِنُهَا يَعْلُو عَلَى الصُّهْبَاءِ
وادر اخْتِلافَ تَجَلِّيَاتٍ جَمَالِهَا ... وَجَلالِهَا وَتَصَرُّفِ الأَشْيَاءِ
واشْهَدْ تَوَحُّدِهَا إِنْ كَثُرَتْ فَقَدْ ... دَلَّتْ عَلَى فَرْدٍ بِغَيْرِ مِرَاء
وَإِذَا سَبَحْتَ وَسَبَحْتَ أَجْزَاكَ فِي ... بَحْرٍ لَهَا وَحَسِبْتَ فِي الفُرَقَاءِ
وَعَرَفْتَ آثَارًا يُوَافِقُ بَعْضُهَا ... بَعْضًا وَكَيْفَ تُوَافِقُ الغُرَبَاءِ
وَسَمِعْتُ مِنْكَ مُخَاطِبًا يَا أَهْلَ يَثْرِب ... لا مقَامَ لَكُم بِدُونِ ثَنَاءِ
وكشفت عن سر العماء وكنزه الـ ... مخفي وسر السدرة البيضاء
وفككت طلسمات أسماء المنى ... وشهدت ما تمنحه للأشياء
فهناك غب واشرب وطب لا تحتجب ... عن شاخص بالظل والإفياء
واقرأ التكاثر إن فهمت رموزها ... تحظى بسر لاح للعلماء
وتأمل الأحبار تلق غرائب ... دقت مداركها على العقلاء
واكتم عن الأغيار جهدك سرها ... فالكتم شيمة كمل الأدباء
وانهج مناهج خير خلق الله طه ... المجتبي من جاء بالأنباء

متمسكًا بهديه وهديه ... متحوصن من الداءات والأدواء

ممن اقتفى آثار أنوار له ... أضحى بجمع الجمع نقطة باء

ثم الصلاة مع السلام على الذي ... هو سيد السادات والعظماء

والآل والأصحاب ما هب الصَّبا ... سحرًا فأحيا ميت الأحشاء

(وأطْلِعْني) أي اجعلني ممن أشرف، قال في «المصباح»: وأطلعت زيدًا على كذا، مثل: أعلمته، ومعنى (فاطلع عليه)، افتعل، أي: أشرف عليه، وعلم به، انتهى.

(عن رَقائِقِ دقائِقِ مَعارِفِكَ الحَسْنا)، أي: (عن رقائق دقائق معارفك) ملتحفة جيب عن رقائق موضوعة بين أهل لطائفك بأنها الحسناء)، أي: ذات الحسن الباهر والجمال الأمر الذهبي، قال في «المصباح»: وامرأة حسناء: ذاتُ حُسْن، انتهى.

(وأشهِدْني) أي: اجعلني مشاهدًا لك.

(خَفي) أي: مصون مكنون، قال في «المختار»: خفي: من باب رَمَى: كتمه وأظهره، وهو من الأضداد، وأخفاه: ستره وكتمه، وشيء خفي، أي: خافٍ، وجمعه خفايا، وخَفِيَ عليه الأمر يخفى خفاء، ويقال أيضًا: برح الخفاء وضح الأمر، والخوافي: ما دون الريشات العشر من مقدمات الجناح، واستخفى منه: توارى، ولا تقل: اختفى، وأخفيت الشيء: استخرجته، والمختفي: النباش؛ لأنه يستخرج الأكفان، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه:15] أي: أزيل عنها خفاها، أي: غطاءها، كقولهم: أشكيته أي: أزلته عما يشكوه.

قلت: وأصل الخفاء بالمد، والكسر: الكساء الذي يغطى به السقاء، وقرئ: أخفيها، انتهى.

(تَجلِّياتِ صفاتِك)، جمع صفة، والصفات الإلهية الواجب علينا اعتقادها تنقسم إلى: نفسية، وسلبية، ومعان.

فالنفسية: هي الحال الواجبة للذات ما دامت الذات غير معللة بعلة، كالتحيز للجرم.

والسلبية: هي كل صفة مدلولها: عدم أمر لا يليق به سبحانه وتعالى.

وصفة المعنى: هي كل صفة موجودة في نفسها، سواء كانت حديثة كبصر حرد، أو قديمة كعلمه تعالى، والمعنوية فرع عنها، ولذا لم يعلمها، إذ لولا المعاني ما وجدت معنوية، فهي علل لها أي: ملزومة لها، ولهذا نُسبت إلى ذلك، فصل منها صفات معنوية، وإن كانت سبعًا كالأولى، فالياء في لفظ المعنوية ياء النسب، لقصد النسبة، أي: تُنسب إلى المعنى، والواو فيها أُبدلت من الألف التي في المعنى، كذا في شرح الصغرى للإمام السنوسي - قدس الله روحه -، وتنقسم أيضًا إلى ذاتية وأفعالية:

فالذاتية: ما لا يوصف الحق سبحانه بأضدادها، كالوجود، والبقاء.

والأفعالية: ما يصح وصف الحق سبحانه بأضدادها، كالعطاء والمنع، والضر والنفع، ثم تنقسم إلى

جمالية، وجلالية، وكمالية، والكلام عليها من حيث التفصيل يؤدي إلى بسيط تشعب، تفريع وتأصيل، وربما اتسع المجال، فأدى إلى الإملال.

وأشهدني يا مولاي نعمتك، وفيض هباتك، (وَكُنُوزَ أَسْرَارِ ذَاتِكَ): قال في «المصباح»: كنزت المال كنزًا، من باب ضرب، جمعته وادخرته، واكتنزت التمر في وعائه كنزًا أيضًا، وهذا زمن الكناز.

وقال ابن السكيت: لم يُسمع إلا في «الفتح».

وحكى الأزهري: كنزت التمر كنازًا، وكنازًا بالفتح والكسر، والكنز معروف تسمية بالمصدر، والجمع كنوز، مثل فلس وفلوس، واكتنز الشيء اكتنازًا: اجتمع وامتلأ، انتهى.

وقال في «المختار»: الكنز: المال المدفون، وقد كنزه، من باب ضرب، وفي الحديث «كل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز»[1]، انتهى.

وفيه استعارة مكنية، حيث شبه أسرار الذات بنفائس جواهر محروسة عن أعين الناس، ورشح بذلك الكنزية؛ لينبه السامع إلى أنها أسرار خفية، وقد سبق الكلام على الأسرار.

والذات هي النفس والحقيقة.

---

[1] رواه البيهقي في سننه الكبرى (4، 62).

قال أحمد القمولي ـ رحمه الله تعالى ـ في الدرة الحسناء: فائدة في استعمال إطلاق لفظ ذات على الله تعالى على ما يستعملها المتكلمون.

قال الزمخشري: فإن قلت: ما وجه صحة قولهم: ذات الله تعالى على ما يستعمله المتكلمون، قلت: هي في وضع العربية تأنيث (ذو) المقتضي للموصوف والمضاف إليه، كقولهم: رجل ذو مال، ثم اقتطع عنها في استعمالهم، وأجريت مجرى الأسماء غير المقتضية، وعبر بها عن نفس الباري وحقيقة الباري، وأصل ذلك نفس ذات علم وقدرة، وغيرها من الصفات، ثم استغني بالصفة عن الموصوف إذا علم من الكثرة بمكان، وصارت منسية لا تخطر بالبال، كموصوف الصاحب والفارس، وحذف المضاف إليه لإرادة التعميم، كما يحذف مفعول الفعل لذلك، فإن قلت: فأين ساغ إجراء الصفة الجامعة علامة التأنيث عليه سبحانه، وقد رأيناهم يمتنعون عن وصفه بالعلامة، مع استقلالهم بالمبالغة التي تزيد على ما في العلام والعليم.

قلت: من حيث شاع قولك: نفس الباري، وحقيقة الباري، وتفسير ذلك أن يمتنع نحو العلامة؛ لأنه صفة يجدي بها حدو الفعل في التفصيل بين المذكر والمؤنث، بخلاف الاسم، فإن العلامة فيه ليست لهذه التفصلة، ألا ترى أنهم ألحقوها في باب النداء معوضين، وقد قدرت انتظام الذات في سلك الأسماء، وأجريتها مجرى النفس والحقيقة، ولترجيح قول بعضهم ونصرته في ذات الإله مرجع، فالكلمة إذا عربية، والمتمسكين في استعمالها القدوة، انتهى.

وقال الشيخ عبدالله الأنصاري في كتاب «دقائق الإشارات إلى معاني الأسماء والصفات» الذي لخصه من كتاب «معاني الأسماء والصفات» للإمام البيهقي ﷺ باب ما ذكر في الحديث: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم ﷺ قط إلا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله تعالى، قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا. وواحدة في شأن سارة أنها أختي»[1] الحديث رواه في «الصحيحين».

وعن أبي هريرة قال: «بعث رسول الله ﷺ عشرة منهم خبيب الأنصاري، في واقعة، فأسر خبيب، فلما قدم ليقتل قال.

(1) رواه البخاري (3/1225)

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله، وإن يشاء ... يبارك في أوصال شلو ممزع

رواه البخاري. انتهى.

وقال في «المصباح»: وأما قولهم في ذات الله فهو مثل في جنب الله، ولوجه الله، وأنكر بعضهم أن يكون ذلك في الكلام القديم، ولأجل ذلك قال ابن برهان: من السخة قول المتكلمين ذات الله جهل؛ لأن أسماءه لا يلحقها تاء التأنيث، فلا يقال: علامة، وإن كان أعلم العالمين، وقولهم الصفات الذاتية خطأ أيضًا؛ فإن النسبة إلى ذات ذوي؛ لأن النسبة ترد الاسم إلى أصله، وما قاله ابن برهان فيها إذا كانت بمعنى الصاحب والوصف مسلم، والكلام فيها إذا قطعت عن هذا المعنى واستعملت في غيره بمعنى الاسمية، نحو قوله: ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [لقمان 23]، والمعنى عليم بنفس الصدور، أي بواطنها وخفياتها، وقد صار استعمالها بمعنى (نفس الشيء) عرفًا مشهورًا، حتى قال الناس ذات متميزة وذات محدثة، ونسبوا إليها على لفظها من غير تغيير، فقالوا: عيب ذاتي بمعنى جبلي وخلقي، وحكى المطرزي عن بعض الأئمة كل شيء ذات، وكل ذات شيء.

وحكي عن صاحب «التكملة»: جعل الله ما بيننا في ذاته، وقول أبي تمام: ويضرب في ذات الإله فيوجع

وحكى ابن فارس في «متخير الألفاظ»: قوله: فنعم ابن عم القوم في ذات ماله إذا كان بعض القوم في ماله كذلك، أي: فنعم فعله في نفس ماله من الجود والكرم، إذ يبخل غيره

وقال أبو زيد: لقيته أول ذات يدين، أي: أول شيء، وأما أول ذات يدين فإني أحمد الله، أي: أول كل شيء.

وقال النابغة:

مَحَلَّتُهُم ذاتُ الإِلَهِ وَدِينُهُم ... قَوِيمٌ فَما يَرجونَ غَيرَ العَواقِبِ

ويرويه بالجيم الصحيفة، أي: كتابتهم عبودية الإله، ثم قال: وإذ نقل هذا

(1) رواه البخاري (2693/6)

فالكلمة عربية، ولا التفات لمن أنكر كونها عربية، فإنها في القرآن، وهو أفصح كلام عربي، انتهى.

وفي الحديث الشريف: «**أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله تعالى**»[1]، رواه الديلمي عن أبي ذر، ورُوي عن معاذ قول أشرف معاذ: «**ثلاث من كن فيه فهو من الأبدال: الرضى بالقضاء، والصبر عن محارم الله، والغضب في ذات الله**»[2]، وتحققه المدوي ـ رحمه الله، وهي في الاصطلاح كما قاله الجيلي ـ قدس الله سره ـ في الباب الأول من «الإنسان الكامل»: اعلم أن الذات مطلقة، هو الأمر الذي تستند إليه الأسماء والصفات في عينيها، لا في وجودها، فكل اسم أو صفة استند إلى شيء، فذلك الشيء هو الذات، سواء كان معدومًا كالعنقاء، أو موجودًا، والموجود نوعان:

نوع **موجود محض**، وهو ذات الباري ـ سبحانه وتعالى ـ، ونوع **موجود ملحق بالعدم**: وهو ذات المخلوقات، إلى آخر الباب، وليس وراء هذه المعرفة والاطلاع والإشهاد مطلب أو غرض يرمى لما في حديث: «**ليس وراء الله مرمى**»[3].

ولما سأل المؤلف نيلَ هذه المطالب بادته هواتف الحقيقة الممدة لكل لطيفة ورقيقة، إذا مست عينيك بهذا الغناء الأكبر، وأفضنا على ذاتك سحائب هذا الفقر الأفخر، هل تستقل نفسك بشهود ذلك؟ وتنسبه لها دون المالك؟ وتدعي المشاركة لنا في وصف الغناء فتُنهيك عنا؟ إذ شأن النفوس منازعة القدوس، فأجاب بلسان الأدب الذي إليه الشرع ندب، مثبتٌ لمولاه الغناء المطلق ولنفسه المقيد بالعجز المحقق، وفي هذا الإثبات تبرؤ مما تدعيه النفس الخسيسة من الصفات بالصفات المقدسة النفسية، وبهذا التقرير تفهم وجه المناسبة، إنها التحرير.

قال المصنف:

(حرف الغين)

إِلَهِي غِنَاكَ مُطْلَقٌ وَغِنَانَا مُقَيَّدٌ فَنَسْأَلُكَ بِغِنَاكَ الْمُطْلَقِ أَنْ تُغْنِيَنَا بِكَ غِنًى لَا فَقْرَ بَعْدَهُ

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (2/ 31).

(2) رواه الديلمي في الفردوس (2/ 84).

(3) رواه مالك (2/ 901).

إلا إليك يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود يا الله يا رحمن يا رحيم

قال الشارح: (إلهي غِنَاكَ): بالكسر والقصر، أي: عدم احتياجك إلى شيء من الأشياء في وجودك القديم، ووصفك العظيم، وفعلك الجسيم، (مُطْلَقٌ): لا يقيد حتى عن وصف الإطلاق؛ لأنك الغني بالذات، وغيرك بالعرض.

والغناء في اللغة: اليسار، قال في «المختار»: والغَناء بالفتح والمد: النفع، وبالكسر والمد: السماع، وبالكسر والقصر: اليسار. انتهى.

وغنى معشر الفقراء إليك بحوجب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: 15]، مقيد بحال دون حال، ووقت دون وقت، وعلم دون علم، وأين يدرك المقيد وصف لازم لنا في كل أوصافنا والإطلاق وصفك، ونحن لا غنى لنا إلا إن أغنيتنا، فكان (وَغِنَانَا مُقَيَّدٌ): أي: منك بإرادتك، ومن كان غناؤه بغيره فهو الفقير على الدوام، المكبل بقيود القيد إلى يوم القيامة وبعد القيام.

(فَنَسْأَلُكَ)، أي: نتوجه إليك، ونتشفع إليك بسر وحق وحرمة غناك.

(بِغِنَاكَ المُطْلَقِ أَنْ تُغْنِيَنَا)، أن: حرف مصدري ونصب، غنيًا في نفوسنا، في الغنى عن النفس، أو بحفظ كتابك وفهم خطابك، ففي الحديث: «**القُرْآنُ غِنًى لَا فَقْرَ بَعْدَهُ، ولا غِنَى دونه**»[1] رواه أبو يعلى في «مسنده»، ومحمد بن نصر عن أنس.

و(تُغْنِي): فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه فتح آخره، و(نَا): ضمير الجماعة من الحاضرين أو المسلمين (بِكَ) أي: بحولك، وطولك، وقوتك، وقدرتك، أو شهودك، وقربك، فإنك من قربته أشهدته، ومن أشهدته أسعدته، ومن أسعدته حصل له الغناء الأكبر، والمجد الأبهر، غناء مفعول ثاني.

(لَا فَقْرَ) أي: لا احتياج، ولا فاقة (بَعْدَهُ) - أي: بعد ذلك، إلا عن أحد من خلقك - (إِلَّا إِلَيْكَ)، أي، إلا لواسع فضلك، وجودك ومنك، وإن الوافر إمداده على أهل شهودك، فإن الفقر إلى غيرك مذلة، وإليك عز يلبسه المولة، والفقير من سعى بغيرك، والغني - في الحقيقة - من افتقر لغيرك، (فمن أغنيته بك)، أي: بما منحته إليه على يد من شئت من مخلوقاتك، حتى أقبل وصف الغنى عليه، فهو الغني بمدده في سر

(1) رواه الديلمي في الفردوس (3/ 229)

مسائلك، وإن كانت واسطةً كونا في وصول ذلك، فإن الغنى بالله حقيقة مع رفع الوسائط لا يكون، كما أن الأنس به كذلك.

قال سيدي محيي الدين قدس الله سره في الباب 135 من «فتوحاته»: إنه لا يصح لأحد الغنى بالله حقيقة، لما حقيقة الاستغناء ترجع إلى الأسباب، وحقيقة ذلك ... أن تكون ... على مثل ذلك، وإيضاح ذلك أن الله ما وضع الأسباب إلا ... المخلوقين، فما يستغني أحد إلا بالكون، ولا يصح الغنى عن الكون بحكم العموم، وإنما يصح الاستغناء عن مخلوق ما بغيره، فقول بعضهم: فلان مستغن بالله، جهل، وإنما التحقيق أن ... مستغن بما من الله، لا بالله، فإذا جاع أمر بالأكل فزال جوعه عند الأكل، لا بالأكل، انتهى.

على التحقيق يحمل كلام شيخنا ذي المقام السني، سيدي عبد الغني، قدس الله سره ... نظري ... عففت نفسي عن خطور السوى في خاطري، فلأن عيشي هنيٌّ، ... غني بغنى سيدي، لأجل ذلك سميت عبد الغني

(يا غني) سيأتي الكلام عليه عند قولنا في الورد: (يا غنيُّ أنت الغنيّ)

(يا حميد) هو بمعنى محمود، فعيل أبلغ من مفعول، ومعناه: المستحق لجميع أنواع الحمد.

قال الشيخ في «فتوحاته» عند ذكر حضرة الأسماء: حضرة الاسم الحميد يدعى صاحبها عبد الحميد، وهو فعيل، فعمّ اسم الفاعل بالدلالة الوضعية واسم المفعول، فهو الحامد والمحمود، وإليه ترجع عواقب الثناء كلها، ومحمد ﷺ بيده لواء الحمد، ولآدم ﷺ علم الأسماء، ولمحمد ﷺ علم الثناء بها والتلفظ بالمقام المحمود، وأعطي في القيامة لأجل المقام المحمود العمل بالعلم، ولم يعط غيره في ذلك الموطن، فصحت له السيادة، فقال: «آدم ومن دونه تحت لوائي»(1)، وما له لواء إلا الحمد، وهو ... عواقب الثناء ... وهو قوله: ﴿الحمد لله﴾ [الفاتحة: 2] لا لغيره، وما في العالم لفظ إلا وهو ثناء على الله ... وإن مرجعه إلى الله، فإنه لا يخلو أن يثني المثني على الله أو على غير الله، فإن حمد الله فحمده من هو أهل للحمد، وإذا حمد غير الله فما يحمده إلا بما يكون فيه

---

(1) ذكره أبو يعلى في مسنده (4، 205).

من نعوت المحامد، وتلك النعوت مما منحه الله إياها وأوجده عليها، إما في جبلته وإما في تخلقه، فيكون مكتسبة له، وعلى كل وجه فهي من الله، فكان الحق مدرك كل خير وجميل، فرجع عاقبة الثناء على المخلوق بتلك المحامد على من أوجدها، وهو الله، فلا محمود إلا الله، وما من لفظ يكون له وجه إلى مذموم إلا وفيه وجه إلى محمود، فهو من حيث إنه محمود يرجع إلى الله، ومن حيث ما هو مذموم لا حكم له؛ لأن مستند الذم عدم ولا يجد متعلقه، فيذهب ويبقى الحمد لمن هو له، فلا يبقى هذا اللفظ المعين إلا وجه الحمد عند أهل الكشف، ويذهب عنه وجه الذم، أي: ينكشف له أن لا وجه للذم، انتهى

وقال سيدي محمد القونوي ﷺ: الحميد: بمعنى الحامد، والحامد هو الذي يحمد على يسير الطاعة، ويجازي بكثير الثواب، وهو الحميد بما هو حامد نفسه بنفسه إجمالاً، وبلسان كل حامد تفصيلاً، وبما هو محمود لكل حامد ما هو مثنى عليه، فإن عواقب الثناء تعود عليه، وكل اسم فعيل من أسماء الحق يعم أسماء الفاعل والمفعول بالدلالة الوضعية، فهو حامد ومحمود، ولا يطلع على سر الحمد إلا من له المقام المحمود، فيُخصّ بعلم الثناء إلا محمد ﷺ، كما أنه ما ظهر بعلم الأسماء إلا آدم ﷺ

اعلم: أن الإنسان لما خلق على مزاج يميز بين اللذات والآلام، بحيث يتضرر بالآلام ويحزن، ويتمتع باللذات ويُسر، وهما حالان من أحوال الكون، سمي نعمه بما أورثه حال سمع شكرًا وعادته من ذلك حمدًا، وهما عين شؤون الحق، وليست الشؤون إلا التجليات الوجودية، وهو الخير المحض، غير أنه تختلف أحكامها في القوابل، فرب أمر يتضرر به زيد ويلتذ به عمرو، والأمر واحد العين لا انقسام فيه، ويختلف حكمه في الممكنات بحسب قابلياتها واستعداداتها، وكذلك كان رسول الله ﷺ يقول في السراء: «الحمد لله المنعم المتفضل»[1]، وكان يقيد بتقييد حكمه وأثره، يقول في الضر: «الحمد لله على كل حال»[2]، وهذا الحمد أعظم من السراء؛ لإطلاقه واشتماله على الكل، وفيه من إعلام الحق أن أقام صاحبَ الضُّرِّ الثناء، واستعمله بحمده ووفاه من الفضل والتحميد، بعد عطفه بما ألهمه من التحميد، ثم زاده عافية بإزالة الضراء عنه

(1) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (39/ 412)

(2) رواه ابن ماجه (2/ 1250)

واعلم أن ما في العالم لفظ إلا وفيه ثناء جميل في طور الكشف، يشهده أهله، ومرجع ذلك الثناء إلى الله تعالى، وإن كان له وجه إلى مذموم فلا بدّ أن يكون له وجه محمود عند أهل الحق، وإن لم يعثر عليه السامع، كما القائل. فهو من حيث ما هو مذموم لا مستند له، ولا حكم له؛ لأن مستند الذم العدم، فلا تجد الذم من يتعلق به، فيذهب ويبقى حمد الله، ثم الحامد في حال الحمد إما أن يقصد الحق أو غير الحق، فإن حمد الله فقد حمد من هو أهله، وإن حمد غير الحق فما يحمده إلا بما يشاهد من الصفات المكتسبة ونعوت المحاسن، وتلك الصفات عطاء ومنح له من حضرة الربوبية، إما مركوزة في جبلته، وإما مكتسبة في تعلمه وتخلقه، وهي مردودة إلى الحق، فرجوع عاقبة الثناء إليه سبحانه وتعالى، وللحمد ثلاث درجات:

– حمد الحامد نفسه

– وحمده غيره

وهذان القسمان يتطرق إليهما الاحتمال، ويحتاج إلى قرينة الحال.

– والثالثة: حمد لسان الحمد، وهو الذي لا يتطرق إليه الاحتمال، فإنه عين قيام الصفة بالموصوف، وإذا كان عين الصفة عين الموصوف، كان الحمد عين الحامد والمحمود، انتهى.

قال الجيلي - قدس الله سره - في «كمالاته»: اسمه الحميد تعالى، هو الذي أثنى على ذاته بمقتضيات صفاته حق الثناء الواجب له في نفسه، كما هو أهله، وهذا الاسم من أسماء الأوصاف، وصفته الحمد، وهو عبارة عن التجلي الإلهي بما يستحقه بنفسه في نفسه، فحمده هو تجليه بالكمالات كلها على الإحاطة والشمول؛ ظهورًا للجمال والجلال، وجملة جميع أوصاف الكمال، ومن ثم قال بعض النحاة أن اللام في الحمد للشمول، ونعم ما قال، وقال بعضهم أن اللام للعهد، واعتبارنا في عهدية اللام هو أن تقول: إن الحمد الذي هو عبارة عن تجلية بجميع كمالاته لله لا لغيره؛ للإحاطة المتمكنة في هذا الاسم الذي، وذلك أن مقارنة هذا الاسم بالحمد إنما هو لأن اسم الله تعالى دال على جميع الأسماء والصفات الحقية والخلقية، والحمد هو عبارة عن تجليه بجميع تلك الأسماء والصفات التي جمعها للاسم "الله"، فلهذا حصلت المناسبة بين اسم الله وبين الحمد،

فالحمد هو مقام النبي ﷺ، وإلى ذلك أشار بقوله: وله لواء الحمد، والله هو المحمود، وهو حقيقة مصطفى المعبر عنه في اصطلاح القوم بالحقيقة المحمدية، ومن خواصه: كسب محامد في الأخلاق والأفعال والأقوال.

وفي «الأربعين الإدريسية»: يا حميد الفعال، يا ذا المن على جميع خلقه بلطفه.

قال: فمن لسهر وردي، فداومه يحصل له من الأموال ما لم يمكن حصره، وفيه أسرار محسوسة، فلا تسع الأوهام كنه جلال عزه ومجده.

قال: مواظبه - حق المواظبة - يتوحش من الخلق ويستعذر عشرتهم، ويدف مجالستهم، فإذا صار له ذلك فليلزمه على خلوة تامة خمسة وأربعين يومًا، يذكره كل يوم من قدر، فإنه يترقى في رتبة الولاية، والله أعلم.

كذا في كتاب «المقصد الأسنى فيما يتعلق بمقاصد الأسماء» للإمام سيدي أحمد زروق - نفعنا الله ببركاته، آمين.

(يا مُبدِئ) المبدئ هو الموجد، و(المنشئ) الذي أظهر الممكنات في مراتبها، فهو كان له الأسماء التامة. وقيل: هو الذي ابتدأ الخلق بالإيجاد في الرتبة الثانية، فكل من ظهر من بعده ويظهر فهو فيها، ومن ثم رتبة ثالثة، فهي الآخرة والأولى للحق، فهو الأول. فالحق من حيث وجوده لا يكون في الأول أبدًا، والحق معه في الآخر، فإنه مع العدد أي كسواه، ولذا يسمى بالآخر، فاعلم ذلك.

وهذا الاسم من أسماء الأفعال، وله الهيمنة على جميع الأسماء؛ لأنه في المرتبة الأولى، وهي المبدئية.

قال الجيلي - قدس الله سره - في «الكمالات»: المبدئ: هو الذي أظهر الكثرة المعبر عنها بالأسماء والصفات مع مقتضياتها، التي هي عين الموجودات وجودات وتعينات من الأحدية الذاتية المعبر عنها بحضرة الجمع والوجود وحقيقة الحقائق. وهذا الاسم من أسماء الأفعال، وصفته الأبد، وهو عبارة عن ظهوره تعالى بمقتضيات شئونية للاقتضاءات الكمالية في المظاهر الوجودية من الأسماء والصفات، لاقتضائها ذلك من الأعيان الخفية والأحكام الوجودية، والمعاني الحكمية على ما هي عليه من غير تكرار محضة، ولا انصرام للمرتبة المطلوبة، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وقال سيدي محمد القونوي قُدِّس سره: المبدئ بمعنى المظهر، والمنشئ الذي يبدأ خلق الإيجاد كالمنشئة من المرتبة الأولى، وهي رتبة الموجد، فالمرتبة الثانية هي المرتبة الإيجادية للممكن، فالممكن من حيث وجوده لا يكون له قدم في الأولى أبدًا، وإنما له الأخرى، والحق معه، فتساوى في الوجود من الممكنات، واللاحق سواءٌ في المرتبة، فمن الآخرية تشملهم.

والمسمى هو المبدئ أظهر الممكنات في مراتبها، وله حكم البدء في الأولى والآخرة، في كل عين من أعيان أنواع الإمكان، فلا يزال المبدئ مبدئًا؛ لأنه يحفظ حدود مراتب الوجود بإيجاده أعيانها دائمًا، ولهذا الاسم حكم في الأسماء الإلهية كلها، كما للاسم حكم فيها، أوجده اسمه المبدئ تعالى في حق كل ما يوجده دائمًا، مبدئ دنيا وآخرة، انتهى.

وقال الإمام الأكبري رضي الله عنه في شرحه على الأسماء: الاسم المبدئ للتحقق فتقرب إليه في إخلاص النية، فيما تظهره من الأعمال، وتنبه على طريق القربة إلى الله تعالى، أي: فإن الله تعالى إذا لم ينعم على عبده بالإخلاص لم يحصل له من ورطة الرياء خلاص، فيتحقق بهذا الاسم تحقق افتقار، إلى أن يذيقه حلاوة الإخلاص، ومن استخلص، وشهد الاختصاص، فهو ذلك بعينه؛ إذ هو سر مودع في خزائن الغيب، يهبه الله من شاء من كل عبد خاص، وحقيقته العمل لله وحده من غير ملاحظة سواه، وإليه أشار حديث «اعمل لوجه واحد يكفك الوجوه كلها»(1)، ثم قال: التحقق: ابتداء الأشياء إبداءً في أعيانها ظاهرها، وإن كانت ظاهرة له أو لنفسها، وتتعرض هنا مسألة بين طائفتين كبيرتين، وهي كون الأشياء غير ثابتة في العدم، أم لا؟ واشتركا مع هذا الخلاف في أنه تعالى مبدئ لوجودها، وهو المقصود، أي: إثبات أنه المبدئ للأشياء، سواء كانت في حضرة عدمه أو دائرة بوجوده.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: 27] ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29]، فالمتحقق يظهر بما يخترعه تعالى من الأفعال في نفسه وعلى يده ما لم يسبق إليه في علم أول نفس الأخرى، ومنه من سن سنة حسنة، فقد سبق به غيره لعادات، على أمر مخصوص معين، انتهى.

(1) رواه ابن عدي في الكامل (7/ 45)

وفيه إذن من الشارع لخلفائه بالتشريع المستنبط من شريعته المطهرة، دون إحداث ما ليس فيها «فإن من أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد»[1]، ويؤيده «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضُّوا عليها بالنواجذ»[2].

واعلم أن سائر الأسماء الإلهية إذا لم يتعلق بها السالك -أولاً- ثم يتحقق، لا يعد سالكاً في هذه المسالك، وكلما ازداد المريد من هذا التعلق والتحقق والتخلق الحميد، بدء نوره وسناء سروره، ومن علامة تخلق العارف بهذا الاسم أن يبدئ غرائب المعارف، ويظهر مكنونات الغيوب، ويفتق مرتوق الجيوب، ويكشف عن العلوم المستورة، ويرشف الفهوم المجهولة المسكورة، ويرفع غواشي الأستار عن قلوب طلاب الستار، ويعرف عن الأحوال حالاً حالاً، ويبين الوقائع ماضياً ومستقبلاً وحالاً، وصاحب هذا المقام هو الذي ذاق من أسرار هذا الاسم - المبدئ - جامه لطالب الذي يبدي، ويدعي الهدى يهدي، فأصبح نوراً محضاً وطوراً للتجلي، أظهرت زبد أسراره سر أطواره محضاً، فمن حلّ حبه بأرض قفر إلا عمر منه الدارس، ولا نزل جسمه بأرض موات إلا حييت منه الدوارس، وأنشدوا:

وما الحي إلا أن تكون بسفحه　　وإلا فرسم دارس، وطلول
إذا ما رحلتم عن حمى، فهو دارس　　وحي إذا أنتم هناك حلول

ومثله العبد، فعلامة المتخلق به أن يعيد الغاربين من العبيد الضالين عن السبيل الحميد لمولى الحميد، والملازمة على الاسم يصلح لمن أراد ابتداء أمر، فإنه يتيسر، ومن داوم عليه حسنت أعماله وصلح حاله، وهان عليه ما تعسر، وينطق بالحكمة وينظم الفصيح، ويعرف الفهوم العجيبة التنقيح، ومن كمره، وقوله في مربع حرفي أو عددي، حظي بالسرور الأبدي.

ومن خواص هذا الاسم أن من قرأه على بطن الحامل سحراً تسعاً وعشرين مرة فإن ما في بطنها يثبت، ولا يزلزل.

(1) رواه البخاري (2/ 959).

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير (18/ 246).

وفي «الأربعين الإدريسية»: يا مبدئ البدائع، لم يبغ في إنشائها عونًا من خلقه.

قال شارحها: من داوم عليه تسعة وتسعين يومًا اطلع على العلوم وخواص العوالم، وسخرت له الحاجات من جميع الجهات.

ومن خواص هذا الاسم الشريف: أن من أدمن على ذكره ليلًا ونهارًا، [illegible] نفسه، وتعلق بالأمور الحكمية، وانفتق رتق قلبه، وحدثت له الأسرار الخفية.

(يا مُعيد)، المعيد: هو الذي يعيد الخلق، عين الفعل، من حيث ما هو خالق وفاعل، وجاعل وعامل، فإذا فرغ من إيجاد شيء أوجد غيره؛ لأنه ليس في العالم شيء يتكرر، وإنما هي أمثال تتجدد، وأعيان توجد، لا أنه يوجد شيء ما مرتين، كما أنه لا يتجلى على عبد بتجليين متفقين من كل وجه، ولا على عبدين بتجلٍ واحد للتوسع الإلهي، وللنص: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29]، وأنشد سيدي محيي الدين ـ قدس الله سره ـ:

فما في الأمر تكرار إلا أمرٌ جليٌّ

ولا أقول بتكرار الوجود ولا عود التجلي

فما كان من قدم، إن الحوادث أمواج، وإنها لا تحجبك أشكال مشكلة عمن تشكل فيها، فهي أستار، وهذا الاسم من أسماء الأفعال وصفته الإعادة على الدوام، وفي كل حال.

قال سيدي محمد القونوي ـ رحمه الله: المعيد هو الذي يعيد عين الفعل من حيث ما هو خالق؛ لأنه ليس في العالم شيء يتكرر، وإنما هو أمثال تحدث، وأعيان توجد، وخلق يُجَدَّد، فهو حق إذا فرغ من خلق شيء عاد إلى خلق آخر، لا أنه يعيد عين ما ذهب، فإنه أوسع من ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: 27]، يريد به الفعل لا المخلوق، فإن عين المخلوق ما زال عن الوجود حتى يعيده، وما عنده من الحشر من إعادة الأجسام والنفوس في الدار الآخرة، ليس ذلك عند أهل الكشف، وإنما هو انتقال من موطن الدنيا إلى البرزخ، ومن البرزخ إلى المحشر إلى الجنة أو إلى النار، فالحق لا يزال يخلق ويعود إلى الخلق، فهو المبدئ لكل شيء، والمعيد لشأنه، كما تحكم بوليّ في أمر ما، فإذا انتهى عين ذلك المحكوم عاد في أمر آخر، فحكم الإعادة في فعل

الحاكم وحكمه، لا في المحكوم، انتهى

وقال الحقي ـ رحمه الله تعالى ـ في «كمالاته»: اسمه المعيد، هو الذي أخفى حكم الكثرة في الأحدية المحضة حتى لا يظهر فيها حق، ولا خلق، ولا صفة، ولا نعت، ولا اسم، بل ذات مجردة، لا ظهور لها فيها بحق، ولا بطون، ولا نسبة، ولا إضافة، وقد تكلمت على الأحدية في كتابنا الموسوم بالإنسان الكامل بعبارة مبسوطة، واسمه المعيد من حيث الأفعال، وصفته الإعادة، وهي عبارة عن رجوع الصفة إلى الذات، والاسم إلى المسمى، والمعلوم إلى العلم والعلم إلى العالم، والمتعين إلى رتبة ألا يتعين، وهذا قال الجنيد: النهاية هي الرجوع إلى البداية؛ يعني نهاية الإنسان الكامل أن يرجع إلى التجلي هو مجمع البحرين، وحضرة الجمع والوجود، وحقيقة الحقائق التي لا رسم لها ولا صفة

ومن الناس من أخذ قول الجنيد ﷺ على ظاهر الأعمال، فقال: نهاية العارف أن يرجع إلى الحق، فيعمل بعمل أهل البداية، وهذا تأويل سائغ، انتهى

ويحتمل أنه أراد السير، لمّا كان دوريًا كانت نهايته بدايته، فإن الدائرة نهاية عين الوصول إلى بدايتها، وأيضًا فإن مقام الكمال ستر الأحوال، حتى لا يفترق الكامل عن العامة، وهذا من مقام التحقق بالعبودية التامة، وحال العارف كما قال ذو المعارف أبو السعود بن شبل البغدادي ـ قدس الله سره ـ: البادي كساعي الطير غير مشغول ورجل تسعى، ومن هو ـ أي، من شأن العارف، وحاله ـ إلا أداء الصلوات الخمس وانتظار الموت، وأنشدوا:

ثَبَّتَ فِي مُسْتَنْقَعِ المَوْتِ رِجْلَهُ ... وَقَالَ لَهَا مِنْ دُونِ أَخْمَصِكِ الحَشْرُ

وهذه حالة عوام، وعارف في ميدان المعرفة عوام، فرجعت النهاية إلى البداية، وأنشد العارف:

صَحَّ عِنْدِي فِي مَنْزِلِ الاخْتِصَاصِ ... أَنَّ حَالَ العَوَامِّ حَالُ الخَوَاصِّ

قال سيدي محيي الدين ـ قدس الله سره ـ: هو المعيد في شرح الأسماء: الاسم المعيد يتحقق فتضرع إليه ـ سبحانه ـ في المداومة على ما أمرك بفعله من العبادات، وإن كان ليس عليك، أي: من الأمر مستجد غير مكرر، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سورة ق آية: 15]. التحقق. الإعادة: ردًا لشيء إلى الحالة التي كان فيها، وهي خلاف التحقيق، إنما مثلها، لا عينها، وحينها لا مثلها من وجهين مختلفين، فقد

بعد على نعمه، والمعيد لا يلزم أن يكون بعينه. ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: 56]. والتحقيق: إحداث الفعل على صورة ما مضى تسمى إعادة، وإن لم يكن عينه لشبهه في الصورة. والتحقيق: إعادة الفعل الذي إنشاؤه منك، ونسبة ذلك منه سبحانه وبغير عنك، فهو روح العبادة؛ حيث لم يغب عنك مشاهدة الحق أن تكون شهدت مُعيدها ومنشئها فيك في كل آن، فكن صاحب مراقبة توصلك مرتبة الإحسان.

وهذا الاسم خواص كثيرة، منها: إن من أكثر من ذكره أصلح به كل فاسد، ويسترجع كل فائت، وإن وضع في مربع بطالع أحد البروج المنقلبة وعلق في مهب ريح، رد فيه الإنسان يتلو الاسم طول ليلته على أثر مسافر رجع إلى المكان الذي خرج منه، ومن حبس عنه ما يحب، فيكرره مرات، ويضيف له اسم المبدئ، فإنه يدرك ما فقد.

ومن كان له غائب، أراد مجيئه، أو خبرًا من طرفه، فليقرأ الاسم سبعين في أركان بيته الأربع، في كل ركن سبعين مرة، ثم يقول بعد قراءته:

(يا معيد رد فلانًا هذا المكان، أو وصل لنا خبرًا منه)، يحصل له مراده بعد سبعة أيام.

قال سيدي أحمد زروق - رحمه الله تعالى - في «المقصد»: الأسماء تنبيه من عرف أنه المبدئ المعيد، رجع بكل شيء إليه؛ لأن كل شيء منه بدا وإليه يعود، والتقرب بهذا الاسم تعلق بالرجوع إليه في كل شيء، والاستمداد من كل شيء، وتحققات تعود إلى البداية، وترد النفس منها إلى النهاية، ثم تعود النهاية بداية، والبداية نهاية، بلا تقصير، والله أعلم.

وفي «الأربعين»: يا معيد ما أفنى، إذا برز الخلائق لدعوته من مخافته.

قال: ثمرة مداومته يعظم قدره، ومن ذكره أنها زالت حيرته، وهدي إلى ما فيه صلاحه، انتهى.

ومن خواص هذا الاسم أن من داوم على ذكره تذكر ما نسيه، وإن غاب عنه محبه

﴿يَا رَحِيمُ يَا وَدُودُ﴾. مبادئ الكلام على اسمه تعالى الودود، عند قوله: (يا الله يا رحمن يا رحيم) اللهم أسكن وُدَّكَ في قُلُوبِنَا، ووجه المناسبة بين هذا الوصف وما قبله أن المؤلف - سامحه الله تعالى - لما توسل بغنى سيده المطلق أن تعمه بنعمه بمنه على وجه خصه خصيصة يسير كيانه بتحققه، وكان هذا المعنى المطلوب على هذا النمط من عوالم لا تنقع

إلا لأهل الخصوص، كما دلت عليه من الأقوال الكمل النصوص، ولا يصح هذا على مرحل، إلا بعد فتح ما على القلب من الأقفال، وتخليصهم من قيد قفص الحجب والحظوظ، وقطع سبب الخيال والجبال، ناسب أن يسأل عقب طلب الغنى فتحًا يكون به زوال كل عناء، فقد قال أول الثلث الثالث من التوسلات المتجه أشكالها إن شاء الله بالخلاص والإخلاص

قال المصنف:

(حرف الفاء)

[اللهم إنك فَتَحت أَقْفَال قُلُوب أهل الاختِصَاص وَخَلصْتَهُم مِن قَيد الأَقفَاص فخلص سَرَائِرنَا مِن التعلق بِمُلَاحَظَة سِوَاك وَافنِنا عَن شُهُود نُفُوسنا حَتّى لَا نَشْهد إِلا عُلَاك].

قال الشارح: **(اللهم إنك فَتَحت أَقْفَال قُلُوب أهل الاختِصَاص)**: وسيأتي الكلام على هذا التوسل مع بقية الورد أول الجزء الثاني من شرح هذا الورد المبارك، ونسأل الله تعالى أن يكسوه حلة القبول بجاه السيد الرسول، آمين. آمين آمين، وقد تم في أول شهر رمضان المبارك سنة 1138، ونحن في ديار أوان قبال داخل قسطنطينية المحمية.

(اللهم) أي: يا الله **(إنك)** إن: حرف توكيد ونصب، والكاف: ضمير المخاطب.

(فَتَحت): بمفتاح اسمك الفتاح، وفككت وخلصت كل مشتبك بغيره؛ لتوصله إلى قدس الفتح، فانفتحت بتوجهات اسمك الفتاح، **(أَقْفَال)** جمع قفل، وهو معروف، **(قُلُوب أهل)** أي أرباب وأصحاب **(الاختِصَاص)** أي الذين خصصتهم ببدائع الخصائص، وصفيتهم من كدورات طلائع النقائص، وقد شبه قلوبهم أولاً ببيوت أغلقت أبوابها، وضربت عليها أقفال الاحتجاب، فعزَّ اقترابها، ثم لما فُتحت مغاليقها، وسرحت مصانعها، خصَّها المحبوب بفتق الغيوب، والتخلص من العيوب، والاطلاع على الغيوب، فعُدت أهلها من عبيد الاختصاص، وعدت من الخواص، و[illegible] فهم في [illegible]، فتح ما على قلوبهم من أقفال الذات، وسلموا من سلطان الشيطان، إذ هم على خصلة عباد الرحمن. وإلى هذا يشير حديث: «إذا سمعتم المؤذن يؤذن فقولوا: اللهم افتح أقفال قلوبنا بذكرك، وأتمم علينا نعمتك من فضلك، واجعلنا من عبادك

الصالحين»(١)، رواه ابن السني، عن أنس وعليّ

[illegible] عن كثير القلب من الموانع، بذلت جواهره المصونة، فسبح صاحبه [illegible]، ويبوح بسوح [illegible] ما أخفاه الصدق، ويدرك فيه ما يكفيه عن التطلع، [illegible] ومعنى فتحت و[illegible] لتفتحوا المغلق وتخلصوا المعلق.

(وخلصتهم) أي سلمتهم، فتحلي أسمك السلام، وتجنبهم، وتحميهم مما يوجب [illegible]سلام عن الآثام

قال في «المصباح»: خلص الشيء من التلف خلوصًا من باب قعد، وخلاصًا ومخلصًا: سلم ونجا، انتهى.

(من قيد) قال في «المصباح»: القيد جمعه: قيود وأقياد، وقولهم للفرس: (قيد الأوابد) على الاستعارة، ومعناه: أن الفرس لسرعة عدوه يدرك الوحوش ولا تفوته، فهو [illegible] بمنعها [illegible] القيد، و(قيدته تقييدًا) جعلت القيد في رجله، ومنه تقييد الألفاظ بما يمنع الاشتراك ويزيل الالتباس، و(قيد رمح) بالكسر، وقاد رمح، أي: [illegible] قدره، انتهى.

(الأقفاص). قال في «المختار»: القفص واحد أقفاص الطير، وفي «المصباح»: قيل معرب، وقيل عربي، واشتقاقه من قفصت الشيء إذا جمعته، وقفصت الدابة إذ جمعت قوائمها، وفي حديث(٢) «في قفص من الملائكة» أي: جماعة، انتهى.

واعلم أن الأرواح ملكية علوية مقدسة نورانية، لكنها لما أهبطت من عليين [illegible] [illegible]، و[illegible] إلى سجين أرض الطبيعة، امتزجت الماء مع العود، ونسيت عهودًا [illegible]، و[illegible] إليه لا تعود، وألفت صفات اقتضاها تركيب الجسم [illegible]، وغفلت عن [illegible] الأصلي والاسم، فإذا ذكرها مذكر بمعهدها القديم حنت، و[illegible] [illegible] من قفص الفكر، فلم تستطع [illegible] إذ [illegible]، فيحتاج صاحبها [illegible] خلاص من ضيق الأقفاص إلى مجاهدة في نفسه الحاكمة، ومكابدة تذهب [illegible] [illegible] المتراكمة، لتضعف النفس المنازعة، وتقوى الروح التي [illegible] [illegible] إلى [illegible]

(١) [illegible] الديلمي في «الفردوس» (١/ ٤٨٤).

(٢) [illegible] [illegible]

من ... ويرجع نقصانها الذي إذا عاودها انكسر، ولا بد لها في هذا المقام من طبيب حاذق، يعالجها مما حل بها من الأسقام؛ إذ كل مجاهدة على يد شيخ متقدم لا يحول عنه صادق في الإقدام، فإذا خلصت من القيود، ورجعت راضية مرضية لمليك المعبود، كشفت هناك لديها الأستار، وشاهدت جمال من تهوى، فطاب لها خلع العذار، فدون مجاهدة لا تحصل مشاهدة، اللهم إلا أن تحصل جذبة حقيقية، أو نفحة ربانية، فرفعت من في خصوص ... حتى أدرك سر ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: 42]، وهذا نادر فلا يُقاس عليه، فالتعرض إلى النفحات بادر، فقد ندب الشارع إليه، وحيث منّ سيدي على أهل الاختصاص بالخلاص من قيد الأقفاص، فقاموا بأبصارهم التي تمد إليها نور بصائرهم، ما لا يعبر عنه لسان من مشاهدة مقام الإحسان، وخلصوا من ضيق مطالب الأبدان، وعمتنو عن مثاله، ارتفاعها ... سرهم، كما فتحت لهم الأقفال، وخلصتهم من أقفال الأقفال، (فخلص) من السوابق والعلائق.

(سرائرنا): جمع سريرة (من التعلق) بالذيال، (بملاحظة)، أي: مراعاة ومراقبة، (سواك)، أي: غيرك، حتى لا تغفل عن ... وحيرك، فإن الغفلة عنه وبلاء، ولتقطة محبة منحة من ربي.

سئل الشبلي - قدس الله سره الجلي - عن قول رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية»[1]، فقال: أهل البلاء هم أهل الغفلة عن ذكر الله تعالى. انتهى.

وفي تشبيه القلوب بيوت أو صناديق وإثبات الأقفال لها استعارة، وكذلك تشبيههم بطيور في أقفاص. (وأقفلها) بقطع الهمزة من أقفل، أي: قفل الإفشاء والإنفاق، وهي خزائن ... الله تعالى في أحدهما من أراد من عباده، وهي من ... لمن لا يقدر على إمساكها وإمساكها عن غيره، دون الناس ... محفوظة من ... الغيوب التي لا يعلمها إلا ذو الجلال والإكرام، ... مضبوط، وسيأتي الكلام على الغناء في ... عن شهود رؤية ... (حتى) بمعنى ...، (لا نشهد) سرا وعلنا (إلا علاك) ...

فإن تعرف

(1) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (2/ 161).

فلم تهوني ما لم تكن فيَّ فانيًا ... ولم تفنَ ما لم تجتلي فيك صورتي

والمعلاة: الرفعة والشرف، وكذا المعلاة، والجمع: المعالي، ذكره في «المختار». والمعنى: فني بنفسه عن شهود نفسه، وأطلقه من قيد وهمه وحدسه، وغيبه بنوره عن حسه ربوبيته عن وجوده ونفسه، أدناه من حظائر قدسه، فوقع عليه أنسه، وخلصه من نقص حسه، وجذبه عنايته فقدسه عن حلول صحبة رمسه، وأبدله في جهره وهمسه، وأمره بمد عرسه، ووضع صاحبه شمسه في غير دائرة غمسه، بعد قلبه وعكسه، وأدخله بحر نور وغمسه، فدرت منه دررٌ في منه وكنسه، وعاين ما عاين في محقه وسحقه وطمسه، وشاهد من علا مولاه ما أدهشه عن حسه، فلو كان العرش مصقول طرسه، ما وسع رقم ثبت فيضه ولا نفس نفسه، ووجه المناسبة بين هذا التوسل وما بعده، أنه لما حصل بالذكر أولًا من الاختصاص، عظم مجيء الجمع لطلب الخلاص، أو أنه لما طلب فناء الوجود حسب حصول مقام البقاء والشهود بقوله: (قد جئتك)، فإن المجيء لا يكون إلا لمن بقي بمولاه بعد ما غاب عنه، إذ هو لا يكون غالبًا إلا بعد الفناء، ومن غير الغالب قد يقع لأهل جذب من تخصيصه قبل، خلافًا لأهل السلوك من كل مالك مملوك

في [illegible]

(حرف القاف)

إني قد جئتك بجمعنا متوسلين إليك في قبولنا متشفعين إليك في غفران ذنوبنا فلا تردنا

قال الشارح: (إني قد جئتك) أي: أتيتا أبواب عزك (بجمعنا) معشر الحاضرين، والحاضرين النائبة عن جماعة المسلمين، وقراءة هذا الورد بالجماعة هي الأصل المشي عليه، فلذا بمكن القائل من الحضور مع الجماعة، وحصل له في تلاوته مقصوده، فإن في الاجتماع بركة؛ لقوله ﷺ: «يد الله مع الجماعة، فإذا شذ الشاذ منهم اختطفه الشيطان، كما يختطف الذئب الشاة من الغنم»[1] رواه الطبراني عن ابن عمر، وأخرج أحمد عن ابن جبل قوله ﷺ: «الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة الشاذة، والقاصية، والناحية،

---

(1) رواه الطبراني في الكبير ([illegible] 25[illegible])

فعليكم بالجماعة والألفة والعامة والمساجد، وإياكم والشعاب»[1]، ورواه الطبراني والسجزي في «الإبانة» عن معاذ، وعنه ﷺ: «من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد»[2] رواه ابن منيع، والدارقطني في «الأفراد»، وأبو نعيم في «المعرفة» عن أسامة بن شريك.

(متوسلين إليك) أي: متقربين إلى جنابك، طالبين راغبين.

(في قَبول) لقرباتك: والقبول: الإثابة على العمل الصحيح، أو الرضا، مع ترك الاعتراض دون تجريح، وقبول السيد لعبده أن يمنحه خالص رفده، أو يُسعده بقربه بعد بعده، ووده بعد صده، وأن يشغله طيب بذله، فيدرك أنه بدله اللازم، فيلزم بابه في سره وجهره، وحاله وعمله، ويقف عند رسمه وحده في هزله وجده.

(متشفّعين إليك)، أي: راغبين إليك متوجهين، (في غُفران)، أي: ستر ومحو، (ذنوبنا)، جمع ذنب، قال في «القاموس»: والذنب: الإثم، وجمعه ذنوب، وجمع جمعه ذنوبات، انتهى.

وسيأتي الكلام على الذنوب قريبًا عند قولنا: (فلا تردَّنا) أي: فلا تصرفنا عن بابك بخيبة ولا تطرف طرف يصرفنا بغيبة، فإنك لا ترد السائلين، وكرمك يقتضي قبوله شفاعة الشافعين، وقد أتيناك تجمعنا الساعة قاصدين القيام بالسمع والطاعة، وللجمع قوة في نجح من مقبول الشفاعة، مرضي الابتهال والضراعة، ولقد حُكي بطريق الإشاعة أن أهل الجمع في عرفات الرابع الساعة، ربما عمهم القبول بشفاعة أُشفعت بغير من ذوي الشفاعة، وصغير قليل بضاعته كثير بإخوانه أولي الشجاعة، والنفس حال الانفراد تصير النفوس ملامحها ضائعة، ويشتد إذا وجد المعين النصير، وفقد النفس ضائعة، لا سيما إذ دعا لغيره بقصد خالص من القباحة والشناعة، وسرٍّ خالص عن التفويت لأوقات مرت والإضاعة، والمؤمن للمؤمن كالبنيان فلزم إتقان هذه الصناعة، جاء في حديث الشريف، عن نورٍ نوّر كل مصر وكهف: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا»[3]. وفي

(1) رواه أحمد (5/ 232)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 164).

(2) رواه الترمذي (4/ 465) بنحوه، ورواه النسائي (5/ 387).

(3) رواه البخاري (1/ 182).

وقوله: «المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكى رأسه اشتكى كله، وإذا اشتكى عينه اشتكى كله»[1]، وفي أخرى: «المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لأهل الإيمان، كما يألم الجسد لما في الرأس»[2]، ورب قائل يقول: وهل يطلب أهل العصمة والحفظ الإلهي مغفرة ذنوب لا وجود لها؟ الفضل ما له تناهي، فما لهم يطلبون عفوه، إذ لو كانت أيها السامي.

قال القاضي البيضاوي: من ليس له مصافي عند قول مولانا لأمر الناهي ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 2] جميع ما فرط منك، مما يصح أن تعاقب عليه، انتهى.

وعنه ﷺ: «اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها»[3]، أي: لو كانت، فسؤال القول والمغفرة، وهو من معصوم؛ إظهارًا للعبودية وقيامًا بحق الحي القيوم، على الكمال، وتعليمًا، وإرشادًا، وإشفاقًا للأمة، وإسعادًا.

جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: رب اغفر لي، وتب عليَّ، إنك أنت التواب الرحيم»[4]، والذنوب على أقسام.

عامة: وهي الوقوع في المعاصي والمخالفات

وذنوب خاصة: وهي صدور غفلات عن الحق مُلمات

وذنوب خاصة بخاصة الخاصة: لا تدركها عقول مكلفات.

قال سيدي عمر بن الفارض -قدس الله سره العزيز-: ولو خطرتْ لي في سواك إرادة على خاطري سهوًا، قضيت بردتي.

وسأل بعض الأشخاص رجلاً له في الحقيقة أشخاص عن كيفية السجود للسهو، فقال: هو عندكم سجدتان وتسليمه، وعندنا ضرب العنق للغفلة الواحدة، وذلك لم يكن في وسع البشر دوام الحضور من غير تخلل فترة وقصور، سامح الحق سبحانه وتعالى

(1) رواه مسلم (4/ 2000) بنحوه، ورواه أحمد (4/ 271).

(2) رواه أحمد (5/ 340).

(3) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (10/ 112).

(4) رواه أبو داود (2/ 85).

يقدر على ذلك من كل سالك، وإلى ما هنالك أشرت في الأنظام بقولنا:

لا يمكن الحضور بالمجموع ... على الدوام وهو كالممنوع

إلا لأفراد كالأنبياء ... وكمل بعض من الأولياء

ووجه المناسبة بين هذا التوسل والذي بعده أن المؤلف رحمه الله تعالى لما سأل على لسان الأمة المحبوبة غفران الذنوب التي تمنع الوصول، ناداه لسان المعرف: (إلهي) بم نفعل بكم إن سترتم، ولم أعطكم ما طلبتم، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: مرضي ونقول في المصنف:

(حرف الكاف)

[إلهي كَفَانَا شرفًا أَنَّا خُدَّامُ حضرَاتِكَ وَعَبِيدٌ لِعَظِيمِ رَفِيعِ ذَاتِكَ].

قال الشارح: (إلهي كَفَانَا شرفًا أَنَّا خُدَّامُ حَضَرَاتِكَ) التي تحترف بها مهوى (وَعَبِيدٌ لِعَظِيمِ رَفِيعِ ذَاتِكَ) التي تحير واصفها، فلا يدري ما يقول، (إلهي كَفَانَا)، أي: أقنعنا وأغنانا، (شرفًا)، أي: علوًّا ورفعة أو ارتفاع وسائط؛ لأن الشرف في الاصطلاح عبارة عن ارتفاع الوسائط بين الشيء وموجده أو قلتها، وكلما كانت الوسائط بينه وبين الحق تعالى، والحكم الوجوب على أحكام الإمكان فيه أغلب، كان أشرف، ذكره الشيخ القستاني في «التعاريف».

(أنا) معشر المحبين والموحدين، (خُدَّامُ)، جمع خادم، قال في «القاموس»: خدمه يخدمه خدمة ويفتح، فهو خادم، وجمعه خدام، وهي خادم وخادمة، وأخدمه خدم نفسه، واستخدمه كخدمة أسبوعية خادمًا، ووهبه له انتهى.

(حضراتك) العلية التي من خدمها خدمته العوالم الملكية والفلكية، ومن أضاع الله وخدمه بحسب الاستطاعة والإمكان، طوع له الأشياء واستخدم له صنعته الأكوان، «ولي كنوز» كنصوص في حديث عن «الخلائق» للمناوي، يقول الله للدنيا: تعدى على من خدمني، ووقف عليهم، للديلمي في «مسند الفردوس» ويحتمل الأمر عن وقف عليهم بتحديد، وسعة لأحوالهم، والمرور من عين وفوق علمهم؛ لأنه لا يرضاها لهم بل يحميهم منها، كما في حديث: «إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا، وهو يحبه، كما تحمون مريضكم

الطعام والشراب يخافون عليه»(١)، ويمكن أن يقال: إن الخدمة تقع للمبتدئ، والمحبة للمنتهي.

وقلت في «الألفية»:

وخادم الحق له الحق خدم   لا سيما إن كان ثابت القدم

وفي «الحكم العطائية» ذات الخصائص العطائية: «قومٌ أقامهُم الحقُّ لخدمتِهِ وقومٌ اختصَّهُمْ بمحبتِهِ ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: 20]»(٢). انتهى.

والخدمة، وإن كانت من جملة الأسباب التي تتصل بها من الإنسان للإنسان، فإن المحبة فوقها؛ إذ هي عروة وثقى، وذروة شامخة.

فإن ترقى فكل محب لمولاه خادم، وليس كل خادم محبًا على المرضي قدم، فأهل الخدمة أبرار وهم الأطوار تصادم، وأهل المحبة أحرار كل منهم لحبيبه ينادم، وكفى بذلك شرف

---

(١) رواه أحمد (5/ 428).

(٢) قال الشيخ ابن عجيبة: العباد المخصوصون بالعناية على قسمين: قسم وجههم لحق خدمته وأقامهم فيها، وهم أنواع: فمنهم من انقطع في الغيران والقفار لقيام الليل وصيام النهار وهم العباد والزهاد، ومنهم من وجهه الحق لإقامة الدين وحفظ شرائع المسلمين، وهم العلماء والصالحون، ومنهم من أقامه الحق لنصرة الدين وإعلاء كلمته، وهم المجاهدون في سبيل رب العالمين، ومنهم من أقامه الحق لتمهيد البلاد وتسكين العباد وهم الأمراء والسلاطين. وقسم أقامهم لحق محبته وخصهم بمعرفته، وهم العارفون الكاملون سلكوا سواء الطريق ووصلوا إلى عين التحقيق، وبينهم فرق مبين؛ لأن أهل الخدمة طالبون الأجور، وأهل المحبة رفعت عنهم الستور، أهل الخدمة يحدقون حورهم وراء الستور، وأهل المحبة في منادمة الأحباب، أهل الخدمة مسدول بينهم وبينه حجابه، وأهل المحبة مرفوع بينهم وبينه الحجاب، أهل الخدمة من أهل الدليل والبرهان، وأهل المحبة من أهل الشهود والعيان، أهل الخدمة لا تنفك عنهم الحظوظ، وأهل المحبة تنصب عنهم الحظوظ، أهل الخدمة تحسبهم مقصودهم، وأهل المحبة تحسبهم محبوبهم، فلذلك دام عباد الخدمة في خدمتهم، ونهض المحبون إلى شهود محبوبهم، فلو تركوا الحظوظ وحصروا نفسهم في محبوبهم لوجدوا مقصودهم وشغلوه بحضر إيقانهم واستراحوا من تعب خدمتهم، ولكن حكمة الحق أقامتهم في خدمتهم بموجب تعظيمهم في الحقيقة، ولا يلزم منه عدم تفضيل أهل المعرفة والمحبة عليهم.

أننا عبيد لعظيم رفيع ذاتك، المتجلي لحرم أمر صفاتك، ويحق لنا أن نزهو بهذه النسبة ونطيش، وإننا إذا سمعنا مَنْ ينسبنا إليها أن نموت فلا نعيش.

يُحكى أن عتبة الغلام زهى يومًا من الأيام، وجعل يتبختر في مشيته؛ لأنه رأى بعض عبيد السلطان يمشي كذلك، فقيل له: أتزهو يا عتبة؟ فقال: كيف لا أزهو وقد أصبح لي ربٌّ وأصبحت له عبدًا؟

وسمعت بعض الأعيان أن شيخًا قال لتلميذه ـ وقد خالفه في حين من الأحيان ـ أما تخشى أن أسلبك ثوب الإيمان؟ فقال: يا سيدي، أتقدر أن تسلبني طوق العبودية للرحمن؟ قال: لا، قال: يكفيني ذاك إذا قبلني الديان، وما معناه من كلام له معنى رفيع لمعان، فالعبودية طوقها لا ينزع، وصاحبها آمن لا يجزع يوم الفزع، ولم تتمحض العبودية في أحد مثل خير البرية، وكذلك لأتم تمحضها بالنسبة في كل إنسان من أهل العرفان والرجحان، كتمحضها للقطب في كل زمان؛ لأن رحاها تدور عليه في كل آن، ولهذا يدعى بعبد الله من حيث الرتبة لا الحسبان، فليس أي عبد كان يُسمى بعبد الرحيم والرحمن، بل من شرب من عين الرحمة الفائضة من عرش الاستواء الفيضان، المسمى بالعظيم أو المتدفق من العرش الكريم، شرب تخلق بالرحمة على كل حادث عديم، تسمى بعبد الرحمن وعبد الرحيم، وقس على هذا التعبد كبقية الأسماء أيها الأخ الحميم، والعبد كل العبد من لا يغفل عن مولاه طرفة عين، ولو عند معاينة تلف العين بين أو حين، فإن العبد الكلي المخلص من شوائب الشين، والمخلص الذي خلص من حسب معين، لا يشغله عن مطلوبه ذهاب روح، يمس بها بخل، فإن شهوده أنساه وجوده، وتخلّ دقيق صفاه من سبعة مداخل، جاء في الحديث الشريف، عن صاحب الظل الوريف أن الله تعالى يقول: «إن كل عبدي الذي يذكرني، وهو ملاق قرنه»[1]، أي عدوه المبارز المكافئ له، فلا يفتر عنه حال الفلاك؛ لغيبته بلذة ذكره عن المالك والأملاك، والهلاك والإهلاك، فهذا العبد الذي بأنفاسه وراء الأفلاك، وتنور بنبراسه الأحلاك، وقد سبك هذا المتوسل سبكًا عاليًا على نظم الدر في الأسلاك، وهو شعر:

كَفَانَا سَيِّدِي شَرَفًا   بِأَنَّا مِنَ الخَدَمِ فِيـا مجـدُ

(1) رواه الترمذي (5/ 570)

وبِنَـــك وإنَـــا غَارِقُـــونَ بِبَحْـــرِ فَـضْلِ عَبِيدِ عَفْوَ الرَّبِيعِ ذَاتِـك

ووجه المناسبة بين هذا التوسل وبين الذي يليه، أن مُنْشِئَهُ لما اعترف بأنه من خدم حرمه ... تعبه ثم نحسه، والخادم لا براح له عن باب مخدومه، فكيف بقومه؟ فهو قصد مثوه، تصلت به السبل ... وناه، ولو بغير اسمه زمزم وماءة ملأ من بهواه شراب الأشـ... ده، فقد ... قالوا إذ نال الأشـ...

قال المصنف

(حرف اللام)

[إلهي لَو أَرَدْنَا الإِعْرَاضَ عَنْكَ مَا وَجَدْنَا لَنَا سِوَاكَ فكيفَ نَعْدَ ذَلِكَ نُعْرِض عَنْكَ إلهي لُذنا بِجَنَابِكَ خَاضِعِينَ وعَلَى أَعْتَابِكَ وَاقِفِينَ فَلا تَرُدَّنَا يَا عَلِيمُ يَا حَكِيمُ]

قال الشارح (إلهي لَو أَرَدْنَا) لو حرف امتناع لامتناع

(الإِعْرَاض)، قال في المختار والإعراض عن الشيء الصَدُّ عنه، انتهى

(عَنْكَ)، أي: عن أبوابك الشامخة السامية الباذخة، أو التعلق برحابك، والتحقق باسمائك، أو عن التعلق من فضلك، والرهب من عدلك، (مَا وَجَدْنَا) أي: ما أدركنا

قال في «القاموس»: وجد المطلوب كوعد وورم يجده، ويجد بالضم

قال في «المختار» ولغة عامرية، ولا نظير لها وجدا، وجدة، أو وجدا، أو جودا، أو وجدانا، وإجدانا بكسرهما أدركه، انتهى.

(لَنا مولىً يقضي لبانات على أبواب الصدور تجاهك (سِوَاكَ)، يا من لا تدركك الأبصار ...، ولا تراك، والموجود الذي من طلبه وجده منفردا في ملكه بدون تنازع شريك)، ورد عن سيد أخذ الموارد من كل صادر عن المنهل ووارد «اللهم إنك لست بإله استحدثناه، ولا برب ابتدعناه، ولا كان قبلك من إله نلجأ إليه وندرك، ولا أعانك على خلقنا أحد فنشركه فيك، تباركت وتعاليت»[1]، رواه الطبراني عن صهيب.

(فَكَيفَ نَعْدَ ذَلِكَ)، أي: بعد إرادة تقدير الأعراض، وفقدان الوجدان، والتحقق و... (نُعْرِض عَنْكَ)، أي: عن قربك الأسنى، وشرب شرابك إلا هني، ...

[1] رواه الطبراني في المعجم الكبير (8/ 34)

حق، وهو باطل، ووضح أن حدّ من يحد عن بابك عاطل، والواجب على عبد خادم أن لو سبب مالكها في إبعادها أن تلزم باب مراتها لزوم معتادها، وأن ترضى بكل ما يجري به القضاء.

يحكى عن شخص، أنه سمع برجل في الحرم اشتهر بالولاية بين أهل الحرم، فجاءه وهو يطوف، فلما قال: لبيك، سمعت مناديا يقول: لا لبيك ولا سعديك، فبقيت متحيرا في رؤية رجل مطرود، فرفع رأسه وقال: يا أخي سمعته ما سمعت أربعين سنة، وحسب أنه طردني عن بابه، فإلى باب من ألتجئ سواه، وعزته لا أبرح عن بابه، فوقع النداء: قد فتحنا لك الباب وأدخلناك مع الأحباب.

وقيل: تعبد رجل من بني إسرائيل سبعمائة سنة، فأوحى الله إلى دانيال عليه السلام قل لفلان تعبد ما شئت، فإنك من أهل النار.

فلما قال له ذلك قال: مرحبا بحكم ربي، ثم قال: إلهي عبدتك، وأنا أظن أني لا أرى عبدت قليلا ولا كثيرا، وإذا أن أصلح لنارك وعزتك وجلالك ما زادني هذا إلا حبا وشغفا، فأوحى الله تعالى إلى دانيال عليه السلام أن قل لعبدي المستحق لولائي إذ صبر وإذ رضيت مني بصعب حكمي وقضائي، وعزتي وجلالي لو ملأت ذنوبك الأرض والسماء لغفرتها لك، ولا أبالي)

فانظر كيف أينعت ثمرة الرضا بالقضاء وأطعمت فواكه عفو ملأ نورها بعض. فالصبر يصحبه الظفر، والرضى يكسي جلباب الوقار والخير، فيجب أن ... من حبيب حبه آمنا

قال السيد الأكرم ﷺ: «من رضي عن الله رضي الله تعالى عنه»(1) رواه ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها.

وقلت: سابكًا هذا التوسل في بيتين أصححتهما رائقة

إلهي عبدت لو قليلا أردتنا ... سواك لنا وحقك ما وجدنا

فكيف نعد ذا للغير نصبوا ... إليك من السواء مولاي اهدنا

(1) ذكره العجلوني (2/ 358)

وقد تحرر للمؤلف صاحب الحمد الرشيد أن إرادة الأعراض لا تفيد عند ... من شيء إلا سوى المريد، وأن لا منجا، ولا ملتجأ من الله إلا إليه دون مريد، ولا ملاذ ولا معاذ ولا محب إلا عليه، ولا عنه محيد، ناسب أن يقول: (إلهي لُذْتُ) أي ... و تحصنت

قال في «الصحاح»: لاذ به لجأ إليه، وعاذ به ولاذ، قال: انتهى

وفي الحديث: «من عاذ بالله فقد عاذ بمعاذ»[1]، وفيه: «أنت ملاذي، فبك ألوذ، وأنت عياذي فبك أعوذ»[2]

(بِجَنَابِكَ) أي: بعظمتك أو بحمى عزك، الذي من لجأ إليه من العبيد فقد أوى إلى ركن شديد، وحصن حميد مشيد.

قال في «القاموس»: والجناب: الفناء والرحل، انتهى. وقيل: علمٌ على جبل عرفات، وفي المثل: لجأ إلى جناب الله في جناب، أي: إلى عظمة الله في عرفات

ويقال: أخصب جناب القوم، أي: ناحيتهم، انتهى

وفي «تهذيب الصحاح»: والجناب: الفناء، أو ما قرب من محلة القوم، والجمع أجنبة، انتهى

(خَاضِعِين)، أي: حال كوننا ذليلين لعزتك، مستكينين لعظمتك

قال في «المصباح»: خضع له يخضع خضوعًا: ذل واستكان، فهو خاضع، وخضعه الكبر: أذله، والخضوع قريب من الخشوع، إلا أن الخشوع أكثر ما يستعمل في الصوت والبصر، والخضوع في الأعناق

وقال في «المختار»: والخضوع التطامن والتواضع، تقول: خضع يخضع بفتح الضاد فيهما، خضوعًا، وأخضعتني إليه الحاجة، ورجل خُضْعَة بوزن همزة: يخضع لكل أحد، انتهى

(وَعَلَى أَعْتَابِكَ وَاقِفِين)، أي: ساقطين عليها، هابطين لديها، حاضرين لنيل أجورنا فيها، ونيل مذهبنا، حاضرين بأقلام الأعلام، نيل المطالب أو حسن السعي إليها، فتبين معناه

[1] رواه أحمد (...).

[2] رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (80/6)

عذوبة خلع العذاب تيهًا قائلين بها، نسقي شربيات صافيها، من حظ ثقل موره في باب منكه استراح، إن السلامة كلها حصلت لمن ألقى السلاح. وأنشد القطب سيدي محمد بكري ذو الشراب البكري طيب الله ذكره وبه ذكرى.

من حاب من لازم الأعتاب ما خابا ... ويا خسار الذي عن بابهم غابا
وليس من قام في أعتاب سيده ... في القلب إلا قريبًا منه أو نائبا

... لح

وله في مطلع قصيدة روح الله روحه الذاكية السعيدة:

دعني أراجم في أعتاب ساداتي ... يا فرحتي بما فيها خطي ولذاتي
وأي وقت أرى فيه ببابهم ... وحقهم ذاك عندي خير أوقاتي

... ح.

(فلا تردنا) بخيبة وكآبة، ولا تحرمنا من فضلك الإنابة، إذ كرمك يقتضي ألا ترد قاصدًا ولا تصد راصدًا، فإنك الكريم الجواد الذي يعطي النوال قبل السؤال، فكيف تمنع مقيرك السؤال

قال سيدي علي أبو الحسن الشاذلي الولي الكبير في «حزبه الكبير»: فليس كرمك مخصوصًا بمن أطاعك وأقبل عليك، بل هو مبذول بالسبق لمن شئت من خلقك، وإن عصاك وأعرض عنك، وليس من الكرم ألا تحسن إلا لمن أحسن إليك، وأنت المفضال الغني، بل من الكرم أن تحسن لمن أساء إليك، وأنت الرحيم العلي، كيف وقد أمرتنا أن نحسن لمن أساء إلينا، فأنت أولى بذلك منا

نقل القسطلاني -رحمه الباري- في «شرحه على البخاري»: قيل إن موسى عليه السلام قال في بعض مناجاته: يا رب، فقال الله تعالى: لبيك يا موسى، فقال موسى عليه السلام: يا رب أنت من أنا حتى أجاب بالتلبية؟ فقال: يا موسى إني آليت على نفسي ألا يدعوني عبد من عبادي المؤمنين إلا أجبته بالتلبية، فقال موسى عليه السلام: يا رب هذا لكل عبد طائع؟ قال: ولكل عبد مذنب، قال: يا رب، أما الطائع فبطاعته، فما بال المذنب؟ فقال الله تعالى: يا موسى إني إذا جازيت المحسن بإحسانه وضيعت المسيء لإساءته، فأين جودي وكرمي؟
لا سيما والعبد قد يبسط بسط الرغبة، وأكف الطلب، ولسان الأدب علمًا بمواقع نجوم

الرهبة، والفرق بين العالي والمنخفض من النسب، والمميز بين مرتبة المنتسب والنسب وفرق إليه المنقلب)

حظه في الخير عمل عرفها ما وجب، وصرفها عما حجب. «ما رفع قوم أكفهم إلى الله تعالى يسألونه شيئًا إلا كان حقًّا على الله أن يضع في أيديهم الذي سألوا»[1]، رواه الطبراني عن سلمان.

(يا عليم) قال الإمام البيهقي في «دقائق الإشارات»: ومنها العليم، قال الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: 26] ومعناه المدرك لما يدركه المخلوقون بعقولهم وحواسهم، وما لا يستطيعون إدراكه من غير أن يوصف سبحانه بعقل أو حس، وذلك راجع إلى أنه لا يعزب عنه ولا يعجزه شيء كفاءة العقل والحس من المخلوقات، ومعناه أنه لا يشبههم سبحانه، ولا يشبهونه

قال الخطابي: العليم العالم بالسرائر والخفيات، التي لا يدركها علم الخلق، وجاء على «فعيل» للمبالغة في وصفه بكمال العلم.

وقال أبو العباس، أحمد بن محمد القمولي، في «الدرة الحسنى في شرح أسماء الله الحسنى»: ورد في القرآن. قال الله تعالى ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 32].

وورد في رواية الترمذي في «بيان الأسماء». وعليم: صيغة مبنية للمبالغة من عالم، فهو دال على كثرة تعلق علمه بالمعلومات، فإن معلوماته كثيرة غير متناهية، فإن العلم صفة لازمة له، ففاعل دال على أصل الصفة، وفعيل على لزومها وكثرة متعلقاتها، ولا يحمل ذلك على كثرة العلوم، فإن علمه تعالى واحد وإن كثرت متعلقاته. والكلام فيه كالكلام في عالم، وقد تقدم حظ العبد منه أن يبالغ في تحصيل العلم، فقد روى التميمي في «جواهر الكلام» قال: إنه ﷺ قال: «إن الله أوحى على خليله إبراهيم: إني عليم، أحب كل عليم»[2]، انتهى.

وقال سيدي محمد القونوي ﵁ في «شرح الأسماء»: العليم: بكثرة معلومات العلم، وحدية نفسه، العلام بالغيب.

---

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (5/ 447)

(2) ذكره الغزالي في الإحياء (1/ 6)

علم أن العلم هو التعلق الخاص بعين العالم، وهو نسبة تحدث بذات العالم من معلومه، وعند أهل الكشف خلافًا لأصحاب النظر، فإن العلم بالمحال لا يؤثر في صحة من ذات عالم ولا علمه، بل بالمحال يعطيه العلم بأنه محال، وإيجاد أعيان الأكوان ثبت عن كون شرعًا وكشفًا، وعن القدرة شرعًا وعقلًا، لا عن العلم، كتعلق العلم بظهور معلومه وعدم ظهوره سواء لأنه تعلق بظهور الموجود عند ظهوره، كما تعلق بعدم ظهوره قبل ظهوره.

والعلم إما ذاتي - وهو علم الحق - وإما موهوب، وهو ما لا يحصر بنفسه، ولا للاكتساب فيه مدخل، وهو علم الإفراد، يختص به الحق من يشاء من عبده، كما اختص به الخضر ﷺ رحمة من عنده، حتى كان الكليم، مع جلالته، يستفيد منه، وطريق تحصيل ذلك العلم معرفة الوجه الخاص، فإن لكل موجود في علم الحق وجهًا خاصًا في موجده، به يتجلى الحق له، فيحصل له من العلم به ما لم يعلمه غيره، سواء علم ذلك الموجود أن له وجهًا خاصًا، وأن له من الحق علمًا من ذلك العلم، أو لم يعلمه، وتفاوت درجات الأولياء وتفاضلهم بحسب تفاوتهم في معرفة ذلك الوجه، وأما العالمون من عالم الأمر، الذين هم سكان حضرة القدس، فما لهم سوى الوجه الخاص، فهم المهيمون في جلال الحق وكبريائه، وكذا قيل لا التفات للعلويات إلى السفليات، وأما المكتسب فهو ما يحصل بممارسة والتعليم، وللمدخل في هذه الحضرة إما أن يكون ذائقًا من طريق التقوى أو ناظرًا من طريق القوة الفكرية، فصاحب الذوق هو العالم بالله تعالى وله مقامات، فمنهم من يختص علمه بكون متعلقه نسبة العالم إلى الله تعالى، وإما متعلقه نسبة الحق إلى العالم والأسماء، ومن علمه بارتفاع النسبة بين العالم والذات، وإثباتها بين العالم والأسماء، وإما علمه بإثبات نسبة بين العالم والذوات، كالقول بالعلة والمعلول.

ومن علم بالصورة التي خلق عليها الإنسان الكبير، وإما علم بالصورة التي خلق عليها الإنسان الصغير، فالعلوم كثيرة ولكل علم أهل، فمن دخل الحضرة بعلمه بالفكر والنظر فإنه ينال منها على قدر ما يقتضي طوره، ومن دخلها ذوقًا من طريق التقوى فقد حاز الكل وفاز بالكل. انتهى

وقال سيدي عبد الكريم الجيلي في «الكمالات الإلهية» اسمه العليم تعالى: هو الذي

علم صفة الأشياء كما هي عليه، مجملاً ومفصلاً، وسيأتي بيان الفرق ما بين اسمه العليم، واسمه الخبير عند ذكرنا تفسير اسمه الخبير إن شاء الله تعالى.

وقد تحدثنا في الفرق بين اسمه العليم والعالم في كتابنا الموسوم بـ«الإنسان الكامل»، فإذا أردت معرفة ذلك فطالع هناك.

واعلم أن هذا الاسم صفة، وصفته العلم، وهو عبارة عن تجلٍّ إلهي إدراكي، فيه أوجد الله تعالى أعيان الخلائق على حسب ما اقتضاه ذلك التجلي، فعلمه تعالى بالأشياء على حسب ما اقتضاه شأنه القديم، خلافًا للإمام محيي الدين بن العربي، فإنه قال: إن الحق إنما أعطته المعلومات العلم بها، ونحن نقول: إن المعلومات إنما تعينت في العلم على حسب ما أعطته الشؤون الذاتية الأولية، التي هي أم الكتاب، والعلم القديم الإلهي هو مظهر لتلك الشؤون، فافهم.

والذي قاله سيدي محيي الدين بن العربي في علم الله بالأشياء إنما نقوله نحن في المحدثات، فنقول: إن الحق أوجد الأشياء على حسب ما اقتضاه أم الكتاب، فعلمه غير مستفاد من مخلوق -تعالى الله عن ذلك- ولقد سها الإمام في هذه المسألة سهوًا قطعيًّا، فجعل علم الله مستفادًا من الأشياء، ولو كان كما ذكر لم يصح له الكمال المطلق؛ لاحتياجه في علمه إلى معلوماته، وتعالى الله عن ذلك.

وقد ذكرنا هذه المسألة بعينها في «الإنسان الكامل» بأبسط من هذه العبارة، وأوضح من هذه الإشارة، وعبارته فيه: واعلم أن العلم صفة نفسية أزلية، فعلمه - سبحانه وتعالى - بنفسه وعلمه بخلقه علم واحد غير منقسم ولا متعدد، ولكنه يعلم نفسه بما هو له، ويعلم خلقه بما هم عليه، ولا يجوز أن يقال إن معلوماته أعطته العلم من نفسها؛ لئلا يلزم من ذلك كونه استفاد شيئًا من غيره.

ولقد سها الإمام محيي الدين بن العربي ﷺ حيث قال: إن معلومات الحق أعطته العلم من نفسها، فلنعذره، ولا نقول كان ذلك مبلغ علمه، ولكنا وجدناه - سبحانه وتعالى - بعد هذا العلم بعلم أصلي منه، غير مستفاد مما عليه المعلومات فيما اقتضته بحسب حقائقها، غير أنها اقتضت في نفسها ما علمها سبحانه عليه، فحكم لها ثانيًا بما اقتضته من نفسها، لا أن علم الحق مستفاد من اقتضاء المعلومات، فأعطت الحق العلم من نفسها،

وقوله أنها إنما اقتضت ما علمها عليه بالعلم الكلي الأصلي المسمى قبل خلقها وتحدها، فهي ما نقشت في العلم الإلهي الا بما علمها عليه، فليتأمل؛ لأنها مسألة نصيعة ولو لم يكن الأمر إلا بما اقتضته دوانها بعد ذلك من نفسها أمورًا هي عين ما هي عليه، أو لا، فحكم فيه بنفسه، وما حكم لها إلا بما علمها فليتأمل؛ لأنها مسألة نصيعه، ولو لم يكن الأمر كذلك لم يصح له في نفسه الغنى عن العالمين؛ لأنه إن كانت المعلومات عطته العلم من نفسها، فقد توقف حصول العلم له على المعلومات، ومن توقف وصفه على شيء كان مفتقرًا إلى ذلك الشيء في ذلك الوصف، ووصف العلم له وصف نفسي، فكان يلزم من هذا أن يكون في نفسه مفتقرًا إلى ذلك الشيء، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وقد بحث معه سيدي صفي الدين أحمد بن محمد القشاشي المدني في شرحه لمشكلات الكتاب، وأيد كلام سيدي محيي الدين، وحقق أنه الصواب، ورد عليه كلامه بكلامه فانفسخ غمام الارتياب، وارتفع ظلام الحجاب، ورد عليه الشيخ أبو المحاسن حسن بن عبد الله الحموي في كتابه «الشموس المضيئة في الكشف عن الحكم الإلهية»، فقال: ممن تعلق من الأولياء باسم دون اسم، فهو يفرد عينًا لا يرى غيرها، كفص كلمة الأولياء؛ حيث قال عن خاتم الولاية: إنه سهى، وأنه ظفر بما لم يظفر به الشيخ، فهو معذور في ذلك؛ لضعف ذوقه عن مشهد الحقيقة وتعيها مجازًا عبَّر وما هو هو، فلو نفى ونزَّه ورآه بعين التنزيه، وأثبت وشبه ورآه بعين التشبيه، كان له عينان يرى نفسه بهما، إنه حق خلق، وهو العين الواحدة، ونظر بهما فنظر وما نظر، ثم عبس وبسر، فما يستطيع أن ينكر، فقال: إن الشيخ ظفر، وفاته أكثر مما ظفر، والعجب في قوله: ولقد ظفر بما ظفر ثم عثر؛ حيث صدمته تجليات الحيرة، فرجع مقهقرًا، مستندًا إلى الدليل، فقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨]، وأطال في الرد وزاد في الحد، ورأيت بخط شيخنا ذي المقام السني سيدي الشيخ عبد الغني على هامش نسخته «الكمالات الإلهية» حاشية حسنة جيدة، قال فيها بعد تحقيق بالذكر: تحقيق ما ملخصه أن الشيخ محيي الدين كلامه من المقام الذاتي، والشيخ الجيلي كلامه من المقام الصفاتي، والذاتيون أعلا من الصفاتيين، وفوق كل ذي علم عليم، انتهى.

ورأيت كتابة للشيخ حمزة من بين أم الكردي الكواري، نزيل دمشق الشام، أسن

انتهى. قال في آخرها بعد انتصاره للمحيوي نحو العلم رادًّا على الجيلي: وهذا سمعته من عمي، فذكرت لشيختنا الشيخ قاسم بن سعيد المغربي عدم استحساني رده؛ لأنه غير موافق في الاعتقاد لمشربي، فأخبر أن المذكور أخبره أن هذا الرد بعد ما نسخ منه نسخ كثير رأى في منامه رجلاً شريفًا مهيبًا، ذا وجه منير، جالسًا على كرسي رفيع كبير، قال: فسألت عنه، فقيل: إنه الجيلي الحقير، فتقدمت لأقبل يده، فلما رآني مقبلاً صعد سلمًا طويلاً، فصعدت خلفه وأردت تقبيل يده، فامتنع من إعطائها، فاستيقظت مرعوبًا، وذكرت ما وقع مني فعرفت الرد، واستغفرت وتبت، ولكن لم يمكني تمزيق ما كتبت منه. انتهى ما هذا معناه.

وأخبرني صديقنا المرحوم الأمجد الأكرم الشيخ إبراهيم بن الأكرم، خادم مرقد الشيخ الأفخم الأكبر سيدي محيي الدين، قدس الله سره الأعظم الأبهر. أن ابن عمه الشيخ أحمد أراد «غيبة الجيلي» المهام، فرأى في المنام جناب الشيخ الإمام، وقال له: لم لا تعمل؛ فرمانا ثلاث حصيات

قلت: الأولى رده عليه في باب العلم السابق سره من الإنسان لكل إنسان، والثانية في باب الإرادة، الثالثة في باب القدرة، فافهم إن كنت مرادًا مراد الشيخ ومراده، ولا تعجل بالرد على السادة؛ فإن العجلة من الشيطان، فانظم منثور القلادة، واجمع موفّق بين كلامهم تكن موفقًا للحق، والحق رائده جامع بين كيمياء السعادة وسيمياء السيادة في الغيب والشهادة، واكسر هناك الوسادة لتحصيل الإفادة، فليس الرجل من يزيف كلام الرجال الأعلام بالإعادة، إنما الرجل من يحمله على المحامل الحسنة، ويرفض هواه ويلحظ معاده، ويلزم نفسه الأدب مع أهل الله تعالى، فافهم الأئمة القادة، واعلم أيها الأخ - رزقنا الله وإياك أدبًا له الشارع مع أهل عباده مثبتًا - أن أهل العرفان في أطوار التجليات يتقلبون؛ لاختلاف فنون الشؤون عند من فتحت منه العيون، فتارة في بحر مشهد الذات يسبحون، فيتكلمون بما منه يلمحون، وآونة في بر الصفات يسيحون، فيبرزون سرهم وقتًا وأخرى يسحون، وطيور الأفعال يكشطون العيون، وفي ساعة يجمعون بين التشبيه والتنزيه مصونًا وأخرى يفرقون، فيتكلم الواحد منهم الواجد عن وجد وشوق مصون، ويشرح بعد شرح في كل مقام بما يقتضيه سره المخزون، فيظن من رأى في تنزله أنه خالف

ما عنه محققون، وما ثم خلاف؛ إذ كل قول في مقامه سلاف ودر مكنون، وهكذا يرد العارف عن مثله فإنما يرد من مقامه الذي هو فيه يكون؛ لأنه لم يدرك ما أدركه غيره من أهل الشهود والسكون، لا سيما الجيلي الشارب من يم التحقيق والسارب في نفث الخصوص، فلا شك أنه مذاق مذاق الشيخ، وساق مساقه بكشف مأمون ورشف مميون، وكل من عشق مشهدًا نسب إليه، وإن كانوا في غيره يتنعمون يتذللون للأدنى ويتعلون، وأهل الدوائر الكبرى في المشهد الذاتي مخيمون، وفي عظم تجلياته مهيمون، منهم الجيلاني، والشاذلي الرباني، والمجيوي، والجيلي، وأضرابهم أهل الصفا والشجون، فإذا عرفت أن الوارد لعتبة حكم تجلٍ كمرهف مستون على تجلٍّ إلهي، له في الغيب ظهور وبطون، فلا يسوغ إذًا تفويق سهام اعتراض على مخلص من حبائل أعراض وأعراض يتجلى بها لدون؛ لأن إطلاق اللسان في أهل هذا الشأن لصاحبه شأن، وهو المغبون، فالتسليم أسلم عند من استسلم وسلم القوس بارئها؛ ليهون عليه حزن كل كمون، فحقق في هذا الكلام تكن من أهل السلام الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ولقد جرى قلم لبيب في ميدان التحذير من النكران نصيحة للإخوان الذين لربهم يرهبون، وقد كتب على هامش «الإنسان الكامل» عند قول المؤلف المحمول والحامل: ولقد سهى الإمام قدس الله سره، ومن له الإكرام أن المؤلف والإمام المجيوي، كلاً، أصاب الحق فيما قاله:

ولكــل قــولٍ وجــهُ حــقٍّ ثابــتٌ ... عِــنْدَ الــذِي دَرَجَ الْعُــلا يَرْقَــى لَــه

كَلَامُــه لِحُكْــمِ الــتَّجَلِّي تَابِــعٌ ... حَيْثُ الْحَبِيبُ الصِّرْف قَدْ أَسْقَى لَه

مَــا بَــيْنَ أهــل الله خُلْــفٌ إِنَّمَا ... للَّفْــظِ يَرْجِعُ عِــنْدَ مَــنْ أَبْقَــى لَــه

والوسْــعِ يَقْــضِي بِالَّــذِي قَــالا ... فَمَا أَخْطَــأَ لَبِيبٌ إنْ فَهِمْــتَ مقَالَــه

وَإِذَا شَــهِدْتَ لِكُــلِّ قَــوْلٍ وَجْهَــهُ ... كُــنْتَ الَّــذِي رفَــعَ امْــرِي أَثْقَالَــه

سَــلِّمْ لأهــل الله وَاحْــذَرْ تَعْــتَرِضْ ... وَدَعِ الْجُهُــولَ؛ فَجَهْلُــهُ أَشْــقَى لَــه

فَالأَكْــبَرِيُّ مُــصَرِّحٌ بِمَقَالَــةِ الْجِيلِي ... وَهُـــوَ يَـــسِيرٌ لِلَّـــذِي قَالَـــه

ثُــمَّ الموَفَّــقُ مَــنْ يُوَفَّــقُ بيــنَهُمْ ... وَإِذَا عَــيَا تَــسْلِيمه أَتْقَــى لَــهُ

ولنرجع لما كنا بصدده من الكلام على اسمه تعالى «العليم»، قال العارف النووي رحمه الله الرحيم: هذا الاسم العظيم الشأن الجليل البرهان، من أكرم أطلعه الله على دقائق

لأمور وحميت أسرارها، ومن نقشه في صحيفة من زئبق معقود في شرف عطارد وحمله أنطقه الله بالحكمة، وعلّمه لطائف المعارف، ومن وضعه في صحيفة من فضة في شرف مشتري وحملها، وفقه الله تعالى الفهم في العلوم الشرعية، ويصلح ذكرًا من كان اسمه علي، ومن كان اسمه سلطان، وهذه صورته، ويوضح مثلثًا كما ترى، ومن فهم هذه خصصت به مخلوقات، وانقادت له بسائر العوالم، وقوي تصرفه في الوجود، ومنعه الله من الآفات، ودفع عنه ما يكره، ومن داوم على ذكره علّمه الله تعالى علم ما لم يكن عنده، وظهرت على لسانه الحكمة، وله من العدد 10، وهو زوج مفرد زائد، أجزاؤه 30، ومن ثم نعني، هم الملوك حقيقة، بل هم المالكون على الملوك ملكهم، وهذا العدد يظهر فيه سر الترقي لمراتب ثلاث، وقال في محل آخر منها والمتقرب إلى الله بهذا الاسم الشريف يتلوه ليلا ونهارًا، حتى يعلمه الله تعالى، ومن خواصه كشف العلوم الغامضة، وله خلوة جليلة، وتلاوته هي له مصروفة في مثلها والذكر القائم به بعد ذلك، وله مربع إذا كتبته وسقيته لبليد الذهن فتح الله عليه، ورزقه العلم، وإن أشكل عليك علم الصنعة الإلهية فأضف إليه اسمه "الحكيم"، واتله، ولازم عليه، فإن الله تعالى يعلمك إياها، وإذا وافق عدده اسم شخص وتلاه بغير خلوة نال المراتب العلية، وإذا كتب على ذهب أو فضة وحمله صاحب علم، رفع الله قدره بين الخلائق أجمعين، وأما الذكر القائم به تقول

(بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أنت العالم العليم، علام الغيوب، وعالم دقائق الأسرار والخفيات، المحصي لكل ذرة وتفصيل المؤتلفات بما قدرت، وذرات في الظاهر والباطن من الموجودات، أسألك بإحاطة علمك، وإجراء سرائر مددك بتفصيل كل شيء، ونفوذ قدرتك في كل شيء، وعني بأنواع ارتقاب حلمك أن تخرق في بيني وبينك الحجب؛ لأطلع على ما تحت كل ذرة من ذرات الوجود، فأبتهج بسر العدم، ونزول في حقيقة العدم بالله، (يا عليم يا حكيم) أسألك بسر قوتك أن تسخر لي عندك عيانيل بقضي حاجتي، ويكون لي عونًا فيما أريد، يا الله يا عليم يا حكيم)

ما من عبد واظب على هذا الذكر يوم الجمعة، من طلوع الشمس إلى وقت الصلاة، وكتب اسم الملك حول المربع وحمله، إلا رزقه الله تعالى الحفظ لكل ما سمعه، ونال المراتب العلية في العلويات، انتهى

(بي حكيم). قال في «دقائق الإشارات». ومنها الحكيم، قال الله تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝﴾[النساء: آية: 26]، وفي «الصحيح» في تعليمه ﷺ للأعرابي لكلمات «ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم»[1]، ومعنى الحكيم: أنه الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، كما ينبغي أن يوصف بذلك؛ لأن أفعاله سديدة وصنعه متقن، ولا يظهر الفعل المتقن السديد إلا من حكيم، كما لا يظهر الفعل على وجه الاختيار إلا من حكيم عالم قادر.

قال الخطابي: الحكيم: المحكِم لخلق الأشياء بمعنى إتقان التدبير فيها، وحسن التدبير لها؛ إذ ليس كل الخليقة موصوفًا بوثاقة البنية، كما في البقة والنملة، إلا أن التدبير فيهما والدلالة على كون الصانع وإثباته ليس بدون الدلالة عليه بخلق السموات والأرض، وبعاظم الخليقة، وكذا قوله تعالى ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: 88]، لم تقع الإشارة إلى الحسن في النظر، فإنه معدوم في القردة، وإشكال ذلك إنما المعنى منصرف لحسن التدبير في الإنشاء كل شيء من خلقه على ما أحب أن ينشئه ويبيب عن الهيئة المرادة، كقوله تعالى: ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:2]، انتهى.

وقال سيدي محمد القونوي، قدس الله سره التقوي: الحكيم: الذي أتقن كل شيء أنزله، وجعله في مرتبته.

اعلم أن الحكمة أخص من العلم؛ لتعلق العلم بالمعلوم بحسب ما وصفته الحكمة، فكل حكيم عليم وما كل عليم حكيم، فالحكمة أعلى مرتبةً من العلم عند المحقق، وكذلك امتن الله تعالى على داود ﷺ مع وفور علمه بالنبوة، والكتاب، والحكمة، وفصل الخطاب، وهو الإيجاز في الكلام في مواطنه لصاحب الفطنة، ورُبَّ موطن يقتضي تكرار الكلام لتفهيم المستمع؛ ولذلك كان رسول الله ﷺ يكرر ثلاث مرات؛ مراعاة للأدنى، والحكمة التي تقتضي الإيجاز في موطن بعينها تقتضي الكثرة والتكرار، فالحكيم الحاكم يحكم في الأمر أن يكون هكذا، والمواطن بخصوصياتها تقتضي الحكم لذاتها، فكان الحكم للموطن بها كما كان الحكم للنبيها يراد الأمر منه إليه، ومن أهل الله من يُكشف به عن سر

---

[1] رواه ابن حبان في صحيحه (3/ 226).

بسبب حكمة مؤدية إلى الهيبة والخيرة، ومنهم من لا يعلم ذلك إلا بعد وقوع حكمه في الوجود، فتعرف بجهله في المصالح، وغاية ما تنتهي إليه همة العارف أن يعرف بحكمته أن ما ظهر لو قع في الوجود إنما هو في قبضة الحكمة الإلهية، صادر عن حكمة حكيم قادر، وهذا هو الذي استعمل النعيم بدوام الفرح والرضا، وقام عنده التفويض والتسليم، وزال عنه الضجر والسخط بزوال الغرض، فإن الجهل والنزاع لا يقع إلا فيما لا يوافق الغرض، وصاحب الشهود لا يُنافي غرضه لمطابقة أسرار حكمة الحكيم، انتهى.

وقال الجيلي ـ رحمه الله ـ في «الكمالات»: اسمه تعالى حكيم، هو الذي تجلى في مظاهر بما يستحقه، فبلغه كل مظهر من غير زيادة ولا نقصان، وأعطى كل ذي حق حقه، وهذا الاسم من أسماء الصفات، وصفته الحكمة، وهي عبارة عن إظهار القدرة تحت ملابس الأكوان، بوضع كل شيء موضعه من الترتيب اللائق بالعلم، وإعطاء كل حقيقة في الوقت المخصوص ما تقتضيه من الظهور والبطون، والتعالي والسفل، والنقص والكمال، والتقديم والتأخير، والإيجاد والإعدام، والتقليل والتكثير، وغير ذلك من أحوال الأكوان التي هي عبارة عن سورة الرحمن، فافهم، انتهى.

وقال البوني ـ رحمه الله ـ في «شمس معارفه الكبرى» في الفصل السابع والأربعين: اسمه تعالى حكيم، هذا الاسم البهي الباهر، والسر السني الزاهر، مَنْ أكثر ذكره ألهمه الله تعالى الحكمة وعلمه دقائق العلوم، وألقى فيه غرائب المعاني ولطائف الإشارات، ثم قال: واعلم أن كل ذكر يعطي ذاكره ما في قوته، لكن بالوقوف على حقيقته، وذلك لا يتفق إلا للأفراد، والله الموفق.

وقال في الباب التاسع والثلاثين منها: ومن خواص هذا الاسم أن من لازم عليه سهل له ما يريد من العلوم العقلية، ومن كتب وفقه في خاتم فضة، وفي الوجه الثاني اسمه تعالى الرءوف، وتحته يعود وعنبر، وتلا الاسمين عددهما، فحامله لا يأتي أرضًا إلا ظهرت فيها البركة، ولا يأتي مريضًا إلا عافاه الله تعالى، والله الموفق، وهذه صورة وفقيهما.

وأما الذكر العائم به تقول

(بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم يا مولاي، يا واحد يا مولاي، يا دائم يا عليم يا حكيم، حكمتك بالغة لأمرك لا راد لأمرك، ولا معقب لحكمك، فمن قولك تداركت

وتعاليت، يا ذا الجلال والإكرام، الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم، فهذه الحكمة البالغة في المخلوقات أسألك يا حكيم بالحكمة البالغة، وما حوت من بديع الصنع ومدركات الرحمة وسوائغ النعمة، أن تفتح لي خزائن رحمتك بمفاتيح حكمتك، من بحار فيضك سوائغ نعمتك، وأقمني على قدم العبودية بطاعتك، يا رب العالمين)

ما من عبد لازم على هذا الذكر إلا كانت أفعاله مبدعة من خوارق العادات، ونطقه حكمة، ورفع الله قدره، وإن كان خاملاً انتشر ذكره وعلمه، انتهى.

ومن خواصه: أن من أكثر من ذكره رفعت عنه المشاق التي لا يطيق حملها، وذكر عدده أيام الوباء يدفع سره عن التالي، وإذا أكثر من ذكره معلم العلم و لأصحاب، يفهم عنه ما يلقيه في أقرب مدة، وذاكره يحبب للقلوب.

قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى: يكتب هذا الاسم الشريف بعدد أعداده على إناء طاهر، ويسقى للملسوع، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى، ويشترط صوم الكاتب، وإن كتب على جوانب اللسعة كان أجود، انتهى.

وقد عقدت هذا التوسل بقولي شعر

بِجَنَابِ عِزِّكَ سَيِّدِي لُذْنَا وَقَدْ خَضَعَتْ لِرِفْعَةِ ذَاتِكَ الْأَعْنَاقُ

مُتَرَامِينَ بِذِلَّةٍ حُبًّا عَلَى أَعْتَابِ قُرْبِكَ كَيْ إِلَيْكَ نُسَاقُ

وَامْنَحْ عُبَيْدَكَ يَا عَلِيمُ تَعَلُّمًا وَاذِقْهُ مِمَّا فِي حَكِيمٍ يُذَاقُ

ووجه مناسبة ذكر هذين الاسمين أن الأول مناسب لقوله: لو أردنا، والثاني لقوله: لذنا، وبيان ذلك أن قوله: لو أردنا الإعراض عنك ما وجدنا من سوى قدم بنا هذا الوجدان؛ إلا من وصف العلم بأن السوى مفقود، والجود والوجود إنما هو للموجود، فكيف بعد ما علمنا علمًا يقينيًا كالعيان، حتى حققنا ذلك الوجدان بعد رجحان ميزان علم وعرفان، نعرض عنك وقد وقع التعليم لنا منك يا عليم؟

وأما مناسبة الثاني أن العبد لما لاذ بجناب مولاه خاضعًا مترامياً على أعتابه، غير صاد عنه، ولا لاه، دليلا لعزة سلطانه، مترقبا لرفيع توقع أمانه من عدمه وصده، وهذه وحر لامه، فإنه الحكيم الذي ينزل الأشياء منازلها بإحسانه وفضله وامتنانه، على أن إقبال الحكيم على عبده المحكوم عليه بالجهل المقيم، صعفي إقباله كما صح شهادة في الحديث،

قال الله تعالى: «إذا تقرب العبد إلي شبرا»(1)، ولما حققنا أنك الحكيم، الذي تعطي كل ذي حق حقه، لذنا بجنابك كالأرقاء، خضوعًا وذلة ورهبة، راجين أن تجعلنا للعطاء محلاً بما عندنا بسط التدني موصوفًا، وليس سر الحكمة بنجلي، يجلي بها من لاذ بجنابه، فيتحفه، ومن أوتي حكمه من كل حكيم، لا يتصور منه أن يلوذ إلا ممن يعطيه حقه، ومستحقه، وليس ذلك إلا الحكيم، ومناسبة هذا التوسل لما بعده أن الإعراض على أقسام

إعراض استكبار، وإعراض غفلة توجب دمارًا، وإعراض حياء وتذكر، وإعراض نفار، وإعراض حكيم عن مقيم أو زاد.

وحيث لم يكن الإعراض عن العزيز الجبار، ولا يقر للنفس دون القيم بأعتابه قرار، وتحتاج في قيمها إلى أدب، وإقبال دون إدبار، وطهارة طاهرة وبصيرة، من أكدار ذنوب صغار وكبار، لتكون بطهارتها ونصارتها قابلة لتوالي الفيض المدرار، ولتزول عنه الوحشة التي عليها من تراكم الذنوب بادئة للحصار، فترفع رأسًا تطلبها لمطالب الأبرار، ومقاصد الأخيار التي عليها المدار، وهناك يكشف بها الستار عن حلل الأستار، فترى من لا يفي بالتعبير إخبار، وتمحى عن مخيلها الذنوب وهذه علامة معرفته عند أهل الله الأطهار، فيوجب هذا المقدار من التقريب للعزيز الجبار، اللوذان بخضوع وافتقار العام بالإضمار والإجهار، فلذا ناسب أن يقول المؤلف ـ نجاه الله من شر هذه الدار:

(حرف الميم)

قال المصنف:

[إلهي محص ذُنوبَنَا بظُهُور آثَارِ اسْمِكَ الغَفَّار وَامْحُ مِن دِيوَانِ الأَشْقِيَاءِ شَقِينَا وَاكْتُبْهُ عِنْدَكَ فِي دِيوَانِ الأَخْيَارِ]

قال الشارح: (**إلهي محص ذُنوبَنَا بظُهُور آثَارِ اسْمِكَ الغَفَّار**) التمحيص أصله في اللغة التخليص من الشوائب، يقال: محص الذهب بالنار: خلصه مما يشوبه، وله معان كثيرة، ذكرها في «القاموس»، قال الله تعالى: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [آل عمران 154]

قال القاضي رحمه الله: وليكشفه ويميزه، أو يخلصه من الوسواس

---

(1) رواه البخاري (6/ 2741)

وقال البغوي ـ رحمه الله تعالى ـ: وليمحص: يخرج ويظهر ما في قلوبكم، انتهى.

وفي الحديث: «أكثروا ذكر الموت، فإنه يمحص الذنوب»(1).

قال المناوي ـ رحمه الله ـ: أي: يزيلها، وعنه ﷺ: «طول مقام أمتي في قبورهم تمحيص لذنوبهم»(2).

قال المناوي: أي: سببه تمحيص الله عنهم ذنوبهم، والمراد للصغائر، ومعنى أزال ذنوبه محاها، والذنوب جمع ذنب، وهو الإثم، وقيل: هو ما عُصي الله به، أو ما يذم مرتكبه شرعًا، ويرادفه المعصية والسيئة والجريمة والمنهي عنه، وقيل: هو ما يحجبك عن الله، وعنه ﷺ: «ذنب العالم ذنب واحد، وذنب الجاهل ذنبان»(3) وبقية الحديث على ما في «شرح الجامع» للمناوي: «قيل: ولم يا رسول الله؟ قال: العالم يعذب على ركوب الذنب، والجاهل يعذب على ركوبه الذنب، وترك التعلم»(4)، وعنه ﷺ: «ذنب يغفر، وذنب لا يغفر، وذنب تجازى به؛ فأما الذنب الذي لا يغفر فالشرك بالله، وأما الذي يغفر فعملك بينك وبين ربك، وأما الذي تجازى به فظلمك أخاك»(5).

قال المناوي: أي: في الدين، فإن الله لا يظلم مثقال ذرة، وذكر الأخ للتعطف فظلمه للذمي كذلك، انتهى.

واعلم أن الذنب قد يعظم بعظم فاعله؛ إذ ذنبه من المقرب بألف، وربما يؤخذ مقرب بسحر هاجس وهم، وحديث نفس؛ لوفور معرفته، كما وقع لأبي بكر الشبلي المهدي في اعتراضه باطنًا على شاب شحاذ، ليس له اكتساب، وقد يكثر الذنب بشرف الزمان كشهر رمضان، أو المكان كمكة ذات الحرم المصان، وقيل بالمضاعفة فيه، ونقل عن ترجمان القرآن، واجتناب الكبائر تقابل الصغائر بالغفران، والذنوب تسود وجه القلوب، فمن أسعده الله للتوبة، ومن لا انهمك فيها، فاستوجب النيران، وهي عامة،

---

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (2/ 86).

(2) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 283).

(3) ذكره المناوي في فيض القدير (3/ 565).

(4) ذكره المناوي في فيض القدير (3/ 565).

(5) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (10/ 348).

وخصوصة، وخاصه بخاصة الخاصة أهل العيان، وتقدمت الإشارة قريبًا إليه، فخصه وحده لافتنان، ولما أقسام أخر عند أهل الإيمان حقيقة متعلقة الجنان، وعرصته وهبة لأكوان؛ لأن صاحبها ماله أركان، ويبدو له تمحويه كآية الليل بدليل الغفران؛ حديث

«وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر؟ فقال: اعملوا ما شئتم، فإن الله قد غفر لكم»[1]. وفي رواية: «إن الله اطلع .. إلخ»[2].

وفي أخرى: «لن يدخل النار رجل شهد بدرًا والحديبية»[3]، فكانت ذنوبهم كسراب، يظن أنها شراب حتى إذا جاءه الظمآن البحث لم يجده شيئًا، ووجد الله عنده متجليًا بصفتي العفو والامتنان، فهي مشهودة في الظاهر، مفقودة في الباطن؛ لسر يعممه لظهر، ولشبه ذنوب أهل البيت الطاهر، الذين طهروا بالنص الباهر من الرجس ومن الذنوب تطهيرًا، وكان الله على كل شيء قديرًا، ومن كمال قدرته أن قلب إكسير المغفرة نحاس سيئات أولي الوجوه المسفرة إبريزًا، وصير دليلهم بتجلي عزته عليه عزيزًا، فهذه سيئات أحسن، لا حسنات متعلق بالأسباب، معتمد على الأحساب والأنساب.

قال قطب الأقطاب أبو الحسن ـ الذي ملأ بالمعارف منه الوصاف ـ في ورده المستطاب: واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت، فالإحسان لا ينفع مع البغض منك، والإساءة لا تضر مع الحب منك، وصورته كالأكل من الشجرة، أو القرب منها وقد سماه تعالى عاصيًا من حيث الأمر الإرادي، وهذا ما عليه أهل التحقيق من سادات الطريق؛ إذ كل ما صدر من الأنبياء الكرام المنزهين عن الآثام قبل النبوة وبعدها، أمور صورية، كذنوبهم، واستغفارهم، فإنه ليس من المعاصي الشرعية من حيث مرتبة الحضور التام، الذي ليس من مقدور البشر كما صح في خبر: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»[4]، والمراد به غين بالأمور، لا غين الأغيار، فكان يغشى قلبه الشريف أنوار؛ خشية عدم القيام بحقوق الحضرة الحقيقية،

(1) رواه الحاكم في المستدرك (16/281)

(2) رواه الحاكم في المستدرك (16/281)

(3) رواه أحمد (3/396)

(4) رواه مسلم (4/2075)

فستحضر إرشادًا للضعيف، وإمدادًا للكشف عن خلو القلب من حال لمراقبه اسف، وق أمر بالاستقامة، وبانت له خفيات واتضحت لديه مكنوناتها، قال «شيبتني هود وأخواتها» ، ولا تتم الذنوب إلا بحنظل الإبعاد عن المحبوب، لكن رب عتبي للعبد الموهوب، فأثمرت له بالدنو المخطوب، كما في الحديث: «إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة، يكون نصب عينيه ثابتًا قارًا حتى يدخل به الجنة»[1] وهذا دليل من في حكمة للعدوف المحكم. رب معصية أورثت ذلًا وانكسارًا خير من طاعة أورثت عزًّا واستكبارًا.

سئل الجنيد ـ قدس الله سره ورداه أنوارًا ـ أيزني العارف؟ فأطرق مليًا وقال: وكان أمر الله قدرًا مقدورًا، فالأولياء محفوظون من الأقدار، والأنبياء معصومون، وقل أن تقع معصية من عارف إلا عند قيام نفسه؛ ليرجع بها ذليلة حقيرة حالة الإياب إليه، ولا يمكن أن تقع عن الشهود، فلا بُدَّ من وجود حجاب غفلة ممدود، وشاهده حديث: «إن الله إذا أراد إمضاء أمر نزع عقول الرجال حتى يمضي أمره، فإذا أمضاه رد إليهم عقولهم، ووقعت الندامة»[2]. وربما أكرم الحق سبحانه وتعالى بعض عباده بإعلامه بالذنب قبل وقوعه فيه، فيسبح إليه في عفوه وصرفه عنه؛ مخافة أن نوره يطفيه، فيعاين الأمر محكمًا، والتقدير جزمًا، فيكون راجعًا للتسليم، راضيًا بما قدره السميع العليم، ويأتي الذنب والعيون دوامع، والجفون هوامع، ويبادر للإنابة بذلة وكآبة، بعد ما كاد الفؤاد أن يحترق مهابة، وحسبه أن يذوب مما أصابه من خطأ حلته الإصابة، وقد أفصح عن حال هذا الصنف الذي صب الاحترام في أحشائه جمرًا، أدابه الجيلي في عينيه ـ قدس الله سره، ونفعنا أدابه ـ فقال:

ولي نكتة غراء هنا سأقرؤها	وحق لها أن تزعوا بها المسامع
هي الفرق ما بين الولي وفاسق	تنبه لها، فالأمر فيه ودائع
وما هو إلا أنه قبل وقعة يُخبِر	قلبي بالذي هو واقع

---

(1) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (1/ 435)

(2) رواه ابن المبارك في الزهد (1/ 52)

(3) ذكره المناوي في فيض القدير (2/ 201)

فأحني الذي مقتضيه في مرادها ... وعيني له وقت الفعال تطالع

وكنت أرى منها الإرادة قبلها ... أرى الفعل مني، والأسير مطوع

فإني الذي نهواه مني ومهجتي ... لذلك في نار حوتها الأضالع

وإن كنت في حكم الشريعة عاصيًا ... فإني في حكم الحقيقة طائع

واعلم أن أعظم الذنوب الغفلة عن المطلوب، واعتياد الأوراد على أحد سواه.

قال سيدي داود بن باخلا – بلغ في الدارين مناه: إقبال القلب على الله حسنة يرجى ألا يضر معها ذنب، وإعراضه عنه سيئة لا ينفع معها حسنة

وقال سيدي علي الخواص – منحنا الله به الخلاص: إذا طال زمن العبادة على النفس، حنّت إلى مفارقة حضرة ربها، كما يحن العطشان إلى الماء، أو وزن ثواب ذلك العمل لو فعل، قبل الملل وبعده، لوجد إثم محبته لفراق حضرة ربه يرجح على ثوابه، انتهى.

ومن مثل هذا الذنب وأضرابه ترجف قلوب أوقفها ببابه، ويعرف لها باقترابه، وسقاها كأس شرابه بين طلابه، فلا ترى لها عملاً يصلح للعرض على جنابه من شوائب نفس هاتيك من شأنه، فلا يقدر العارف بعللها وأمراضها أن يرفع له رأسًا بين أحبابه، ويشهد لفرط قصوره أن كلاً بلا وقع في روح هذا العالم، وأمانه من وخامة ذنوبه التي نقطة منه تعكر البحر في حسابه، ولو نوزع في ذلك لأقسم على الله بالله وآياته وكتابه، وهي التي تُبلي من العبد ضيق ثيابه، ولذا قيل: الخضر ﷺ أثوابه لا تبلى به؛ لانعدامها باتساعه، فكما أن توبة ماعز لو قسمت على أهل الأرض لوسعتهم [المسيح] وإن ثوابه. وكذلك الذنب الواحد من العبد العاقد وجودًا، دأبه مع القادر على عقابه، ولولا أن الله تعالى يمن عليه بحسن متابة لذاب كالرصاص بنارين القهر ولات حين مناص. أيها المعرض لا سببه، لكن الرحيم يتلطف بهذه القلوب المفلة على جنابه، ظهور آثار اسمه ..., فيرتج مكشف حجابه، والباء في (بِظُهُور) للقسم، أي: سر، ويصح أن تكون السببية أي: بسبب ظهور شروق أنوار.

(آثارِ). جمع وله كما في «التعاريف» ثلاثة معان.

الأول: النتيجة، والحاصل من الشيء.

والثاني: بمعنى العلامة.

والثالث: بمعنى الجزء، وأثر اسمك الغفار متى ظهر فيض تجليه على أحد في هذه الدار لم يدع ذنوبه وسيئاته إلا محاه، حتى من الصحائف، وأذهان الملائكة الأخيار.

قال في «دقائق الإشارات»: ومنها الغفار، قال سبحانه ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [الزمر: 5]، والغفار: البالغ في الستر فلا يشهر المذنب، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ومنه حديث النجوى وغيره، انتهى.

وحديث النجوى هو ما رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، عن ابن عمر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره من الناس، ويقرره بذنوبه، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم، أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين»**[1] انتهى.

قال الشيخ الأكبر ﷺ في «تراجمه»: من جنى وعلم أن الحق غفار غفر له، ومن لم يجن ولم يعلم أنه غفار فقد جنى. وقال تلميذه سيدي محمد القونوي ﷺ في «شرح الأسماء»: الغفار ما يستر من العيوب، الغافر بنسبة الستر إليه المغفور، بما أسدل من الستور من الأكوان وغير الأكوان، هو الذي لا يترك ذنبًا إلا ستره عن عيون الناظرين، ومحاه من صحف الملائكة المقربين، اعلم أن من أحكام هذا الاسم الصون والغيرة والحفظ، فإن المستور في هذا الموطن على ثلاث طبقات:

الأولى: هو المستور عن العقوبة بعد حكم المعصية فيه، وهو المغفور له.

والثانية: المستور عن قيام المعصية به؛ لعدم رغبته فيها، وهو المحفوظ.

والثالثة: المستغرق في تلاطم أمواج الصفات، المستهلك في أشعة أنوار الذات، الغائب عن شهود المعاصي والطاعات، وهو المعصوم.

هذا في الخصوص، وأما في العموم فالأمور كلها مستورة بعضها عن بعض،

---

(1) رواه البخاري (2/ 862).

وعليه ستر الظاهرية الحق، وذلك أن أفراد الإنسان، وأشخاص مراتب الأكوان أجمعها لا تزال وقوفًا مع الاسمين الظاهر والباطن، فمن كان مع الاسم الباطن في حال رؤية وشهود، كان الاسم الباطن في حال مشاهدة سترًا على الاسم الظاهر، والاسم الظاهر في محل سلطنته على ما هو عليه في الحكم ما تغير، وكذلك من كان مع الاسم الظاهر شهودًا أو رؤية فإن الاسم الباطن في حقه ستر على الاسم الظاهر، فالظاهر غيب لأهل الشهود الاسم الباطن، والباطن شهادتهم، كما كان الباطن غيبًا لأهل الظاهر شهادة لأهل الباطن، وغيب أهل الباطن شهادة أهل الظاهر، ودون ذلك ستر الأشياء والوسائط، وشهود الحق بعضهم عن بعض، وألطفها ستور الأسماء على المسميات، وإن دلت على ذات المسمى، فهو أعني المستور، فإن الناظر يحتار فيها؛ لاختلاف أحكامها، فالوجود للمسمى كله ستر وساتر ومستور، فالخلق في عين الوجود مستورون عنه، وهو ستر عليهم، وهم ستور عليه، والستر لا بدَّ أن يكون مشهودًا للمستور، والعجب أنه مستور عن الستر بالستر، انتهى.

وقال سيدي عبد الكريم الجيلي - قدس الله سره - في «الكمالات الإلهية»: الاسم السادس عشر اسمه الغفار، هو الذي يستر قبح الإثم بحسن الثواب، فذهب اسم الشر وجاء اسم الخير، والفرق بين العفو والغفار أن العفو يصفح عن الذنب ولا يعاقب، والغفار يصفح عن الذنب ثم يبدله بالحسنة، فيستر ذلك القبح بحسن يبهه به؛ لأن الغفر هو الستر، والعفو هو الصفح، وهذا الاسم من أسماء صفات الأفعال، وصفته الغفر بفتح العين، وهو عبارة عن تجلٍّ إلهي بمطلق الجمال والحسن، فيستر كل قبح في الوجود، وهذا في المعنى يظهر بطون الحق تعالى في الأشياء من غير حلول، وينكشف حجاب الوحدانية عن وجوه الكثرة، ومن فيض هذا التجلي حصل الإبدال إبدالاً.

والتبدلية على ثلاثة أنواع

تبدلية الفعل، وتبدلية الصفة، وتبدلية؛ فتبدلية الفعل على نوعين: أعلا وأدنى، فالأعلى أن تتبدل المذمات النفسية بالمحمودات الروحانية، فيتبدل بخله كرمه، وغضبه بحلمه، وضعفه وسعًا، وضرره نفعًا. وتبدلية الذات أيضًا على نوعين: أعلى وأدنى، فالأدنى أن تتبدل ذات العبد بذات الرب، أي: تتجلي ذات الرب عليها، فتفنيها؛ لأنه

تعالى ما تجلى لشيء إلا خضع، أي: فني، فيجد العبد ذات الرب متجلية عليه موضع ذات العبد، فكلما أراد العبد أن يرى نفسه، لا يرى إلا ذات الله تعالى، فلا غنى أن تتبدل ذات الرب بذات العبد، بأن يغنيه، ويكون الحق نائب عنه والمتصرف، فيشهد الحق نفسه نائبه عن نفس العبد، فيكون العبد خليفة عن الرب، فإذا أراد العبد أن يري ذاته، رأى ذات العبد، أي الذاتية بعد إفنائه، فيكون رأى ذاته على حد قول العارف: أعرته طرف لأهله، فكان البصير بها طرفها، وبين هذا المشهد والذي قبله فرق كبير لا يفهمه إلا العرباء.

وقال عند الكلام على اسمه تعالى الغفور: (وهو الذي لا يؤاخذ على ذنب، كائنٌ ما كان الذنب)، والفرق بين اسمه الغفور واسمه الغافر أن:

الغافر يخص بالمغفرة، والغفور يعم، فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: 48] هذا من حيث التجلي اسمه الغافر، فإنه تخصيص للمغفرة بما دون الشرك، ومفهوم الظاهر من هذه الآية أنه لا يغفر الشرك على الإطلاق، ومفهوم أهل الحقائق: أنه لا يغفر الشرك في تجلي اسمه الغافر على التقييد، ويغفره في تجلي اسمه الغفور، وقد صرح بذلك في قوله: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الزمر: 53].

فاعلم أن مغفرة الذنب على الإطلاق هو بتجلي اسمه الغفور، لقوله: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ عقب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ ولا ذنب أعظم من الشرك، فينبغي أن يكون داخلاً تحت العموم، وقد تحدثنا عن اسمه الغفار في أول هذا الباب، وبه يُعلم الفرق بين هذين الاسمين وبينه، ثم قال: اعلم أن صيغة اسمه الغفار موازن لصيغة اسمه القهار، وبقي اسمه الغفور لا موازن لصيغته من القهر، فانفرد بالرحمة العامة فلذا المقر، وكان الأمر في الاسمين أعني (الغافر والغفار) مخصص لبقاء رائحة من القهر في تحجباته بظهوره في الوصفية، ولأجل ذلك كانت موازين القاهر والقهار، وظهوره في الأزمنة، ومن ثم قيل: ﴿ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾، وثم نكتة أخرى، وذلك أنا وجدنا لاسمه الغفار صفة وهي الغفر، ووجدنا لاسمه الغافر صفة وهي الغفران، ووجدنا لاسمه الغفور صفة وهي المغفرة، فهذه ثلاث صفات لثلاث أسماء، ولم نجد لاسمه القاهر والقهار سوى صفة واحدة، وهي القهر، ومن ذلك قوله: «سبقت رحمتي

عصبي»(1). وكانت أسماء الرحمة متعددة، وصفاتها كثيرة، وأسماء النقمة بالنسبة إليها قليلة، وصفاتها أقل، فافهم، واعلم أن اسمه الغفور من أسماء صفات الأفعال، وصفته كل شيء شأنه مغفرة، وهي عبارة عن تجلٍّ إلهي، يظهر فيه الجمال المطلق من غير تقييد، فينكشف عند ذلك أنه الفاعل لأفعال العباد، وأن أفعالهم كلها مليحة، وأن لا مؤاخذة عليهم، وأنه الفاعل، وإلى هذا المعنى أشار بقوله: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: 56]، بين أولاً أنه الفاعل لهم، ثم بين أن أفعالهم كلها حسنة؛ لأنه آخذ بناصيتهم على صراط مستقيم، انتهى.

قال البوني ـ رحمه الله تعالى: ومن خواص وفقه أنه يكتب لتسكين الغضب، يكتب بمسك وزعفران، وحوله اسم الملك، وهو حرقائيل، وتسقيه للولد الكثير البكاء، يزول عنه ذلك، وإذا كتب على لوح من ذهب في شرف الشمس، وحمله حاكم سكن غضبه، وهذه صورته، وأما الذكر القائم به تقول:

(بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم أنت الغفار غافر ذنوب المخلوقين في كل وقت وحين، فتغفر لهم عند توبتهم واستغفارهم وسؤالهم، كأن لم يكونوا يفعلون، وتتوب لهم، تتوب بها، أسألك يا رحمن يا رحيم، يا من أظهر الجميل، وستر القبيح أن تغفر لي ذنوبي كلها، الظاهرة والباطنة، حتى أكون في جوار قدسك، يا الله يا غفار)

ما من عبد لازم على هذا الذكر إلا فتح الله تعالى عليه فتحًا إلهيًّا، ونال كل ما يتمناه، وقال في موضع آخر: هذا الاسم الجليل من وضعه في مربع آخر ليلة من الشهر في صحيفة من رصاص، وحمله بعد تلاوة الاسم عدده، أعمى الله عنه بصر كل ظالم، وإذا كان صاحبه صاحب حالة صادقة اختفى به عن أعين الناس، وله منافع في الحروب وغيرها، ومن أشهده الحق ما لا يطيق شهوده، فعليه بذكره، وكذلك من أطلعه الله على أحوال خلقه وخفيات أسرارهم، ولم يطق الستر عليهم، فيلجأ إليه تعالى بذكر هذا الاسم، وبه من العدد 1381، وهو عدد أول، يدل على أن سره رتق لا فتق فيه، فلذلك لا يعرفه إلا الله، وأما أسماء حروفه فهي 1123، تشير إلى اسمين حسنيين، وهي (مقسط، قابض)

(1) رواه البخاري (6/2745).

وأنه مرتبة فعلى هذه الصفة، وخواص اسمه تعالى (الغفور) تقرب من خواص هذا الاسم؛ لأن مادتهما واحدة، انتهى.

لكن رأيت في خواص اسمه تعالى الغفور أن من كان معه مرض أو حمى أو وجع رأس أو حزن، يكتب ثلاثة أسطر: يا غفور يا غفور يا غفور، هذا سطر، والسطر الثاني والثالث مثله، ويبلعهن يشفيه الله تعالى، ويكتب للمحموم ثلاث مرات بعد البسملة ويسقى، يبرأ بإذن الله تعالى، ومن داوم على ذكره، وسأل الله المغفرة، غفر له جميع ذنوبه، وأن من ذكر اسمه الغفار بعد الجمعة مائة مرة، غفر الله له، وكيفية ذكره أن يقول: (يا غفار اغفر لي ذنوبي)، ومن خواص هذا الاسم الذي يكشف أستارًا ما صرح به النص القرآني ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: 10، 11] إلى آخر الآية، انتهى.

(وَامْحُ) حرم على الدعاء، قال في «المختار»: محا لوحة، من باب: عدى ورمى، ومحاه أيضًا، فهو محو، وانمحى: انفعل، منه: وامتحى لغة فيه ضعيفة، انتهى.

ومحو الاسم عند هذا القسم له لمادة إدعاء الوجود حسم، وكذلك محو الرسم، فمن محى اسمه ورسمه، خط في الديوان اسمه وكل من محى المحبوب اسمه (من ديوان الأشقياء)، فقد أثبته في درج أهل اللقاء؛ إذ المحو والإثبات متى وجد أحدهما، لا يمكن للذي لثبت، على أن المحو إثبات عينه، وفي الإثبات محو سيه، ولهذا أمثال في الهيكل الحسي، وذلك الخواطر، فإنه يمحي الأول لظهور الثاني، وكلها محي من نيل النفس درجة تسع بهر الروح مثلها، فأثبت الله فرجه، وهكذا إلى أن يغلب نهر العبد على بيته، فيمض من الملك مع سيل النفس طويل ذيله، وقد تمحى آية الليل الملكية، وهي النفس النفسية، وتثبت آية النهار، وهي الروحية، ويمحو الأولى ببروز الشفاء، وتثبت بعد الفناء عنه البقاء، وهنا ترتفع أوصاف العادة، وتثبت أوصاف السيادة، أي يرى أن الركون إليها، والحكم لا نعيه، فإن رواها رأسًا لا يكون عند أهل حكمة العين، وقد محى العدد الذي في العموم عند أهل الخصوص سر عندهم معلوم، والمحو ربما وقع في الظاهر دون الباطن، أو فيهما لحكم اقتضته المواطن، وقد تكلم على المحو سيدي محيي الدين محمد بن من نفحاته في الباب 335 من «فتوحات من ديوان» هو تكميل عمل، وقد نصح،

فارسي معرب، وهو الدفتر، والمراد بها هو مكتوب فيه.

قال في «المصباح»: الديوان جريدة الحساب، ثم أطلق على موضع الحساب، وهو معرب، والأصل: دوان، فأبدل من إحدى المضعفين ياء للتخفيف، ولهذا يُرَدُّ في الجمع إلى أصله، فيقال: دواوين، وفي التصغير: دُوَيْوِين؛ لأن التصغير وجمع التكسير يردان الأشياء إلى أصولها، ودونت الديوان: وضعته وجمعته.

ويقال: إن عمر بن الخطاب ﷺ أول من دون الدواوين في العرب، أي: رتب جرائد للعمال وغيرها، انتهى.

وفي الحديث الشريف: «**الدواوين ثلاثة: فديوان لا يغفر الله منه شيئًا، وديوان لا يعبأ الله به شيئًا، وديوان لا يترك الله منه شيئًا، فأما الديوان الذي لا يغفر الله منه شيئًا فالإشراك بالله، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئًا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله يغفر ذلك إن شاء، ويتجاوز، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئًا فظلم العباد بينهم القصاص لا محالة**»[1]، رواه الحاكم وأحمد، وصححه عن عائشة.

قال المناوي: وورد عنه ﷺ: «**يقول الله تعالى: انظروا في ديوان عبدي فمن رأيتموه سألني الجنة أعطيته، ومن استعاذني من النار أعذته**»[2]، رواه أبو نعيم في «الحلية» عن أنس، وكل كتاب جمع قصائد أحباب وخصائص أفكار أنجاب سُمِّي ديوان جمعة معجب، وكذلك كل مكان جمع أعيان زمان؛ لترجيح طرفي حادثة بحين، أو حكم مصدر، وهنا اصطلح أركان دولة كل سلطان على تسمية هذا الاجتماع بالديوان.

واعلم أن ما من أمر ظاهر إلا وله مقابل من حيث الباطن باهر؛ إذ هو عنوانه، وكما أن حكام مرتبة الظاهر دواوين استشارات، يتخذونها بينهم، كذلك حكام مرتبة الباطن، بل أولئك تبع هؤلاء، لا يعين؛ إذ هم أهل الحكم النافذ كل حين، فإذا برز شكل مشكل من حضرة التعيين في عالم التسطير والتدوين، نظروا فيه نظر عارف كاشف عن الإمام المبين، و بكتاب المبين، وهما القلم واللوح المكين، وصاحب المقام ذو التمكين،

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك (4/ 619) بنحوه.

(2) رواه أبو نعيم في الحلية (6/ 175).

قطب الغوث الأمين، يحضر في كل ديوان وقع مشرفًا عليهم من مخدعه المتين، ولا يراه ولا يشعر به الأفراد من هذا الجمع كقاضيه الحزين، وإذا علت الأصوات وحضرت الأقوات، رفع القاضي طرفه فاشتق سيد الجمع عرفه، وأشار إليه بالحكم بكذا، فحكم به، وبان عن النعوت القذى، وحل حَضْارُه من أهل الفلاح، من يحضره بالروحانية لا بالأشباح، وإذا حضره من ليس من أهله، طرد عن وروده، وشرب نهيه، فإن موائد الرجال لا يجلس عليها طفيلي بحال، ولقد أخبرت شيخنا المراد به الشيخ عبد الغني، صاحب المقام السني، الذي بضياء سيله اكتفاء يحضر أكثر المجموع لا بسرد خفيه، وكثيرًا ما يحضر الحق سبحانه فيها من ليس له علم بظواهرها وخوافيها، غير أن عوالمه الباطنية تعلم ذلك، والنفس المنافسة غائبة عما هنالك، ومهما اتفق عليه أهل هذا المحضر الأزهر، ظهر في هذا العالم منه الأثر، وما من حلقة تخلع على أحد ذكرها بنشر، إلا ويحضره أعيان هذا الجمع الأفخر، وربما زاد البيان فأحضر ما لا يحصر من الأخيار، وسيق له من الروحانيين الأطهار، وما لا يعبر عنه قلم بيان، وإظهار وإشارة لرفعة مقداره، هذا لممنوح خلع القبول والفتوح الرفيع المنار.

(للأشقياء). جمع شقي، وهو ضد السعيد. قال في «المصباح»: شقي ضد سعيد، فهو شقي، والجمع أشقياء، والشقوة بالكسر، والشقاوة بالفتح: اسم منه، وأشقاه الله بالألف، انتهى.

(شَيْئًا معاشر الحاضرين، أو جمع المسلمين) فإن الذاكرين لله رب العالمين هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، وهذه الكتابة قديمة بالنظر لما في العلم، حادثة بالنظر لكتابة القلم، عليّ بن في اللوح المحفوظ عن التحريف على الصحيح المختار عند أئمة التعريف، وكذلك بالنظر للفروع المتجه منه، المسماة بألواح المحو والإثبات، وكذلك جاء في الخبر عن سيد البشر: «إذا استقرت النطفة في الرحم اثنين وأربعين صباحًا»

وفي رواية: «إذا مضت على النطفة خمس وأربعون ليلة»[1].

وفي رواية: «إن النطفة إذا استقرت في الرحم فمضى لها أربعون يومًا»[2]، ولعل

(1) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (4/ 593)

(2) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (4/ 592)

مسؤول من الملك والكتابة تكرر لملازمة الملك لها، ومراعاته لحالها، وفي خبر حسن: «أتى ملك الأرحام فخلق لحمها وعظمها وسمعها وبصرها، ثم قال: يا رب أشقي أم سعيد؟ فيقضي الله، ويكتب الملك، ثم يكتب رزقه وأجله وعمله، ثم يخرج الملك»[1].

وفي رواية: «إذا أراد الله ﷻ أن يخلق النطفة خلقًا، قال ملك الأرحام معرضًا: أي رب، شقي أم سعيد؟ أذكر أم أنثى؟ أي رب، أحمر أم أسود؟ فيقضي الله أمره، ثم يكتب بين عينيه ما هو لاق من خير أو شر حتى النكبة ينكبها»[2].

وفي رواية: «إن ملكًا موكلاً بالرحم بضعًا وأربعين ليلة، إذا أراد الله أن يخلق ما شاء بإذن الله فيقول: أي رب ذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك، ويكتب الملك، ثم يطوى ما زاد وما نقص»

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - في شرح الحديث الرابع من الأربعين، بعد كلام في بيان اختلاف روايات الخلق، وكتابة الملك طويل، وجمع بعضهم بأن ذلك يختلف باختلاف الناس، فمنهم من يكتب له عقب الأربعين الأولى ومنهم من يكتب له عقب الأربعين الثالثة، ولعل الجمع بهذا أولى من قول القاضي عياض، وإن أقره [...] ثم يبعث، وما بعده معطوف على الجمع ومتعلقاته لأعلى، ثم يكون مضغة مثله؛ ثم يكون علقة مثله، ومتعرضان بين المعطوف والمعطوف عليه، ومن قول غيره أنها تكون مرتين: مرة في السماء، ومرة في الأرض في بطن أمه، وظاهر رواية البخاري أن النفخ بعد الكتابة، وفي رواية البيهقي، عكسه، قيل: من تصرف الرواة، أو المراد ترتيب الأخبار فقط، لا ترتيب ما أخبر به، انتهى.

وعنه ﷺ: «السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه»[3]، وعنه ﷺ: «ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، إلا وقد كتبت شقية أو

---

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير (3/ 176)

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير (3/ 176)

(3) رواه أبو يعلى في مسنده (10/ 154)

(4) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 107) بنحوه

(5) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 107)

سعيدة، قيل: أفلا نتكل؟ قال: اعملوا ولا تتكلوا؛ فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة»(1)

وعن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ وهو يطوف بالبيت يقول: (اللهم إن كنت كتبتني في السعادة فثبتني فيها، وإن كنت كتبتني في الشقوة فامحني منها وأثبتني في السعادة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب)، رواه اللالكائي، كما في «منتخب كنز الأعمال»، وفيه عن الحسن بن أبي، أظنه ذكر عن عبد الله بن مسعود قال: كان إدريس النبي ﷺ يدعو بدعوة، وكان يأمر ألا يعلموها السفهاء، فيدعون بها، فكان يقول:

(يا ذا الجلال والإكرام، ويا ذا الطول، لا إله إلا أنت، ظهر اللاجئين وجار المستجيرين، وأنيس الخائفين، إني أسألك إن كتبتني في أم الكتاب شقيًا أن تمحو من أم الكتاب شقائي، وأثبتني عندك سعيدًا، وإن كتبتني في أم الكتاب محرومًا أو مقترًا علي في رزقي أن تمحو من أم الكتاب حرماني واقتاري، وارزقني وأثبتني عندك سعيدًا موفقًا للخير كله)، رواه ابن عساكر

قال شارح «الدلائل» ـ رحمه الله تعالى ـ عند قول الماتن: وجرى به قلمك في كتابك: أي به اللوح المحفوظ، والفروع المنقسمة منه، ولنا اللوح المحفوظ ظاهر الأخبار أنه فرغ من كتابته قبل خلق السموات والأرض، وقد كتب فيه مقادير كل شيء، وما هو كائن إلى يوم القيامة، وإنما المكتوب بعد ذلك الفروع المنتحية منه، كالفروع المنتحية من الأصل، وفيها يقع الإثبات والمحو على ما ذكره في الآية.

وقال عند قوله: (قدر ما جرى به القلم في أم الكتاب): هو اللوح المحفوظ، وأما قوله: (يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب)، فقال ابن عباس وغيره: إن أم الكتاب أصله الذي لا يغير منه شيئًا.

قال المحلي: وهو ما كتب في الأزل، بخلاف المكتوب في غيره كاللوح المحفوظ، وهذا خلاف ما تقدم لغيره منه.

(وجرى به قلمك)، في الحرف الثاني: إن اللوح المحفوظ لا يقع فيه محو ولا تغيير،

(1) رواه مسلم (4/ 2039) بنحوه.

ولم يقع ذلك في الفروع المتجه منه، والله أعلم، واستعيد له لفظًا لجمعه ما يكون بين يوم عدمه، أو لأنه أصل النسخ التي بأيدي الملائكة، وهذا أبين، والله أعلم، انتهى

وقال الشيخ الكمال في «شرحه الصغير»: الثالث، أي: من التنبيهات أم الكتاب في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:39]، عبارة عن علم الله تعالى الأزلي القديم، الذي لا محو فيه، ولا إثبات على ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:39]، أي: أصل اللوح المحفوظ، وهو علمه تعالى، وأما اللوح المحفوظ فالحق جواز وقوع المحو والإثبات فيه، كصحف الملائكة، كما بسطناه في الأصل، والله أعلم، انتهى.

وقد قسم سيدي عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه في الباب 128 من «الإنسان الكامل» المقضي به المقدر في اللوح المحفوظ إلى نوعين: مقدر لا يمكن التغيير فيه ولا التبديل، ومقدر يمكن فيه ذلك، ثم بين وجه كل نوع، ثم قال: **فالقضاء المحكم**، هو الذي لا تغيير فيه، ولا تبديل، والقضاء المبرم هو الذي يمكن فيه التغيير، ولهذا ما استعاذ النبي ﷺ إلا من القضاء المبرم؛ لأنه يعلم أن يمكن أن يحصل فيه التغيير والتبديل، قال الله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 39] بخلاف القضاء المحكم، فإن المشار إليه بقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: 38]، وأصعب ما على المكاشف بهذا العلم معرفة القضاء المبرم من المحكم، فيتأدب فيما يعلمه محكمًا، ويشفع فيما يعلمه مبرمًا، وإعلام الحق له بالقضاء المبرم هو الإذن له بالشفاعة قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255] إلخ.

واعلم أن علم اللوح هو تفصيل إجمال علم القلم، وتفصيل ما في اللوح مفصل في الألواح، وكل مدخل قلم ومفصل فيه لوح بالنسبة لما دونه، ولذا سمي اللوح بالنفس الكلية، فهو بمنزلة حواء من آدم عليه السلام، وليس فوق العلم موجود محدث يأخذ منه، يقال له النون، كما ذهب إليه المحققون، وإلى الكشف عن علومه ينتهي الراسخون، وما بعده لا غيب لمحدث عن نفس المنزه المصون، فكل من وصلت حقيقته إليه، وحققت تدنيه عنده، فقد أحاط بعلومه، إذا حاطه المحيط، وزج به في نور بحور فهومه التي لا يسمع بها غطيط، وأخبر بعض الأفراد ممن هو للوقوف سقيط إنه عاين لبعض الفقراء ممن رتبه

رحاب، فليس بسيط، هذا المقام الباذخ الشامخ الوجيز الوسيط المركب البسيط، مع عدم شعوره بلمعان نوره من التخليط والتفريط، وقد ورد في الحديث الشريف: «الكرسي لؤلؤ، والقلم لؤلؤ، وطول القلم سبعمائة سنة، وطول الكرسي حيث لا يعلمه العالمون»[1].

وعنه ﷺ: «إن الله خلق لوحًا محفوظًا من درة بيضاء، صفحاتها من ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، لله في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء»[2]، وربما برز من غيب الذات إلى شهادة القلم، ما لم يكن فيه قبل ذلك ارتسم، ومنه يبرز على اللوح المحفوظ الوجود، ومنه إلى الألواح ومنها الشهود، وتسمى الحضرة الأولى حضرة الإطلاق، ومنها يعمل الملك الخلاق ما أراد، والكل في وثاق دونه وإملاق، يرجون فيض فضل يتدفق بإطلاق، ويخافون سطوة قهر توجب انغلاقًا عن انعلاق، ويرهبون من كتابة في ديوان أشرار، تمنع التلاقي يوم التلاق، لذا قال: (وَاكْتُبْهُ)، أي أثبته (عِنْدَكَ) في المرتبة العندية الخاصة، (فِي دِيوَانِ الْأَخْيَارِ)، أي، الذين اخترتهم من خلقك، وصافيتهم وصفيتهم، واصطفيتهم وكنفتهم، فإن من جعلته من أحبائك فقد دخل في جوارك، ومن دخل حرز ذمتك، فلا يخفره شيء؛ لعظيم سطوتك؛ لأن من عادى لك وليًّا فقد آذنته بالحرب، حكمًا مقضيًّا؛ إذ قد سبق في علمك الذي فيه المختار حار، أن الأخيار بهم عمار هذه الدار، وبهم تقضى الحوائج وتستنزل الأمطار في الأقطار، وأن بهم يدور الفلك الدوار مدى الأدوار، وأن رؤيتهم تذكر العزيز الغفار، وخصيتهم بأمور لا تسعها أسفار، ولا تحملها عقول معقولة ولا أفكار، وإذ كان نور المؤمن العاصي يطبق ما بين السماء والأرض ولو ظهر لأعمى عن الآفاق، فكيف بنور الصالح أو أحد الأبرار؟ وكيف بخيرة الحق المصطفين الأخيار؟ ولذا قال بعض من رفع له الأستار: لو ظهر وليٌّ الظهور التام بما هو عليه من علوم وأسرار وأنوار وأطوار، وتصرف واقتدار، مما خصه به الولي الجبار، لعبد من دون الله الواحد القهار، فاحذر رذائل الأخلاق الفجار، واسعَ في اجتناب الأوزار من الأفكار، فإن فيه البوار والخسار، لأن الفجور لأحدهم شعار، ولا تدخل يدك في فم التنين فتقضمها ثم تحمل على الأقدار، فمن حمته

(1) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (3/ 180).

(2) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (7/ 191).

الأقدار لتوفي لصحة أهل الحضور والإحضار، مع الأدب والحشمة والوقار، ومن الخذلان؛ لأن ركوب الأخطار فيما هو ضد هذا الخلق الموجب للعار والشنار، وكثير من أهل الجهل بنفسه، من رفع الله له المقدار من سخفاء العقول وضعفاء الأفكار، الذي هو كناموسة أو دونها بالنسبة لأفيال الإعصار، وجبال الأمصار، يروم أكبر نفس بالأصبع إليه يشار أن يتصادم مع من حصنه الله تعالى بقوة تضعف عنها كبار الشهر، فضلاً عن صغار صغر، فيدثر أي اندثار، وتضمحل لبطش ذي البطش الشديد منه، فمنه لا ذر، ومن تداركه الرحيم بلطفه نجاه، بعد ما كاد أن يسقط من شفا جرف هار، فإياك ومعاداة أهل الله الذين هم الصنائع إن أردت قرب المزار.

واعلم أن الكتابة على أقسام:

كتابة حق في نور نور صدق، وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام : 52] أي: أوجب على نفسه بنفسه من غير إيجاب موجب؛ لأنه لا يجب عليه تعالى شيء، ومنها قوله ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء - أي أوجبه - فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليُرح ذبيحته»[1].

وعنه ﷺ: «إن الله لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه. إن رحمتي سبقت غضبي»[2].

وكتابة خلق في خلق بواسطة قدرة حق، ككتابة القلم في اللوح.

وكتابة تمييز ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ [الزخرف : 32]، ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [الأنفال : 37].

وكتابة إذلال وتعزيز، يُعز من يشاء ويذل من يشاء.

وكتابة إلقاء. وكتابة أهل الفروض، ووهمه وسره وقلبه وعمله ونفسه، فمن كانت كتابته نفسية كانت كتابته ظلمة في ظلمة، لا تقرأ ولا تدرى، وإن قرين فوهمٌ لا

(1) رواه مسلم (3/ 1548).
(2) رواه البخاري (6/ 2700) بنحوه.

بصدد فيه، وإن كانت عقلية فممتزجة، أو قلبية فالتورية عليها أغلبية، وكذلك الروحية والسرية، واللوحية المسوية لألواح المحو فهو محت، لكي يظهر ويخفى، فإذا كتب فيه ظهر، وإذا محي اختفى، وقد يُمحى الشيء مرارًا ويكتب، فمن نوى على الحج مرةً وما يجمع ذ، على أن الكتابة فيها وقعت كذلك، وإن ثبتت لعدم تقدير الحج مثلاً في عمر ذلك، مما لا تحصيه سالك، وكل من كتبه الحق في ديوان الأخيار عنده فقد تحقق عليه جوده وحسنه ورفده، وقد عقد في هذا التوسل، سائلاً فيه القول ما حييت قائلاً شعر

محص ذنوبي إلهي جملة بظهور آثار اسمك الغفار
وامح اسمي من رق الشقاء واكـ ـتبه في درج الذين نصبت من أخيار

ووجه المناسبة بين هذا التوسل وما يليه أن المؤلف عفى الله عنه ذنوبٌ من خير تخليه، لما طلب تمحيص ذنوبه، وتخليص ذنوبه، ومحوَ اسمه من ديوان الشقاوة، وكتابته في ديوان الخيرة للسقاوة، وقام بأبواب طلب المغفرة، يرجو سماع خطاب كمهب الرضوان مسفرة، طاب وقوفه، وجال في ميدان الرجاء شعوفه، فبينما هو منتظر صباح ملهوف لسرية سمع لبلابل القلبية؛ إذ سمع النداء، وقد طرقه طارق نوره بدأ في الطلب من الطهرة، والانسراح في درج أهل الطهارة، هل أنت أسير للسوى؟ أم حر وطالب صدف أم در؟ فنادى لسان الرجل مطرقًا رأسه من الخجل

قال المصنف:

(حرف النون)

[إلهي نَحْنُ الأُسَارَى فَمِن قُيُودِنَا فَأَطْلِقْنَا وَنَحْنُ العَبِيد فَمِن سِوَاكَ فَخَلِّصنَا وَأَعْتِقْنَا يَا سَنَد المُستَبِدين ويا رَجَاء المستجيرين إلهنَا وَإِله كُل مَأْلُوه وَرَب كُل مَرْبُوب وَسَيد كُل ذِي سِيادَة وَغَايَة مَطْلب كُل طَالِب نَسْأَلُك بِأَهل عِنَايَتِك الذي احتَطفتهُم يَد جذباتك وَأَدْهَشتهُم سَناء تَجلِيَاتِك فَتَاهُوا بِعَجِيب كَمَالاتِك أَنْ تَسْقِينَا شَربَةً من صافي شراب أَهْل مَودتك الرَّبانِيون وَعَرَائِس أَهْل حَضْرَتِك الذين هُم فِي جَمَالِك مُهَيمُون]

قال الشارح: (إلهي نَحْنُ الأُسَارَى). جمع أسير، أي معاشر المسلمين، أو جميع الأعضاء والجوارح، ونحن كما في «القاموس»: ضمير، يُعنى به الاثنين والجمع، مخبرين عن أنفسهم، مبني على الضم، أو جمع أتى من غير لفظها، وتحرز الحرة لالتفاء

لسكس، وضُمّ: لأنه يدل على الجماعة، وجماعة المضمرين تدل عليهم الواو نحو فعلوا، أو أنتم، والواو من جنس الضمة.

وقال فيه الأسير الأخيذ والمقيد والمسجون. جمعه أسرى وأسارى وأسارى، انتهى.

و علم أن الأسارى من الحيارى السهارى، جلت عن العد أقسامهم، وحسب عن حد فهمها، فأسير ذنوب وخطوب وغيوب وعادات وعادات ودعوات، وظهور وخفاء وحبور وجفاء، وأسير أحوال وأعمال وأقوال ونوال، وأسرار وأنوار وأطوار وأغيار، ومنهم أسير نفسه، فلا يستطيع خلافها، وأنفسه راعيًا فيه وإن صدقت النفس تلافيه، وقدسه ليسقي في حضرة القرب سلافها، وطمسه ليعني عن أيمين فلا يرى أرضًا ولا سلافها، ومنهم أسير الفتوح؛ لإصلاح روح، فيقف عنده فلا يتورى، فيوقفه بوقوفه كثير مقدمات، والجهل بها للوقوف أداة، ومنهم أسير كشف وحصير رشف، ومنهم أسير علم نور من عوالم ظل الضواحي، ما ينوف على أربعمائة من الرحب، حبسوا في ذلك العلم؛ لما وقفوا لديه، وظنوا أن ليس فوقه لما وصلوا إليه، ومنهم أسير علم الشموس الضحية والنفوس الضاحية، وهذا العالم عالم أرض السمسمة برشحة من طلة، ولمحة نور من طله، ومنهم أسير عالم الحقائق الذي ينتهي إليه سير الدقائق، وشهود الحقيقة في هذه الطريقة العريقة عزيز للنمال، غريب المثال، الواصل إليه أقل من القليل، ولو قف عنيه أجل كل جليل، ألا ترى قول العارف النبيل:

حقيقتي همت بها، وما رآها بصري	ولو رآها لغدا قتيل ذلك الحور

هذا كلام المحيوي، فكيف بغيره ممن لم يبلغ عشر عشر عشر سيره؟ وكثير من الأولياء الكرام ممن يمشي على الماء، ويطير في الهوى، لا يستطيع شم رائحة علم نصوحي، ولو شمه لارتوى، فكيف بعالم الحقائق الذي لا يدركه عبر رق حاذق مدقق؟

وقلت في المقام السابق:

ولي مدة أبغي وصال حقيقتي	وتلك جاويتي بحبا الواصل
وكم سألتها النفس كشف لثامها	وإسماع ذكر كم به ناه واصل
وكم عاينت نفسي عليها؛ لمنعها	شهود جمال فيها، فات حاصل
وكنت أرى أني أراها بلا أمر	قبيل مشيها خصنا بي ناصل

ولم نستطع نفسي اعتزالاً لعربها   كما اعتزل البصري في الدرس واصل
وذلك من فرط اقترابي بها، لنأيه   كنيل إسحاق إلى الحد واصل
وقد هبطت لي من سماها نزلةً،   وبي انقذت ما لاح للعين فاصل

(فمن قُيُودِنا) المانعة لنا عن شهودنا، التي من جملتها النفس والشيطان والهوى وسائر ذوات الأنواء، ومن جملتها ضعف الوجود عن حمل أعباء الورود (فَأَطْلِقْ) أي أخي معبود، ومن القيود المانعة الغفلات المختلفة، وبها ضعف العين عن نظر الحق لكل عين، والسمع عن سماع كل مسموع، وشم كل مشموم مفترق ومجموع ومقيد ببقية الحواس الظاهرة والباطنة، دون التماس، فإذا أراد الحق سبحانه وتعالى أن ينعم على عبد بالخلاص، وينعم سره بدخول دوائر المطلقين من أهل الاختصاص، فتح له باب القرب، وأذن له بالشرب، ومنَّ بجوده المنساب الطلاء عليه بكحل الجلاء الخاص، فتقوى به بصر مقدرك أنوار تكلّ عنها أهل الأقفاص، وارتوت عوالمه الباطنية من الشرب الزنجبيلي السلسبيلي، وتعدت من المزاج الكافوري المستمد من الروح الجبريلي، فهي تفصح قيوده، وتحقق على رؤوس الرؤساء سوده، وما دام العبد يسرها، وظل حصيرها، فهو محجوب غير موهوب، فلذا قال (فَأَطْلِقَا) أي فك وثاقنا وعقالنا؛ لنسري من غيب ومن لدن، ونفوز بكمال الإطلاق من القيود، ونحل عنها الوثاق المشهود، أو المعنى: نحن المسجونون في سجن سجين الطبيعة، المقصودون بقيود عوائد نفسية توجب القطيعة، فمنّ على أرواحنا الشريفة بإطلاقها؛ لتسرح في المقامات المنيعة.

(وَنَحْنُ العَبِيدُ) المعروفون بالتخصيص والتأييد، المعروفون في سجن سيود السوى، امتحنًا مصحوبًا بتشديد.

(فَمَن سِوَاكَ) يا شهيد يا مريد، (فَخَلِّصْنَا)، أي سلمنا ونجنا، (وأَعْتِقْ) يا حميد من أسر سائر العبيد لنحوز درجة الأحرار، ونفوز بدرك الأسرار.

والحرية في الاصطلاح: على الانطلاق عن رق الأغيار، وهي على ثلاث مراتب:

- حرية العامة عن رق الشهوات.
- وحرية الخاصة من المرادات؛ لفناء إرادتهم في إرادة الحق.

وحرية خاصة الخاصة عن رق الرسوم والآثار، لا نمحاقهم في تجلي نور

لأنوار، ذكره القاشاني، بلغه الله أرفع الأطوار.

وقال الإمام القشيري ﷺ في «الرسالة»: الحرية ألا يكون العبد تحت رق المخلوقات، ولا تجري عليه سلطان المكونات، وعلامة صحته سقوط التمييز عن قلبه بين الأشياء، فتتساوى عنده أخطار الأعراض.

قال حارثة: عزفت نفسي عن الدنيا، أي: انصرفت، فاستوى عندي حجرها وذهبها، سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق - رحمه الله عليه- يقول: (من دخل الدنيا وهو عنها حر، ارتحل إلى الآخرة وهو عنها حر)، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا محمد المراغي يحكي، عن الرقي، عن الدقاق - رحمة الله تعالى عليه - إنه كان يقول: (من كان في الدنيا حرًّا منها، كان في الآخرة حرًّا منها)

واعلم أن حقيقة الحرية كمال العبودية، فإذا صدقت لله عبوديته خلصت عن رق الأغيار حريته، وأما من توهم أن العبد يسلم له أن يخلع وقتًا عذار العبودية، ويحيد لحظة عن حد الأمر والنهي، وهو مميز في دار التكليف، فذلك انسلاخ من الدين، قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: 99]، يعني الأجل، أجمع عليه المفسرون، ثم إن الذي أشار به القوم من الحرية هو ألا يكون عبد بقلبه تحت رق شيء من المخلوقات، لا من أعراض الدنيا، ولا من أعراض الآخرة، فيكون فردًا لفرد لم يسترقه عاجل دنيا ولا حاصل هوى، ولا آجل منى، ولا سؤل، ولا قصد، ولا أرب، ولا حظ إلى آخر ما في المستطاب، وتكلم سيدي محيي الدين على الحرية في «فتوحاته» بما لا مزيد عليه، عمّنا الله بإمداداته

واعلم أيها الشارب في أراضي تركك الاختيار الشارب من بحر مراضي العزيز الجبار أن العتق من رق الأغيار هو الحرية، الذي فيها فك عنق السيار من أسر الغير، وصاحبها موصوف [بالستائر]، وفيها رفع العلو والشنار، ويرفع الأستار في الديار، فلا يدخلون تحت حكم السوي بشيء ميل السيار، ويقطع أوصال الأسفار في الأسفار، فمن تخلصت عبوديته لربه عتق من رق السوي والآثار، وسلم من الاحتجاج بالأطوار عن نور الأنوار، ولم يكن عبدًا للدرهم ولا دينار، بل عبد الله على الحقيقة، وهذا هو عبد المختار، ومن المعلوم [عند] أرباب الفهوم أن طوق العبودية للحي القيوم لا ينفك

من أعاقه في هذه الدار، وفي تلك الدار، لكن هذا الطوق أوجه تتحقق، وتمرّ حرية خاصة خاصة الأخيار، وثم استواء تتعلق به الخواص من السادة الأبرار، وبه هبوط عنه سقوط عامة العامة ليوم الفرار.

وقال سيدي عمر ـ عمره الله بسحب الأسرار:

عبد رق مبارق يوماً لعتق ... لو تخليت عنه ما خلا كالطاهر

هذا البيت يلمح لقضية أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وخاصة يلوح لشرف مقام العبودية، وإن المتحقق فيها، والذائق لها، لو خيره مولاه بين الرق والحرية، لاختار الرق، ولم يجنح للحرية بالكلية.

وقلت في هذا المعنى:

أنا في رق حبيبي وبرقي خل أرقـ ... ـاه إن يخيرني بعتق، لم أكن اختار عتقا

وقلت:

لست أرجو العتق من رق الهوى ... كيف أرجو وفي الرق ارتقاء

إنما أرجو بأن يعتقني مالكي ... من رؤيتي بعد اللقاء

وكيف يطلب العبد عتقًا وهو أسير عتق، وهو أسير مولاه حقًّا؟ ولو خير بين الفاني والباقي، لاختار الباقي صدقًا، وكل من اختار غيره، فتبًّا له، وسحقًا.

ولقد قلت سابقًا:

بحق الهوى جودوا بكأس وما لكم ... دهاقًا، وإلا خاسر وفي باليقي

ولو أنني خيرت ما أخذت غيركم ... ومن ذا الذي يختار من عن الباقي

(يَا سَنَدَ المُسْتَنِدِينَ): السند في اللغة: معتمد الإنسان، أي يا عمده من يعتمد عليه، ليبلغه الأمان.

روى الديلمي عن عمر وعلي رضي الله عنهما مرفوعًا: «إذا شجاك شيطان أو سلطان فقل: يا من يكفي كل أحد يا أحد من لا أحد له يا سند من لا سند له انقطع الرجاء إلا منك، فكُفّني مما أنا فيه، وأعني على ما أنا عليه مما قد نزل بي بجاه وجهك الكريم، وبحق محمد، آمين»

(ويا رجاء المستجيرين). الرجاء ضد اليأس، والمعنى: يا من لا يرجو المستجير به سواه.

قال الإمام السخاوي رحمه الله في «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع»: وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «اللهم إني أسألك يا الله يا رحمن يا رحيم، يا جار المستجيرين، يا مأمن الخائفين، يا عماد من لا عماد له، يا سند من لا سند له، يا ذخر من لا ذخر له، يا حرز الضعفاء، يا كنز الفقراء، يا عظيم الرجاء، يا منقذ المهلكين، يا منجي الغرقى، يا محسن يا منعم يا متفضل يا عزيز يا جبار يا منير، أنت الذي سجد لك سواد الليل، وضوء النهار، وشعاع الشمس، وحفيف الشجر، ودوي الماء، ونور القمر، أنت الله لا شريك لك، أسألك يا الله أن تصلي على محمد عبدك ورسولك، وعلى آل محمد»[1]. انتهى.

ولما سأل المؤلف رحمه الله تعالى فك القيود، والإطلاق من الوثاق المسدود، والعتق من رق السوى، الذي من تخلص منه كان خير حوى، عالمًا أن مولاه عماد من لا عماد له، ورجاء مستجير علق به أمله، وأنه كان لمن أوى إلى ركن شديد، وحصن منيع رفيع مشيد؛ كما في الحديث: «رحم الله لوطًا؛ يأوي إلى ركن شديد، وما بعث الله بعده نبيًا إلا في ثروة من قومه»[2]، رواه أحمد والترمذي، عن أبي هريرة، ووجه المناسبة بين هذا التوسل والذي تلاه أن الاستناد لما كان مقصورًا على الحق لا سواه، والرجاء محصور بمحض حق العبد وسواه، وسمع الأواه قول مولاه: ﴿كُونُوا رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: 79] أي: منسوبين للرب معاشر الموحدين، وهذا لا يكون إلا بالعناية الإلهية، والنفحات الخفية، والتجليات البهية، والكمالات البديعة، طلب بعد فك القيود والتقدير بمرسم الحدود، أن يسقيه شربة من صافي شراب أهل مودته، وعرائس أهل حضرته الذين وصفهم ربانيين، ونعتهم حسنيين، وهذا الشراب هو الذي يحقق للطلاب دور الإقدام والغناء، ودخولهم عرين مقامات البقاء ليوم التهاني، فناسب هذا التوسل مناسبة تامة للثاني؛ إذ هو سحابة رعيه المعول لدى المعاني للمعاني.

(إلهَ وَرِيه). منصوب على أنه منادى مضاف، وأتى بنون الجمع من كونه ناشئًا عن

[1] رواه الديلمي في الفردوس (1/ 450).

[2] رواه الحاكم في المستدرك (2/ 611).

مجموع أحوائه، أو عن الأمة كل بالحد على الإضافة، وسبق في أول التوسلات الكلام على (كُلِّ مأْلُوه)، والمألوه: هو المعبود الذي عُبِد حقًا كان أو باطلًا، والمراد به هنا المعبود باطلًا، فإن العبادة لا يستحقها إلا الله تعالى وحده، قال الله تعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23]، وقضاؤه واقع لا محالة بلا اشتباه، ولهذا أخبر تعالى عنهم أنهم قالوا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾ [الزمر: 3]، فهو الحق المستحق للعبادة، والمراد المعرفة بالسيادة والنور الذي للظلام ماحق وإذا جاء الحق فالباطل زاهق (وَرَبّ)، أي مالك، (كُلِّ مَرْبُوب) أي: مملوك.

قال في «القاموس»: ومربوب بين الربوبية مملوك (وَسَيِّد)- أي: مولى، يسود سيادة، والاسم: السؤدد، وهو المجد والشرف، فهو سيد

(كُلِّ ذِي) أي: صاحب (سِيادَة) أي: مجد وشرف

قال في «المختار»: وساد، والأنثى سيدة بالهاء، ثم أطلق ذلك على الموالي؛ لشرفهم على الخدم، وإن لم يكن لهم في قومهم شرف، فقيل: سيد العبد وسيدته، وجمع سيدات، وزوج المرأة يسمى سيدها، وسيد القوم رئيسهم وأكرمهم، والسيد المالك (وَغَايَة)- أي: منتهى (مَطْلَب)، أي: مطلب، (كُلِّ طَالِب) أي: قاصد، والطلاب ثلاثة:

طالب دنيا، وأخرى، وطالب الله، وهو أعز الثلاثة، ولهذا لم يذكره الله، ولا أشار إليه؛ لعزة وجوده وعزته عليه

(نَسْأَلُكَ) أي: نتوجه ونبتهل ونتضرع إليك بسر (بِأَهل) الأهل من كل شيء: خاصته، وفي «القاموس»: وأهل الأمر ولاته، والبيت: سكانه، والمذهب: من يدين به، والرجل: زوجته، والنبي ﷺ: أزواجه وبناته، وأهل الله: سكان مكة والصوفية؛ لسلوكهم طريق الله

(عِنَايَتِك)، الذين اعتنيت بشأنهم في السابقة، وأحسنت إليهم في الخاتمة واللاحقة، وخلعت عليهم خلع العناية، وأمرت جبريل ﷺ بحبهم فأحبهم، ونادى بحبهم في السماء صريحًا لا كناية، فأحبهم أهل السماء والأرض قسرًا ليوم العرض والعناية، فسبقت لهم هداية ورحمة ورعاية وكفاية، فأهلها هم الفائزون بنفحاتهم، الحائزون قصب السبق في مرضاتك، وهم (الَّذِي اخْتَطَفْتَهُم): استلبتهم عنهم، وأخذتهم منهم، (يَدُ جَذَبَاتِكَ) جمع جذبة،

وهي كما قال القاشاني رحمه الله تعالى: تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية مهيّئ له كل ما يحتاج إليه في طي المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعي منه. انتهى

والجذب في اللغة: المد، وتحويل الشيء عن موضعه، وناقة جاذب وجاذبة: قل لبنها. والمراد المعنى الأول، فإن الجذب فيه مد، أي تكبير وتكثير للمجذوب، أي تكبير حقائقه وتكثير رقائقه ودقائقه، وكذا المعنى الثاني، فإن له فيه تحويلاً من مقام إلى مقام، ومن حال إلى حال، من مقام إلى أعلى مقام ومن حال إلى أرفع حال

فإن جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين، ولها علامات قلبية يجدها السالك دون معين، وهي: حصول انجذاب لقلبه بسلاسل اقتراب يحس بها سيار، فيرى قلبه مجذوباً للسماء أوّاب تهل بسحاب أعراب عن معاني أحباب، ويعاين ذلك بطريق الوجدان والذوق، فلا يسعه نكران ما شاهده قلبه بالعيان، فإنه لين في طوق من يأكل من فوق، وكان بعض الفقراء إذا عاين هذا الشوق إلى الجهة الفوقية يأخذه هيمان وشوق، ويتعجب من قلب طائر لا إلى حد محدود، وجسم واقف حائر موثق بقيود، ويتأيد ما يقع في اليقظة من هذا الحال بالروايات الصادقة من رؤية طيران السالك في عالم الغيب، ومن عروجه من سماء إلى سماء، ومن مقابلة الشمس، وارتقائه إلى الكرسي والعرش إلى حيث مرتبة الهمس

وهذا هو المعراج الروحي للمنهاج الموحي، والمدد القلم السبوحي

واعلم أن أهل هذا الجذب على أقسام كما أن أهل السلوك كذلك: فمنهم مجذوب سالك، ومجذوب دام له الجذب فإمداده غير مفتر، ومجذوب وقف بعد سيره وهذا هو الأشرف الأبتر

فالأول: يصلح أن يكون هادياً، والثاني: لا يمكنه السير في ذا الوادي، وكذلك الثالث والرابع، فإن الإرشاد يحتاج إلى كشف عين المراتع والمرابع، وكل من تقدم جذبه عن سلوكه دلّ على عناية المالك بمملوكه، لكن بشرط أن يصحب الجذبة السلوك ليعرف صعلوك عن سائر مقامات الملوك وتزول عنه فيها الشكوك، وبعض أهل الجذب ممن خصه الله بعنايته ومنحه وافر هدايته - ينكشف له بعد قطعه ميادين السلوك في لمحة عينها، ويشهده إياها فيدرك حقائق معناها، ويستمد منها، وهذا عند اعتناء الحق به ليقيمه د عبْ

مجذوب عنده يبهله مسهنا عاقلاً لم يتمه، فهو محبوب غير مطلوب، ومحمول لا حامل ومفعول كمن، مسلوب الاختيار مسلوب لا يجري له قدار عمل وبالعطاء قبل الطلب ممنوح بأنوار كشف العطاء والوهب؛ إذ قبضه وهبي لا كسبي ومدده حقيقي لا سببي، وقد بسطت الكلام على أقسام أهل الجذب الكرام في رسالة «العيان المغني عن التهذيب في بيان معنى أحوال المجاذيب»

وقلت في نتائج الجذبة الخلوة العلية:

جذبة الحق ترقي الحشا … وتنقي القلب عن اكتسا
وله تبدي فتفني حجبه … ثم تمحي حيث تمحو النسبا
وتزيح الستر عن ناظره … فيرى الكل ويلقى العجبا
وتريح الصب عن كل عنا … وتريه ما عليه وجبا
وبها يسلو العلوي عن قلبه … إذ لمحبوب الحشا قد خطب
ترعبنا يا مجاذيب الحمى … وعهدنا بجمال سلبا
حبه فرض على عاشقه … وسواه حسبه ما وجبا
إذ سواه عدم في نفسه … هالك، مثل خيال وهبا
عز أن يدركه الغير فلم … يره قلب سوى من نهبا
سار فيه عنه سيرًا باطنًا … وتحلى بسمات الأدب
وعليه قد تحلى جهرة … بثبات السنور، والسور سبا
وبه هام في بحر الهوى … علم؛ إذ قد نال منه الإربا
وصلاة الله تستلي دائمًا … وسلام ما محب قد صبا
لنبي قد فاق كل القربا … وعلى آل وصحب نجبا

وأما أقسام أهل السلوك ملوك الآنام

وقد ذكرهم الإمام سيدي محيي الدين المقدام في فتحه المكي المبين، الخصيم الصاهر، فقال عليه رحمة من السلام والسلام: السلوك عبارة عن انتقال من منزل عبادة إلى منزل عبادة بالمعنى، والانتقال بالصورة من عمل مشروع بطريق القربة إلى الله إلى عمل مشروع بطريق القربة إلى الله بعمل وترك، فمن فعل إليّ فعل، ومن ترك إليّ تركٍ، أو من فعل إلى ترك، أو من ترك إلى فعل، وما ثم خامس للصورة، والانتقال بالعلم من مقام إلى مقام ومن اسم إلى اسم، ومن تجلٍّ إلى تجلٍّ ومن نفس إلى نفس، والمنتقل هو السالك، والسالكون في سلوكهم أربعة أقسام.

- سالك يسلك بربه
- وسالك يسلك بنفسه.
- وسالك يسلك بالمجموع
- وسالك لا يسالك.

فيتنوع السلوك بحسب قصد السالك ورتبته في العلم بالله.

فأما السالك الذي يسلك بربه فهو الذي يكون الحقُّ سمعَه وبصرَه، وجميعَ قواه.

والقسم الآخر السالك بنفسه وهو الخبر الإلهي، واعتقاده إياه، ولكن ما حصل لهم هذا ذوقًا، فيكون الحق قواهم؛ فهم السالكون بنفوسهم في جميع مراتب السلوك.

وأما السالك بالمجموع، فهو السالك بعد أن ذاق كون الحق سمعه وبصره، وعلم أن السمع بالسمع ما هو عين السمع، ورأى ثبوت هذا الضمير وعاين عين من عاد، فعلم أن نفسه وعينه هي السميعة بالله والناطقة بالله، والمتحركة والساكنة بالله، وإنها المخاطبة بالسلوك والانتقال؛ فسلك بالمجموع.

وأما القسم الرابع وهو سالك لا سالك: فهو أنه رأى نفسه لا يشتعل بالسلوك ما لم يكن الحق صفة لها، ولا تستقل الصفة ما لم تكن نفس المكلف موجودة، ويكون كمحل لها؛ فصدق أنه سالك بالمجموع، وإذا تبين له أن المجموع مظهر بالسلوك بان أن المظهر لا وجود له عينًا، وإن الظاهر تقيد بحكم استعداد المظهر، ورأى الحق يقول ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ [الأنفال: 17]؛ فمن وقف على هذا العلم من نفسه علم أنه سالك لا سالك.

ثم اعلم أن السالكين الذين ذكرناهم على مراتب:

فمنهم: السالك منه إليه، وهو المنتقل من تجلٍّ إلى تجلٍّ.

ومنهم: السالك منه إليه فيه، وهو السالك من اسم إلهي إلى اسم إلهي.

ومنهم: السالك منه لا فيه ولا إليه، وهو الذي خرج من عند الله في الكون إلى الكون.

ومنهم: السالك لا منه ولا فيه، وهو الفار إليه في السلوك من الكون، كفرار موسى عليه السلام.

ومنهم: السالك لا منه ولا فيه ولا إليه، وهو المنتقل من الأعمال الظاهرة من الدنيا والآخرة، وهو الزاهد، انتهى.

قال الإمام الجيلي - قدس الله سره - بعدما سرد هذه العبارة: والواصلون - أي من أهل السلوك - ثلاثة: واصل إلى الأسماء الذاتية، وواصل إلى الأسماء الصفاتية، وواصل إلى الأسماء الفعلية؛ فالوصول إلى الذات ممتنع، وإلى الأسماء والصفات واقع، انتهى.

والسالكون: هم المسافرون، والأسفار ثلاثة على ما ذهب إليه الإمام المحيوي، وسبعة على رأي غيره من أهل السير المعنوي، وقد ألف في الأسفار كتاباً جمع فيه لبابها، فراجعه تظفر بالصراط السوي.

والكلام في هذا المقام يولد الكلام على المعاريج واختلافها، والأسرار الروحانية وعدم اتفاقها وائتلافها، فتركت طولاً والاختصار أولى عند أهل المراتب الذوقية، وعدم أعرافها، وفي إسناد اليد إلى الجلبات استعارة بالكناية عند أهل العناية، (تَسْأَلُكَ بِأَهْلِ عِنَايَتِكَ الذين أَدْهَشْتَهُمْ)، أي: حيرتهم وما خيرتهم، وحيرتهم وخبرتهم وسحرتهم (سناه)، أي: رفعة سناه، والرفع على أنه فاعل (أدهش).

(تَجَلِّيَاتِكَ) ومن شرحها، وعند مجاءتهم أنوار رفعتها وأسرار موارد محنتها، عندما عنهم تجلى لهم سحر غرتها وطابوا بطوق حلوها ومرها، في بر عريش برها ورشفهم عزتها، (فَتَاهُوا)، أي: ضلوا فلم يهتدوا، وهذا ضلال في عين الهداية وتيه في سحر الولاية، وهذه الحيرة المحمودة التي تُطلب الزيادة منها، وسبق الإفصاح عنها.

(بست شهود هم عجيب): وهو الذي جاوز حد العجب، قال في «القاموس» وأمر عجيب، وعجيب، وعجاب، وعجاب، وعجيب، عاجب، وعجاب، والعجب كالعجاب، والعجاب: ما جاوز العجب .. إلى آخره، فإن عجيب، على وزن فعيل مبالغة في العجب، فكل أمر يتعجب منه فهو عجيب، وما أفرط في العجب فهو عجيب، ألا ترى قوله ﷺ «عجبت وليس بالعجب، وعجبت وهو العجب العجيب، عجبت وليس بالعجب أني بعثت إليكم رجلاً منكم، فآمن بي من آمن بي منكم وصدقني من صدقني منكم، فإنه العجب وما هو بالعجب، ولكني عجبت وهو العجب العجيب لمن لم يرني وصدقني»[1]

(كمالات) جمع كمال، وهو في اللغة التمام، وفي الاصطلاح: التنزيه عن الصفات وآثارها، وعدم قبول الزيادة للمعنى المطلق، وأما كمال العبد فهو قبول الزيادة؛ لأنه في مزيد علم دنيا وأخرى، وكل من قبل الزيادة فهو ناقص؛ فالنقص إذاً بنا منوط وحبه بحبلك مربوط، وما ظهر في العالم كمال إلا من تجلي كماله، ولا جلال ولا جمال إلا من تجلي جلاله وجماله، والكمالات كلها مضافة إليه إضافة حقيقية، وإن أضيفت إلى الغير فبالنسبة المجازية.

قال سيدي محيي الدين عبد الكريم الجيلي - قدس الله سره - في الباب 135. إن كمال الله عبارة عن ماهية غير قابلة للإدراك والغاية، فليس لكماله غاية ولا نهاية، فهو سبحانه يدرك ماهيته ويدرك أنها تدرك، وأن لا غاية لها في حقه وفي حق غيره، انتهى.

أعني: يدركها بعد أن يدركها كبرياؤه وعدم انتهائه؛ لأنه لا يدرك إلى ما يتناهى.

وما هو فليس له نهاية بحال، وإدراكه لماهيته حكمي لاستحقاقه شمول العلم وعدم الجهل بنفسه؛ لأنه قبلت ماهيته الإدراك بوجه من الوجوه، وهذه مسألة شديدة الغموض فإياك أن تزلق فيها، فإنها مقام الحيرة، وفي هذا قلت من قصيدة طويلة:

أحطت خبيراً جملة ومفصلاً ... بجميع ذاتك يا جميع صفاته

أم جل وجهك أن يحاط بكنهه ... فأحطته، أن لا يحاط بذاته

---

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 306)

حاشاك من غادٍ وحاشاك أن تكن   بك جاهلاً وبلاه من حيراته

واعلم أن كماله سبحانه لا يشبهه كمال غيره؛ لأن كمال المخلوقات بمعنى موجوده في دونهم وتلك المعاني مغايرة لذواتهم، وكماله سبحانه وتعالى بذاته لا بمعنى زائدة عليه، فتعالى عن ذلك، فكماله عين ذاته ولهذا صح له الكمال المطلق والكمال التام، فإنه سبحانه - وإن نعتت به المعاني الكمالية - فإنها ليست غيره، فمعقولية الكمال المسوغة له أمر ذاتي لا زائد على ذلك ولا مغاير له، وليس هو بنفسه المعقولة، وليس لسواه هذا الحكم .. إلى آخر الباب.

ولما كان الكمال الإلهي له شمول واستيعاب لمرتبة الأفعال والأسماء والصفات والذات، قال: (بِعَجِيبِ كَمالاتِكَ)، أي: التي لا يحيط بها حد ولا يحصرها عد، والكاملون من كل الأنواع والأجناس مرايا كمال سيد الناس، والكمال المحمدي مرآة للكمال الإلهي السرمدي، فما تجلى الحق الكامل إلا من خلف الحجاب الكمال المحمدي؛ إذ هو الواسطة العظمى التي لا محيد عنها ولا وصول ولا حصول إلا منها، لكن ربما غفل عن شهودها مغلوب بحجبه مسلوب الاختيار قد لبس ثوب الإدلال، فيظن أنه أخذ عن الحق بغير واسطة المقتفى وهو محال - على كل حال - عند أرباب الوفا.

قال الإمام الجيلي - قدس الله سره - ونفعنا به في «لوامع البرق الموهن» الحضرة التسعة والثلاثون، حضرة التكميل. اعلم - أيدك الله تعالى - أن العبد يعجز عن تحققه بمقام الكمال المطلق فيكاد أن يمرء؛ لأنه يجد الطريق مصمتًا لا منفذ فيه، فيتحمل عنه النبي ﷺ بذلك الكمال الذي عجز هذا الولي عن التحقق به، فيعرف الولي الكلمة الحضرة إلى النبي ﷺ، ويشهده في ذلك الكمال فيقرب من قابليته وفيه من قابلية الولي؛ فيقوى بواسطته على التحقق بذلك الكمال؛ فيكمله النبي ﷺ بأن يتصدق عليه بدوام مرور رقيقه بعد رقيقه؛ ليكمل في كل مقام ويتقوى به لما يستحقه من ذلك المقام، فالتكميل لكل كامل إنما يكون من الحضرة المحمدية، علم بذلك مَنْ علمه وجهل مَنْ جهله، انتهى.

(أن سمعنا). هنا وما بعده المسؤول، وجمع على إرادة الأمة أو الحضار معه في الورد من روحاني وملك، ومن عمار الدار من مؤمني جن، وسكان الهواء من الملائكة الذين يحضرون عند الذاكر ويُؤَمِّنُون على دعائه ويصلون بصلاته، كما ذكره ابن أبي الدنيا في

كما في التهجد، أو على إرادة الملائكة الذين يحفون بحلق الذكر لما في حديث رواه أبو الشيخ عن أبي هريرة: «كل مجلس يُذكر اسم الله تعالى فيه تحفُّه الملائكة حتى أن الملائكة يقولون: زيدوا زادكم الله»(1)، والذكر يصعد بينهم وهم باشروا أجنحتهم، فكان المؤلف غفر الله له ولمشايخه وستر خلله لما علم بهؤلاء الجلساء الكرام عليهم السلام، قال: (أنْ تَسْقِيَ) مسترحمًا لعله بعض الأعلام أهل المجد والإكرام - حماه الله وعمر الأيام - لا تسقني وحدي، فما عودتني أني أشح بها على جلسائي، أنت الكريم وهل يليق بكريم أن تعدم ندماؤه الكأس! (شَرْبَةً)، مفعول تسقي، (مِن صَافي)، أي خالص، (شَرابِ أهْلِ مَوَدَّتِكَ)، أي أهل ودك الذين توددت إليهم في الأزل بلطائف الجود، وتوددوا إليك بدوام الإقبال والشهود، كما أنت الساقي لهم من الشراب الطهور بعد رفع البراقع عن عيون الفؤاد والستور.

قلت: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: 21، 22]، ولما صحت النسبة الربانية في هذه الأشربة الطهورية الغيبية كانوا هم (الرَّبَّانِيُّون) والرفع على القطع، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران: 79]، قال القاضي: و(الرباني) منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون، كاللحياني والرقباني، وهو الكامل في العمل والعلم، انتهى.

وقال سيدي سهل بن عبد الله رضي الله عنه: الرباني هو العالم بالله والعالم بأمر الله، والكاشف له من العلم اللدني ما غاب عن غيره، وقال أيضًا: الرباني الذي لا يختار على ربه حالًا، وقال الحريري - رحمه الله -: كونوا ربانيين، أي: سامعين من الله ناطقين بالله، وقال الفضل بن العباس الشكلي: كونوا كأبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإنه لما مات محمد ﷺ اضطربت الأسرار كلها لموته ولم يؤثر ذلك في سر أبي بكر، فقال: «من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»(2).

وقيل: الرباني هو الذي لا تستفزه محنة ولا تبطره نعمة، فهو على حالة واحدة في اختلاف الطوارق.

---

(1) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (15/ 358).

(2) رواه البخاري (1/ 419).

وقال سيدي جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه: كونوا ربانيين مستمعين بسمع قلوب وناظرين ما عين العيوب؛ كذا في «عرائس البيان» للشيخ روزبهان.

(وَعَرائِسِ أَهْلِ حَضْرَتِكَ)، أي: ملاحها وصباحها الفائقين على نعم برنه الظاهر والباطن بحسن السير، والفرح والسرور بالوصول لحضرة النور، والسكون بمحبوب والركون بمطلوب، والراقين على سرر الحضور في قصور ما بها من قصور، وهؤلاء العرائس هم أهل الخصائص والنفائس الذين تحلوا بأشرف حلي وحسن وتحنوا عن نعت خبي وخدن، فكانوا عرائس أحرف عاليات لم تقل إذ لكل شيء عروس بحسن مكمن، حتى الكلام المنزل فإن عروسه الرحمن كما جاء عن سيد الكمل، عروس حضرة الصمدية، وأنعم به من عروس عروش قوم وتومل، وهؤلاء هم ضنائن الحق من خلقه ودعائم خزائن القبة الخضراء من أهل رتقه وفتقه، المشار إلى علاهم في الحديث - الشريف المقدار - الذي رواه عن أنس خادم المختار، العمدة العفة بن النجار: «إن لله عبادًا يضن بهم عن البلاء، يحييهم في عافية ويميتهم في عافية»[1]، ومعنى يضن بهم: أي يمنعهم، وعنه ﷺ: «إن لله عبادًا يضن بهم عن القتل، ويطيل أعمارهم في حسن العمل، ويحسن أرزاقهم، ويحييهم في عافية ويقبض أرواحهم في عافية على الفرش؛ فيعطيهم منازل الشهداء»[2]، وفي رواية عنه ﷺ: «إن لله تعالى ضنائن من خلقه يغذوهم في رحمة، يحييهم في عافية ويميتهم في عافية، وإذا توفاهم إلى جنته. أولئك الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها في عافية»[3]، وهؤلاء العرائس الكرام لم يعرفهم إلا القليل من الأنام؛ كأصحاب الكهف والرقيم وحور المهدي عليه الصلاة والسلام بعد نزوله لقتل عدو الله، وأحياء ما اندرس من معالم الإسلام، وهم الحور المقصورات في الخيم؛ بل حالهم أغرب عند السادة الأعلام، وصنفهم الذي يعرفه الخواص لا العموم لدى الأعلام، وشهدناهم فيهم سألهم حين إذا وافقتهم بين يديك بأعلام (الذين هُمْ فِي جَلالِكَ مُهَيَّمُونَ)، أي: وفي جلالك كذلك، وهؤلاء الأرواح المهيمة من الجلال والجمال هي

---

(1) رواه الرافعي في التدوين (4/ 87)

(2) رواه الديلمي في الفردوس (1/ 182)

(3) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (6/ 265)

طاهرة عن أمور سبحات الكمال، وثم أرواح أنزل منهم قبض، خلقوا عن تجلٍّ ذاتي أخصّ، هائمون سكارى سائحون مسبحون في أرض بيضاء، لا يعرفون أن لله خلق سواهم لدهشتهم بسناء التجليات وهيامهم بمن سواهم.

قال سيدي محيي الدين - قدس الله سره - في «عقلة المستوفز» بعد ذكر بعض ما تقدم: وهذه الأرض خارجة عن عالم الطبيعة، ولا يجوز عليها الاضمحلال ولا التبدل أبدًا، وللإنسان فيها مثل وله حظ فيهم، وله في الأرواح مثال آخر، وهو في كل عالم على مثل ذلك العالم، انتهى.

واعلم أن لله تعالى رجالاً على أقدام هؤلاء الملائكة العظام، الذين هم أعلى الملائكة في الرتبة والمقام، وهؤلاء الملائكة لم يخاطبوا بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام؛ لأنهم لا يعرفون سوى من الهيام، وربما تجرد هؤلاء الرجال عن هياكلهم وقتًا واتصلوا بعالمهم، وهاموا بينهم وأقاموا عندهم أيامًا وأعوامًا، وهم غافلون عن تدبير أجسامهم، لا يدرون ماذا حصل لهم إنعامًا وإكرامًا؛ فإذا امتن الحق سبحانه وتعالى عبده ناب عنه، فلم يفوته صلاة ولا صيام، كما وقع للحاتمي - قدس الله سره - ذلك، وأخبر أنه أقام عنده عشر سنين، وسأل بعد ما ورد لهذا العالم أصحابه عن حاله، فقالوا: ما احتجب عنك شيء منه، فحمد ربه الذي حفظ عليه أوقاته، ومن جملة المقيمين في عالم الملائكة المهيمين الخضر العلس ﷺ ما طابت الأنفاس، ومن الناس من يكون منهم، وهذا ولي مقرب لم يدر بحاله، أكرمه الحق بستر الحال لئلا يحتجب بكماله ووصاله والأمور يعلمها المالك من هذا السالك.

ولقد قلت مشيرًا لأهل الهيام من كل مالك، ناح ناح أحسن المسالك من المهالك:

هبت بنسمة جمالك الأحباب	وتولهت بجلالك الخطاب
ونعم المتهيمون بقربكم	وتلذذوا بحظائكم؛ إذ طابوا
فهموا الرموز؛ لذا بها قد هيموا	دخلوا القباب ودقت الأطناب
رفعت لهم سجف الجمال فشاهدوا	نور الكمال، ودارت الأكواب
فهم السكارى من شراب حبيبهم	شهدوا، فلا حجب ولا حُجَّاب

غابوا به عنه بستر ظهوره ... بل عن مغيبهم به قد غابوا

قوم، لقد قاموا على قدم الوفا ... وبهم هنا كملت لنا الآداب

وعليهم عقد الدنو خصاص ... فتشير نحو علاهم الأقطاب

أنسابهم تسموا على كل الورى ... إذ تذكر الأنساب والأحساب

أسقاهم بأكؤوس خمرة قدسه ... وأماطها الوصف الجميل حباب

هي خمرة غيبية تا ... هت بحسن شعاعها الألباب

من يحتسي كأسًا لها شُلِبَ النهى ... إذ للقلوب عبيرها سُلَّاب

لم يقصد الطلاب غير كؤوسها ... وبشربها الطلاب لا ترتابوا

جلت فلا يخشى الملامة شارب ... منها، وليس على المدير حساب

فخلع عذارك والهنا في شربها ... فهي العباب، وغيرها فسراب

فنيس قوم أسكروا من دونها ... وتداولوا شرب المدام، وشابوا

قوم إلى المولى به أيوا كما ... ناموا، وحين دعوا إليه أجابوا

فبهم توسلنا إليك بذلة ... وكآبة، إن الذليل يجاب

إن تسقنا كأس الشهود مروقًا ... فبحار جودك لم تزل تنساب

ثم الصلاة مع السلام على الذي ... سعدت به النقباء والأنجاب

والآل والأصحاب ما وهب الصبا ... سحرًا، وما وهب إلينا وهاب

أو ما هنا العبد المتيم مصطفى ... وعليه ثابت فضله الثواب

أو ما رآه الهائمون لذي شذًى ... هامت بنعمة كمالك الأحباب

ووجه المناسبة بين هذا التوسل وما يليه أن المؤلف – سامحه مولاه الذي نعمه موليه ... ث يثني عليه بجواهر بواهر تدليه وتحليه شربه من الشراب الخاص أهل حبه،

من أهل العناية تدني للكأس عليه، بعدما طاش القلب وضمائمه من الحوس، عن محو غمه والكرب بعد قوة الخلمات تجليه، متحققًا أن الأمر الخاص يحتاج لمدد خاص في وقت خاص، وربما كان في مكان خاص لشخص خاص بعدما يخص قلبه بتسع خاص، ويتسع مع اتساع وارتفاع خاص؛ ليسعد لقبول الأمر الخاص فلا يؤثر في مراجه لابتدار حه المعصه في بحر المصطفى ﷺ وامتزاجه، ولولا انقسام أبواب هذا الاختصاص في مبهجه وانفساح حجر الاستعداد على زناد معراجه بأيد فيض خصوصي، لأصبح فجر بتلاحه لا يمحى أثر السالك في أول قدم من هذا السير وانطفأ نور سراجه، وحيث حقق أن لله خواص تذهب من العبد وافر أعراجه، ولها ظهور في الأمكنة والأزمنة والأشخاص تكشف نصب عن اندماجه في سندس القرب وديباجه، وعرف أن له في كل حضرة اسمًا خاصًّا يجلسه على منصة الحب، وفي كل عالم حياة خاصة تعظم له الشرب، وكان ممن يقوم بمهم لمسة، وهو من العلوم الخاصة الحق طلب الشراب الخاص بذكر الوقت الخاص.

فبهذا ناسب أن يقول المؤلف

(حرف الهاء)

إِلٰهِي هَٰذِهِ أُوَيْقَاتُ تَجَلِّيَاتِكَ وَمَحَلُّ تَنَزُّلَاتِكَ

قال شارح (إِلٰهِي هَٰذِهِ أُوَيْقَاتُ): مصغر أوقات، وهو جمع تكسير، قال الأشموني – رحمه الله تعالى – في شرح «الألفية»: وكل اسم متمكن قُصد تصغيره فلا بد له من ضم أوله وفتح ثانيه وزيادة ياء ساكنة بعده؛ فإن كان ثلاثيًا لم يغير بأكثر من ذلك، وإن كان رباعيًا فصاعدًا كُسر ما بعد الياء؛ فالأمثلة ثلاثة: فعيل نحو فليس، وفعيعل نحو دريهم، وفعيعيل نحو دينير.

ثم ذكر تنبيهات: للمصغر شروطان: يكون اسمًا، فلا يصغر الفعل ولا الحرف؛ لأن التصغير وصف في المعنى، وشذ تصغير فعل التعجب، وأن يكون متمكنًا، فلا تصغر المضمرات ولا من وكيف ونحوها، وشذ تصغير بعض اسم الإشارة والموصولات كما سيأتي، وأن يكون قابلًا للتصغير، فلا يصغر نحو كبير وجسيم، ولا الأسماء المعظمة، وأن يكون خاليًا من صيغ التصغير وشبهها فلا يصغر

يصغر نحو الكميت من الخيل والكمت، وهو البريد، ولا نحو مسيطر ومهيمن

الثاني: وزن المصغر بهذه الأمثلة الثلاثة اصطلاح خاص بهذا الباب، اعتبر فيه مجرد اللفظ تقريبًا، بمقابل الأمثلة، وليس جاريًا على اصطلاح التصريف؛ لأن وزن أُحيمر، ومُكيرم، وسُفيرج في التصغير: فُعيعل، ووزنها التصريفي: أُفيعل، ومُفيعل، وفُعيلل.

الثالث: فوائد التصغير عند البصريين أربع:

تصغير ما يتوهم أنه كبير نحو: جُبيل، وتحقير ما يتوهم أنه عظيم نحو: سُبيع، وتقليل ما يتوهم أنه كثير نحو: دُريهمات، وتقريب ما يتوهم أنه بعيد زمنًا أو محلًا أو قدرًا نحو: قُبيل العصر، وبُعيد المغرب، وفُويق هذا، ودُوين ذاك، وأُصيغر منك.

وزاد الكوفيون -يعني خامسًا- وهو: التعظيم، كقول عمر بن الخطاب ﷺ في ابن مسعود ﷺ: كُنيف مُلئ علمًا.

قلت: هو تصغير كنف، وهو وعاء يكون فيه أداة الراعي، ثم قال: وقول بعض العرب: أنا جُذيلها المحكك، وعُذيقها المرجب، وقوله: وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهية، تصفر منها الأنامل، وقوله: وفوق جُبير مانع لم يكن فتى ليبلغه، حتى يكل ويعجز. ورد البصريون ذلك بالتأويل إلى تصغير التحقير ونحوه، انتهى.

وقال المصنف: فيقال في نحو: تمرة، وجبل، وحمراء، وأجمال، وسكران: تُميرة، وجُبيل، وحُميراء، وأُجيمال، وسُكيران، انتهى.

وأنشد الفارضي -قدس الله سره-:

وأُويقات بوادٍ سلفت كان منها راحتي

وشارات التصغير للتحبيب لا التحقير، بقوله: ما قلت (حُبيبي) من التحقير، بل يعظم اسم من حب بالتصغير، وأنشد الحريري في «شرح الملحة»:

سريا لسلك السوادي أهيم ولم أقل بذلك السوادي

وذلك من زهد ولكن إذا ما حب شيئًا تولعت به أحرف التصغير من شدة الوجد، انتهى.

ولذي مقرب كقوله: أُخي، وبني، وإنما أتى المؤلف -سامحه الله- بهذه الفائدة مصغرة؛ لأنها قريبة منه، كما قيل: أقرب من كل قريب من يديك من حبيب حسنة لديه تقربها إليه عظيمة الوقع في فؤاده؛ لأنها تدني من مراده، وصغرها؛ لأنها صغيرة دائرة

الإقامة، بل تم كلمح البصر على أهل الكرامة.

وأنشدني بعض أهل الجذب ذو المنطق العذب موالياً:

قسم اسم سهر الليل ... يا خال تسنل الأحمر
سهرت أنا الليل ... يا مصعب ليالي الهجر
وليلة الوصل ... تذخرها الليالي زجر
من قبل ما أذن للفجر ... ب بلوح السحر

وقلت:

نعم إن ساعات الوصال قصيرة ... تمر كلمح الطرف، بل تلك أسرع
حلا كأسها حتى لفرط حلاوة ... وطيب مذاق لم يكن بتجرع

وهي جسم وما تحمله روح، والأشباح صغيرة بالنسبة للأروح، وقد كانت الأجساد موسدة للأرواح فلها مزية من هذا الوجه عليه.

وأنشد الأكبري ذو المنح الأكبرية:

ولا فخر إلا بالجسوم لأنها ... مولدة الأرواح، وناهيك من فخر

وأنشد العارضي، ذو المدد الأصلي لا العارضي، قوله:

وحكم الأواني في الحقيقة تابع ... لحكم المعاني، والمعاني بها تسمو

والأوقات أواني لحمل التجليات فيها، فكانت بحسبه لا بحسبها، أو يكون هو مقدرها؛ لأنه لا ترد على الظرف إلا بقدره، وعلى كل حال فهي تابعة، والتابع صغير بالنسبة للمتبوع.

قال في «القاموس»: الوقت: المقدار من الدهر، وأكثر ما يستعمل في الماضي كالميقات، وتحديد الأوقات كالتوقيت، و﴿كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء 103] أي مفروضًا في الأوقات، والميقات للحجاج موضع إحرامهم، وقرئ: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات 11]، فوعلت من المواقتة، ووقت موقوت، وموقت المحدود، والموقف كمجلس مفصل منه، انتهى.

(تجلياتك): جمع تجلٍّ، والإشارة بهذه الأوقات السحرية؛ لأن تلاوته واقعة فيها، وقد خصها الله تعالى بالتجلي الخاص دون غيرها من الأوقات الليلية والنهارية، وإن كان لكل وقت تجلٍّ يخصه، لكن لوقت السحر تجلٍّ خاص غير الخاص به، وهذا التجلي خاص بـ معشر الموحدين المستغفرين بالأسحار، وسبق بيانه عند قولنا: (وهي: حلاوة ذكرك في الأسحار، وهذا المنزل السحري على القابلية واللياقة).

(تنزلاتك): الإلهية المشار إليها في حديث خير البرية «ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر»[1] رواه الترمذي عن أبي هريرة، وفي رواية مسلم عنه: «ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا لثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، أو يسألني فأعطيه، ثم يبسط يديه ويقول: من يقرض غير عديم ولا ظلوم»[2].

وعنه ﷺ: «إن الله ﷻ يهبط من السماء العليا إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ هل من داعٍ؟ حتى إذا طلع الفجر ارتفع»[3] رواه الطبراني والبغوي عن عمر بن الخطاب.

وعنه ﷺ: «ينزل الله في كل ليلة إلى السماء الدنيا، حتى يبقى نصف الليل أو ثلث الليل الآخر، فيقول: من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ حتى ينصدع الفجر، وينصرف القادي من صلاة الفجر»[4] رواه ابن النجار عن أبي هريرة.

وعنه ﷺ: «ينزل الله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل، فيقول: ألا من عبد من عبادي يدعوني فأستجيب له؟ ألا ظالم لنفسه يدعوني فأستجيب له؟ ألا مقتر رزقه؟ ألا مظلوم يدعوني فأنصره؟ ألا عانٍ يدعوني فأفك عانه؟ فيكون كذلك حتى يصبح ثم يعلو ﷻ على كرسيه»[5] رواه الطبراني عن عبادة بن الصامت.

---

(1) رواه البخاري (1/ 384)، ومسلم (1/ 521)، والترمذي (5/ 562).

(2) رواه مسلم (1/ 521).

(3) رواه مسلم (1/ 523)، وأحمد (3/ 94).

(4) رواه الطبراني في «الكبير» (4/ 435).

(5) رواه البخاري (1/ 384)، ومسلم (1/ 521)، والطبراني في «الأوسط» (8/ 280).

وعنه ﷺ «إن الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا في كل ليلة فيقول: هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟»[1] رواه الطبراني عن عثمان بن أبي العاص.

وعنه ﷺ «إذا بقي ثلث الليل قال الله تعالى: من ذا الذي يستكشف الضر أكشفه؟ من ذا الذي يسترزقني أرزقه؟ من ذا الذي يسألني أعطيه؟»[2] رواه أبو داود الطيالسي والبيهقي عن أبي هريرة.

وعنه ﷺ «إذا بقي ثلث الليل الباقي نزل الرحمن - تبارك وتعالى - إلى سماء الدنيا، فبسط يده: ألا داعٍ يدعوني فأستجيب له؟ ألا تائب يتوب فأتوب عليه؟ ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له؟ حتى إذا طلع الفجر صعد على عرشه»[3]، رواه البغوي عن عبد الحميد بن أبي سلمة عن أبيه عن جده.

وعنه ﷺ «ينزل الله في آخر ثلاث ساعات تبقى من الليل، فينظر الله في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينظر في الساعة الثانية في جنات عدن، وهي مسكنه الذي لا يسكن، لا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء، والشهداء، والصديقون، وفيها ما لم يره أحد، ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل، فيقول: ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له؟ ألا سائل يسألني فأعطيه؟ ألا داعٍ يدعوني فأستجيب له؟ حتى يطلع الفجر»[4] وذلك قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: 78]، فيشهده الله وملائكة الليل والنهار»[5]، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن أبي الدرداء.

وعنه ﷺ «إن الله تعالى يمهل حتى إذا كان ثلث الليل الأخير»[6]، وأخرى، نصف، وجمع باختلاف الأحوال عند قوم، وتأخره عند آخرين. نزل

---

(1) رواه الطبراني في «الكبير» (9/ 54).

(2) رواه البيهقي في «الشعب» (3/ 129).

(3) رواه البيهقي في «الشعب» (8/ 139)، والطبراني في «الأوسط» (8/ 280).

(4) رواه الطبراني في «الأوسط» (8/ 279).

(5) رواه الطبراني في «الأوسط» (8/ 280)، والهيثمي في «الزوائد» (10/ 155).

(6) رواه أحمد (3/ 94)، ومعمر في «الجامع» (10/ 444).

وفي رواية للبخاري: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» فالمراد نزول الرحمة ومزيد لطف، وإجابة دعوة، وقبول معذرة، كما هو ديدن الملوك الكرماء، والسادة الرحماء إذا نزلوا بقرب قوم مستضعفين ملهوفين، لا نزول حركة وانتقال لاستحالته عليه تقدس، فهو نزول معنوي يمكن حمله على الحسي، ويكون راجعًا إلى أفعاله لا إلى ذاته، وقيل المراد بنزوله: نزول رحمته وانتقاله من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والانتقام، إلى مقتضى صفة الإكرام المقتضية للرحمة والإنعام. فينادي هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من سائل فيُعطى؟ - وفيه توبيخ لهم على غفلتهم عن السؤال ـ هل من داع فأستجيب له؟ ولا يزال كذلك حتى ينفجر الفجر»[1]، جمع بينهما للتأكيد إن كانتا بمعنى، وإلا المطلوب دفع ما لا يلائم أو جلب الملائم، وهو إما دنيوي أو ديني، فأشير بالاستغفار إلى الأول، وبالسؤال إلى الثاني، وبالدعاء إلى الثالث، وخص آخر الليل؛ لأنه وقت التعرض لنفحات الرحمة، وزمن عبادة المخلصين، ولأنه وقت غفلة واستغراق نوم والتذاذ به، ومفارقة اللذة والدعوة صعب، لا سيما لأهل الرفاهية، فمن آثر القيام؛ لمناجاته والتضرع دلّ على خلوص نيته، وصحة رغبته فيما عند ربه، فلذلك خص ذلك الوقت بالقول الإلهي والفيض الرحماني.

وفيه: «إن الدعاء في الثلث الأخير مجاب، وتخلفه في البعض؛ لخلل في الداعي أو الدعاء»[2]، رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد معًا، ورواه البخاري في مواضع من «صحيحه» بألفاظ متقاربة المعنى.

وقال في شرح الحديث الذي يلي هذا الحديث، ولفظه: «إِنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَغْفِرُ لِأَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ شَعْرِ غَنَمِ كَلْبٍ»[3].

تنبيه: قال بعض العارفين ـ رضي الله تعالى عنهم: (ما من ليلة إلا وينزل من السماء في الثلث الأخير فتوح رباني، فيتلقطه أهل التسليم، ثم أهل التفويض، ثم يقع لإقامة

(1) رواه البخاري (19/ 398)
(2) رواه مسلم (1/ 532)، وأحمد (4/ 22)
(3) ذكره المناوي في فيض القدير (2/ 401)
(4) رواه أحمد (52/ 482)، وابن ماجه (4/ 302).

من هو أعلى أهل الدوائر الملتفة، أقطاب الأفلاك الكلية، ثم تقع منهم على الحفظة والنواب وولاة الأمر، ثم منهم على السالكين والصالحين والعلماء العاملين ممن حضر مجلسه، وتنزل الإمداد، فإن الهداية لمن حضر).

قال: وأما الخامس في الثلث فنصيبهم عند أحد الرجال الخمس المعروفين من الأولياء، قلت: وهم رجال الصلوات الخمس، المفيضين على أهلها إمدادهم وشعرهم، وإرشادهم، فإن ما من عدد في الوجود محصور إلا ولله رجال كعدده، يحفظونه عن أمر معمور الشكور، ثم قال: أي رجل صلاة الصبح يأخذ لكل من غاب نصيبه، ويؤديه له عند صلاة الصبح، إما قبل فراغه أو معه، ومن تخلف عن اليقظة عند صلاة الصبح فإن نصيبه يعطيه في أسبابه الدنيوية، إذا رضي بإقامة الله له فيها، وما بقي بعد ذلك فهو حظ الأنعام وأمثالهم من العوام الغافلين عن الأسباب، انتهى.

وقد عقد الحيلي الأكبر - قدس الله سره - في «فتحه المكي» له أبوابًا، وكشف له حجابًا، فأرشف الألباب لبابًا، فمن أراد المزيد فعليه بذلك الوصل.

قال المصنف:

(حرف الواو)

وَنَحْنُ عَبِيدُكَ الْوَاقِفُونَ عَلَى أَعْتَابِكَ الخَاضِعُونَ لِعِزَّةِ جَنَابِكَ الطَّامِعُونَ فِي سَنِيِّ بَهِيِّ شَرَابِكَ فَلَا تَرُدَّنَا عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ مَا قَصَدْنَاكَ مُتَذَلِّلِينَ يَا اللهُ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ.

قال الشارح: (**وَنَحْنُ عَبِيدُكَ**) أي: والحال والشأن أنا عبيدك الذين عشقتهم لجنابك، إذ أوقفتهم ببابك، فشربوا بانتسابهم، وأشرفوا على نداء خطابهم، حتى كأنهم الآن يسمعونه بالأذن، فعند ذلك أقبلوا عليك بقلبهم وحالهم وكلهم، فهم لا يبرحون لبابك، سعون عنك في إيصال الإمداد لأحبائك، السالكون بمن أردت منازل قربانك

(**الْوَاقِفُونَ عَلَى أَعْتَابِكَ**): بالترامي عليها، والسقوط لديها غاية الفخر والشرف والفخر والسؤدد لمن عرف، ولهذا قال الإمام الشعراني في حزبه وورده الآتي:

(إلهي كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان؟ وكيف يطلب من غيرك وأنت ما غيرت عادة الامتنان؟ فقيدنا اللهم على أعتاب أبوابك يا كريم يا حنان يا منان)

وقد أحسن سيدي محمد البكري العرفان حيث قال:

(منها معروفًا برفعه الوقوف بباب الخنان؛ ليختار من يختار عزاء فإني رضيت بنفي في مرابع أحبتي، ويدخل من يقوى الدخول لحيهم، فغاية مجرى أن أكون على الباب)

وقلت في تخميسها لخمس بأبياتها: أيا من عليه يعلما بهب دلني، ... من هو ... مشبع أعيني، وحفظ دلي في حماك أحلي؛ ليختار من يختار عزًّا فإني رضيت بذلي في منازل أحبتي، أيا سعد إن بالحي حرب فيهم وصفا لهم نشر الهوى عن ظهم، وتعني يتم الباب، بل برب حيهم، ويدخل من يقوى الدخول لحيهم، فغاية أن أكون على الباب

وخمست بيتين على وزنها، وذكرتها في الرحلة العراقية المسماة «كشط الصدا وغسل الران في زيادة العراق وما والاها من البلدان»، وذكرت سبب ورودها فيها، وهي رضيت بفتح الباب من دون وصلها، فإني أرى أشتم من خارج الباب، وأقنع من حبو حديث بقولها. أقمتك يا عبدي خديمًا لبوابي

(الخَاضِعُونَ) سبق الكلام على الخضوع عند قولنا: وحسن الخضوع على أعتاب (لِعِزَّةِ جَنَابِكَ)، أي: منعة ورفعة اقتراب مانك، وسطوة قوة اعتلائك، فإن من شهد لمحة من عزة رب الأرباب، وكشف له عن حضرة كبرياء ذاك الجناب، أدرك ما لا يدرك من الأمر العجب، وشاهد من الغيوب ما لا يشهده مشاهد محجاب في ستر الأحقاب، وكم من داخل حضرة العزة ذاب بلذة استغرقته، فأفنته حرارتها، ودفن في التراب، ورب ممكن في المقام منها، أنزل ماء الأصلاب؛ إذ عن حسه غاب، وإليه آب، والنادر من يثبت بشرب صرف هذا الشراب، فلا يتغير حاله بمشاهدة تلك الحضرة المغيبة عن خير الاكتساب، ولا يقدر على حمل ثقيل هذا السر العزيز الاحتجاب إلا من أيده الله بألف ومائتي قوة صدرت من حضرة الوهاب، لا يحتمل الكون تسليط قوة منها عليه، وما تتوفر لديه الأسباب، وإذا لم يتصف المحب لدى حبيبه العزيز بالمسكنة، لا يدركه وصله المستطاب، وأنشد بعض الأحباب:

إذا كان من تهوى عزيزًا ولم تكن ذليلًا
فأقرأ السلام على الوصل بل الذل والخضوع
محب الحبيب مطلوب من كل صب دمعه صبيب

إن المحـــــب لمـــــن يـــصافيه   المحـــــــوب مـــصف

ولمـــــــن يجـاقـــيه معـــاد   ولـــو كـــان هـــوله مـــوان

وهذا وجب حب المقربين من القريب- لأنه تعالى يحب محبيهم، ويفتح له بابه، ويرعاه
يحب، فمن أحب وليًّا فقد أحب الله؛ لأنه ما أحب إلا لحب الله له، ومحبته له

وفي الحديث: «من أكرم امرأ فكأنما أكرم الله تعالى»[1] ولذا استحب تقبيل يد العالم والصالح الكامل والشريف والوالد والقيام لهم، والتوسعة في المجلس، وكان سيدي عيسى ابن الحجاج اليمني ـ قدس الله سره السني ـ كل من دخل عليه وخرج يقبل يده، فأنكر عليه بعض الناس فقال: (العبد المؤمن ريحانة الله في أرضه، ولا بأس بشم ريحان في الدخول والخروج).

ونسبت هذا المعنى الشهاب الخفاجي – بلغه الله في عقباه ما هو راج في بيتين وهما:

تـــبل يـــد الخـــيرة أهـــل الهـــدى   ولا تخـــف طعـــن أعـــاديهم

ريحانـــــة الـــرحمن عــــباده   وشــــمها لـــثم أيـــاديهم

وقد قلت سابقًا وإن نفحته لاحقًا:

أيهـا الطالـــب قـــصبًا مـــن قـــصب   في جـنـانٍ مـــا بهـــا قـــط نـــصب

نحـــو أهـــل الله بـــادر إنهـــم   أمن جان خاف كالشهر الأصب

كـــل نجـــم منهم بـــدر اهـــتدى   نفـــسه للدفـــع والـــنفع، نـــصب

نـــورهم يهـــدي الـــذي قـــدامهم   في سراه لـــيس يحـــتاج الـــنصب

هـــم رياحـــين حكـــيم حكمـــه   نافـــذ والمنكـــر الـــعز حـــصب

شـــم ذي الـــريحان مـــن راحـــاتهم   تـــستقي راحًـــا بهـــا تكفـــي الوصـــب

ولهـــم ســـلم وحـــاذر تعـــترض   ودع الدعـــوى فـــذوا الدعـــوى عصـــب

---

(1) ذكره المناوي في «فيض القدير» (6/ 83)

وقلت موالِيًا

قبّل يد الأولياء، وانزل بناديهم ... وإن رُميت بسهم النصر ناديهم

هم الرياحين فاكرم من أياديهم ... أرواحها ثم عادى من يعاديهم

وقلت مرتجلاً

لأمر الله طبيب، ليس يخفى ... على المزكوم من أهل العباد

ونور ظاهر ما كان يُطفى ... به يُنفى الظلام عن العباد

فللطيب فتنشق، يا ذا، بأيد ... والنور استبق تمقى الأيادي

وإذا كان التملق والخضوع لا الغيبة والحضور، وبالمجموع يورث وقد الشموع أفراح رجوع، وبسط بسطَ نجاح ارتقاء وطلوع، فكيف إذا كان لعزة مولى لديه الخير مجموع، وقد اجتمعت الأصول والفروع أن البر لخدامه مجموع، ولو أعزهم به مرفوع، وعنهم ثقل المشقات في الدارين مرفوع، فهنيئًا لمن تمكن منه الخضوع، وثوى كميه بين الضلوع، فأصبح ذا عرف بكل طيب يضوع، والبعض منهم يعم طيبه المنزل والربوع، وآخر من يعطر الكون فيشمه الولوع ذو القول المسموع، وآخر يستولي على العالم بحكم العلم، فعبيره غير مقطوع ولا ممنوع، وهذا الولي الذي في مقامه مطموع.

(الطَّامِعُونَ): جمع طامع، والطمع منه ما هو محمود ومذموم.

فمن الأول: الطمع في عفو الله، وفي نيل القرب إلى الله (فِي يَسَّ تَهِجَّ شَرِّبِكَ)، المخصوص بمن تولاه، وهذا يوجب الذل والافتقار إليه، والتعويل عليه، والطمع: هو انبعاث هوى النفس إلى ما في أيدي الناس، وقيل: هو تعلق القلب بالشيء من غير تقديم سبب له، فإذا عتق العبد أطماعه مما عند الله وقطعها مما سواه فهو القانع بتحققه بمولاه، وارتفع بعطفه، وهو صاحب الحياة الطيبة؛ لأنها القناعة كما فسرها العلم علي المرتضى العلم بالقصد، والوافر بالشجاعة، وقد ورد في المذموم من عدة أحاديث منها قوله ﷺ «إياكم والطمع، فإنه الفقر الحاضر، وإياكم وما يتعذر منه»[1]

---

1) رواه الطبراني في «الأوسط» (7/ 370)

وعنه ﷺ: **«عليك بالإياس مما في أيدي الناس، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر،** وصلِّ صلاتك وأنت مودع، وإياك وما يعتذر منه»[1].

وعنه ﷺ: **«الطمع يذهب الحكمة من قلوب الحكماء على غير ذلك»**[2].

قال المناوي رحمه الله تعالى في «الشرح الكبير»: ولهذا لما سئل كعب الأحبار بحضرة عمر رضي الله عنه: ما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد أن حفظوه وعقلوه؟ قال: الطمع، وشره النفس، وطلب الحاجة إلى الناس.

قال الوراق: لو قيل للطمع: من أبوك؟ قال: الشك في المقدور، ولو قيل: ما حرفتك؟ قال: اكتساب الذل، ولو قيل: ما غايتك؟ قال: الحرمان، انتهى.

وقال بعضهم: الطمع أخرجه محرقة، فلذا كان صاحبه لا يشبع، وقد استعاذ رسول الله ﷺ: **«من نفس لا تشبع»**[3].

وعنه ﷺ: **«منهومان لا يشبعان: منهوم في العلم لا يشبع، ومنهوم في الدنيا لا** يشبع»[4]، رواه الحاكم عن قتادة وأنس وابن عدي عن الحسن، مرفوعاً.

فنهمة صاحب العلم محمودة، وطمعه في الاستكثار منه كذلك، والثاني: مذموم؛ لأنه تشغله عن المالك.

وعنه ﷺ: **«الصفاء: الزلال الذي لا تثبت عليه أقدام العلماء الطمع»**[5]، رواه ابن قانع، وابن المبارك عن سهل بن حسان الهلالي.

وعنه ﷺ: **«تعوذوا من طمع يهدي إلى طبع، ومن طمع يهدي إلى غير مطمع»**[6]، رواه الطبراني عن المقدام بن معديكرب، كذا في «الجامع الكبير»، ومن الطمع المحمود الطمع في بين شهود المعبود هنا، وفي اليوم المشهود، وفي دار الخلود بالبصر لا بالبصيرة.

---

(1) رواه الحاكم في «المستدرك» (18/ 303).

(2) ذكره المناوي في «فيض القدير» (4/ 290).

(3) رواه أحمد (2/ 176)، والنسائي في «الكبرى» (4/ 445).

(4) رواه الحاكم في «المستدرك» (1/ 170)، والدارمي (1/ 98).

(5) رواه ابن قانع في «معجم الصحابة» (1/ 272)، والديلمي في «الفردوس» (1/ 201).

(6) رواه الهيثمي في «الزوائد» (10/ 244).

كم في دار الخلود، وإن الصبر عن منع شهوده مفقود.

وأنشد العارف المدود:

الصبرُ يُحمدُ في المواطنِ كلِّها ... إلا عليكَ فإنه مذمومُ

ومنه الصمع في (فِي بِسَنِي بَهِيِّ شَرَابِكَ)، أي: رفيع جليل شربت خص بعض صفته من الخواص، ويكون بواسطة، ودليله ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [المطففين 25] لآية، وبدونها ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان 21]، وبواسطة عدة عنهم، يقرب لعدم احتمال الأخذ من الساقي الأول، وتقل وترتفع إذ يرتفع الشارب لدي لا يتحول حتى يقبل الصرف الذي نقص، فتحير بإسكره مصون، ثم يرتقي بالعبد الدليل حتى يأخذ ما يأخذ عن الجليل، لكن بواسطة الروح الكريم خليل صاحب التاج والمعراج والإكليل، وسلف الكلام عليه باختصار دون تطويل.

(فَلَا تَرُدَّنَا) أي: فلا تصرفنا يا مولانا عن بابك الذي من قصده لا يرد، ومن رصده نال من مطلوبه فلا يُصد.

(عَلَى أَعْقَابِنَا)، جمع عقب بكسر القاف: مؤخر القدم، أو مكنين على الأعقاب بقصي الحظ بلا بلوغ الآراب (بَعْدَ) منصوب على الظرفية الزمنية (مَا) مصدرية، (قَصَدْنَاكَ): بالفاقة والانكسار، متوجهين بكمال الافتقار، (مُتَذَلِّلِينَ): غير متسبين، فإن الإدلال شيمة المغلوبين بالخال والتملق؛ والإدلال: وصف كمل الرجال، وحاش لقريب المجيب أن يخيب عنده، فلا يجيب، فامنح راجيك رجاه؛ لينال التقديم.

(يَا اللهُ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ) ووجه المناسبة بين هذا التوسل والذي بعده أن المؤلف ـ سمعه مولاه، وأنجز له وعده ـ لما سأل القبول، وعدم الرد عن الأعقاب، استشعر بطارق حتى فتح له في قلبه أعظم باب، إلى مشاهدة العلي الوهاب، وأمده بملائكة كرام، يشدون فؤاده؛ لئلا يطير من فرح رفع الحجاب.

جاء عن سيد الأحباب: «إن العبد ليعطى على باب الجنة ما يكاد فؤاده يطير، لولا أن الله بعث ملكًا لشد فؤاده»[1]، رواه الديلمي عن أنس، كما في «الجامع الكبير»، فوردا ذاك

---

(1) ذكره المتقي الهندي في الكنز (14/ 486)

هذا في نعيم الجنة، فما بالك بالتجلي الإلهي الذي لا يماثله نعيم، بل ينسيه في لذته بكنهه ويجنيه، واستمع الحق سره خطابًا أسره

يا عبدي ماذا أنت قائل إذا منعتك رفدي؟ ولم أجب سؤالك وأحقق منيتك؟ وإلى أي جناب تقصد غير جنابي؟ ولأي باب تؤم غير بابي؟ فطرب الجناب وأعرب لسان قولاً وانصب تموء بالأشجان وإن السر طافح بالفيضان

قال المصنف

(حرف اللام ألف)

اللَّهُمَّ لَا نَقْصِدُ إِلا إِيَّاكَ وَلَا نَتَشَوَّقُ إِلا لِشُرْبِ شَرَابِكَ وَبَدِيعِ مُحَيَّاكَ

قال الشارح: (**اللَّهُمَّ**) أي يا الله، (**لَا نَقْصِدُ إِلا إِيَّاكَ**) أي: لا نقصد إلا أنت، وإياك: ضمير، فيستعمل مقدمًا على الفعل، فيقال: إياك أعني، وإياك أسأل، ولا يستعمل مؤخرًا إلا منفصلاً، فيقال: ما عبدت إلا إياك، وإنما لم يعلق العبد بالغير؛ لأن قصد الغير ضير في السير، ومنع خير؛ إذ المقصود الحق هو الحق لا غير، وكل من قصد سواه من خسيس وحقير فقد تاه وضل عن السبيل المنير؛ لأنه لو شهد المقصود ما خطر بباله غير من أولاه، ولا طلب من مولاه سوى مولاه، لكن برعايته يتولاه.

يحكى أن الشبلي - قدس الله سره الجلي - أرسل لابن أبي برداليال أن: ابعث لنا شيئًا من دنياك، فكتب إليه ابن برداليال: سل دنياك مولاك، فكتب إليه الشبلي ﷺ: دنياك حقيرة، وأنت حقير، وإنما أطلب الحقير من الحقير، ولا أطلب من مولاي غير مولاي، انتهى

ولذا ابتدأ المؤلف - رحمه الله تعالى - التوسلات بقوله:

(إلهي أنت المدعو بكل لسان، والمقصود في كل أوان)، فناسب أن نختم التوسل بما يعرف هذا المعنى؛ لينبه السالك المعنى إلى التحقق، بأن المقصود في الظاهر والباطن، والأول والآخر هو الله جل شأنه، وتعلقت أسماؤه، فيخلص النية، ويخص مطلوبه (**ولا نتشوق**)، أي: ولا نبدي اشتياقًا وهيجانًا.

قال في «المختار»: والشوق والاشتياق نزاع النفس إلى الشيء، يقال: شاقه الشيء من باب قال، فهو شائق، وذلك مشوق، وشوقه فتشوق، أي هيج شوقه

وقال الجيلي في «عيبة أرباب السماع»: الشوق هو طلب القلب وجدان محبوب عند فقدان الصبر عنه، وقيل: هو اسم لاضطراب القلب، وعدم سلوته عن المحبوب، والمشتاقون على أنواع.

فمنهم من شوقه إلى مطالعة الجمال الإلهي، وهذا أول مراتب المبتدئ.

ومنهم من شوقه إلى الله مطلقًا، لا لأجل مطالعة الجمال، ولكن ما تستحقه الصفات الإلهية.

ومنهم من شوقه بصيرورة حال المحبة، وهذا الشوق من لوازم نقص، وصاحبه في مشاهدة دائمة؛ لأن القوة الشوقية تستحضر له خيال المحبوب، والقوة العشقية ترمه، فلا تفارق تلك الصورة الروحانية تعشقًا ذاتيًا، ولا تسمى عشقًا إلا إذا بلغ صاحبها فيه إلى هذ الحد.

ومنهم من شوقه إلى تحققه بالصفات الإلهية، وهذا الشوق لا يكون إلا بعد المشاهدة الحقيقية، وهو شوق الواصلين، انتهى.

وقال سيدي عبد الله الأنصاري الهروي في «منازل السائرين»:

الشوق: هبوب القلب إلى غائب، وفي مذهب هذه الطائفة علة الشوق عظيمة، فإن الشوق إنما يكون إلى غائب، ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة فهذه، والعلة لم ينطق القرآن باسمه، ثم هو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: شوق العابد للجنة؛ ليأمن الخائف، ويفرح الحزين، ويظفر الآمل.

والدرجة الثانية: شوق إلى الله ﷻ، زرعه الحب الذي ينبت على حافات المنن، فعلق قلبه بصفاته المقدسة، فاشتاق إلى معاينة كرمه، وآيات بره، وأعلام فضله، وهذا الشوق يغشوه المبار، ويخالجه المسار، ويناويه الاصطبار.

والدرجة الثالثة: نار، أضرمها صفو المحبة، فنغص العيش، وسلب السلوى، ولم ينهها معرض دون اللقاء، انتهى.

وقال الإمام القشيري ـ رحمه الله تعالى ـ في الرسالة: الشوق اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب، وعلى قدر المحبة يكون الشوق، سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يفرق بين: الشوق والاشتياق، ويقول: الشوق يسكن باللقاء والرؤية، والاشتياق لا يزول

بمعناه، وفي معناه أنشدوا:

وأمـا يـرجعُ الطـرفُ عِـنْدَ رُؤْيَـتِهِ   حَتَّـى يَعُـودَ إِلَـيْهِ الطَّـرفُ مشـتاق

وسرد في «ألباب الألباب» وفي ذكر الشوق يزول باللقاء قول الإمام الأكبري دو المعنى من الأوائل بالهوى فرتم، وشاركتموني في اسم حبي. والشوق للغياب، فإن قلت: يرد على هذا قول القائل:

وأبـرح مـا يكـون الشـوق يـومًا   إذا دنـت الخيـام مـن الخيـام

قلت: لا يرد على الدنو اللقاء والرؤية، وإن سلم فيكون محمولاً على الشوق، والذي على الاشتياق، فالمحب على كل حال شوقه دائم، وشوق شوقه قائم.

واعلم أن رياح الشوق إذا هبت وهبت، وإذا وهبت نهبت، وإذا نهبت أزعجت، وبقنديل الرضى أسرجت، وإذا حلت قلب حلته بأنواع الحلل، وحلت وثاقه، فبعد عنه الخمل، وحنت له الصعاب، فأصاب الفرص، وانمحت العلل، وجلت عن التشبيه بأنوارها المدهشة للنزيل، هو بحر لا يسمع لموجه غطيط، وغريقه لا يعرف بين المركب والسفيف، ولو كان من الرفرف سقيط، ومن عام فيه عام بهيمان بين إفراط وتفريط، رياض بره مزهرة، وغياض سره مسفرة، أنوار أشجاره طالعة، وأنوار أزهاره ساطعة، ومياه جداوله سائحة، وطوق وحوره أراضيه سائحة، صائحة لمحر الوقوف، ويقتحم كل مخوف يركب الأخطار، وينفي الخواطر، ويخاطر بالروح، فما فاز إلا المخاطر، ولقوم في الشوق عبارات كثيرة، فلا نحتاج لسردها فإنها شهيرة.

(إلا لِشُرْبِ شَرَابِكَ): القديم الذي به العالم يهيم، المعبر عنه بشراب الخل عند أرباب الكمال، فمن شرب منه فهو السعيد، ومن خلا عنه فهو الطريد البعيد، ومن مات في حبه عشق وهدى، ومن أسرف في شربه كان من الشهداء، ومن صح في تحصيله عمرًا لم يكن، بل ليثًا نمرًا كان العداء وساقًا، فلهذا حصر المقصد في مولاه سرمدًا، والشوق في شرب شرابه؛ لينجو من الردى، فإن رمان طاسانه مطربة، والحان سقامه معربة، وعيونه سهارى، وندمائه سكارى، وخدام مرحه حيارى، وأعلام صرفه لكؤوس عرفه تتجارى، فلهذا لم يتشوق لغيره لشهوده، في سره سحائب خيرات ديره ثم عطف على الشراب الحميا، وهي من أسماء الخمرة عند اللغويين من كل ذي محبًا محبًا

وقوله: (وبديع حُمَيَّاك): أي ولا نشوق إلا لخمرك البديع، الذي أوجدته على غير مثال سبق، وخصصته بما تقدم على أقرانه وسبق، وسبق لشيق مقام طيبه عبق، وعتق من هول صعق عن طلق، فإن قلت: ربما قصد العبد غير مولاه في سره ونجواه لأمر اقتضاه حكم الشريعة واقتضاه، أو العادة أو العرف، أو لما الحال بيده، أو تقدير قصده.

قلت: المراد من القصد التوجه القلبي الجناني، لغير الفيض السبحاني الرباني، وأما توجه الظاهر بدون اشتراك الظاهر، فلا يضر لا سيما إذا كان الغالب عليه شهود الفعل، حيث من توحيد الفعال، وتصرف الأسماء في الوجود السفلي والعلوي، لا سيما وعين أثر الصفات، وبه يمحو بهذه المشاهدات من الآفات، فالمقصود الحقيقي الله لا سواه، وإن قصد الغير الأواه، فبطريق المجاز، والفرق ظاهر، لما به اشتباه، ووجه المناسبة بين هذه الفقرة والتي بعدها أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ لما حكى عن لسان نعوتهم أنهم لا تقصد إلا الخبير العليم، من حيث ذاتها وحقائقها وصفاتها ودقائقها، وإن قصدت غيره حيناً من الأحيان بظاهرها، أو بركن من الأركان، فنية صالحة منيبة، أو نعمة رجحة مكية، إذ النعمة والحجب لا يرتفعان في هذه الدار، لوجود الأسباب، وعلم أن قصدهم وشوقهم لشرابه المقدس، وبديع خمره الأقدس لا يفيد إلا بعناية تبلغه غايات التجريد، ونهايات التفريد، وتوصله لتجريد التوحيد، وتفريد التجريد، فيحظى بالوصال من مولى حميد، ويسلم من الانقطاع عن درج الاتباع للوحيد الأحد، وإن أغلب الخلق في تيه جهالة تميد، ويبعث عن منازل السادة تحيد، إلا من حفظه الله تعالى، وخصه بعنايته، فإنه يرعى ويريد بذلك ويريد، وحيث كان الوصل والفصل إليه، والرفع والوضع بيديه دون تعديد، نادى بلسان الرهب والرغب، بقلب كميد.

قال المصنف:

(حرف الياء)

اللَّهُمَّ يا وَاصِلَ الْمُنْقَطِعِينَ أَوْصِلْنَا إِلَيكَ وَلَا تَقْطَعْنَا بِالأَغْيَارِ عَنْكَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يا اللهُ عَدَدَ 66 يَا وَاجِدُ عَدَدَ 14 يَا مَاجِدُ يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ يا فَرْدُ يا صَمَدُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ بِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ فَأَغِثْنَا يَا مُغِيثُ أَغِثْنَا (ثلاثًا) الغَوْثَ الغَوْثَ مِنْ مَقْتِكَ وطَرْدِكَ وبُعْدِكَ يا مُجِيرُ أَجِرْنَا (ثلاثًا) مِن خِزْيِكَ وَعِقَابِكَ وَمِنْ شَرِّ عِبَادِكَ أَجْمَعِين يا لطيفُ أَلْطُفْ

بلطفك يا لطيف عَدَدَ 129 اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ عَدَدَ 10 مرات

في شرح (اللَّهُمَّ يَا وَاصِلَ الْمُنْقَطِعِينَ) عنك بالجذبات الإلهية، والسحب الربانية، والعنايات الأزلية، والإمدادات السرمدية، إذا توليت إرشادهم بفضلك، وتجليت عليهم فسعدوا بوصلك، وثبتهم بقولك الثابت في الدارين، فعبروا عن الأين والبين، وتنحت عنهم الغين المطموسة سبول الغير، وساروا على صراط الحب كرمشة عين، ولم يشغلهم عرض ولا عين في الحضرتين، فخلصوا من الحين، وعند وصف انقطاعهم إليك، وإعراضهم عما سواك، وإقبالهم عليك، ووقوفهم بين يديك، فحققهم لديك (أَوْصِلْنَا إِلَيْكَ) أي: إلى منازل الشهود؛ لنعبر منازل الحدود، فتدنيه بك منك، وتغنيه بحريتك وطولك عن سواك لا عنك، ومضى الكلام على معنى الوصل (وَلَا تَقْطَعْنَا) أي: ولا تقطعنا بسبب ملاحظة، (بالأَغْيَارِ) جمع غير، وهو في الاصطلاح ما سوى الحق تعزيز الجبار، فإن الالتفات إلى السوء من الآفات المتلفات، وفيه تذكار الأسرار؛ إذ الحق يغار أن يميل عبده المختار لغيره في جميع الأطوار، فاستر عنهم بستار، حتى لا نجد إليهم سبيلاً، ولا يجدون لدينا مقيلاً، فيقر لنا لديك القرار، وتقر أعيننا بالثبات وعدم الفرار إلا إليك؛ إذ عليك المدار (عَنْكَ) أي: عن العثور على تجلياتك الذاتية، والحضور للحضرات الصفاتية، التي من دخلها استغرقته أنوارها، واستغرقته أسرارها، واستخلصته منه إليها، واستأصلته بجميع كله عليها، وأمدته بالفيض الأقدس، وأجلسته في المجلس الأنفس، وأرسلت عليه من سماء الأسرار أسرارًا، من بحار الأنوار بحارًا، فغدا بحرًا من نور يفور فلا يغور، وبر حبور تبور بالبر، فلا نور تتسقط في بحره المعمور بأمواج رفع الستور والعمور، والارتياح والسرور أهل الحضور، فيحدون من المدد ما يورثهم العبور للقبور، فيموت الكثير بها، ويشت القليل، الأمر في كتاب مسطور، وهذا من العلم المستور في زوايا الصدور؛ لأنه علم ذوق لا تفي باستيفائه السطور، وهذه نفثة مصدور، وثبة مقهور تحت يد المقدور.

(بِرَحْمَتِكَ) أي: بمحض رحمتك التي وسعت كل شيء، وتعلق بنيلها؛ لاستحباب ذلك كل شيء، بل المعنى يؤمل أن يمطرها سحابها، ويقطره عبابها، وهو عنها بعيد؛ لأنه

ضريب، ومن طرده الحق عن بابه، نص كتابه: كيف ترجو من عذبه؟ ومن أعتق في وجهه مفتوح باب اقترابه، كيف يدنو لجنابه، وتدرك الرحمة العامة بأهل طاعته جنابه، وخاصته أحبابه، فهو لا شك عنها بمعزل، لكنه بضيق الخناق يسح أملاً ويعرب، على أن ظاهر الآية عام بأهل طاعته جنابه، بلا ارتياب، لكن النصوص سلبت في وجهه النسب، وقد جاء في عمومها، وسعة شمولها، أحاديث منها: «إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة، لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بالذي عند الله من العذاب، لم يأمن من النار»[1] رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

وعنه ﷺ: «إن الله خلق – يوم خلق السموات والأرض – مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماوات والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها، وأخّر تسعًا وتسعين، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة»[2] رواه أحمد ومسلم عن سلمان وأبي سعيد معًا.

وعنه ﷺ: «الرحمة عند الله مائة جزء، فقسم بين الخلائق جزءاً، وأخّر تسعًا وتسعين إلى يوم القيامة»[3] رواه البزار عن ابن عباس.

(يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ): بعباده الراحمين وافر إمداده، فإنه سبحانه أرحم بالعبد من نفسه، وأشفق عليه والديه وعرسه

جاء في الحديث الشريف: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم إذا سقط عليه بعيره قد أضله بأرض فلاة»[4] رواه الشيخان عن أنس.

وفي رواية: «لله أفرح بتوبة عبده من العقيم الوالد، ومن الضال الواجد، ومن الظمآن الوارد»[5]، رواه ابن عساكر في «أماليه» عن أبي هريرة.

---

(1) رواه البخاري (5/ 2374)، والمناوي في «فيض القدير» (2/ 234).

(2) رواه مسلم (4/ 2109)، وابن حبان (14/ 14)، والطبراني في «الكبير» (6/ 255).

(3) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (41/ 339)

(4) رواه مسلم (4/ 2105)، وأحمد (3/ 213)

(5) رواه الديلمي في «الفردوس» (1/ 165)، والدارقطني في «العلل» (7/ 269).

فهذا من رحمته بعباده، ورأفته به وحنانه عليه، وقد أمر عباده بالتراحم ودعاهم إليه، وهو أولى بذلك وأحق؛ لأنه السيد المالك، جاء عن زين المالك ﷺ: «من اشتق لرورنه سالك، **الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»[1] رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن ابن عمرو، وزاد أحمد والترمذي والحاكم: «**والرحم شجنة من الرحمن، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله**» وعنه ﷺ: «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[2] رواه الطبراني عن جرير.

وعنه ﷺ: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه**»[3]، وفي رواية «**من لا يرحم لا يرحم**»[4]، وفي أخرى: «**لا يدخل الجنة إلا رحيم**»[5]، وفي أخرى: «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**»[6]، وقد سمى الله نبيه في كتابه الكريم بالرءوف الرحيم، فينبغي لمن جعل الله له سببًا إلى الرحمة أن يرحم أولاً نفسه، بأن يسلك بها هداها، ويصرفها عن هواها، ويرحم قلبه بتصفيته، ولبه بتنقيته، وبقية حواسه وأنفاسه بحفظ أنفاسه، وأن يرحم الصغير بلطفه، والكبير بعطفه، والقوي بحلمه، والضعيف بسلمه، والجاهل بعلمه، والذليل بجاهه وحاله، والفقير بماله، والعصاة بدعائه، والأمة برحماته، والبهائم برفع الأذية وتفقدهم في البكور والعشية، ففي الحديث: «**الخلق كلهم عيال الله، فأحبهم إليه أنفعهم لعياله**»[7].

قال المناوي: قال العسكري: هذا على المجاز والتوسع، فإنه تعالى لما كان المتضمن لأرزاق العباد، والكفيل بها، كان الخلق كعياله، وأنشدوا:

عيال الخلق أكرمهم عليه ... أبرهم المكارم في عياله

---

(1) رواه أحمد (2/ 160)، والترمذي (4/ 323)، وأبو داود (4/ 285)، والحاكم في «المستدرك» (4/ 175).

(2) رواه البخاري (1/ 431)، ومسلم (2/ 635)، والطبراني في «الكبير» (2/ 324).

(3) رواه البخاري (6/ 2666)، ومسلم (4/ 1809).

(4) رواه البخاري (5/ 2235)، ومسلم (4/ 1808).

(5) رواه عبد بن حميد (1/ 424)، والهيثمي في «الزوائد» (8/ 155).

(6) رواه أحمد (2/ 301)، والترمذي (4/ 323)، وأبو داود (4/ 286).

(7) رواه الطبراني في «الكبير» (10/ 86)، والبيهقي في «الشعب» (6/ 42).

وفي الحديث: «إن لله ملكًا موكلا بمن يقول: يا أرحم الراحمين، فمن قالها ثلاثًا، قال له الملك: إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك»[1]، قيل: رواه الحاكم عن أبي أمامة.

وعنه ﷺ: «أَلَحَّ رجل بـ(يا أرحم الراحمين) فنودي أن قد سمعتك، فهاذا حاجتك»[2] رواه أبو الشيخ في «الثواب» عن أبي هريرة، ووجه المناسبة بين يا أرحم الراحمين وبين يا الله، أن هذا اللفظ تقع فيه الإجابة بعد ثلاث، ولفظ يا الله بعد مرة، أخذًا من ظاهر آية:

﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ [البقرة: 186]، والإجابة لفظة رب تقع بينه مرتين، كما في حديث: «إذا قال العبد: يا رب يا رب، قال الله: لبيك عبدي، سل تعطى»[3] أو بعد ثلاث؛ لما في حديث: «ما قال عبدي قط يا رب ثلاثًا إلا قال الله لبيك عبدي، فيعجل الله ما يشاء ويؤخر ما يشاء»[4]، وربما تقع الإجابة في كل الأسماء مرة؛ لخلوص قلب الداعي من السوي بالمرة؛ لأن توجه المحمول غير توجه الحامل، وتوجه المعمول به غير توجه العامل، وربما تقع بمجرد توجه القلب، بدون حركة لسان أو إشارة، أو ذكر بالأسماء الظاهرة، أو أسماء الإشارة، وحيث جاءت الأخبار، كما نرى، وكان اسم الجلالة هو الجامع للأسماء، كما أن كل الصيد في جوف الفراء، صح للمتني الأواه أن يقول مراقبًا في ندائه (يا الله) بمد صوت وحضور قلب، مخافة فوت، ومجانسة كلم زهي، وتحقيق الهمزة مع هذه، والعدد الذي يأتي به التالي؛ ليدرك به حلي المحالي ست.

قال في «القاموس»: الست بالكسر معلوم، وأصله السدس، فأبدل السين وأدغم فيه الدال، وبالفتح: الكلام القبيح والعيب، وسِتّي للمرأة أي: يا ست جهاتي، لحن، والصواب سيدتي، انتهى.

والواو ست من حيث قواها الظاهرة، ومن حيث المجموع ثلاثة عشر، وهي عدد حروف اسمه تعالى (أحد)، وهو ألف وحاء ودال، فتأخذ الألف بواحد، والحاء بثمانٍ،

(1) رواه الحاكم في «المستدرك» (1/ 728)، والمناوي في «فيض القدير» (2/ 480).

(2) رواه الديلمي في «الفردوس» (1/ 421).

(3) رواه الهيثمي في «الزوائد» (10/ 159)، وابن حجر في «فتح الباري» (11/ 225).

(4) رواه الديلمي الفردوس (4/ 72).

و بعدد بخمس وثلاثين، فيجتمع خمس وأربعون، فيظهر عدد حروف ادم ..، مكتوب، من حيث البسط، فظهر هذا الاسم الذي هو علم على مرتبة الأحدية، وهذا علم الأسماء فيها؛ لأن هذه المرتبة المهيمنة على غيرها من المراتب، ثم إذا أضفنا لعدد اسمه عدد حروفه محروفه من جملته الأقصر، ثم العدد ستين، ثم إذا ألحقنا به حروف جسد الاسمين، وهي ست، فخمس عدد اسم الجلالة، فكان هذا الاسم من حيث مجموعها ونعتها، وأما اسم محمد ﷺ فبسط رد بسطت حروفه، وأضفت جسد الاسم إلى البسط، ولاحظت حرف الميم الشي المشدد بحرفين، وأعددت التنوين بواحد، شهدت هذا الاسم في مرتبتي الظهور والبطون، وبتكرر ظهور حروفه الخمس فيها ظهرت العشرة الباقية من العدد، كي ظهرت العشرة المبشرة في الأول، وستظهر العشرة المبشرة في الآخر، وهم المهدي، ووزراؤه المعروف بالمفاخر، ولهذا ظهر عدد هذا الاسم فيه خمس مرات؛ ليعم تجليه حواسه الخمس الظاهرة والباطنة، ولطائفه الخمس، وقد أطلعه الله تعالى على المغيبات الخمس التي لم يعطهن نبي قبله؛ لقوله ﷺ: **«أعطيت خمسًا لم يُعطهن نبي قبلي: أرسلت إلى الأبيض والأسود والأحمر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي، وأعطيت جوامع الكلم»**[1]، رواه العسكري في «الأمثال»، وبهذه الجمعية نال ما لم ينله أحد من البرية، وللولاية الجهات الست، وهي قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 115]، وفي الحديث المستحب قوله ﷺ: **«اللهم إني أسألك العفو والعافية في دنياي وديني وأهلي ومالي، اللهم استر عورتي، وآمن روعتي، واحفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بك أن أغتال من تحتي»**[2]، رواه البزار عن ابن عباس، وهذا الحرف سابقه فيه أحمد، ولا يغفل عن هذا الذكر المستطاب سيما بعد الصلوات، بحرقة وكتابة، فإن الله تعالى يبينه مطلبه، ويبلغه الآراب، ويفتح له الأبواب، فيرى صاحب الأنوار، ويسقى شراب الأحباب، ويكشف له عن الملك والملكوت، ويقف على أسرار الكتاب، ومن عشق وفق اسم الجلالة الكريم في فصه خالصه يوم الجمعة، وتختم به، يسر الله عليه رزقه،

---

(1) رواه أحمد (1/301).

(2) رواه ابن ماجه (2/127).

وما رآه أحد إلا أحبه وقضى حاجته، وهذه صورته، ومن جمعه مع اسمه تعالى الأحد في وفق مسبعة، نال بحمله معه العز والجاه عند جميع الناس، وزال عنه الشك والوهم والالتباس، وهذه صورته.

واعلم أن من شرط تنزيل الأوفاق تسوية الزوايا والخطوط، وعدم طمس الحروف، وأن تقدم الخط الأعلى ثم الأيمن، وهو ما يقابل يسار الكاتب، ثم الأيسر، وهو ما يقابل يمينه، ثم الأسفل، وقس على ذلك بقية الخطوط، وأن يكون حال كتابته على طهارة، مستقبلاً القبلة، ويراعي الأوقات السعيدة، ويستعمل الإخلاص وحضور القلب، وتطييب المحل؛ يتم له الرفق بالنتائج المفيدة، ولهذا الاسم من الخواص ما لا يدركه إلا الخواص، كيف لا والجمهور على أن اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، فإن قلت إن اسم الله الأعظم الذي تتصرف به الأولياء، أهل المقام الأفخم، وبه يطيرون في الهوى، ويمشون على الماء، وتطوى لهم به الأرض، فيجولون في طرفة

والفرض بالسريانية، وحروفه أربعة عشر. ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾ وتمام الآية ﴿يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة 11 - 12]، قلنا: هذا أعظم الأسماء؛ لأن دلالته على الذات أعظم دلالة واسمًا، وذلك أعظم من حيث الخاصية التي أودعها الله تعالى فيه؛ لكمال التربية، فهو أعظم انفعالاً وهيمنة واستطالة، واسم الجلالة أعظم من غيره دلالة، وربما تستخرج حروف الاسم الأعظم منه، بعد كسر وبسط ولفظ، فيكون على هذا هو هو من وجه، وليس هو هو من وجه، وليس كل من عرف حروف الاسم الأعظم عرف كيفية تسكين الحروف وتحريكها؛ حتى ينطق به، وليس كل من عرف ذلك أذن له بالتصرف به، ولا من أذن له فيه كان تصرفه تامًّا، ولا من كان تصرفه تامًّا أمكنه أن يفيد الغير، فإنه موقوف على الإذن، إلا عند أهل السر، ومع ذلك فصاحبه حال تصرفه مقهور تحت مجاري المقدور، فلا يغفل عن الحضور، ولا يعمل إلا ما يأذن له به الشكور، وكم من علمت حقيقته هذا الاسم وتصرف فيه، ونفسه لاهية غير عالمة بظواهره وخوافيه، وربما يموج ونفسه غافلة؛ لأنها ساهلة، وربما استقطت لما أنه الحقيقة أدركته، ووجدت نفسه وما أشركت، وكم من حفظت حقيقته للقرآن، وهو عنه ساه غفلان، وربما دعيت في عينه من الحفظ، وهو لم يدر أعراب الألفاظ، وربما ما تصرف في الأكوان، وهو نجم

نعمة بشؤون، فإذا جاءه ملحق عليه بالاشتباه زال عنه الاشتباه، وصار هو عين حقيقته بلا مرية، فرأى بها كل ما له ترى، ولهذا الاسم عوالم كثيرة، لا يستعدون بذكر سواه؛ لمناسبة بينهم وبين ما هذا الاسم الكريم حواه.

وأخبرني عارف أوليائه، يحب ذكر الله جواره: إن الله تعالى أطلعه على عالم كبير، لا يحصون عددًا لعددهم، في الهوى، ويتلقى الثاني عن السؤال بقول كل منهم: اذكروا الله، وهم نعمة منه، الذكر، وإيقاع مثله، فلا يكون، لا يفترون عن ذلك ولا يملون، ثم يقول ثاني: ﴿يَا وَاجِدُ﴾: هو الذي يجد كل ما يريد، ولا يفوته شيء، وصفه التقييد، أو هو بمعنى الغني، مأخوذ من الوجد، ومن عرف أنه الواجد لا يعجزه شيء، جعل اعتماده عليه دون الغير.

قال سيدي محمد القونوي في «شرح الأسماء»: الواجد لما طلب، مشتق من الوجد، ومعناه الغني الذي استغنى عن الكل، ولا يستغني عنه الكل، فلا يفوته هارب، ولا يسبقه طالب.

اعلم أن ظهور آثار هذا الاسم يغلب في الخصوص، وذلك أنه تعالى يجد نفوذ أمره وبلوغ حكمه في كل شيء، كذلك العارفون، يجدونه ويرونه في كل شيء مع أحدية عين الوجود، بلا تميز، كما نشاهد عين أحدية عين زيد، فتقدر أنه لو لم يكن في الوجود إلا هو لم يتميز عن شيء؛ لأنه ما ثم شيء غيره، لكن مراتب أجزائه متميزة بعضها عن بعض، فإن يده متميزة عن رجله، ورأسه متميزة عن صدره، وأذنه من عينه، وكذا كل قوة من قواه الباطنة مختصة بحكم، ليس للأخرى ذلك الحكم، فتميزت الصور في عين واحدة لا تميز فيها، فكذلك مراتب أعيان الممكنات للوجود المطلق، كالأعضاء، من حيث هي ممكنات، أي من حيث تعلق قدرته فيه، وإرادته له، وعلمه به ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22]، وليس عين من أعيان النسب التي عبر الشارع عنها بالأسماء إلا وله معنى ليس للأخرى هو ذلك المعنى منسوبًا إلى ذات الحق، وهو المسمى صفة عند أهل الكلام، ونسبة عند المحققين من أهل التصرف، والنسب متميزة بعضها عن بعض، فأين الرحيم من القهار؟ وأين الكلام من الحياة وأين حقائق معقولة غير موجودة؟ وعين واحدة العين لا تتكثر إلا بالمعاني الوجودية، لا بأحكام الإضافات

و ... و الحق تعالى كبرياني في أحادية ذاته المقدسة، منزه عن التحيز و التكثير مع وجدان كثرة أهل الأسماء والصفات، ومن المحال أن يطلب الواحد أمرًا منه ولم يحصل، وما يتوهمه أهل الحجاب من خطابه تعالى للكفار بالإيمان ممن لم يؤمن، فعند التحقق أن مانع من إيمانهم أنها كان منه؛ إذ لم يعطهم التوفيق، فلو قال للإيمان كن في محلهم، لكان الإيمان في محل المأمور به. ولكن ما تعلقت إرادة الواجب إلا بمجرد الأمر، لا بتكوين الإيمان في عين الكافر، وقد وجد المراد.

وقال الجيلي ـ قدس الله سره ـ «في الكمالات الإلهية» الواجد، بالجيم هو الذي كمل بذاته، فلا يفقد شيئًا من كماله بوجه من الوجوه، ولا نسبة من النسب، بل هو واجد بجمع أسمائه وصفاته من جلاله وجماله وكماله، على أتم الوجوه وأكمله وأشمله، وهذا الاسم من أسماء الصفات، وصفته الوجود، وهو عبارة عن تحققه بالكمالات ظهورًا أو بطونًا، صورة ومعنى، غيبًا وشهادة عليها، علوًا وسفلاً، حقًّا وخلقًا، حكمًا وعينًا، حيطة وشمولاً، قيدًا وإطلاقًا، انتهى

(14) أي: ويقرره التالي، هذا العدد المعبر عنه بالجملة، وأما التفصيلي فهو مائتان واثنا عشر، فمن ذكره عدده التفصيلي، أو ألفين وتسعمائة وثمانية وستين، وهذا العدد ينشأ من ضرب الجمل في التفصيلي، ولازم على ذلك، وطلب شيئًا ناله، ومكنه الله من قضاء الحوائج، ومن لازم على ذكره لا يعجزه عن أمر يريده، ومن ذكره وهو يأكل طعامًا جعله الله نورًا في بطنه، ومن أكثر من ذكره لا يفقد شيئًا مما يريد وجوده، وبالإكثار من ذكره يعرف السالكون نفوسهم لعلويتهم معرفة وجد، ومن واظب عليه إلى أن ينفس عليه، حل وجدانًا في باطنه ما لم يكن يعهده قبل من العلوم والمعارف، ورسخت قدمه في الحكم الذوقية، وأوجد الله تعالى في قلبه الإيمان والتقوى، وهذا وفقه كما ترى، ولهذا الاسم شرف، من حيث هو مركب من ضرب أول عدد زوج في أول عدد كامل، فهو مورود بالسبعة مرتين، وهو عدد الحروف النورانية، وليالي زيادة النور؛ لأنها ليلي وحدة، وليلي النقص ليلي فقد، ولما كان هذا الاسم له مدخل في السلوك؛ لأن أهل السير يعرفون به لنفوسهم كما سلف، كرره دون الأسماء الآتية؛ لأن مبنى الطريق على وجدان طريق، فمن وجد الحق فقد الخلق وبالعكس، ومن وفق ووجد فقد، وقلبه سجد إلى الأبد، ومن سجد

فمنه أشرق له، وتجلى عليه ربه، وعلى الحقيقة فالوجد موجود عند أهل الوجود، والفقد مشهود عند أهل الشهود، وأهل الجمع والفرقان هم أهل القرآن، خاصة الرحمن، فلهم ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضرًا ﴾ [الكهف: 49]، ووجدوا الحق فلم يفتهم شيء، فلو فاتهم لفاتهم كل شيء، فأصبحوا بلا أمل ولا أمنية؛ لنيلهم بربهم كل جزئية وكلية، فكان التكرار لهذا الاسم منا لمؤلف «المختار في المختار»؛ للتنبيه على سر الوجد في الفقد، والفقد في الوجد، وفقد الفقد ووجد الوجد، ووجود الوجود، ووجود الجمود، وهذه الحالات يختلفان باختلاف أربابها، ويكثر فيضها ويقل باعتبار رفعة مقام أصحابها، فللسالك وجد الأخلاق الكريمة وفقد الصفات الذميمة، ووجد كرامة وفقد ندامة، ووجد ارتباط واغتباط، وفقد واحتياط وانحطاط، وللمحب وجد أقداح أفراح، وفقد أتراح، ووجد جد وافتضاح، وفقد هزل ومزاح، ووجد أشجان وفقد أحزان حال مواصلة حسان، ووجد نيران التهاب، حال اختيار وفقد اضطرار عند فقد طوالع أنوار، وللمجذوب وجد معارف وعلوم، وفقد متآلف وعموم عموم، ووجد تقريب وفقد تغريب عن منزل حبيب، ووجد وصال وفقد انفصال، ووجد سعود وفقد كمود، ولأهل كل مقام وجد وفقد يبغون منه المرام، ولأهل الفرق استمداد منها بوجه الفرق، وكذلك لأهل كل عالم من عوالم الأنوار، التي لا يحيط بها حد، ولا يحجبها أستار منها خط، وقسم محقق غير موهوم، وشرب معلوم عند أهل الفهوم.

وتيسر للطيار وجد لعالم الأنوار، وفقد لعوالم الأغيار، لكن هذه العوالم مراتب، بعضها فوق بعض، فمن وجد الثاني فقد في جنبه الأول للوائح المعاني، وفوائح فوائح المعاني، ثم الثالث يغنيه عن الثاني، بقوارع أعواد المثالث والمثاني، وهكذا الأمر في التداني، فإن نور بعد الثاني بالنسبة للأول شمس، قابلها نجم شعشعاني. وكذلك بقية العوالم ذات النور الصحاني، فلو ظهرت عزة عالم لكثير هذا العالم أفنته عنه، وسلبته منه، فإن من رأى شمسنا، هذه ضعف ما لشمسنا من النور، وكل بصره عن رؤيتها، وأدركه العمى والفتور، فكيف بشمس لها أضعاف نوره مضاعفة، فهل يمكن أن يشهدها قوي البشر؟ أو يستطيع صحبه ومعارفه؟

واعلم أن لله تعالى عالمًا يقال له عالم مساوٍ به فيل لونه أغبر، يدعى فيل الكمال،

يحسن فقط من أسماء، وله من الأسماء مائة ألف اسم، وعلوم وأسرار، كسبب يحيى، يُرِّكه أخو من أراد قربه، فيدرك عليه في لحظه ما لا يُدرِكُ من في ألوف من السنين، ويقف به على حقيقة سر العظمة والتمكين، وهذا الفيل في العظمة والكبرياء لا يمكن وصفه، ولذا يُسمى بفيل العرش، فهو كالملك الذي ورد به الخبر عن سيد البشر «**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى، من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة**»[1] رواه أبو نعيم عن جابر.

فمن وجد هذا العالم فقد فقد في جنبه عالم الصواحي، وكان كمفوش عروش، جماله جماله مزج، ومن وجد عالم ديساء، وهو عالم الفيل الأخير، ذو السر الأطهر، والنور الأبهر، فقد فقد في جنبه عالم نيساء، فإنه أرفع منه نورًا، وأعلى وأعلى ظهورًا، وهو بالنسبة للأول كبحر ممتد الجوانب مطول، وذاك كنقطة من هذا البحر الزاخر، الذي ليس له أول من آخر، وهذا الفيل من الأسماء ما لا يحصيه نبيل، إذا ركب الحق عليه عبدًا، أدرك كل جميل، وحصل له في رمشة عين ما لا يدرك في الدهر الطويل، وله من العظم والكبر ما لملك عند سيد الأنام، أخبر: «**ألا أخبركم ببعض عظمة الله؟ إن لله ملكًا من حملة العرش، يقال له إسرافيل، زاوية من زوايا العرش على كاهله، قد مرقت قدماه في الأرض السفلى ومرق رأسه من السماء السابعة العليا، في مثله من خليقة ربكم**»[2] رواه أبو نعيم في «الحلية»، عن ابن عباس، ومن وجد عالم سيساء – قدس الله سره – عن ملاحظة غير ربه تقديسًا، وفقد في جانبه سواه، ونال به دواءه، وهذا عالم الفيل الأحصر، والأوجه لا يدرى له من الأوصاف أضعاف ما لا تقدم، وهو عليهما في كل مقدم، وهو من العظم الروحاني كملك، أخبر عنه الحبيب العدناني: «**أذن لي أن أحدث عن ملك من الملائكة من حملة العرش، ما بين عاتقه إلى شحمة أذنه مسيرة سبعمائة سنة خفقان الطير، قدماه في الأرض السابعة والعرش على قرنه، يقول: سبحانك حيث كنت**»[3] كذا في «الجامع الكبير»، ورمز للخطيب في المتفق والمفترق عن عمر، وفيه أبو معشر المدني، ورواه [illegible] وقد جمع

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس (1/ 401)

(2) رواه أبو نعيم في الحلية (6/ 66)

(3) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (6/ 314)

الصغير: «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش، رجلاه في الأرض السابعة السفلى، وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير، سبعمائة عام، يقول ذلك الملك سبحانك حيث كنت»[1] رواه الطيالسي عن أنس ﷺ.

فمن كان بهذا العظم، وأمن يحمل بعض الخدم، والسر به في عوالم الكرم، بعد ما قوّاه وثبت منه القدم، بلغه في أقل قليل لأجل مقام جليل، يعتنم ليطلعه على سعة ملك أوجده من عدم، وأبدع فيه من بديع الحكم ما يحير لب عملك بحكم سر القدم، ويجلسه على موائد الأكرام، ويخلع عليه خلعة الإنعام، ويبلغه إلى مقام حيث لا مقام، ويرقبه على سرير الختم والتمام، فيكون ختام دائرة أهل عصره، بل ختام كل ختام، وهذا مقام المهدي عليه سلام السلام، ما دام نظام ليوم القيام، بلغه مني السلام، وهذه الأفيال الكرام، ومثلها من الملائكة العظام، منشأها عظمة ذي الجلال والإكرام، وفي كتاب العظمة لعظمة ما يدهش العقول والأفهام، ويرقعها حائرة، فلا دخول لها إلا من باب الاستسلام والإذعان لما جاء به سيد الأنام، عليه أكمل صلاة وأجمل سلام، ومن ذلك حديث «إن لله ملائكة من بين شحمة أذن أحدهم إلى ترقوته سبعمائة عام للطير السريع الطيران»[2]، رواه أبو الشيخ في «العظمة» عن جابر، فإن قلت سلمنا وجود هذه الملائكة للدليل، فمن أين لك إثبات هذه الأفيال التي لم نسمع بها بعد سير طويل، قلنا: قد أدركها أهل السير الجميل، من كل خليل جليل، فإن كنت ممن يسلم لهم غريب، قل، وقيل فمعن، ولا تبادر للإنكار، فإن التسليم لأهل الجميل وصف جميل.

وهؤلاء الأفيال الضخام من حملة الملائكة الكرام، الظاهرين بصورة كصورة الفيل، وهم من شريف سورة الفيل، وحيث كانت القدرة صالحة فاغتنم التسليم، تفز بأجر جزيل، ويشتفي بزاد القليل والطرف الكليل منك السبيل.

ثم يقول الشيخ (يَا مَاجِد) هو بمعنى المجيد إلا أن المجيد أبلغ منه، ومعناه الواسع الكرم دون تحديد، قال المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ في «الشرح الكبير»: المجد هو الشرف الكامل، والملك الواسع الذي لا غاية له، ولا تمكن الزيادة عليه، ولا الوصول لشيء منه،

---

(1) سبق تخريجه.

(2) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (9/ 233).

وخاصيته تحصيل الجلالة والمجد والطهارة، ظاهرًا أو باطنًا، حتى في عالم الأبدان والصور، فقد قالوا: إذا صام الأبرص الأيام البيض، وقرأه كل يوم عند الفطر كثيرًا، برئ بسبب أو بلا سبب، وقيل: إن البرص إذا جاوز خمسين سنة، لا يبرئ لسريانه في كلية التركيب، فلا برء إلا بنحول الذات، وهو موقوف على الموت، وقال سيدي عبد الكريم الجيلي - قدس الله سره - وسر أهل عصري وجيلي في «كمالاته»: اسمه تعالى الماجد، هو الذي نظر إلى ذاته بالتعظيم، فأظهر لذاته بذاته ما لم يكن مستورًا عنه من المجد الشامخ والعز الراسخ، على مقتضى الكبرياء والعظمة والجلال والسناء، وهذا المعنى لا يعرفه إلا العرب.

واعلم أن هذا الاسم من أسماء الصفات، وصفته المجد، وهو عبارة عن نظره إلى ما هو عليه من العظمة والكبرياء التي لا نهاية لها، والفرق بين المجد الذي صفة اسمه الماجد، وبين المجد الذي صفة اسمه المجيد، أن المجد الذي صفة اسمه المجيد عبارة عن ثبوت صفات العظمة والكبرياء كما هو عليه، والمجد الذي هو صفة اسمه الماجد عبارة عن نظره إلى ذاته بتلك الصفات، التي لم يزل ناظرًا إليه بها، فمن هذا الوجه تسمى بالماجد، ومن ذلك الوجه تسمى بالمجيد، فلا تتوهم أن هذا عين ذلك، فما في أسماء الله تعالى شيء مكرر، بل كل له معنى على حدته، وكذلك جميع آيات الله تعالى، ليس فيها تكرار، وقد ذكرت ذلك في كتابنا «حقيقة الحقائق»، الذي بين أيدينا، نسأل الله إتمامه بالخير، كما هو أهله.

وأما خواصه، فذكر أهل الخواص: إن من ذكره في خلوة حتى يغيب عن حسه، تظهر الأنوار في قلبه، ومن داوم على تلاوته اتسعت دائرته، ووسع الله عليه رزقه، والملك يتسع بالمداومة عليه ملكه، وتنفذ كلمته، ويجمع قلوب رعيته على محبته، وقد وافق عدده حم، الذي تمجده السيد العظيم يوم أحد ذكرًا، وهذا وفقه كما ترى، وله خواص كثيرة، يظهرها الإكثار، وإرفاق عمر هذا تورث الإشفاق، والقصد تنبيه النبيه على بعض ما فيه.

ثم يقول الملبي (يَا وَاحِد). ومعناه المنفرد في ذاته، المتوحد في صفاته، الذي لا تقبل ذاته التجزئ ولا الانقسام، ولا يتصف بشيء من صفات الأجرام، واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له ولا نظير في جلاله وجماله وكماله، ليس لوجوده أمد، ولا يجري عليه حكم أحد.

قال الصدر شرح جنانه الصدر في «شرح الأسماء» عند الكلام على سمية الواحد:

الأحد

اعلم أن في مضمون هذا الاسم رجاء للعموم وفتح للخصوص، وهو حصته لمكن بقوله:

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة:163]، ومن عبد غيره قال:

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر:3] فما أشرك من أشرك إلا بسببه، وإن وقع الخطأ في الوقوع من نظرهم ومن قصدك لأجل أمر، فذلك الأمر هو مقصده على الحقيقة، ومن أحبك لأمر ولى بانقضائه، ولهذا ذكر أنهم متبرئون منهم، وما أخذوا إلا من كونهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم، لا أنهم جهلوا قدر الحق. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:25]، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:115]، فوجه الحق موجود في كل جهة يتولى العبد إليها، ومع هذا لو تولى في صلاته إلى غير الكعبة، مع علمه بالجهة، لم تقبل صلاته؛ لأن الله تعالى شرع له استقبال الكعبة في حال الصلاة خاصة، وإذا تولى عبادة أخرى غير الصلاة إلى أي جهة شاء فهي مقبولة، ومن خصائص الكون أن يقبل الأضداد من حيث أحدية عينه، وهي أحكام أعيان الممكنات في العالم، التي تظهر الأسماء الإلهية المتضادة بظهورها، ومن أهل الشهود من يرى كثرة الأسماء؛ لظهور كثرة الأحكام في أحدية عين الحق، فإذا علمت ذلك فاعلم أن الله تعالى واحد في كل شرع، لكن الأدلة العقلية تُكثِّر العقائدَ باختلافها فيه، وكله حق، ومدلول الكل صدق، وبذلك تختلف مشارب أذواق أرباب القلوب وأهل الكشف؛ لكثرة اختلاف التجليات الصورية والمعنوية والطبيعية والروحانية، مع أحدية العين، ولما كان الأمر على هذا النمط لم يمكن المحقق أن يخطئ أحدًا من أهل النظر والشهود، وإنما الخطأ في إثبات الشريك، والمشرك قائل بما ليس له وجود، ولذلك لا يغفره الحق؛ لأن الغفر ستر، ولا يستر إلا من له وجود، والشريك عدم، فأي شيء يستر؟ فإنه لا عين له هناك تتعلق به المغفرة.

واعلم أن الأحد: اسم للفرد لا يشاركه شيء في ذاته، والواحد: اسم لمن لا يشاركه شيء في صفته، فتوحد الحق عن شأنه ليس بتوحيد موحد، ولا بتوحيده لنفسه، فتكون أحديته مجهولة، لكنه تعالى واحد بصفته، وأحديته ذاتية، وهو منفرد بالرتبة الإلهية وحده لا

شريك له، انتهى

قال أبو العتاهية: وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد، فكل شيء في حد ذاته وصفته واحد، لا يماثله شيء من أبناء جنسه، وإذا كان المخلوق كذلك في ذلك فالخالق بالك؟ وقد يعود على الله في له وإنه، أي: موجد ذلك الشيء واحدٌ لا شريك له بكل وجه ف عبر، وواحدية الشيء ليست إلا من وجوهه عند المحققين والنظار، وقد دلت الآيات والعلامات على أحدية الذات، مع تكثر الأسماء والصفات، وكل اسم وصفة فيهما معنى يغاير ما عداهما من المعاني، على أن المسمى واحد، فتثبت أحدية الحق في عينه مع كثرة أسمائه وصفاته، والغلبة والسلطنة لا تكون في كل وقت ومرتبة، وجنس، ونوع، وعدم، إلا لاسم واحد، ويخفى حكم غيره لسر لو كان فيهما، إذ الألوهية الحاكمة واحدة وأمرها واحد، ومظهر ذلك الأمر لا يكون إلا واحدًا، ولهذا كان عند أهل الله العمل بالخاطر الأول عينه المعول، فما خطوا إلا واحدًا، وكذلك أهل الطوالع الحاكمون بأول طالع، حال الشروع فيما يريدون، فاستندوا لمن له السلطنة في الوقت، ولم يكن غير واحد، وسرى حكم الواحدية في الخلافة، فلم تكن علاة لواحد في الظاهر والباطن، فقوله ﷺ: «إذا بويع بالخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»[1] رواه أحمد ومسلم عن أبي سعيد.

وعنه ﷺ: «إذا كان في الأرض خليفتان فاقتلوا أحدهما»[2] رواه الطبراني عن عمر والبكالي.

وعنه ﷺ: «إذا خرج عليكم خارج، وأنتم مع رجل جميعًا، ويريد أن يشق عصاء المسلمين، ويفرق جمعهم فاقتلوه»[3] رواه الطبراني عن عبد الله بن عمير الأشجعي.

وأما في الباطن المراد به القطب الغوث، ولا يكون إلا واحدٌ في وقت لا يشركه في مرتبة أحد انفراد بجلوسه في المخدع، وخلوته بالحق الذي للخلق أبدع، وقد قال العارف الشيع، الخاتم بحق الحق وبه للمخالف يردع، بل جناب الحق لا يكون موردًا لكل واحد، ومصورًا لكل شارد، وإنما هو لواحد بعد واحد، ولهذا السبب مأمون الإشارة بحديث: «في كل قرن من أمتي سابقون»[4] رواه الحكيم عن أنس، والمجدد واحد حديث

---

(1) رواه مسلم (3/ 1480) (2) رواه الطبراني (19/ 314)

(3) ذكره ابن حجر في الإصابة (4/ 199) (4) رواه الديلمي في الفردوس (3/ 40)

«**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»[1] رواه أبو داود، والحاكم، والبيهقي في «المعرفة» عن أبي هريرة.

وخاتم الولاية المحمدية الباطنية واحد، كما أن خاتم الولاية المحمدية الظاهرة واحد، والبيت المعمور واحد، وفي الحديث: «**البيت المعمور في السماء، يقال له: الضراح، وهو على مثل البيت الحرام بحياله، لو سقط منه حجر لسقط عليه، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لم يروه قط، وإن له في السماء حرمة على قدر حرمة البيت**»[2] رواه الطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس، وضعف. (والبيت واحد)، و(الحجر) كذلك.

وفي حديث: «**يا كعبة ما أطيب ريحك، ويا حجر ما أعظم حقك، والله، للمسلم أعظم حقًّا منكما**»[3] رواه العقيلي عن أبي هريرة.

وعنه ﷺ: «**مرحبًا بك من بيت، ما أعظمك وأعظم حرمتك، وللمؤمن أعظم عند الله حرمة منك**»[4] رواه البيهقي وأبو داود عن ابن عباس.

وعنه ﷺ: «**لقد شرفك وكرمك وعظمك، وأعظم حرمتك، وللمؤمن أعظم عند الله حرمة منك**»[5] ـ يعني الكعبة ـ رواه الطبراني في «الأوسط».

وصخرة بيت المقدس واحدة، وفي الحديث: «**العجوة والصخرة والشجرة من الجنة**»[6] رواه أحمد وابن ماجه والحاكم، عن رافع بن عمرو المزني إلى غير ذلك.

ولما كان الحق واحدًا أحب الواحد، وبهذا جاء حديث: «**إن الله تعالى وتر يحب الوتر**»[7]، قال المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ: قال القاضي: وكلما يناسب الشيء أدنى مناسبة، كان أحب إليه مما لم تكن له تلك المناسبة.

قال ابن عربي رضي الله عنه: فتعين عليك أن تكون من أهل الوتر في جميع أفعالك؛ حتى تطلب بصدد والكعبة، وقد أمرك الله تعالى بقوله في الخبر: إن الله وتر فأوتروا يا أهل القرآن، فإذا اكتحلت فاكتحل وترًا في كل عين واحدة، أو ثلاثة، فإن كل عين عضو

---

(1) رواه أبو داود (4/109).

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير (11/41).

(3) رواه ابن عدي في الكامل (2/143).

(4) رواه البيهقي في شعب الإيمان (3/444).

(5) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (6/36).

(6) رواه الحاكم في المستدرك (4/226).

(7) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (2/93).

مسعى، وإذا طعمت فلا تنزع يدك إلا عن وتر، وإذا شربت الماء في حسوتك جرعة وتر، حتى أنك إذا أخذتك الغواق أشرب من الماء سبع حسوات متصلة، هكذا جربته.

قال الحكيم الترمذي: خلق الله الأشياء على محبوب الوتر؛ واحدًا وثلاثًا وخمسًا وسبعًا، فالعرش والكرسي واحد، والقلم واحد، واللوح واحد، والقدر واحدة، والسجن واحدة، وأبواب الجنة سبعة ثم يزيد واحدًا لمحمد ﷺ باب الرحمة والتوبة، وهو أفضل الأبواب، وأبواب السجن سبعة، وعيال الله مقسومون على سبعة أجزاء، وطلاب الآدميين سبعة، وأرزاقهم سبعة، وعبادتهم على سبع جوارح، ثم افترض على العبد خمس صلوات وهي وتر، وعدد ركعاتها سبع عشرة وهي وتر، وأم القرآن آياتها وتر وأدنى القراءة واحدة وهي آية، وأدنى التسابيح واحد في الركوع والسجود، وفرض الحج في يوم التسع حجة، والزكاة في كل مائتين خمسة دراهم، والعشور من كل عشرة واحد، وافترض على العبد حفظ سبع جوارح، وجعل التقوى في سبعة، وأسماؤه تسعة وتسعون، والقلب وتر وحدانية، فأظهر الله محبوبه في عامة الأشياء، فالعبد في الوتر من شئون ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فمن صلاه كان كمن دخل محل الملك من السر يعتذر إليه في عمل نهاره وتقصيره، انتهى.

وعنه ﷺ: «ما شئت أن أرى جبريل متعلقًا بأستار الكعبة، وهو يقول: يا واحد يا ماجد لا تزل عني نعمة أنعمت بها عليّ إلا رأيته»(1) رواه ابن عساكر عن علي.

وأما خواص هذا الاسم، فقد ذكر أهل الخواص أن من قرأه ألف مرة خرج من قلبه خوف الخلق، ومن دهش فهيأ قلبه في الخلوة يقرأه العدد المذكور، يزول دهشه، ويحصل له القرب، ومن داوم على ذكره اطمأن قلبه، وسكن روعه، والذاكر المكثر منه يستوحش من الكثرة، ومن رسمه في مربع من فضة وحمله لم تزل الملائكة تؤنسه في حضره وسفره ووحدته، وموته في قبره إلى أن يبعثه الله آمنًا، وهذا مجرب، ومن رسمه في مربع والعدد ذكرًا دائمًا، يرى من المهابة ما لا تصفه الألسن، وإذا سقط سمع مثله وتهيبه وسمع، فمن وضعه في مربع وحمله، لم يؤثر فيه السحر، وإن كان به سحر بطل بإذن الله.

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (5/ 450).

تعالى، وهذه صورته.

ثم يقول التالي (يا أَحَدُ): سبق الكلام على هذا الاسم، والفرق بينه وبين الواحد في سورة الإخلاص، وهذا الاسم يصلح لأهل الغنى المستغرقين في عين الجمع، المستهلكين في بحار التوحيد، والواحد لأهل الغنى في حضرة الجمع، فهم لا يشهدون إلا واحدًا، وإذا ضربت حروفه في ثلاثة، كانت تسعًا وثلاثين، فإذا وضعته في مثلث في صحيفة من رصاص، وزحل في شرفه أو بيته، أمن به حامله من المعاند، وقوي به على جميع عوالمه المخالفة له بإذن الله تعالى، وهذه صورته، ومن وضعه بمقسم هندي في حديد، والقمر في إحدى البروج الثابتة، أعانه الله على الجهاد إعانة عظيمة، ومن أكثر من ذكره فتح الله عليه في التوحيد، ومن نقش الاسمين عند طلوع يوم الأحد في ورقة، وهو مستقبل القبلة على طهارة وذكر، وحملها في عمامته، رزقه الله العز والهيبة والوقار عند الصغير والكبير، بحول الله العزيز الجبار، هذه صورته، ومن قرأه ألف مرة عاين الملائكة، وإذا أضيف إليه الاسم الجامع، كان من أعظم الأذكار وأجلها، ويصلح ذكرًا لمن كان اسمه أحمد.

ثم يقول يقول التالي: (يا فَرْدُ) ومعناه: المتفرد في ديمومته وبقائه، والحاكم على من سواه بإعدامه وفنائه.

وقيل: هو الذي لا تشفع له من صاحبة أو ولد؛ لعلم الصديق الأكبر بالشيء الذي وقر في صدره فتدبره، من خواص هذا الاسم أن من لازم على تلاوته انفرد بالعموم، واشتهر وامتد صيته وانتشر، ومن خواص ملازمته ظهور عالم القدرة وآثاره، حتى لو ذكره أحد في خلوة ألفا، ظهرت له عجائب غرائبه، بحسب الذاكر قوة وضعفًا.

ثم يقول التالي (يَا صَمَدُ)، مر الكلام عليه وعلى خواصه في سورة الإخلاص

ويقول: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)، فيمصد. ولا غيرك في الحوائج يصمد، جاء في حديث شريف عن من ظلته الغمامة: «شعار المؤمنين يوم القيامة في ظلم القيامة: لا إله إلا أنت»[1]، رواه الشيرازي عن ابن عمرو.

---

1 ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 161)

وعنه ﷺ: «شعار أمتي إذا حملوا على الصراط: لا إله إلا أنت»[1]، رواه الطبراني عن ابن عمر، ومن دعائه: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت، أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون»[2] رواه مسلم عن ابن عباس إلى غير ذلك.

(بِرَحْمَتِكَ)، أي: سر وسعها وشمولها وعمومها. (نَسْتَغِيثُ) أي: نطلب منك الإغاثة من عذاب دار عصيك وهمومها، وتناول رسومها، وفي الحديث: «ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؟ أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»[3] رواه الحاكم عن أنس.

(فَأَغِثْنَا): إغاثة ننجو بها من المتالف، ونسلم بها من شر عنيد عنيد مخالف، أو قامت علينا بغيث غيث مريح، في موقع ومرتع غير مريع، وينبغي أن يلحظ التالي هذا المعنى عند الاحتياج إلى منح السحاب؛ ليفتح منه مغلوق الرتاج، وأن يكثر من إنشاد بيتين، وهما لسيدي محمد البكري رفيع المنهاج، منبع سر وهاج، وهما ينشدان في زمن المحل؛ لاستنزال الوابل الرتاج، صوح النبت فاسقه قطرة من سمائك، وأغث قومًا في ترجي مواهبك، ولله سبحانه وتعالى في ملكه عوالم، سحائبها الهطال الدائم، بكف المخالف العارف العالم لعالم، فإذا قطرت من عيونه قطرة، أنشأ الله تعالى منها سحابًا ركمًا، وسح على من شاء الله تعالى من أهل تلك العوالم، فشربوه شربًا يبدي اضطرامًا، ويبدي غرامًا، ويهدي مرامًا، وربما لم يبلغ أيامًا، فيسقون لبكائه أشهرًا وأعوامًا، وهذا الشرب المورث نيل القرب يرفعهم مقامًا مقامًا، ويشاهدون فيه من الأنعام والإكرام ما يوجب بحجًا في صدره وإبرامًا، وهذا من الأمور الذوقية، التي لا تدرك إلا بالكشف لأهله، فيسلم محبهم المقول إيمانًا واستسلامًا.

(يَا مُغِيثُ) قال الإمام الجيلي - قدس الله سره - في «كمالاته»: المغيث تعالى هو الذي يجود على الموجودات بإعطاء ما تقتضيه قوابلها، وهذا الاسم من أسماء صفات

(1) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (1/ 57).

(2) رواه مسلم (17/ 363) بنحوه، ورواه النسائي (4/ 339).

(3) رواه الحاكم في المستدرك (1/ 730).

الأفعال، وصيغته الإغاثة، وهي عبارة عن سرعة إجابة كل مضطر بإيصاله إلى ما اضطر إليه، على من يستحقه قابليته، والوسيلة مختلفة؛ فمنها ما يكون باطنًا، ومنها ما يكون ظاهرًا، ومنها ما يكون بلسان الحال، ومنها ما يكون بلسان المقال، وكل مضطر إلى ما لا بد من وصوله فمتى الأمر إليه على الحقيقة، لا يكون إلا هكذا، وما يتصوره الخلق في الغريق أنه مضطر إلى النجاة، من اقتضت قابليته هيكله بقاء في هذا العالم، و هلك بمن اقتضت قابليته المضي من هذه الدار، فلم يكن مضطرًّا على الحقيقة؛ إذ لو كان كذلك لم يهلك، وتلك الضرورة المتوهمة إنما هي باعتبار العادة للأمر، حيث ما هو الأمر عليه في الحقيقة، فكل مضطر على الحقيقة إلى أمر لا بُدّ من حصول ذلك الأمر له، وذلك معنى الإغاثة فمن لم يكن الأمر كذلك، لا ينعدم أثر اسمه المغيث، تعالى سبحانه عن ذلك علوًّا كبيرًا. انتهى

وقال الخاتمي قدس سره في «المبادلة»: الإغاثة لا تكون إلا لمن قارب الهلاك، إلا في حق حق، فهي لمن دنا هلاك، ومن هلك فإن بيده ملكوت كل شيء، فنسبت الإغاثة إلى الخالق بوجه لا ينسب إلى المخلوق، فبالاسم المغيث ينقذ الغرقى، وينجي من المهلك، وقد يكون الدعاء من الذي يطلب هذا الاسم بالقول، أو بالحال، أو بهما معًا، وفي حق نفس الطالب وفي حق غيره، على حسب ما يكون الباعث على ذلك.

وقال المحقق: لا يرى أن أحدًا أغاث أحدًا لعينه، وإنما أغاثه من أجل نفسه، فإنه قامت به الشفقة و الألم لذلك المغاث، فأغاثه ليزيل الألم عن نفسه، والحق كل ذلك، فالفهم سر الحجاب، فإنه الله ما أغاث من استغاث به حالاً، أو قالاً إلا لعين المستغيث به، وقد حرت هنا حيرة شديدة، فإن العقل يقتضي هنا بدليله، بخلاف ما يعطيه الوضع الإلهي، ولا شك أن الله أعلم بنفسه من خلقه تعالى، فالرجوع إليه والفهم محجور عليه أن ينطق به صاحبه، وهكذا في أكثر الأسماء، أو في كلها، انتهى

(أَغِثْنَا) أي: أعنا وانصرنا، واكشف برحمتك الشدة عنا، قال في «المصباح»: أغاثه إغاثة إذا أعانه ونصره، فهو مغيث، وباسم الفاعل، ومنه مغيث زوج بريرة اسم منه، واستغاث به فأغاثه، وأغاثهم الله برحمته: كشف شدتهم... إلخ

ويكرر التالي (ثلاثًا)، أي: يا مغيث أغثنا؛ لحديث التاجر الذي قال فيه: «يا ودود،

ذا العرش المجيد، يا مبدئ يا معيد يا فعال لما يريد، أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك، وأسألك بقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك، وبرحمتك التي وسعت كل شيء، لا إله إلا أنت، يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني»[1]، ذكره القشيري ﷺ في «الرسالة» في باب الدعاء.

وقوله: (الغوثَ الغوثَ) أي: أسألك إغاثة بعد إغاثة، لأكون ممن له سمت مغيث بوعده (نصب على المصدر)، كما في: لبيك اللهم لبيك، أي: إجابة بعد إجابة، وفي الحديث الشريف: «من أغاث ملهوفًا كتب الله له ثلاثًا وسبعين مغفرة، واحدة منها في صلاح أمره، وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة»[2]، رواه البخاري في «التاريخ»، والبيهقي عن أنس، ومن فوائده ﷺ قوله: «إذا ضل أحدكم شيئًا، وأراد أحدكم غوثًا وهو بأرض ليس بها أنيس، فليقل: يا عباد الله أغيثوني، يا عباد الله أغيثوني، فإن لله عبادًا لا يراهم»[3] رواه الطبراني عن عتبة بن غزوان.

(مِن مقْتِكَ) أي: من بغضك، قال في «المختار»: مقته: أبغضه، فهو مقيت وممقوت، انتهى.

ومعنى طلب الإغاثة من مقتك: فإن من أبغضته هلك، ومن أحببته سعد وسلم، جاء في الخبر، عن سيد البشر: «إذا أحب الله عبدًا قذف حبه في قلوب الملائكة، وإذا أبغض عبدًا قذف بغضه في قلوب الملائكة، ثم يقذفه في قلوب الآدميين»[4]، رواه أبو نعيم في «الحلية»، عن أنس.

وعنه ﷺ: «إن الله تعالى يبغض كل عالم بالدنيا جاهل بالآخرة»[5]، وفي رواية: «إن الله تعالى يبغض الفاحش المتفحش»[6]، وفي أخرى: «إن الله يبغض العبس في وجوه إخوانه»[7].

وكل ما نهى الخلق تعالى عنه فهو مبغوض له، وكل ما أمر به فهو محبوب له، فكأن المؤمن لما خشي مقت الله تعالى، ومحبته حبورًا، استغاث من أن يأتي منهيًّا عنه، ويترك مأمورًا.

---

(1) وذكره حقي في تفسيره (7/ 154).
(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان ([illegible] 20 [illegible]).
(3) رواه الطبراني في المعجم الكبير (12/ 44).
(4) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ([illegible]).
(5) رواه البيهقي في سننه الكبرى (10/ 194).
(6) رواه الحميدي في مسنده (2/ 490).
(7) لم أقف عليه.

(وَطَرْدِكَ) أي: وأستغيث بك من طردك في غير بابك، وإقصائي عن رفيع منيع جنابك، فإنه على الغضب والسخط، ومن غضبت عليه فقد هوى في لجة الجحيم سقط

وفي الحديث: «إن لم تكن ساخطاً علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له السموات، وأشرقت له الظلمات، فصَلُحَ لي أمر الدنيا والآخرة، أن تحل علي غضبك، أو تنزل علي سخطك، ولك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك» (1) رواه الطبراني عن عبد الله بن جعفر من حديث، فالطرد - نعوذ بالله منه - ضدٌّ وردٌّ، ومن يقدر على رد من إليه المرد؟

وقد قلت والعبرة تسقي الخد دون حد:

أتطردني عن باب برك سيدي ... إذا لم أكن أهلاً له أين أذهب
هل ملجأ إلاك يلجى ويرتجى؟ ... وحقك ما لي غير ذاتك مطلب
وحقك لو أقصيتني عنك لم أكن ... أمد يدي إلا إليك وأرغب
ولست لسوي أخشى وأرهب إنما ... وحرمة عهد منك، أختبي وأذهب
إذا كنت لي ربًّا كفاني سؤددًا ... وإن كنتُ للأبواب لست أقرب
ذنوبي أقصتني، ولو شئت محوها ... محوت فيهم العفو لا زال يسكب
تعذبني بالطرد عنك، وإنني ... أرى كل تعذيب من الحب يعذب
إذا شئت تعذيبي، فإنك قادر ... وإن شئت تعذيبي فعفوك أقرب
فإنك غفار غفور وغافر ... وإني خطَّاء جسور ومذنب
رضيت بما ترضاه في كل حالة ... وليس لما لا ترتضي أتطلب
فبالسيد المختار أكرم مرسل ... وبالآل والأصحاب من منك قربوا
أجرني من طرد، وبعد فإنني ... لجاه رسول الله مولاي أنسب
عليه صلاة الله، ثم سلامه ... كذا الآل والأصحاب، ما لاح كوكب

(وَبُعْدِكَ)، البعد ضد القرب، وكذا القرب: الطرد، فيكون العطف عطف تفسير.

(1) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (6، 35) بنحوه.

والمعنى: واستغيث بك من بعدك، أي: من بعدك، أي: من بعد رحمتك وتقريبك مني، وبفضلك الأقدس الذي يحيي ويدني

ومن دعاء الإمام جعفر الصادق ﷺ: أنت يا إلهي صاحب كل وحيد ومؤنسه، وكاشف ضره، الغوث من طردك ومقتك وبعدك.

وقد حصلت موافقة هذا الإمام في دعائه من غير عثور على استدلاله وشهادته

ومما كان يدعو به الجيلاني:

أمدنا الله بلحظه في مجالس وعظه، اللهم إنا نعوذ بوصلك من صدك، وبقربك من طردك، وبقبولك من ردك، واجعلنا من أهل طاعتك وودك، وأهلنا لشكرك وحمدك

(يَا مُجِيرُ): ومعناه الذي يؤمن من المخاوف، وينجي من المتالف، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ ﴾ [المؤمنون: 88].

قال القاضي ـ رحمه الله تعالى: يغيث من يشاء ويحرسه، ولا يُجار عليه ولا يُغاث أحد ولا يُمنع منه، وتعديته بعلى؛ لتضمنه معنى النصرة، انتهى

وفي الحديث: «أسألك يا قاضي الأمور، وشافي الصدور، كما تجير بين البحور، أن تجيرني من عذاب السعير، ومن دعوة الثبور، ومن فتنة القبور»[1]

(أَجِرْنَا) أي: انقذنا، (ثَلاثًا) أي: تكرار ثلاث مرات، (مِنْ خِزْيِكَ) أي: من ذلك، وهو أنث لك، قال في «المختار»: وأخزاه الله: أذله وأهانه، انتهى.

(وَعِقَابِكَ) أي: وأجرنا من عاقبتك على سوالف الذنوب، يا علام الغيوب، فإنا لا نقدر على العقاب، فضلاً عن العذاب، وإن كان العقاب عند أهل الاقتراب أشد من العذاب؛ لرفع الحجاب، وأجرنا (وَمِنْ شَرٍّ) أي: ظلم، فإن الشر هو الفساد، والسوء والظلم، وجمعه شرور.

قال في «المصباح»: وقول النبي ﷺ: «والشر ليس إلا إليك»[2] نفي الظلم والفساد؛ لأن أفعاله تعالى صادرة عن حكمة بالغة، والموجودات كلها ملكه، فهو يفعل في ملكه ما يشاء، فلا يوجد في فعله ظلم ولا فساد، ورجل شرير أي: ذو شر، وهذا أشر من ذلك،

(1) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (35/ 452)

(2) لم أقف عليه

والأصل أشر بالألف على أفعل، واستعمال الأصل لغة لبني عامر، وقرئ في الشاذ «من الكذاب الأشر» [القمر: 26] على هذه اللغة.

(عِبَادِكَ أَجْمَعِين) كلمة يؤكد بها، يقال: جاء القوم أجمعون أكتعون أبصعون، فدخلت سائر الأجناس من يأتي منه الشر، كالحيوانات والجن والناس، ولما طلب الإجارة من الشر ناسب طلب اللطف ليكفي الضر.

(يَا لَطِيفُ أُلْطُفْ بِنَا بِلُطْفِكَ يَا لَطِيفُ) قال صاحب «دقائق الإشارات»: ومنها اللطيف، قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103] ومعناه: الذي يريد لعباده الخير واليسر، ويقيض لهم أسباب الصلاح، وهذا للمؤمن عند من لا يرى أن ما يعطيه الله تعالى للكفار نعمة، أو أراد للمؤمن خاصة في أسباب الدين، أو أراد المؤمن والكافر عامة في أسباب الدنيا عند من يراها في الجملة.

قال أبو سليمان: اللطيف: هو البر بعباده، الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون، لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ [الشورى: 19]، وقيل: هو الذي يوصل إليك أربك في رفق، ويقال: هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية، انتهى.

وقال سيدي محمد العرنوني - قدس الله سره: اللطيف سريانه في أعماله الموجودات، أي باعتبار أنه الفاعل لها واختفاء لطائف حكمته في مظاهر الكائنات، هو الذي ييسر كل عسير، ويجبر كل كسير.

اعلم أن حقائق هذا الاسم وأسراره عمّت مراتب الوجود، واللطف مأخوذ من اللطافة وهو الخفاء، وأقرب أمثلة خفيات ألطافه مد الظل وقبضه، فإن البصر لا يدرك غير امتداده وانقباضه حالاً بعد حال، ولا قدرة له على شهود حركته المحسوسة على الدوام، فضلاً عن شهود حقيقة خروجه عن الأصل الخفي ورجوعه إليه، فإن الظل إذا أخذ في الامتداد يخرج من ذات الشخص، وكذلك إذا انقبض لا ينقص إلا ما منه خرج، هذا شهادة العين.

وقال الحق عز شأنه: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان: 46]، إشارة إلى أن ما يخرج منه هو الحق سبحانه، ظهر من حيث تجليه بصورة فيه، فظل يبرزه تارة

وبقبضه أخرى، وكما أضاف القبض إلى نفسه، فكذلك أضاف الامتداد إليه، بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: 45] الآية، وهذا من ألطف الإشارات، فإن العين تدركه، وتشهد حركة الامتداد وتقاصره من ذات، الكشف أنها هي حقيقة من لطائف نعت ذات القوي اللطيف، وكذلك قوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 80]؛ إشارة إلى سريان هذا اللطف الإلهي، الذي هو كسريان نور الشمس في أجزاء الجو، إذ امتزاجه بحيث لا تقع الإشارة إلى الهوى إلى النور، وكذلك سبب احتجاب الذات المتعالية سعة ظهوره واحتجابه عن الإدراكات بسبحات نوره. انتهى.

وقال الجيلي - قدس الله سره - في «الكمالات الإلهية»: اسمه اللطيف تعالى هو الذي امتنع إدراكه بالأبصار، وتنزه عن المكان، فلا يتحيز في الجهات والأقطار، وتعالى عن الحد، فلا تعرفه العقول بالفهوم والأفكار، وهو مع ذلك أقرب إلى الأشياء من دونها، وأظهر عليها من صفاتها غاية الإظهار، وهذا الاسم اسم صفة رحمة بهذا الاعتبار، وعند الاسم اعتبار آخر، وهو أن اللطيف هو الذي يسرع بكشف الغمة عند حلول النقمة، ويصنع بإزاء النعمة من حيث لا تتوقعها الهمة، وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ قال: «إن لله في طرفة عين نظر لطف إلى خلقه»(1)، فهو بالاعتبار اسمه اللطيف من أسماء صفات الأفعال، وصفته اللطف، وهو عبارة عن سريان الرحمة بأنواع الإنعام والمنة من غير سبب، وبالاعتبار الأول: أن اللطف عبارة عن خصوص أعلم به من حيث خفي امتنع معرفته عن الحقيقة للعاقلين عن مدارك الفهوم، وتنزهها عن سلطة عادات العموم. اهـ.

قال البوني - رحمه الله تعالى - في «شمس المعارف»: وهذا الاسم خواصه عجيبة، تعطي لصاحبها المكرة في لطف الله تعالى، بأنواع الموجودات مع دوام المداومة في الأوقات؛ لأن المتقرب إلى الله تعالى بهذا الاسم لا يكون إلا مع بضاعة بدون على نفسه، ومعينا لأولياء الله تعالى بحق المعاملة باللطف، وهذا الاسم إذا تلاه السالك في خلوة رياضة في العلائق لتصفية من خاطره وراء ظهره، وتلاوته عدده الكبير (992) مدة أربعين يوما، حتى يحضر خادمه الملك قطيائيل عليه السلام، وهو من علم إسرافيل عليه السلام، ويأتي للذاكر بحسب

---

(1) لم أقف عليه.

استعداده في النوم أو اليقظة، ويحليه بالمواهب، وينال المرتبة العليا

وعلم أن هذا الاسم يحكم على الدور الأول وعوالم زحل، وهو مذكر بكل ما سرلك من خير أو شر، أونفع أو ضر، أو جلب أو طرد، فمن ذلك إذا قرأه من تعسر أموره بعدد المذكور فرج الله عنه عام التلاوة، وقد وقع لنا من الوقائع الغريبة مع الولد عزيز محمد بن المدني، وذلك أنه توفي والده، وطلب السلوك، ودخوله إلى الأسماء ومرتبة سموتها، وأعطاني بكشف الرباني، والنظر الصحيح أنه يصلب، فلما جاءني، ونظرت إلى حاله، أنفت نفسي أن ألقن لمن هذه الحالة حالته، فاستخرت الله تعالى، وألقيت عليه هذا الاسم، وأن يتلوه في اليوم والليلة تسعين ألف مرة أربعين يوماً، فلما أتمها رأى في النوم أنه جاءه موتي، وأخذه وصلبه، ومات وغسلوه ودفنوه، فاستفاق من نومه وهو مرعوب خائف، وجاء بي فنظرت إلى وجهه، قد تلألأ نوراً، وزال الذي كنت أراه، وذكر لي قصته، فحمدت الله تعالى، ولقنته الذكر والأسماء، وصار من أرباب الولايات

ومن خواص هذا الاسم تيسير الأمور، وبلوغ المآرب، فإذا كان الإنسان مهموماً، أو صاحب حاجة، وتلاه عدة قضى الله حاجته، وإذا كتب شكله المخصوص به، وأوصاف بيه اسم ... عن ذهب أو فضة في وقت سعيد، وحمله إنسان، فتح الله تعالى عليه، وكان منطوقاً به في سائر أحواله، وإذا أردت حضور روح من الأرواح فاتلوا هذا العدد والدعوة وأمر الخادم بأن يحضر الروح، فإنه يحضرها حالاً، وهذه صورته كما ترى، والدعوة تقول: (بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إني أسألك ياه 3 يا حي يا منان يا لطيف، يه يه، يا ذا الجلال والإكرام3 يا لطيف، ياه ياه، سبحانك لا إله إلا أنت يا لطيف، لا إله إلا أنت ولا إله غيرك ولا معبود سواك، أنت الحق المبين يا لطيف، يه يه يه يه يه ميا، أجب يا رومان بحق اسمه اللطيف الذي خفي، أجب ... الله فيك وعلى كذا وكذا ... وظهر لي في خلوتي بأشمخ شماخ، أنت اللطيف العلي على كل براح، يا لطيف يه يه، أنت الحاكم لا تحكم عليك حاكم، يا لطيف ياه ياه أنت السلطان لا شريك لك في ملكك، يا لطيف أنت الجبار المنتقم ممن ظلمني، أنت اللطيف ومدبر الأمور، يا لطيف أنت القوي لم يقو عليك قوي، يا لطيف يا من هو كل يوم في شأن، سخر لي خادم هذا الاسم يفعل لي كذا وكذا، بألف ألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لا إله إلا

أنت الحي القيوم الملك القدوس، كهيص حمعسق، أسألك باسمك العظيم الذي اختص به الأخصاص من خلقك أن تقضي حاجتي يا رب العالمين)

واعلم أن هذا الاسم متصرف في أمور كثيرة، حتى في إقلاب [لك عدا] (1)، وإدناء سمك، وقضاء الحوائج كلها، وكل ما تريد وهذه الدعوة مخصوصة بالخلوة، والمكث فيها أربعين يومًا، واعلم أنك متى أردت حضور خدمة الملك زومان فاذكر الاسم عدده بشرط الرياضة وتلاوة الدعوة إحدى وأربعين مرة وفي ليلة الجمعة بعد أن تصلي ركعتين بسورة الكهف ويس، وبعد ذلك تتلو الاسم وتقول: أجب أيها الملك زومان وبه يحضر هذه ويعطيك حجرًا أسودًا من سبج، وشيئًا من الدراهم، ثم يحرك بما تريد والبخور حصى لبان، ثم تقول له انصرف بحق ما أتيت به من الطاعة، وبه يذهب، وكلما تريد حضوره تبخر وتقرب الحجر من النار فإنه يحضر ويقضي حاجتك وما تريد، وأما الذاكر القائم بهذا الاسم الشريف تقول:

(بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أنت اللطيف الخافي عن جلة نظر العيون، المنزه عن إدراك العقول والأفكار، العالم بإحاطة الموجودات، المتجلي على سرائر القلوب في خادمين من العالم الجليل، منهم والحقير، وبما تشاء من حسن التدبير والتحرير، أسألك بما بطن من غوامض خفيه الأسرار، وبما ظهر من حقائق التكوين في ظلم الظلمات من ضياء أشعة الأنوار، أن تجذب قلبي بلطيف الكشف الفاني عن شهود الباقي من لطائف الأسرار والمعاني، ليتنعم قلبي بك في تلك الرقائق واللطائف، وتزول عني شبه المشكلات بظهور تلك الحقائق، اللهم استرني بحق اسمك اللطيف من شر كل ذي شر وحاسد يا الله، يا لطيف يا خبير)

ما من عبد لازم على هذا الاسم الشريف مع الذكر القائم به، إلا صدر من أرباب سلوك الواصلين، ونال سعادة الدنيا والآخرة، وشاهد في حال التلاوة أشياء كثيرة لا تدخل تحت حصر

وقال في موضع آخر: هذا الاسم العظيم الشأن، العجيب البرهان، سريع الإجابة، يصلح لتفريج الكرب في أوقات الشدائد ويصلح ذكرًا للمسجونين والمأسورين، ومن

(1) معرب عن أصل فارسي، وهو نوع من الجلود يكتب عليه.

اشتد به مرض، وكان مقهورًا تحت سلطان طبعه، وإحكام عاداته، وأكثر من ذكره، سهل الله تعالى عليه الخلاص من ذلك، ويصلح ذكرًا لمن كان اسمه صالحًا، وله من العدد ١٦٩، وهو عدد فرد مستطيل، تعلمه الثلث ثلاث وأربعين، وهو من الأعداد الناقصة، أجزاؤه سبع وأربعون، تشير إلى اسمه تعالى الوالي؛ لما في اللطف من التوالي، وإلى اسمه المبدئ؛ لما فيه من الرجوع إلى حكم الفطرة.

واعلم ـ وفقني الله وإياك ـ أن هذا الاسم له خواص جليلة في تفريج الكرب عند الشدائد، ولا يصل إليه غيره، يظهر من آثاره العجب العجاب، ولا يذكره من يولد شيء في نفسه أو بدنه، إلا أزاله الله تعالى في أثناء الذكر، ولا يذكر أحد في نفسه أمرٌ عظيم قد هاله، ومثل ذلك الأمر في خلوة، وأقبل على الذكر، وهو يلاحظ تلك الكيفية، إلا وشاهد كيف ينحل ويضمحل، فلا يقوم من مقامه وبقي شيء يرهبه، وفي ذلك أسرار بديعة، ومنح مريحة، تعطي هذه الصفة كما ترى.

وقال الشيخ محمد أبو بكر بن صالح الكتاني في رسالته «المنهج الحنيف في معنى اسمه لطيف»: من أراد أن يرى في منامه ما يحب ويختار، فليتوضأ ويصلي ركعتين بعد العشاء، ويستغفر الله تعالى ما أمكنه، ثم يقول: (يا لَطِيفُ عَدَدَ 129) مرة ثم يقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:14]، يا هادي يا مهدي يا لطيف يا خبير، اهدني وأرني وخبرني في منامي ما يكون من أمر كذا وكذا وكذا، وتذكر حاجتك بحق سرك المكنون، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: 25]، ثم ينام، فإنه يرى في منامه ما يطلبه، إما أول ليلة، أو في الثانية، أو في الثالثة، ومن أكثر من ذكره أحيا الله باطنه بنور المعارف، وطهره بنور اللطائف، وحفظه في نفسه وأهله وكفاه ما يخافه، ومن أراد قضاء حاجته فليذكر الاسم سبعة آلاف، ثم يقل بعدها: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ [الأنعام: 63 - 64]، مائة واثنين وسبعين مرة، ولا يكلم أحدًا في أثناء ذلك، فإن الله يقضي حاجته في أسرع وقت، ومن عرف كيفية التوحد به ليستغني به عن كثير من الأسماء، فهم الإشارات بحثًا عن صريح العبارات، ومن ذكره عدده بين يدي حاكم وقت غضبه

سكن، ومن ذكره عدده الواقع، وهو مائة وثلاثة وثلاثون، وهو أعداد اسمه لطيف، مصدقًا عدد حروفه الأربع، وصح الله تعالى عليه ما ضاق، ويكن مصوف به في جميع أموره، والخاصة في ملازمتها، إنها تقوي الجنان، وتشجع القلب، وتلقي الهيبة في قلوب العدو، ويكون مقبولاً عند جميع الناس، وإن كان ذاكره فقيرًا استغنى، أو مديونًا قضى الله دينه، أو خائفًا أو محبوسًا أمن وخلص، أو أسيرًا انفك، أو مهمومًا فرج الله همه وكشف غمه، وإن كان مسافرًا رجع إلى أهله سالمًا، أو خاصم أحدًا ظفر به، وإن دخل على حاكم وجبابرة أحبوه وعظموه، وكانوا له عونًا في قضاء حوائجه.

قال: ومن المجربات أن من قتر عليه رزقه، وحصل له نكبة من نكبات الدهر أو بلايه، وثلاث مائة وتسعة وعشرين مرة، أو ألف مرة - بنية ذلك الشيء - إلا لطف الله به فيه، وصفة ذلك أن يصلي العصر، وإن كان عليه ورد ذكره، ثم يتلو الاسم بالعدد المذكور، ثم يسجد ويقول وهو ساجد: يا لطيف اللطفاء، وأرحم الرحماء، أذهب عني كذا وكذا - وتسمي حاجتك - إنك ألطف اللطفاء، وأرحم الرحماء، ثم ترفع رأسك وتقول الدعاء ست عشر مرة.

قال الربيع: كان من أدعية الإمام الشافعي ﷺ المشهور بالإجابة.

(اللهم إني أسألك اللطف فيما جرت به المقادير) من قاله في كل يوم 139 مرة، أمنه الله من شر الحوادث، ورزقه اللطف في سائر الأحوال، وتنعطف العدا، وإذا كان ذا شوكة أن تأخذ من نوى الزيتون بعدده الصغير، وتتوضأ وتصلي ركعتين وتأخذه وتقرأ فيه ما وتضعه بين يديك، وتتناول نواة وتقول:

يا لطيف بخلق السموات والأرض الطف بي، واعطف علي قلب فلان كي يطفئ هذه النار، إنك على كل شيء قدير، وترمي بها في الماء، وتفعل بالأخرى كذلك، إلى أن يفرغ النوى، فإن سبحانه يزيل تلك العداوة، وتصير محبة بقدرة الله تعالى، ويتداوى به بكل مرض، وصفته أن يكتب كل حرف عدده، فتكتب الألف مائة مرة، واللام عشر مرات، والطاء إحدى عشر مرة والفاء إحدى وثمانين مرة في إناء نظيف، ثم تقرأ عليه الاسم مائة وستين مرة، فتقول: اللطيف، وهي عدده، ويشربه من تحكمت عليه الأمراض يبرأ بإذن الله تعالى.

وقال بعض المشايخ من أهل الأسرار: من كتب الله اللطيف بعدده ست عشرة مرة في نصف، وقرأ عليها آيات الشفاء ومحاه بماء النيل، وسقاه لمن به مرض، فإن قدّر الله حضور شفائه في أسرع وقت، وإن كتب له الموت سكن ألمه، ويهون الله عليه الموت. انتهى

وقال البوني رحمه الله تعالى في «شمسه»: ومن كتب آيات اللطف التي في القرآن العظيم، وهي أربع آيات: الأولى: قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: 103] ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14] هذه الآية نافعة لمن كان خائفًا من ظلم أو جور، فيذكر اسمه اللطيف صباحًا ومساء مائة مرة، مضروبة في نفسه، فخرج بالضرب العدد المتقدم، وهو العدد الكبير، ويقرأ بعدها الآية مائة مرة، فإنه يرى عجبًا من لطف الله تعالى، الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ [يوسف: 100] الآية خاصيتها من وقع في شدة أو محنة، أو ضيق أو كرب، أو هم أو غم وسجن ويرزقه مسكنًا عفيفًا، الثالثة: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: 19] الآية خاصيتها لمن زالت عنه النعم، وافتقر إلى ما في أيدي الناس، فليقرأ اسمه اللطيف كما تقدم، ويقرأ الآية بعده تأتيه أسباب وهي واسعة، ويرزقه الله من حيث لا يحتسب، الرابعة: قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14]، خاصيتها لمن كان طالب تولية، مثل قضاء، أو حكم، أو ما أشبه ذلك، فليقرأ اسمه اللطيف صباحًا ومساء كما تقدم، ويقرأ الآية بعده، يحصل المطلوب. انتهى

وقال الكرمي رحمه الله تعالى: وأما اسمه اللطيف فإنه جميل القدر، وهو من أذكار الحريريين، فمن ذكره كان ملطوفًا في جميع أموره، ووسع الله عليه الرزق المقسوم، ألا ترى أنه يناسب اسم معطٍ 139، وذاكره عبد اللطيف، وأما حروفه تشير إلى اسم موسع، وبه وفقه وعدد صورته. انتهى.

وعن أبي الفضل البكري قال: وقعت في شدة، فعملت هذين البيتين، فما مضى عليَّ جمعة، فكشف الله عني تلك الشدة، وهما:

يَـا رَبُّ مَـنْ رَأَى لُطْفًـا مِـنْكَ يَشْمَلُنِي ... وَقَـدْ تَجَـدَّدَ فِي مَـا أَنْـتَ تَعْلَمُـهُ

فَاصْرِفْـهُ عَنِّـي كَمَا عَوَّدْتَنِـي كَـرَمًا ... فَمَـنْ سِـوَاكَ لِهَـذَا الْعَبْـدِ يَـرْحَمُهُ

ونقل العز بن جماعة: إنه حصل له فالج عظيم، وكتب أكررها ليلاً ونهاراً، فأثر ذلك تأثيرًا عظيمًا، وعوفيت بالكلية، انتهى.

وله خلوة ذكرها البوني سبعة أيام بصيام وقيام، واجتناب ما خرج من روح، وما فيه الروح، إلى ما بعد الإعلام، والمأكول: زبيب أو تمر أو خبز شعير معجون بزيت طيب، وابتداؤها يوم الأحد، والبخور الحصى لبان، والجاوي والعود، والذكر للاسم بعد كل صلاة عدده الكبير، والقسم بعده:

سيدي أدخلني في رياض أسمائك من بابك الخاص، الذي لا يحجب بنور ولا ظلمة، ولا بشيء داخل فيه ولا شيء خارج عنه، و[الخلق يرى] قوي لي نيل نعمه، وألهمني تحقيق ذوق كلها ذوق منه، حتى أكون بك فيه منته إليك وبك، إنك لطيف عطوف رحمن رحيم.

وبتمامها يأتيك شاب معطر الثياب، حسن الصورة كالبدر ليلة تمامه، فيقول لك: السلام عليك أيها الرجل الصالح وما تريد؟ فتقول: أريد منك الخدمة، فإنه يعطيك العهد والميثاق في جميع ما تريد، ويشرط عليك أنك لا تقع في معصية الله تعالى.

ومن فوائده أنه يحجبك عن أعين الناظرين من الفاسقين، ويوصلك إلى أي شيء أردت، ويجلب لك الذهب المباح للمؤمنين إلى غير ذلك من كل أمر فيه تمكين وتسكين.

وفوائد هذا الاسم كثيرة جدًّا، فلنقتصر على هذه النبذة اليسيرة، فإننا لا نجد لغاية فوائده حدًّا.

(129) أي: ويكرره تاليه هذا العدد، وهو عدده الصغير، والخارج من ضرب هذا العدد في مثله، وهو عدده الكبير، ولكلٍ خواص ولكن الكبير هو الترياق المجرب لكشف كل مهم ودفع كل ملم، عزَّ مَنْ به يتقرب.

ثم يقول التالي ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى 19] قال القاضي رحمه الله تعالى: يبرهم بصنوف من البر، لا تبلغها الأوهام.

﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ [الشورى 19] أي: يرزقه كما يشاء، فيخص كلاً من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ﴾ [الشورى 19] الباهر القدرة، ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشورى 19]: المنيع الذي لا يُغلب، انتهى ومضى ذكره.

هو بعض فوائدها، ومنها: إن من داوم على تلاوة هذا الاسم دبر كل صلاة عشرة العصر، وقرأ بعده هذه الآية سبع مرات، وقال:

اللهم أدم نعمتك علينا، والطف بنا فيما قدرته علينا سبع مرات، رأى من اللطف والرزق والقوة والعز شيئًا عظيمًا

(10 مَرَّات). أي: يكررها التالي عشر مرات، لكل كلمة منها مرة، والمجموع للآية مرة، وسيأتي الكلام على اسمه تعالى القوي والعزيز

ثم يقول المصنف

اللَّهُمَّ يَا لَطِيفًا بِخَلْقِهِ يَا عَلِيمًا بِخَلْقِهِ يَا خَبِيرًا بِخَلْقِهِ الْطُفْ بِنَا يَا لَطِيفُ يَا عَلِيمُ يَا خَبِيرُ (ثَلَاثًا) يَا لَطِيفُ عَامِلْنَا بِخَفِيِّ وَخَفِيِّ خَفِيِّ لُطْفِكَ عَلَى لُطْفِكَ يَا كَافِيَ الْمُهِمَّاتِ وَالْمُلِمَّاتِ اكْفِنَا مَا أَهَمَّنَا وَالْمُسْلِمِينَ وَالْحَاضِرِينَ وَالْغَائِبِينَ وَالْمُتَّقِينَ مِنْ إِخْوَانِنَا هُمُومَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَا كَرِيمُ يَا اللهُ يَا رَحْمَٰنُ يَا رَحِيمُ اللَّهُمَّ أَسْكِنْ وُدَّكَ فِي قُلُوبِنَا وَوِدَّنَا فِي قُلُوبِ أَحْبَابِكَ الْمُصْطَفِينَ وَأَهْلِ جَنَابِكَ الْمُقَرَّبِينَ آمِينَ يَا وَدُودُ عَدَد 100 يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدُ يَا فَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ نَسْأَلُكَ بِحُبِّكَ السَّابِقِ فِي مُحِبِّيهِمْ وَبِحُبِّنَا اللَّاحِقِ فِي مَحْبُوبِهِ أَنْ تَجْعَلَ مَحَبَّتَكَ الْعُظْمَى وَوُدَّكَ الْأَسْنَى شِعَارَنَا وَدِثَارَنَا يَا حَبِيبَ الْمُحِبِّينَ يَا أَنِيسَ الْمُنْقَطِعِينَ يَا جَلِيسَ الذَّاكِرِينَ وَيَا مَنْ هُوَ عِنْدَ قُلُوبِ الْمُنْكَسِرِينَ أَدِمْ لَنَا شُهُودَكَ الْخَفِيَّ

قال الشارح: (**اللَّهُمَّ يَا لَطِيفًا بِخَلْقِهِ يَا عَلِيمًا بِخَلْقِهِ يَا خَبِيرًا بِخَلْقِهِ الْطُفْ بِنَا يَا لَطِيفُ يَا عَلِيمُ يَا خَبِيرُ، ثَلَاثًا**)، أي: ثلاث مرات، لكل اسم مرة.

يحكى عن بعض الصالحين أنه حصل له عطش شديد في بعض الغور، حتى خاف على نفسه التلف، قال: فقعدت مستعدًا للموت، فغلبتني عيني وأنا جالس، فإذا بي قائل يقول: يا لطيفًا بخلقه، يا عليمًا بخلقه، يا خبيرًا بخلقه، الطف بي، يا لطيف يا عليم يا خبير ثلاث مرات، وهذه نعمة الأبد، فإذا لحقتك ضائقة، أو نزلت بك نازلة، فقلها تكفى وتشفى، فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا الخضر. وفي رواية: يا لطيفًا بخلقه، وكل صحيح؛ لأنه من نداء الموصوف، أو وصف المنادى، ورواية الورد المستطاب بزيادة اللهم دون الباقي، كما رأيته منقولاً في غير ما كتاب، مرويًا عن بعض الأحباب

وأما اسمه تعالى (الخبير). بمعنى العلم والخبرة، وهو الذي أخبر عن ما شاء

بي شاء، لا تبديل لحكمه، ولا تحويل لقوله

اعلم أن تعلق علم الخبرة تعلق خاص، وهو العلم الحاصل بعد الابتلاء بقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ [محمد:31] وهو يعلم ما يكون قبل كونه؛ لعلمه به في ثبوته، ولا يقع في مراتب الأكوان الوجودية إلا ما كان ثابتا في الأعيان الثبوتية، ولكن أوجب الاختبار والابتلاء؛ لإقامة الحجة، والابتلاء نتيجة الدعوى وتجريبها، وهي أصله، فحيث كانت الدعوى كان الاختبار، ومن وصف نفسه بأمر توجه إليه الاختبار والابتلاء، والتكليف ابتلاء، وقد عم، وإن لم يعم الدعوى لحكمة مستورة به، كما أخبر الحق عنه بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال:25]، فعمت البلوى كما عمت الرحمة، ولكن لا يقاوم عمومها عموم الرحمة؛ لأنها صغيرة واقعة بين يسيرين؛ لكونها - موقعها - بين رحمة الامتنان ورحمة الغفران، وإنما قلنا بعموم رحمة لعموم البشارة، وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:53]، ولما لم يكن للكرم المطلق ظهور، إلا بالمفسدين والمذنبين، عمت البلوى، انتهى.

وقيل: معناه العليم ببواطن الأمور من الخبرة، وهو العلم بالخفايا الباطنة، أو المتمكن من الأخبار عما علمه، وقيل: هو الذي علم بعلم الارتياب فيه، حتى ما الصدور تخفيه، ومعانيه كثيرة ذات إشهار واشتهار، يدركه النبيه، ومن خواصه: إن من ذكره سبعة أيام تأتيه الروحانية بكل خبر يريده من أخبار السنة، وأخبار الملوك والغائب، وهو يصلح لاخراج الخبايا، وللاطلاع على المغيبات، وذاكره لا يهمه أمر إلا رآه في منامه أو يقظته، بحسب حاله، ويكتب وفقه في كاغد، ويوضع تحت الرأس عند النوم بعد الصلاة ركعتين، ودعاء الاستخارة، فإنه يرى ما في ضميره، وهذه صورته، ومن رسمه في خاتم حديد يوم الجمعة، وتلا الاسم عدده معرّفا ونام، أخبر في منامه بما يروم إن شاء الله تعالى، ومن كتبه في إناء طاهر أربعين مرة، ومحاه بعسل وماء ورد، ولعق منه كل يوم ثلاث لعقات على الريق مدة سبعة أيام متوالية فإن الله ﷻ يؤتيه الحكمة، ويلهمه من العلوم اللادنية ما يعجز عنه أهل زمانه، ومن كان سيئ الخلق، وداوم على ذكر هذا الاسم، خلصه الله تعالى من سوء الأخلاق، وما واظب عليه أحد إلا وشاهد من عجائب صنع

لله من لا يوصف

(يا لطيفُ عامِدًا)، أي قاطنا وواجهنا (بِخَفِيٍّ) أي مستور مكتوم بصفة التي لا يدركه إلا المكاشف، ولا يوقف على حقيقته إلا الذي يكون من المعرفة راشف (وَفِيٍّ) أي وافي الكثير من لطفك الكثير (بَهِيٍّ) أي: جميل لطفك الحسن الذي يسلب جماله كل ذي حس، (سَنِيٍّ) أي رفيع لطفك الخاص بأهل الاختصاص (عَلَى لُطْفِكَ) الشامخ وعطفك البادخ، (يَا كَافِيَ الْمُهِمَّاتِ) أي، يا من يكفي عبده كل جائحة ومصيبة، ويقوم بكفايته، ويصرف عنه كل ريبة. والمهمات: جمع مهم، وهو لكل أمر شديد، وحيث جرى اسمه تعالى الكافي، ولو بالإضافة، فلنذكر بعض خواصه؛ لتكفي شر ما تحذره

قال أهل الخواص: من أكثر من ذكر اسمه تعالى، كاف كُفي شر ما يحذره، ورجع إليه ما فقد من حال صاف، ومن ذكره أيام الوباء (٦٦٦) مرة كفاه الله طوارق الطاعون، ولا يذكره أحد وهو يتمنى شيئًا لم تبلغه أمنيته إلا بلّغه الله ذلك، ومن نقش مربعه العددي على خاتم فضة، والقمر في إحدى البروج المائية، كثر خيره، واتسع رزقه، ونزلت البركة في كل ما يحاوله بإذن الله تعالى، وهذا وضعه، ومن أكثر من ذكره مع رياضة، إلى أن يغلب عليه حال، وأمسك النار، لم تضره ولو تمس على قدر يغلي سكن بإذن الله تعالى، ويضيف إليه الحليم الرؤوف المنان

(وَالْمُلِمَّاتِ)، جمع ملمة، وهي النازلة من نوازل الدنيا، (اكْفِنَا)، محولك وطولك.

(مَا)، اسم موصول بمعنى الذي.

(أَهَمَّنَا)، أي أحزننا من كل هفوة توجب غفوة وجفوة، ومن صبوة توجب كبوة، ومن حبة توجب حبة، ومن زلة توجب علة، ومن قلة تربي علة، ومن عيوب تمنع كشف غيوب، ومن كلام يوجب كلام، ومن حركة ما بها من حركة، ومن سكون ما به ركون، إلى غير ذلك من هموم بدنية، ظاهرة أو قلبية سرية باطنية.

(وَالْمُسْلِمِينَ) جمع مسلم، وهو لغة المؤمن المنقاد وشرعًا الآتي بالأركان الخمس الشهادتين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصيام، والحج إن استطاع إليه سبيلاً، وهو كما في الحديث الذي: «يسلم المسلمون من لسانه ويده»[1]

[1] رواه البخاري (1/ 14)، ومسلم (1/ 148)، والبيهقي في الكبرى (10/ 243)

(وَالحاضرين): جمع حاضر، وهو ضد الغائب من الناشين، والمراد من غيبهم من أمر وحاضرين، ويحتمل أن يراد فيهم أهل الحضور مع العمور، الحاضرين في مشرب الإسعاد.

(والغائبين): عن موطن الإسعاد، والغائبين عن الحضور أو عن عمر المشكور، أو الغائبين بشهود نور النور عن النور.

(وَالمُنْتقلين): لمرور الخور والحبور والقصور، أو من مقام محصور لمقام مقصور على أهل الكمال لا القصور.

(من إخوانِنا): في الإيمان والعهد المصان، أو في النسب المدان، وأهل الصفو والمكانة والإحسان، والذين هم على سرر متقابلين من كل إحسان، وفي المراضعة من يرى المقامات الحسان.

(هُمُومَ): جمع هم، مفعول اكف، (الدُّنْيَا) قيل: سميت دنيا؛ لدنوها من الآخرة، وقيل: لدناءتها وخستها بالنسبة للآخرة، وهل هي ما على الأرض إلى قيام الساعة؟ أو كل موجود قبل الحشر؟ أو ما أدرك حسًا، والآخرة ما أدرك عقلاً أو ما فيه شهوة للنفس؟ رجح النووي الثاني، وبعض المحققين ما قبل الأخير، ذكره المناوي في «الشرح الكبير».

وقال فيه تنبيه: قال الحكيم: الدنيا هي الدار التي دورت أرضها بجبل ق، وأحيط عليها بحيز، وتلك دار أخرى وهي الآخرة، وهذا أول، وسميت دنيا؛ لأنها أدنيت بيت، والآخرة تعقبها، فسميت عاقبة: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128] إلخ.

(وَالآخِرَةِ) أي: واكفنا هموم الآخرة من عذاب وعتاب وحساب وحجاب، وهي ما قبل الأولى، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: 17]، ويقال: إن مواطن خمسة: (عدم، ودنيا، وبرزخ، وحشر، وجنة أو نار).

(يَا كَرِيمُ) ومعناه المتفضل الذي يعطي من غير مسألة ولا وسيلة، والمتجاوز الذي لا يستقصي في العقاب، والمتقدس عن النقائص والعيوب.

وقال سيدي محمد القونوي ﷺ في «شرح أسمائه»: الكريم الذي لا يحوج عبده إلى وسيلة لحصول رضائه، ويعطي الجزيل ولا يمن بعطائه.

اعلم أن الاسم الكريم يتبع الخليل من وجهين.

أحدهما: لما تقتضي حضرة الجلالة من الجمع بين الأضداد، كذلك آثار الكرم الإلهي تشمل البر والفاجر.

والثاني: لإزالة قنوط السامع وصف العظمة وتخيله، وعدم الوصول إلى تعظيم ما عليه من الاحتقار والذل، فأزال الحق عنه ذلك بقوله: ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: 27]، فأخبر أنه تعالى مع عظمته وكبريائه مكرم عباده بنظر العناية، ورحيم رؤوف بهم بكمال جوده وكرمه، كما امتن عليهم بالوجود قبل كونهم موجودين ومذكورين، فلولا سريان كرمه وجوده، لبقيت الممكنات في ظلمة العدم، فكرامته بهم في إعطاء خلقه الوجود إياهم أجل وأعز عن كرامته بهم بعد وجودهم، بما يسرهم من نيل الأغراض.

ونسبة هذا الاسم – وأمثاله مما هو على وزن (فعيل) – يقتضي الفاعل والمفعول عند أهل الكشف، فكما أنه تعالى كريم بما أكرم عبده بالوجود الذي هو الخير المحض، وحال بينهم وبين العدم الذي هو الشر المحض، وأعطاهم جزيل الهبات وغرائب المنح، كذلك مكرم ومتكرم عليه، بطلب منهم القرض والصدقة، وقبول ذلك، وهو من سريان هذه الصفة في أجزاء مراتب العالم، ورجوعها إلى حضرته المتعالية، ليكون الأمر منه إليه.

ومن عموم آثار هذا الاسم أيضًا إحاطة الذات المقدسة بمراتب الأينيات ومدرجها، مع اختلاف أحكامها، وتضاد جهاتها؛ لإزالة الحرج عنهم، وإطلاقهم في اختيارهم وتوجهاتهم، وتوليهم؛ لتكون وجهتهم إليه أينما توجهوا، وإن اتبعوا أهواءهم فلا يخلون عن وجه حق ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾، انتهى.

وأما خواص هذا الاسم الكريم فمنها: تيسير الرزق العميم، والسمو في كل حال جسيم، وذاكره عند النوم يقع في قلوب الأنام له الإكرام، ومن كتب وفقه يوم الجمعة في قشر أترج على قاعدة التكسير، وحمله به مصروعًا أفاق، أو محمومًا من وجع زال عنه، وهذه صفته، ومن أكثر من تلاوته بعد وضعه وحمله، لم يدر كيف تيسر عليه المطالب الحسان، وتأتيه الرزق من كل مكان، ويسلم ذاكره من الآفات ويخلص منه الصفات. ويرزق محبه الوصول عند الخلائق، وإذا غلب على ذاكره منه حال سهل عليه قطع العلائق والعوائق، وخلوته ورياضته عدة طرائق وأقسام، تنكشف بها من الأمور الحقائق.

ويقول التالي: (يا اللهُ). لا سواه مطلوبنا (يا رَحْمَنُ). بينما كل مرغوب (يا رَحِيمُ) يصرف عنا حل كروبنا، ويروق حل مشروبنا، ويغفر برحمته جميع ذنوبنا، ويملأ بمحبته ووده وسيع ذنوبنا. (اللَّهُمَّ أَسْكِنْ وُدَّكَ فِي قُلُوبِنَا) أي: أنزل مودتك في أواني قلوبنا، بفتور شراب ود من به فتق حيوبنا ورتق عيوبنا، والود بضم الواو وكسرها كما في «المختار»: مودة، ومتى سكن الود تمكن، والجد أمكن، وطاب السكن والمسكن، والنصح ألا تكن والعذر كن، وقلت مرتجلاً:

كُلُّ أَمْرٍ سَكَنَ الْفُؤَادَ فُؤَادَهُ   فَهُوَ الْمُرَادُ لَهُ لِمُرِيدٍ أَرَادَهُ
وله الحياة بما جناه تذللت   ولقد حباه سناه منه مراده
وفتى تقلبه أكف تلون   عن وده لم ينج يوم أعاده
ليس المحب بصادق في حبه   إلا الذي جمل المحبة زاده
وجناح ود منه راش فطار من   عش الفراش الرياش فزاده
وهناك فخ الحب حين أراد لسوط   الحب في وادي المحبة صاده
فغدا سمانًا في الحياة من البقا   عاد الولي خلي فسبب كاده
كل له ورد وهذا ورده   ود الوجود ودا الورود أفاده
فاجعل ...
ثم الصلاة مع السلام على النبي   وآله من أرشد وا إرشاده

وقلت سانحًا

له الود مني إن تباعد ودنا   ولست بسائل عنه مادمت في الدنى
ولي بعد موتي فيه حب مؤكد   أنال به الإسعاد والفوز بالمنى
حبيب وتود سالب عز أجتني   شهود سواه مذ تجلت بالفنا
بشير بألحاظ الجمال تفننا   فيصمت منا كل من كان حسنا

كبير كثير الود فيمن يحبه ... قدير خبير يمنح الصب ما عنا

مجيد حميد واسع البر والعطا ... مريد معيد لم يزل ذلك محسنا

فلا تهملني يا ذا الفضل فإنني ... جعلت هواه لي مدى الدهر ديدنا

وعرفني فضلاً به فعرفته ... وغبت به عني فلم أدر من أنا

ودارت كؤوس الراح للروح فانجلت ... غيوم غيوم الفقر للعبد بالفنا

وكم راحة راحت بفقد وجودها ... وكم راحة مدت فلم تحظ بالجنا

وكم فرحة فاحت بنشر عبيرها ... وكم نزحت راحت إذا بعد القنا

وكم محبت بالود نقطة عيننا ... فأصبح سري بالخفيات معلنا

فمن عرف المحبوب أو نال وصله ... تنعم في أوقاته وله الهنا

فسر بالخفا واترك دعاويك كلها ... وكن آخذًا بيت العبودة مسكنا

وصل وسلم سيدي كل لمحة ... على المصطفى ما مصطفى فيه ديدنا

وآل وأصحاب بود تقدموا ... فسادوا به أهل المغارم تمكنا

وأتباعهم والسالكين سبيلهم ... وما صرح الملتاع بالود ما كنا

(وَوِدَّنَا) أي: وأنزل مودتنا، (فِي قُلُوبِ أَحْبَابِكَ) جمع حبيب، والأحباب كما قال الشيخ الأكبر - قدس الله سره الأزهر - في الباب 73 من فتحه الأبهر عند عدة الرجال لأحباب، ومنهم ﷺ الأحباب، ولا عدد لهم يحصرهم، بل يكثرون ويقلون.

قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:54]، فمن كونهم محبين سلاهم، ومن كونهم محبوبين اجتباهم واصطفاهم، أعني في هذه الدار، وفي يوم القيامة، وأما في الجنة فلا يعاملهم الحق إلا من كونهم محبوبين خاصة، ولا يتجلى لهم إلا في ذلك المقام، وهذه الطائفة على قسمين

قسم أحبهم الله ابتداء، وقسم استعملهم في طاعة رسوله التي هي طاعة الله،

فأثمرت لهم تلك محبة الله إياهم، قال الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80].

وقال تعالى لسيدنا محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31]، فهذه محبة قد نتجت، لم تكن ابتداء، وإن كانوا أحبابًا كلهم

يـا قَـومُ أُذْنِي لِـبَعْضِ الحَـيِّ عَاشِـقَةٌ   والأُذْنُ تَعْـشَـقُ قَـبْلَ العَـيْنِ أَحْـيَانا

فلا جفاء فيما بينهم من المنازل، وما من مقام من المقامات إلا وأهله فيه بين واصل ومفصول، وهو لا الأحباب علامتهم الصفاء، ولا يشوب ودهم كدر أصلاً، وهم إثبات عن هذا القدم مع الله، وهم مع الكون بحسب ما يقام فيه ذلك الكون، من محمود ومذموم شرعًا، فيعاملونه بما يقتضيه الأدب، فهم يوالون في الله ويعادون في الله، فالموالات من حيث وجود الكون في المعادات، والذم من حيث عين الكون لا من حيث ما تصف به من الكون؛ لأن الكون كون الله، فهم الأدباء الخاشعون للخيرات، يقول سبحانه فيمن ادعى هذا المقام: **«أيا عبدي، هل عملت لي عملاً قط؟ فيقول العبد: يارب صليت وجاهدت وعملت وفعلت، ويصف من أحوال الخير فيقول الله له: ذلك لك، فيقول العبد: يارب فما هو العمل الذي لك فيقول الله سبحانه: هل واليت لي وليًا؟ أو عاديت فيَّ عدوًا؟»**(1)، وهذا هو إيثار المحبوب، قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: 22]، فهم أهل التأييد والقوة، وورد في الخبر الصحيح: **«وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتباذلين فيّ، والمتزاورين فيّ»**(2). انتهى.

(المُصْطَفَيْنَ) نعت للأحباب، أي المختارين من أمثالهم، والمميزين عن أشكالهم، وأصله «مصطفايين»، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، وبقيت الفتحة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: 47].

---

(1) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (10/ 327) بنحوه.

(2) رواه أحمد (5/ 233).

جه في الحديث الشريف: «اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك، اللهم ما رزقتني مما أحب، فاجعله قوة لي فيما تحب»[1]، رواه الترمذي عن عبد الله بن يزيد الخطمي.

واعلم أن من علامة الحب الأزلي لمن مولاه العلي الولي أن ينزل وده في الأشياء، حتى لا يبغضه شيء من وجه، فذلك الوجه زاهق، فإنه لعلة في نفسه، وتلك العلة لا بقاء لها؛ لأن ظهور الحق زاهق؛ إذ هي باطلة، فما أحب الحق عبدًا إلا أحبته سائر الأكوان، فهذا جذب الحق قلوبها إلى محبة ذلك الإنسان، سيما المسمى بين أهل المعرفة بالإنسان الكامل المحمول على متن الأنوار، ومن هو للأسرار حامل، ومتى أحس الأحباب بنزول ود أحد في قلوبهم، علموا أن وده وحبه مطلوب مطلوبهم، فأحبوه لحب الله إياه، وحببوه وبينوه كي الله حياه وبيَّاه، وتوجهوا إليه بقلوب مدنية حاذقة، صادقة غير كاذبة، فأثرت فيه هممهم درتفع، وعنه حجاب الغفلة ارتفع، وأمده كل منهم بما في قوته أو بعضه، وأبرم الحق عزيمة توجهه إليه؛ حتى لا يطيق نقضها، فحصل له من جمعية هذا الإمداد ما يرقيه مرتبة مولاه له بما أراد، فأنتج له شكل هذه القضية بالتقدم على غيره من البرية، وربما زاد به الحق في المدد حتى انفرد بمرتبة في عصره عن كل أحد لمنازل الاقتراب، وهذا الذي مسح عن ناصيته بيد قدرته رب الأرباب، ودليله: «إن الله تعالى لما أراد أن يخلق خلقًا للخلافة مسح يده على ناصيته، فلا تقع عليه عين إلا أحبته»[2] رواه الحاكم عن ابن عباس.

﴿وَأَهْلَ جَنَابِكَ﴾ أي: وأنزل مودتك في قلوب أهل جنابك، ﴿الْمُقَرَّبِينَ﴾: جمع مقرب، والمقرب هو من منح القرب، وحقيقته: كل ما أعطي سعادة الدارين، وبرئ لأين وبين، ومحا رسوم العين عن العين، ومن قربه الحبيب إليه، وأناله مما لديه، وأقبل بغضبه عليه، فقد حرق على الخير بكلتا يديه، وجمع الكمال ضمن ردائه، وصار الحق يغضب لغضبه، ويرضى لرضائه، وشاهده قوله ﷺ: «إن الله ﷻ يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها»[3] وفي رواية: «يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك»[4]

(1) رواه الترمذي (3491)، وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (1/363).

(2) رواه الحاكم في المستدرك (3/573). (3) لم أقف عليه.

(4) رواه الحاكم في المستدرك (3/167).

وعنه ﷺ: «رضا الله رضا عمر، ورضا عمر رضا الله»(1) كذا في «الجامع»، وعلامة المقرب من الله المستهلك في شهود الله، المكسي جلباب الحب في الله، الداخل حرز أمان الله من شر أعداء الله، الهائم في جمال الله، القائم بباب القرب من الله، إنه متى رُئي ذكر الله كما في الحديث: «أولياء الله الذين إذا رُؤوا ذكر الله»(2) لقيامهم بالله، وسيرهم إلى الله، وتوكلهم على الله، وأخذهم من الله، وحبهم في الله، وتلقيهم الموارد عن الله، واستئناسهم مع الله، فهذا حال أهل الله، فمن أحبوه فبحب الله، ومن أبغضوه فببغض الله، إذ ليس لهم إرادة مع الله، ومن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله، وفي الحديث: «من أحب قومًا حشره الله في زمرتهم»(3)، فهنيئًا لمحب أحباب الله، في الله، لله. ومن علاماتهم أن يجد مجالسهم في مجالستهم رائحة رد القلب الآبق عن الله، وتقل فيها الخواطر، ورب تمحي بحول الله، ورب مجلس يعمره ويعمره بمياه الانتباه إلى حضرات الله، وهو المشار إليه في حديث رسول الله صلى الله عليه كلما زال الاشتباه الصلاة والسلام من الله: «خياركم من ذكركم بالله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، ورغبكم في الآخرة عمله»(4) رواه الحكيم عن ابن عمرو.

(آمِينَ): سبق الكلام عليها

(يَا وَدُودُ): قال في «دقائق الإشارات إلى معاني الأسماء والصفات» المستخلص من كتاب الله أبي بكر أحمد البيهقي ـ رحمه الله تعالى ـ ومنها الودود، قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ [البروج: 14]

قيل: هو الوادُّ لأهل طاعته، أي: الرضيُّ عنهم بأعمالهم، والمحسن إليهم لأجلها، والمادح لهم بها

قال الخطابي: وقد يكون معناه أن يودّدهم إلى خلقه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96]

قيل: هو المودود الكثير إحسانه، أي: المستحق لأن يود، فيعبد ويحمد، فهو مفعول

(1) ذكره ابن حجر في الإصابة (7/ 64) بنحوه.

(2) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (4/ 80)

(3) رواه الطبراني في المعجم الكبير (3/ 19).

(4) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (2/ 39)

في شيء مفعول، كما قيل: رجل هيوب بمعنى: مهيب، وفرس ركوب بمعنى: مركوب، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الودود الرحيم، وهو الذي يود أولياءه ويودونه، ويحبهم ويحبونه، يود شوائب الحب، فلا يؤثر فيه سبق معاصيهم، وإنما ما يترتب بهم إلا بحكم القضاء والقدر السابق للطرد والبعد.

اعلم أن الود مرتبة من مراتب الحب، فإن المحبة لها أربعة أحوال، لكل حال اسم تعرف به، فأول سقوطه في القلب يُسمى الهوى، ثم ثباته في القلب وهو الود، ثم خلاصه من تعلقات الغير وتصفيته وهو الحب، ثم التفافه عليه التفاف اللبلابة بالشجرة، حتى يعميه عن النظر إلى غير محبوبه، فهو العشق، فالودود هو ثابت الحب، فالحق ثبتت المحبة لعبده، فإن المصانع يحب صنعته، والمحب يطلب الرحمة من المحبوب، فمقام صيانة المحب أو مرحوم، ولصيانة رقة الشوق إلى لقاء المحبوب، ومن هذه الصيانة زيّنه بزينة الشهود، وكساه خلعة الوجود، وأدار كؤوس الأفراح بين الشاهد والمشهود، فخاطبهم بإشارات لحظ الجمال، ويخاطبونه بلسان التحقيق والأحوال، ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: 14]؛ ليكون الأمر مستويًا بين الحب والمحبوب، فهو سمع المحبوب وبصره، وغير فرد من أفراد الخلق منصة من منصات مجالي تجليات الحق، فمن المحبين من يعرف محبوبه في الدنيا معرفة شهود، فيتلذذ بلحظاته، فبان له أنه عين العطاء، فالعالم إنسان، والإنسان عينه، والمحبوب من الإنسان إنسان العين من العين، انتهى.

وقال سيدي عبد الكريم الجيلي - قدس الله سره - في «الكمالات الإلهية»: اسمه الودود تعالى، هو الذي أحب تكثير الوحدة، فظهر بواحديته، أي: من حيث تجلي الصفات في كثرة الأكوان، فالكثرة هي الوحدة ولا يقع التعريف بها، والكثرة هي الظهور، وبها وقع التعريف، وقد قال تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ: «كنت كنزًا مخفيًا»[1] يعني الوحدة «فأحببت أن أعرف»[2] يعني: بأسمائي وصفاتي، وهذا أصل التكثير «فخلقت الخلق»[3]، يعني ظهوره في هذا الوجود على ما هو الوجود عليه، فهو سبحانه وتعالى أحب ظهوره، ولا يكون الظهور إلا في هذه المظاهر، فأحب مظاهره الحسنة،

---

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (2/ 173).

(2) السابق. (3) السابق.

ومظاهره منها ما هو خفي وهو الأسماء والصفات التي لا يعلمها إلا الله، ومنها ما هو جلي، وهو هذا الوجود، فالأسماء الإلهية والصفات لهذا الوجود كالروح للصورة، فهذا الوجود مع الأسماء الإلهية، والصفات الربانية عين الذات الأحدية من حيث ظهوره بها، فباعتبار الأحدية لا تكثر، وباعتبار الكثرة لا أحدية، وباعتبار الذات تكثر في أحديته وأحديته، وهذا الاسم من أسماء الصفات، وصفته الود، وهو عبارة عن التوجه الإرادي الحبي، لا لعلة، بل لمقتضى الذات، فلولا المحبة ما كان هذا الظهور، ولولا الظهور ما عرف الله تعالى، وإلى ذلك الإشارة بقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54] بوجود أحديته في كثرتهم؛ ليعرفوه ويحبوه بوجود كثرتهم في واحديته، وليعرفهم بضد ما عرفوه، فإنه عرفهم بالتكثر، وعرفوه بالوحدة، وعرفهم بالنقص، وعرفوه بالكمال، فهو جامع لهذه الصفات المتضادة بكماله، والرابط بين الصفات بذاته، فله صفة الوحدة لما هو عليه في ذاته، وله صفة الكثرة لما هو عليه في صفاته، وصفاته تطلب الكثرة لمؤثراتها، وذاته على ما هي عليه من الوحدة التي لا تتغير، والكثرية التي لا تظهر بالتعريف، بل هي على ما هي عليه، مع زوال التكثير، فالمحبة هي الواسطة بين الكثرية والظهور، ولأجل ذلك كان الحبيب المخلوق منها ﷺ واسطة بين الله وبين خلقه، وتلك هي الوسيلة الكبرى التي لا تكون إلا لأجل واحد، وهو محمد ﷺ، انتهى.

وقال البوني ـ رحمه الله تعالى ـ في «شمسه»: هذا الاسم هو المغناطيس الجذاب، والياقوت الخلاب، مَنْ أكثر من ذكره كان محبوبًا عند الناس، ويثبت الله قلوب الخلائق على محبته، وهو من الأذكار الجليلة، ومن وضع اسمه تعالى ودود والحبيب في مثلث من كرة جو د، ووضع المثلث في باطن مربع وحمله، لا يقع عليه نظر أحد إلا أحبه، ومن وضع هذا الشكل في الأولى من يوم الجمعة في شرف الزهرة، وحمله ولازم على تلاوته، فإنه يرى العجب العجاب.

واعلم أن من كتب هذا الاسم في حريرة بيضاء، وحملها، رزق محبة في القلوب، ويمشي جميعها على طهارة، وذكر بعضهم أن من أكثر ذكره إلى أن يغلب عليه حال منه، فكل من رآه مال إليه بطبعه، وأحبه، وأحيا الله تعالى باطنه بنور المحبة، وزين ظاهره بأسرار المودة، وقد وضعه بعضهم هكذا: ووضع حسب ودود في مثلث من كرة جو د،

هذه صورته، ومن خواص هذا الاسم أن من داوم عليه، وعلى ذكر اسمه تعالى الدائم، دامت نعمته، ومن أكثر من ذكره، عطفت عليه العوالم كلها، وكان مجاب الدعوة، وإن كان ممكنًا رفع الله قدره، ومكنه من ملكه، ومن ذكره كل يوم ألف مرة، لا يطلب من أحد حاجة إلا قضاها له، ومن كتبه في ورقة مائة مرة ووضعها في منزل، فإنه لا يزال أهل ذلك المنزل عندهم الوداد، ومن قرأه على طعام أو شراب ألف مرة، وأطعمه أو سقاه لأحد أحبه، ومن كتب هذا الاسم وكتب معه محمد رسول الله 35 مرة، وأحمد رسول الله 35 مرة بعد صلاة الجمعة، رزق القوة على الطاعة، وكفي همزات الشياطين، وله مثلث جليل القدر، يوضع في شرف القمر في الأولى من يوم الجمعة، ويحمله ثم يذكره إلى الغروب، فإنه لا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه، وهذه صورته كما ترى، ولهذا الاسم خواص كثيرة وأدعية قائمة به شهيرة، فمن أراد الغاية الزائدة فعليه بكتب الخواص التي بالفوائد عائدة، ويكرره اثني 100 مرة، وكان القياس أن يكرر عدده، وهو عشرون، ولقد سألني الأخ في الله تعالى الشيخ مصطفى بن عمرو الخلوتي ـ حباه الله الصفاء ـ عن سبب هذا التكرار، نوقع في بسط حروفه، فإذا هي ستة وتسعون، وإضافة الجسد لها، فتم العدد، فأخبرته، فسر بما وجد

(يَا ذَا الْعَرْشِ) أي: صاحب، والعرش في الله سرير الملك، وفي الاصطلاح: مستوى الأسماء المقيدة.

وقال في «القاموس»: العرش عرش الله ولا يُحد، أو ياقوت أحمر يتلألأ من نور الجبار تعالى، وجمعه (عروش، وعُرُش، وأعراش، وعرشة)، انتهى.

وقال الشيخ إبراهيم اللقاني ـ رحمه الله تعالى ـ في «شرح الجوهرة الصغير»: وهو جسم نوراني علوي، محيط بجميع الأجسام، قيل: هو أول المخلوقات، ولا قطع لنا بتعيين حقيقته؛ لعدم العلم بها، وفي بعض الآثار أن الله تعالى خلقه من نوره، والكرسي جسم عظيم نوراني بين يدي العرش ملتصق به، لا قطع لنا بتعيين حقيقته، والماء كله في جوف الكرسي على متن الريح، وليس العرش كرسيًّا كما يزعمه كثير من أهل الهيئة، وعند المتكلمين والمحدثين قبة ذات قوائم تحمله في الدنيا أربعة أملاك، وفي الآخرة ثمانية، وحملة الكرسي أربعة، وأثبت أقدامهم الأرض السابعة السفلى، مسيرة خمسمائة عام، وبين

حملة العرش وحملة الكرسي سبعون حجابًا من ظلمة، وسبعون حجابًا من نور، غلظ كل حجاب خمسمائة عام، لولا ذلك لأحرقت حملة الكرسي من نور حملة العرش، وفي عطف الكرسي على العرش رد لقول الحسن: هو العرش، وفضل الكرسي على السموات السبع فضل السموات على الحلقة، وفضل العرش على الكرسي كذلك، وليست متصلين بالسموات السبعة، ونظر أيهما أفضل من الآخر، والوصف بالعظم لا يستلزم، انتهى.

وقال سيدي محيي الدين ـ قدس الله سره ـ في «فتوحاته»: اعلم أن العرش أحاط بالعالم؛ لاستدارته بما أحاط به من العالم، وكل ما أحاط به فيه؛ لاستدارة ظاهرة حتى في الموجودات، وانظر التشبيه النبوي حيث قال: «**الكرسي في جوف العرش كحلقة في فلاة من الأرض**»(1)، فشبهه بشكل مستدير، وهي الحلقة في الأرض، وكذلك تشبيه السموات في الكرسي، وإلا كرة الأربعة في جوف الفلك الأدنى كذلك، ثم ما تولد عنها لا يكون أبدًا في صورته إلا مستديرًا، أو مائلاً إلى الاستدارة، معدنًا كان أو نباتًا أو حيوانًا، وذلك لأن الحركة دورية، فلا تعطي إلا ما شاكلها، فالعرش أعظم الأجسام من حيث الإحاطة جرمًا وقدرًا، فهو العرش العظيم، وبحركته أعطى ما في قوته لمن هو في حيطته وقبضته، فهو العرش الكريم، ونزاهته أن يحيط به جسم غيره، فشرف على سائر الأجسام، فهو العرش المجيد، ثم إنه استوى عليه، الاسم الرحمن، إلا من أجل أن به النفس، وذلك أن المحاط به في ضيق من علمه بأنه محاط به من حيث صورته، فأعطاه النفس الرحماني من أمره، فكان مجموع كل موجود في العالم صورته وروحه المدبر له، وجعل روحه لا داخل في الصورة ولا خارج عنها؛ لأنه لا يتحيز، فانتفى الشرط، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط، فإن النفس التي صدرت عنه الأرواح لا داخل في العالم ولا خارج عنه، فإذا نظر الموجود في كونه محاطًا به، ضاق صدره من حيث روحانيته، نفس الله عنه ذلك الضيق بروحه، لما علم بأنه لا يوصف بأنه محاط به إحاطة العرش بالصور، فرح عنه، وأورثه ذلك الابتهاج والفرح والسرور بذاته، من حيث روحه، فلهذا وقع الاستواء بالاسم الرحمن، وإحاطة هذا العرش من الإحاطة الإلهية، كالعلم في قوله: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: 12]، ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ [البروج: 20]، وليس وراء الله

---

(1) ذكره البغوي في تفسيره (1/ 310).

مرمى، فهو منتهى ومآله انتهاء ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: 6]، وحكمه في أن العرش من النفس الرحماني وحلة، وهو الأمر الإلهي لايحد لكثرته، فإن النفس سرى إلى منتهى الخلاء منه، حتى كل شيء، فإن العرش على الماء، فمثل الحياة به ته، فحيي الله تعالى منه كل شيء، أفلا تؤمنون بما ترونه من حياة الأرض بالمطر؟ وحياة الأشجار بالسقي؟ حتى أن الهواء إذا لم يكن منه مائية، وإلا أحرق.

فإن قلت: والملائكة الحافين من حول العرش، ما بقي لهم خلاء يتصرفون فيه، إذ العرش قد عمر الخلاء. قلت: لا فرق بين كونهم حافين من حول العرش، وبين الاستواء على العرش، فإن من لا يقبل التحيز لا يقبل الاتصال والانفصال، ثم إن الملائكة الحافين من حول العرش، فما هو هذا الجسم الذي عمر الخلاء، وإنما ذلك العرش الذي يؤتى به للفصل والقضاء يوم القيامة، وهذا العرش الذي استوى فيه هو عرش الاسم الرحمن، أما سمعته يقول: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الزمر: 75]، عند الفراغ من القضاء، فذلك يوم القيامة، تحمله الثمانية أملاك، وذلك بأرض الحشر، وسعة العرش إلى تلك الأرض سعة الجنة إلى عرض الحائط، قبلة الرسول ﷺ، وهو في صلاة الكسوف، وهذا من مسائل ذي النون المصري في إيراد الواسع على الضيق، من غير أن يوسع الضيق أو يضيق الواسع، ومن عرف المواطن هان عليه الأمر، ثم أخبر أنه لو كشف ببعض الأسرار المختصة به، وقال: أعلم أن هذا العرش قد جعل الله له قوائم نورانية، لا أدري كم هي، لكني أشهدتها، ونورها يشبه نور البرق.

قلت: ولقد حدثني والد الروح أبو الفتوح الممنوح شهود السبوح، السيد محمد بن السيد أحمد، لا زالت لوائح بوارق القرب عليه تلوح، وفوائح طوارق الشرف لديه تفوح، إن الله تعالى خلق ملكًا له ثلاثون ألف جناح، وأمره أن يطير ثلاثين ألف سنة، فطار فيها سبع عشر قائمة من قوائم العرش، ثم قال: وقوائمه ثمانية عشر ألف قائمة، عند كل قائمة قنديل، ضمن كل قنديل ثمانية عشر ألف عالم، فيكون مجموع عوالم تلك القناديل ثلاثة آلاف ألف عالم، فسبحان الواسع العليم القادر الحكيم، ثم قال الشيخ: ومع هذا، فرأيته له ظلاً فيه من الراحة ما لا يقدر قدرها، وذلك الظل مظهر هذا العرش،

تحت نور المستوي الذي هو الرحمن، ورأيت الكنز الذي تحت العرش الذي خرجت منه (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، فإذا الكنز آدم صلوات الله وسلامه عليه، ورأيت تحته كنوزًا كثيرة أعرفها.. إلخ.

وقال في «عقله المستوفز»: ثم العروش خمسة عشر: الحياة، وهو عرش الهوية، وعرش الرحمانية، والعرش الكريم، والمجيد، والعظيم، فعرش الحياة هو عرش المشيئة، وهو مستوى الذات، وكان عرشه على الماء، وهذا هو عرش الحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: 30]، والعنصر الأعظم ـ أعني ملك الحياة ـ وهو اسم الأسماء ومقدمها، وبه كانت، والعرش المجيد هو العقل، والعظيم هو النفس، وهو اللوح المحفوظ، وعرش الرحمانية هو أول الأفلاك، والكريم هو الكرسي.

ثم فصل الشيخ بعد إجماله، وتكلم على كل واحد بما يستحق لكيله، وعدها البوني رحمه الله سبعة، وجعل أن مسمى الأول عرش الإطلاق، والثاني عرش الرحمانية، والثالث المجيد، والرابع الكريم، والخامس العظمة، والسادس التدبير، والسابع [illegible]، وتكلم على كل منها بما يطول ذكره، وعقد الجيلي ـ رحمه الله تعالى ـ في «الإنسان الكامل» بابًا للكلام عليه.

(الْمَجِيدُ) أي المقدس المنزه عن النقائص الكونية، والأحكام الخلقية، وقال القاضي ـ رحمه الله تعالى ـ عند قوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ [البروج: 15] أي خالقه، وقيل: المراد بالعرش الملك، وقرئ: ذي العرش صفةً لربك، المجيد، أي العظيم في ذاته وصفاته، فإنه واجب الوجود، تام القدرة والحكمة، وجره حمزة والكسائي صفة لربك، أو للعرش، ومجده علوه وعظمته، انتهى.

(يَا فَعَّالُ) منادى مبني على الضم، (لِمَا يُرِيدُ): متعلق به بعد حذف (ب) عمده، ويجوز أن ينصب، إن اعتبر تعلق الجار والمجرور به قبل ندائه، أي يا من لا يمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره، وهذه الآية شاهد حضور الإطلاق، التي يفعل منها أهل ما يشاء، وتسمى تصرفًا عينيًا، وعبارتهم: وقد يبرز من غيب القرآن، ما لم يكن برز لحضرة علمهم، ومن هذه الحضرة خوف أهل الكمال من الرجال، ومنها قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: 9] الآية، فتكون على ظاهرها، وليست من باب

وجاء العتق للخصم

(نسألك) أي نتوجه إليك (بمحبتك)، أي بسر حبك الأزلي عنك، (السابق في علمك المطابق لحكمك، الذي نطق به كتابك، وصرح به خطابك) بقولك (يُحِبُّهُمْ) قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى: ومحبة الله لعباده هي إرادة الهدى والتوفيق في الدنيا، وحسن الثواب في الآخرة، ومحبة العباد له إرادة طاعته والتحرز عن معاصيه (وَيُحِبُّونَهُ) أي ونسألك بحبك المسطور في رق منشور، اللاحق في الذكر والظهور، لتأخر أعيانهم التي كانت في بحر العدم تفور، إلى أن أبرزتها يد القدرة إلى الوجود المغمور بالنور، وكستها حلة محبة وحضور مع النور، وإلى هذا الحب اللاحق رنت عيون أرباب الستور، لتحظى بكشفها، وزوال القصور، وبه صرح ذكر الشكور في قوله (يُحِبُّونَهُ)، قال القاضي ـ رحمه الله ـ : قيل: هم اليمن، أي: الذين نزلت فيهم الآية؛ لما روي أنه ﷺ أشار إلى أبي موسى وقال «قوم هذا»[1]، وقيل: الفرس؛ لأنه يسأل عنهم، فضرب الله عن عاتق سلمان، وقال: «هذا وذووه»[2]، وقيل: الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع، وخمسة آلاف من كندة، وثلاثة آلاف من أفناء الناس، انتهى.

وقال الواسطي ﷺ في قوله ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: 54] كما بذاته يحبهم، كذلك يحبونه ذاته، فلها راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات.

وقال سيدي أحمد الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب «المجالس»: حكي أن الشيخ أبا الحسن ـ شيخ المشايخ ـ كان إذا سمع قوله تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: 54]، يطرب ويثوب فهي يقول ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ يكفينا قولك يحبهم، ولا نحتاج إلى قولك: ويحبونه، إذ نشرت محبتك لنا جناح وصالها، وأصمت علينا ملابس إذ لا ب أضرمت نيران لأعراض عن الموجودات في غابات القلوب، فأحرقتها، وأطلعت شموس المعارف في أفلاك العقول فنورتها، ونادى المحجوب نورها عن نورها، والمشغوف بصورها عن مصورها، ألا هل لنا يومًا من الدهر أتبر؟ وهل إلى أرض الحبيب رجوع؟ وهل بعد تفريق حبيب تواصل؟ وهل النجوم قد أفل طلوع؟ فلا طلعت شمس بيوم تفرق، ولا كان

(1) ذكره الطبري في تفسيره (10/ 415)

(2) رواه ابن حبان في صحيحه (16/ 298) بنحوه

نفس مجمع، نزول سعادتنا ما حصلت بقولك: يحبونه، إنما حصلت بقولك: يحبهم، فهي احسنت أنا الحسن، وأحبك أبو الحسن، ولكن حبك لي أكبر من حبي لك؛ لأن حبك إياي صفة من صفاتك، فلا بدّ أن تكون أكبر، لكن حبي لك أعجب من حبك لي؛ لأنك حبيبي، وأنا فقير نفسي، وأنا أحبيتك ولم أرك، فنودي في سره: يا أبا الحسن أنت عبد ضعيف، نحن أحببناك قبل أن خلقناك:

أشتاقكم وإلى الترنم مفزعي	وإلى الترنم بحرع الأدباء
وإذا أصمت إلى الترنم عبرة	فالجو نار والبسيطة ماء
ولرب اتهمتها بتنفس	فيكاد يصرع قلبي لصعداء

يا أبا الحسن، صفاتنا غير مكتسبة ولا مستعارة، فهي باقية بقائنا، وصفاتك مكتسبة ومستعارة، فلا جرم يتطرق إليها النقصان والزيادة، انتهى.

ويحكى أن ذا النون المصري جد رأى رابعة العدوية وهي متعلقة بأستار الكعبة، وتقول: بحبك لي ألا ما غفرت لي؟ فقالت: إليك عني يا ذا النون، لولا أن حبه سبق حبي ما أحببت.

(**أَنْ تَجْعَلَ**) هذا وما بعده هو المسؤول، (**مَحَبَّتَكَ**) أي: يصير محبة ذاتك، (**الْعُظْمَى**) على وزن فعلى، أي: العظيمة في نفسها المعظمة عند غيرها.

(**وَوِدَّكَ**)، أي: حبك، (**الأَسْنَى**)، أي: الأرفع، (**شِعَارَنَا**)، قال في «القاموس»: والشعار بالكسر: ما ولي الجسد من الثياب، وشاعرتها: نمت معها في شعار واحد، قال في «القاموس»: ويفتح، وجمعه: أشعرة، انتهى.

وعنه ﷺ: «**يا معشر الأنصار أنتم الشعار والناس دثار، فلا أوتين من قبلكم**»[1]، وفي رواية: «**الناس دثار والأنصار شعار، الأنصار كرشي وعيبتي، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار**»[2]، قال سيدي وفاء قدس الله سره: فكانوا شعارًا؛ لأن حبهم لا نعمه سوى التحقيق به، والناس دثار؛ لتعلقهم بالعلل الخارجة، انتهى.

---

(1) رواه القضاعي في المحاورة (8/ 245).

(2) ذكره ابن أبي شيبة في مصنفه (7/ 541).

(ودثارًا): قال في «القاموس»: والدثار بالكسر: ما فوق الشعار من الثياب، انتهى.

والمعنى: اجعل محبتك وودك ملاصقين لقلوبنا، ومحيطين بها ملاصقة الشعار، وإحاطة الدثار.

(يا حبيب)، أي: يا محبوب، ويطلق على المحب أيضًا، ويشهد له حديث: «والله لا يلقي الله حبيبه في النار، أو محبوبه»(1)، قال المناوي -رحمه الله تعالى-: قاله لما مر في نفر من أصحابه، وصبي في الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسعى وتقول: ابني، ابني، فأخذته، فقالوا: يا رسول الله ما كانت هذه لتلقي ولدها في النار، انتهى.

وروايته في «البدر المنير» للشعراني الكبير: وجبت محبة الله لمن أغضب فحلم، ولا يلقي الله حبيبه في النار، انتهى.

وفي دعاء الفاتحة المسمى بـ«فتح البصائر» لسيدي عبد القادر قطب الدوائر:

(واجعلنا اللهم) ممن دعا محبوبه فأجابه وأعطاه ما تمناه عليه ومن أحبه، وسئلت عمرة [الفرعبية] -وكانت من كبار العلويات-: ما الحكمة في أن المحب والمخلص يهيبون عن قراءة القرآن دون التسمية؟ فقالت: لأن التسمية اسم للحبيب، والمحب لا يمنع من ذكر الحبيب، كذا في «معادن الجواهر».

(المحبين): جمع محب، فهو الذي تيمه الجمال، وهيمه الكمال، ولم يبق للحب فيه للغير بقية، وأخرج بذ شهوده من جيب وجوده بيضاء نقية، (يا أنيس): زنة فعيل، من المؤانسة، وهي الملاطفة، قال في «المختار»: والأنيس: المؤانس، وكل ما يتأنس به، انتهى.

وفي دعاء الحاجة المروي عن أنس ﷺ: اللهم يا مؤنس كل وحيد ويا صاحب كل فريد، كذا في تذكرة السامعين على صلة أرزاق الخلق أجمعين.

(المنقطعين): لمشاهدتك المتصلين بمواصلتك، المقبلين على عبادتك، المعرضين عن غير مسامرتك، ولولا هذه المؤانسة ما قدر أهل البذل والإقبال على الانفراد في رؤوس الجبال، وبضاعة من الدنيا بالرشائش، والرضا بأكل الحشائش، لكن لذة الحال تسهله

(1) رواه الحاكم في المستدرك (4/ 195).

أنفسهم، فلا يلتفتون إليها، ولا يعرجون عليها، سيما إذا كان الانقطاع ناشئاً عن حب، وقرب بخالص الشرب من عيون القرب في أرض لم تطأها إلا حيول العرب، فمن عرف نفسه فأدرك لب اللب.

(يا جليس). قال في «المصباح»: والجليس من يجالسك، فعيل بمعنى فاعل، (الذاكرين) يشير إلى الحديث الذي رواه الديلمي عن ثوبان، ومثله كما في «الجامع الكبير»، قال موسى: «يا رب أقريب أنت فأناجيك؟ أم بعيد فأناديك؟ فإني أحس حس صوتك، ولا أراك، فأين أنت؟ فقال الله: أنا خلفك وأمامك، وعن يمينك وعن شمالك، يا موسى أنا جليس عبدي حين يذكرني، وأنا معه إذا دعاني»[1] وروى ابن شاهين في «الترغيب» في الذكر عن جابر: «أوحى الله إلى موسى: أتحب أن أسكن معك في بيتك؟ فخرَّ لله ساجداً، ثم قال: يا رب وكيف تسكن معي في بيتي؟ فقال: يا موسى أما علمت أني جليس من ذكرني؟ وحيث ما التمسني عبدي وجدني؟»[2]. وقال الأكبري - قدس الله سره - في «فصوصه»: وما أحسن ما قال رسول الله ﷺ: «أنا أنبئكم بما هو خير لكم، وأفضل من أن تلقوا عدوكم فتضربوا رقابهم، ويضربوا رقابكم، ذكر الله»[3]، وذلك أنه لا يعلم قدر هذه النشأة الإنسانية إلا من ذكر الله الذكر المطلوب، فإنه تعالى جليس من ذكره، والجليس مشهود الذاكر، ومتى لم يشاهد الذاكر الحق الذي هو جليسه، فليس بذاكر، فإن ذكر سار في جميع العبد فينبغي أن يذكر بجميع أجزائه لا لشكر نعمة؛ لأن من ذكر بلسانه خاصة، فإن الحق لا يكون في ذلك إلا جليس اللسان خاصة، فيراه اللسان من حيث لا يراه الإنسان بما هو رأى، فافهم هذا السر في ذكر الغافلين، فالذاكر من الغافل حاضر بلا شك، والمذكور جليسه، فهو يشاهده، والغافل من حيث غفلته ليس بذاكر، فما هو جليس الغافل، فإن الإنسان كثير، ما هو أحدي العين، والحق إحدي العين كثير بالأسماء الإلهية، كما أن الإنسان كثير بالأجزاء، وما يلزم من ذكر جزء آخر، فالحق جليس الجزء الذاكر منه، والآخر متصف بالغفلة عن الذكر، ولا بدَّ أن يكون في الإنسان جزء

---

(1) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (6/ 37) بنحوه.

(2) ذكره حقي في تفسيره (12/ 299).

(3) رواه أحمد (60/ 49) بنحوه وذكره حقي في تفسيره (4/ 367).

بذكر ربه، ويكون الحق جليسه، ليحفظ باقي العبادة... إلخ.

(ويا منْ هُوَ عِنْدَ قُلُوبِ المُنْكَسِرِينَ): يشير لحديث أورده المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ في «كنوز الحقائق» ورمز للغزالي ومتنه، قال تعالى: «أنا عند المنكسرة قلوبهم»، وسبق الكلام على الانكسار في أواخر الترجمة، (أَدِمْ لَنَا)، معاشر المؤمنين أو الحاضرين، أو الإخوان، وهو جواب النداء، أي: اجعل (شُهُودَكَ) المقصود لكل موجود مستمرًا متواصلاً، ومضى الكلام عليه، (أَجْمَعِينَ): توكيد.

ثم يقول المصنف:

[ثُمَّ يَقُولُ التَّالِي بِصَوْتٍ حَزِينٍ مَادًّا صَوْتَهُ يَا غَنِيُّ أَنْتَ الغَنِيُّ وَأَنَا الفَقِيرُ مَنْ لِلْفَقِيرِ سِوَاكَ يَا عَزِيزُ أَنْتَ العَزِيزُ وَأَنَا الذَّلِيلُ مَنْ لِلذَّلِيلِ سِوَاكَ يَا قَوِيُّ أَنْتَ القَوِيُّ وَأَنَا الضَّعِيفُ مَنْ لِلْضَّعِيفِ سِوَاكَ يَا قَادِرُ أَنْتَ القَادِرُ وَأَنَا العَاجِزُ مَنْ لِلْعَاجِزِينَ سِوَاكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ثَلَاثًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً وَصَلِّ وَسَلِّمِ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ وَدَاوُدَ خَلِيفَتِكَ وَمُوسَى كَلِيمِكَ وَعِيسَى رُوحِكَ وَإِسْحَاقَ ذَبِيحِكَ وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِمْ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ]

وقال الشارح: (ثُمَّ يَقُولُ التَّالِي بِصَوْتٍ) أي: (حَزِينٍ)، أي: فيه ترقيق وتخشع وتباكي، وفي الحديث: «اقرؤوا القرآن بالحزن، فإنه نزل بالحزن»[1]، قال المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ: بالتحريك، أي: ترقيق الصوت والتخشع والتباكي، فإن لذلك تأثير في رقة القلب وجريان الدمع، (مَادًّا)، أي: مطولاً ما يقرأه من التوسلات الأربع الآتية، (صَوْتَهُ): لما جرب من تأثير هذه الكيفية في قلب التالي، وقد أفاد الشيخ الجامع سيدي يحيى الشاوي أن من استعمل هذه التوسلات كما ذكرنا سحرًا في بيت مظلم، فإنه يرى العجب، وقت غيره، من قرأها كذلك أمره الله بأوصافه، وحرسه بألطافه، ويعين أثر مو ردين من الملائكة الروحانيين.

(يَا غَنِيُّ): ومعناه الغني عن كل شيء، وكل ما عداه، مفتقرًا إليه لا استغناء في ذاته وصفاته وأفعاله عن فقير نواله، وحقير فيض كماله، ومن عرف فقره لمولاه، وعده أغناه

(1) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 193).

ومولاه، وقال سيدي محمد القونوي ﷺ: اعلم أن الغنى على نوعين: غنى حق، وغنى خلق.

فأول درجة الغنى في مرتبة الخليقة القناعة، والاكتفاء بالموجود. وليس من يتوهمه أهل الحجب من كثرة المال مع طلب الزيادة، فإنه محكوم عليه بالفقر، وذلك لأن الإنسان لا يكون بالذات؛ لما تقتضي المرتبة الإمكانية، ولهذا قال: من قال إن الإنسان لا يكون وجهٌ عند الله، هذا حكم الإنسان الحيوان، وأما الكامل من هذا النوع فله وجهان: وجه (افتقار) للخلق إلى الحق، ووجه الغناء إلى الكون باعتبار العارف عين افتقاره، فإنه حاز مقام الأربع بشهود سريان ألوهية الإلهية في أعيان مراتب العالم، فلا يتوجه الفقر من كل فقير، ولا إلى الغني الحميد، ولا تغيب حاجة محتاج عن إحاطة البصير الشهيد، فالعارف مستغني بالحق أغنى الأغنياء، مع أنه يحزن ويحرص على طلب مؤونة ما كلف به، فإن ذلك من آداب الكمل؛ لقوة معرفتهم بحدود الله تعالى، والكامل لا يطفئ نور معرفته نور ورعه.

وأما غنى الحق عن العالمين من حيث ذاته المقدسة، ودوام إطلاقه الحقيقي لا يظهر إلا بهم؛ لأن كونه غنيًا إنما غناؤه عنهم، فإن لم يكن العالمون هناك، فمن من لا بُدّ منهم، لثبوت الغنى نعتًا له، انتهى.

وأما خواصه فكثيرة، منها: أن من استدام على ذكره أغناه الله تعالى عن الناس، واتسعت عليه أسباب الرزق، ومن رسمه في مثلث على لوح من ذهب حرفيٌّ وعدديٌّ وحمله، لم يزل غني النفس والمال بحول الله تعالى، وهذه صورته، ومن أكثر من ذكره بعد تكسيره، فتح الله في سائر العلوم، وأغناه عن جميع الفهوم، ومن وفق على معي في مسدس فقد أمن، والشمس بالحمل، وثلث المشتري أو تسديسه، وبخره بالعود والميعة وحمله، وأدمن ذكرهما، أعزه الله تعالى وأغناه، وأعطاه ما تمناه، وكان قهرًا لأعدائه، ولا تتوجه حاجة إلا قضاها الله، وصورته كما تراه.

(أنتَ الغنيُّ) الذي لا أغنى منك، ولا استغناء لأحد عنك، (وأنا الفقير) الذي لا أفقر مني، بحسب نقيبي لا غنى إليك، ولا أحوج مني لما في يديك، (منْ) استفهامية، (للفقير) الذي لا يملك شيئًا، (سواك) فتغنيه وتدنيه وتعطيه ما يغنيه، (يا عزيز) سبق الكلام على معناه، وأما خواصه فمن أكثر من ذكره كان مهابًا عند جميع الناس، من بعد

خوفه، عزيزًا بعد ذلة، ومن ذكره أربعين صباحًا كل يوم أربعين مرة، أعزه الله وأعزه، ولا يحوجه لأحد، ومن أضاف إليه العظيم ظهر عليه حال العز والتعظيم، ومن أكثر من ذكره محصورًا فتح حتى عن الشواغل، وسأل أن يسخر له بعض عوالمه، عاين الإجابة، ومن وضعه في مربع متداخل، ورسمه في لوح فضة، والقمر في الميزان، أو الثور بريء من نحوس، وبخره بالعود والذريرة، وحمله وذكره في كل وقت 177 رزقه الله في جنته، ورفع قدره وأغنى فقره، ودفع عنه كل سوء بفضله وطوله، وهذه صورته.

(أنت العزيز)، الذي لا أعز منك في شهودي (وأنا الذليل) الذي لا أذل مني لديك عند مقابلة عزك يا معبودي، (من للذليل) الذي لا عز له إلا بك يمحي عنه الذلة إلا حسبك، (سواك) إذ أنت الذي تعز من تشاء من أحبابك، وتذل من تشاء ممن حكمت عليه بالإعراض عن بابك، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، فإن الذل لغيرك حجاب وطرد عن الباب.

قال سيدي الشاذلي: سألت أستاذي عن قوله ﷺ: «المؤمن من لا يذل نفسه»[1]، فقال: هو ة، بل يذل مولاه، وقال تلميذه المرسي ﷺ: والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن الخلائق، وقال تلميذه سيدي أحمد بن عطاء الله - رحمه الله تعالى - يقال لك إذا استندت لغير الله بمقتضاه: انظر إلى الإله الذي ظلت عليه عاكفًا، وقال تلميذه سيدي داود بن باخلا ﷺ: ما ذل قلب لبارئه إلا أعاده نورًا وخيرًا.

(يا قوي)، ومعناه التام القدرة، الذي لا يلحقه ضعف، ولا يمسه نصب، وقيل: هو الذي لا يستولي عليه العجز بحال، إذ له القدرة التامة البالغة إلى الكمال، والفرق بين الحول والقوة والقدرة.

أن الحول: أول التوجه للمحل، والقوة: ظهور الإحساس بصورته، والقدرة: تكوينه.

وقال سيدي محمد الموبوي ﷺ: القوي بمعنى القادر، وهو القوي بما هو عليه من عزة، والاقتدار بالجمع بين الأضداد.

فمن آثار هذا الاسم لا يظهر إلا على العبد الجامع، وهو الإنسان الكامل، وهذا

---

[1] ذكره محمد شمس الحق آبادي في عون المعبود (8/ 234).

ما سُمع من حملة العرش: لا حول ولا قوة إلا بالله، وفي الخبر: «إن جبريل عليه السلام لما علم آدم آداب الطواف بالبيت، قال: أنا طفت بالبيت قبل أن تخلق بكذا وكذا ألف سنة، فقال له آدم: فما كنت تقول عند الطواف؟ قال: كنا نقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فقال آدم: وأزيدكم: لا حول ولا قوة إلا بالله»[1]، فاختص آدم بهذا الذكر، والكمل من ورثته الذين لم تبق صفة من الصفات الإلهية إلا وظهرت في مراتب وجودهم، ولما كان الممكن محل ظهور الاقتدار الإلهي حين ضعف إمكانه بقوة الوجود، فوقع الدعوى والتنازع ممن وقع، وظهر آثر الاقتدار فيمن ظهر، فأعاد إليهم الضعف الثاني؛ لكيلا يعلم من بعد علم شيئًا، وذلك أن الدنيا كاملة بالإنسان، وهو ثمرة شجرة ولادتها؛ لتقدمه من بطنها إلى البرزخ؛ فيرميه في بطن البرزخ؛ ليستعد بنشأته الآخرة؛ لقبول القوة الصافية من شوائب النزاع، والدعوى بنداء حكم حقيقة باطن الاسم.

وأما ظاهره فهو ما سرى في أجزاء مراتب الكون، حتى الضعف الذي هو ضد القوة، يقال للضعيف: قوي ضعفه، وقوي عليه الضعف، والضعف مانع قوي عن الحركة، فينسب القوة إلى الضعف، ويوصف بضده، وهذا من سريان حكم القوة في الأشياء، وفيه إشارة لمن فهم، ولما غفل أكثر الناس عن سر عموم هذا الحكم، أمرهم أن يستعينوا به في الاقتدار، كما استعان بهم في القبول، فكما لا قوة للممكن على ما كلفه الحق من الأعمال إلا باستعانته له، كذلك لا يعد اقتدار الحق في أمر إلا بقبول وجود الممكن القابل، فما ثم قوة مطلقة دون مساعدة، وهذا سر قوله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي»[2]، فإن الصلاة الوجودية لا تتم إلا بالاقتدار والقبول، انتهى.

وأما خواص هذا الاسم فكثيرة منها:

إن من داوم على ذكره وجد في نفسه قوة لم يكن يعهدها، وإذا ذكره المسافر لا يعيا، وإذا استعمله من يعالج من حمل الأثقال وجد له تأثيرًا عظيمًا، ومن تصرف بأنواع حصائصه العددية رزقه الله القوة على طرد العلة الربانية عن أي بلد شاء بقدرة الله تعالى، ومن أكثر من ذكره قويت روحه، وحكم به على كل شيء، ويصلح ذكرًا لمن كان اسمه

(1) لم نقف عليه.

(2) رواه مسلم (1/ 296).

موسى ويونس، ومن كتبه بطريق التكسير وشربه على الريق مدة اثني عشر يومًا هون الله عنه، وفتح له أبواب القوة، وإذا كتب وفقه المربع في إناء وشرب منه صاحب الفوالج والرياح، وعافاه الله تعالى، وهذه صورته، ومن ألقاه على رأس مريض بتكسير الكبير بالعدد، وأخذ قوة كل حرف، وربطها باسمه، برئ من مرضه عن قريب، ومن ذكره كل يوم ألف مرة أذهب الله عنه الأوهام والوساوس، وملك نفسه وغيره، ولا يخاصم أحدًا إلا قهره، ومن تلاه على ظالم هذا العدد أخذ وقد أفاد بعض الأمجاد، إن هذا الاسم إذا تلي على فنجان قهوة بنية يعطي شاربه قوة ونشاطًا؛ إذ هو على عددها، فإن الاسم الإلهي إذا وفق بسن كوكبي، وذكر عليه لعدده أورثه من مدده، وكذلك قيل في فتاح ...ب من ذكره على قدح وأكل منه عنبر في باطنه فتحًا جديدًا، وفيضًا مديدًا.

(أَنْتَ الْقَوِيُّ): على الإطلاق، والكل في قيد ووثاق، تنزهت أن يلحقك عجز أبدًا، ويدركك ضعف سرمدًا.

(وَأَنَا الضَّعِيفُ): عن حمل الأسرار، وموارد الأنوار، لا حول لي ولا قوة ولا نجدة ولا فتوة، إلا أن مننت علي بالقوة من عندك، أو منحتني نجدة للخير، وفتوة في السير من رفدك، فإنك بالقوة التامة معروف، وأنا بالضعف الكلي موصوف، وإذا كان الأمر كذلك، (مَنْ لِلضَّعِيفِ): الذي يشكو إليك ضعف قوته، وقلة حيلته، وهوانه على الناس، (سِوَاكَ): يأخذ بيده، ويمده بمدده، فيقوى على حمل أعباء المملكة بأسرها، ويتصرف فيها عن أمرك في يسيرها وعسيرها، وربما قويت عزائمه؛ لحملها لحينه على شعرة من شعرات أجفان عينه، لمحو بينه و[أنية وعنه وعينه].

وعنه ﷺ: «قل اللهم إني ضعيف فقوني، وإني ذليل فأعزني، وإني فقير فارزقني»(1) رواه الحاكم عن أبي هريرة.

(يَا قَادِرُ): ومعناه المتمكن من الفعل بلا معالجة، ولا واسطة، وهو من القدرة، وهي ظهور الأشياء في العيان والشهادة، قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: 40]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: 6]، وكان رسول

(1) رواه الحاكم في المستدرك (1/ 708).

لله ﷺ إذا قرأ ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج 6] قال: «بلى»، وإذا قرأ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين 8] قال: «بلى، فهو القادر لا سواه» والممكن بين له التمكن من قبول الأثر الإلهي به

قال سيدي محمد القونوي قدس الله سره السوي القدر المفسر، فقدر تعود لاقتدار في التوابل، والعمل يظهر منه، فكل يد عامله فهي يد الحق من حيث قيدها بالحق.

واعلم أن الاسم القادر له آثار خفية في إعطاء الوجود للممكنات عند قوله كن للممكن، فيسارع الممكن عن اقتدار إلهي إلى التكوين، فكان، وأظهر منه الامتثال في أول تكوينه، وهي روح الطاعة، فكانت الطاعة ذاتية له، وهي الأصل، والمعصية عارضة كما أن الرحمة والغضب نسبتان من النسب الإلهية، ولكن السبق للرحمة، والنهاية في الحركة الدورية هو الرجوع إلى البداية، وكذلك كان للخاتمة حكم السابقة، فإن حركة الوجود دورية، ولما كان السابق للرحمة، فلا بدّ من المآل إليها؛ لأن العارض لا يقاوم الأصل أصلاً، فكيف وقد زاده طاعة ولادة العبد على طاعة تكوينه، كما أشار إليه المترجم عن الله تعالى بقوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة»[1]، هي الإقرار لله بالعبودية، فقد حصل له نور على نوره، فأي معصية تساوي هذين النورين؟ ولما كان الاقتدار روح الأمر وسره، ظهرت الأقوال واختفى الاقتدار فيه، فلذلك لم يطلع الممكن على اقتدار الحق عليه بإخراجه من خزانة الثبوت إلى حضرة الوجود، ولا يمكنه شهود صدوره؛ لتكونه قبلاً بلا امتداد، فلا يظهر الاقتدار فيه إلا بعد حصوله، ولذلك ذهب بعض أهل النعم إلى أن الممكن ليس له اقتدار، ثم إن الحق تعالى أظهر بصيغة الأمر في القول؛ ليتصف الممكن بسمة الامتثال الموجبة لنظرات الرحمة الإلهية، وظهور تصرفات لمة الملك، والشيطان فيه هو سر الامتثال المفطور في أصل خلقته وتكوينه، فهذا حكم القادر

واعلم أن القدرة لا تتعلق بغير المقدور، فعدم جريان القدرة على غير المقدور لا يسمى عجزاً، فإن العجز هو عبارة عن عدم القدرة عما من شأنه أن يكون مقدوراً، فإذا لم يكن مقدوراً، فبأي شيء تتعلق القدرة؟ فهذه لطيفة ذوقية مشهودة في سر من أسرار

---

(1) رواه البخاري (1/ 465)

ظاهرة، لا تنكشف إلا لأهل المعرفة، فهذا حكم القادر، وأما المقتدر فله حكم آخر، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ [الأعراف: 54]، وهو كل ما يوجد بسبب أو عند سبب، والأمر وهو كل ما يوجد من غير سبب، فالحق قادر من حيث الأمر، مقتدر من حيث الخلق، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ والأمر تبارك الله رب العالمين، انتهى.

وأما خواصه: فمن قرأه إثر الوضوء قهر أعداءه، ومن قرأه عند وضوئه على كل عضو، فإنه يقهر خصمه.

قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ: من كتب الاسم الشريف في قطعة ديباج أبيض بعدده، وعلقه في مهب الريح، وأضاف إليه هذه الآية الشريفة، وهي قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ﴾ [الشورى:33]، فإن الريح يسكن بإذن الله، انتهى.

ومن أراد الكشف عن الأرواح العلوية ومخاطبتها فليأخذ خاتمًا من الفضة وينقش في بطن الفص هذه الصورة (طلسم ص 200 مخطوط) وفي الوجه الأخير وفق قدر حرفيٍّ، ويكثر من ذكره، فإن الأرواح تراه وتطيعه، فإن داوم عليه صحبت الملائكة معه، وقوي على ظهور ما يريد إظهاره، وهذا وفقه، ومن داوم عليه قويت روحه وبدنه واستقامت حياته.

وأما (القدير): فمن كتب وفقه المربع في خرقة حرير بيضاء، ورابه بالوضع الطبيعي وحمله، دان له الأسرار العالية، وهان عليه كل صعب، وهذه صفته، ومَنْ أكثر من ذكره مع اسم السلطان، وكان ذي سلطان، ثبت الله ملكه وسلطانه.

وأما (المقتدر): فمن قرأه عند انتباهه من نومه، ألهمه الله ما أراد من غير جميع منه في تدبير نفسه، ومن كان كثير الغفلة، وأكثر من ذكره، أيقظه الله تعالى من غفلته، ومن أكثر من ذكره أشهده الله أن أفعاله بالحق، فلا يرى له فعلاً، ومن نقشه حرفيًا في لوح من فضة، ونقش في خرفه، وأكثر من ذكره، أمن من الطاعون بحول الله وقوته، وهذه صفته، ومن خواص (القادر المقتدر) أنهما يؤثران في دفع الأسقام والأمراض وتحمل من ضعفه، فمن أراد ذلك فليكتبهما في مربع، كل اسم على حدته، ويضع فوقهما عسلاً، ويذيب ويشرب منها المريض، يعافيه مما فيه بحوله وطوله، وهذه صورته وفقها إلى غير ذلك من المنافع، والخواص التي لا يدركها أهل الاختصاص.

(أَنْتَ القَادِرُ): على تبليغ كل أمنية، ودفع كل بلية (وَأَنَا العَاجِزُ): في دفع ضره من ذكره، إلا أن تمد في كرة بعد كرة، بقدرتك التي ترفع عز من أسعفته بالمعرفة، وتمسكه فوق صرفه بالمحو. قال البكري: جعل الله في مستقر رحمته مقره، ولن ترى عجزًا مني، فهو أشده أقوى ولا أجل، ومن يستطع لنفسه جلب مسرة، ولا يقدر على دفع مضرة، فما له إلا إظهار العجز بين يدي من أحسن إليه وأبره، وإذا ظهرت من النفس دعوى قوة وقدرة، فمنه ذلك وأمره، لتحققه بسببها لها ما ليس لها، ورضاؤه عنها بذلك ضرره، من العجز عن إصلاح نفسه، إلا إن أصلحتها بقدرتك، وفتحت لها الأبواب، وعافيتها من جميع الأمراض والأوصاب بقوتك، وذللتها لسطوة عزتك، وتحققت هناك بالعجز لأنها عن وصفتك، وعلمت أنها لا محالة آلة، فطلبت الإقالة؛ رغبًا في رحمتك، ورهبًا من سطوتك؛ لإدراكها بالكشف الذي يطلق من الإشراك.

(أَنْ لَيسَ لِلْعَاجِزِ سِوَاكَ) فيبلغه المنازل الشاسعة، ويوصله لفيافي لتصفي لو سعة، التي بينها وبين جبل ق كما بيننا وبينه عدة عين أوقاف، ولو زار بعض الكبراء أحد الفقراء، فطرق عليه الباب حتى أعجزه الدق وأب، ثم جاء وأخبره بما جرى من كثرة الطرق والإياب بالتفصيل، فعجب ذلك الفقير، وقال: إن نومي ليس بالثقيل، فقال: لكنك معذور في هذه الكرة، فإنك كنت في مكان بينك وبينه كما بينك وبين جبل ق سبعين مرة، فسأل عن الدق بعد هذا العلم، فقال: لأنه هكذا سبق في العلم.

ثم يقول التالي: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ثَلَاثًا) أي: ثلاث مرات، وفضائل هذه الكلمات لا تحصر، وهي أشهر من أن تذكر، ولكن نذكر طرفًا منها؛ تبركًا؛ لئلا يخلو هذا التأليف عنها، فمن ذلك قوله ﷺ: «مكتوب على العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله، لا أُعَذِّبُ من قالها»[1].

وعنه ﷺ: «من لقي الله وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله دخل الجنة»[2]، وفي رواية: «وأن محمدًا عبده ورسوله، وآمن بالبعث والحساب دخل الجنة»[3].

(1) رواه الديلمي في الفردوس (4/ 122).

(2) رواه الحارث كما في زوائد الهيثمي (1/ 310).

(3) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (20/ 444).

وعنه ﷺ «من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صادقًا من قلبه دخل الجنة»[1]، وعنه ﷺ «إن الله ﷻ حرم النار على من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»[2]، وعنه ﷺ «اعلم أنه من مات يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله دخل الجنة»[3]، وعنه ﷺ «ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله يرجع ذلك إلى قلب موقن إلا غفر الله لها»[4].

وعنه ﷺ «من سره أن يزحزح عن النار، وأن يدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يأتي إليه»[5].

وعنه ﷺ «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، مخلصًا، دخل الجنة»[6].

وعنه ﷺ «من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله مخلصًا من قلبه وأن محمدًا عبده ورسوله دخل الجنة، ولم تمسه النار»[7]، وعنه ﷺ «لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، يرجع ذلك إلى قلب مؤمن، إلا دخل الجنة»[8].

وعنه ﷺ «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله حرم عليه النار»[9].

وعنه ﷺ «لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تَطْعمه»[10].

وعنه ﷺ: «يا معاذ بن جبل ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار، قال: يا رسول الله أفلا أخبر الناس فيستبشروا؟ قال: إذًا يتكلوا»[11].

---

(1) رواه أحمد (5/ 229) (2) رواه عبد بن حميد في مسنده (1/ 94)

(3) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (7/ 123)

(4) ذكره المزي في تهذيب الكمال (30/ 291)

(5) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (4/ 122)

(6) رواه النسائي (6/ 276) (7) رواه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 47)، بنحوه

(8) رواه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 45) بنحوه

(9) رواه عبد بن حميد في مسنده (1/ 317) بنحوه (10) رواه مسلم (1/ 61)

(11) رواه البخاري (1/ 230)

وعنه ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة»[1].

وعنه ﷺ: «من جاء بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله حرم عليه النار»[2].

وعنه ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فذل بها لسانه، واطمأن بها قلبه، لم تطعمه النار»[3].

وعنه ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، لا يلقاه بها أحد يوم القيامة إلا دخل الجنة على ما كان منه»[4].

وعنه ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأشهد ألا يقولها عبد من حقيقة قلبه إلا وقاه الله حر النار»[5].

وقد تكلم العلماء الأعلام على معنى هذه الكلمة، وإعرابها، وفوائدها، ونتائجها كالإمام سيدي ابن عطاء الله الإسكندري ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «مفتاح الفلاح»، والسنوسي ـ رحمه الله تعالى ـ في «شروحه»، والشيخ يحيى الشاوي ـ رحمه الله تعالى ـ ألف في إعرابها كتابًا، وأبدى الشيخ إبراهيم الكوراني في «إنباء الأنباه» عجائب، وسنذكر في فضائلها لبابًا لكي يحظى بذكره اقرانًا، فمن ذلك قوله ﷺ: «ما قال عبد: لا إله إلا الله مخلصًا إلا صعدت لا يردها حجاب، فإذا وصلت إلى الله تعالى، نظر الله إلى قائلها وحق على الله أن لا ينظر إلى موحد إلا رحمه»[6].

وعنه ﷺ: «إذا قال العبد المسلم: لا إله إلا الله، خرقت السموات حتى تقف بين يدي الله تعالى فيقول: اسكني، فتقول: كيف أسكن ولم تغفر لقائلي؟ فيقول: ما أجريتك على لسانه إلا وقد غفرت له»[7].

---

(1) رواه مسلم (1/ 55). (2) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (20/ 212).

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 41).

(4) رواه النسائي (6/ 331) بنحوه. (5) رواه البزار في مسنده (3/ 1)، 98.

(6) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (11/ 394).

(7) رواه الديلمي في الفردوس (1/ 285).

وعنه ﷺ «كما لا تلتقي الشفتان على قول لا إله إلا الله، كذلك لا تحجب عن سماء سماء حتى تنتهي إلى العرش، لها دوي كدوي النحل، تشفع لصاحبها»[1].

وعنه ﷺ «لا إله إلا الله كلمة عظيمة كريمة على الله، من قالها مخلصًا استوجب الجنة، ومن قالها كاذبًا عصمت ماله ودمه، وكان مصيره إلى النار»[2].

وعنه ﷺ «لا إله إلا الله كلمة كريمة، ولها عند الله مكان، جمعت وسوّيت من قالها صادقًا من قلبه دخل الجنة، ومن قالها كاذبًا حقنت دمه، وأحرزت ماله، ولقي الله ﷻ غدًا يحاسبه»[3].

وعنه ﷺ «أوحى الله إلى موسى بن عمران إنّ في أمة محمد لرجالاً يقومون على شرف، ينادون بشهادة ألا إله إلا الله، جزاؤهم على جزاء الأنبياء»[4].

وعنه ﷺ «قال موسى: يا رب علمني شيئًا أذكرك به، وأدعوك به، قال: يا موسى قل: لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا، قال: قل: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا أنت يا رب، إنما أريد شيئًا تخصني به، قال: يا موسى لو أن السموات السبع، وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة، مالت بلا إله إلا الله»[5]، وفي رواية: «سأل موسى ربه حين أعطاه التوراة أن يعلمه دعوة يدعو بها، فأمره أن يدعو بلا إله إلا الله، فقال موسى: يا رب كل عبادك يدعون بها، وأنا أريد أن تخصني بدعوة أدعوك بها، فقال تعالى: يا موسى لو أن السموات وسكانها والبحار وما فيها وضعو في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة، لورجت لا إله إلا الله»[6].

وعنه ﷺ «أفضل العلم لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الاستغفار»[7]، وفي رواية

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس (3/ 304).

(2) رواه الديلمي في الفردوس (5/ 8) بنحوه، ذكره المناوي (6/ 189) بنحوه.

(3) رواه الديلمي في الفردوس (5/ 8).

(4) رواه الديلمي في الفردوس (1/ 142) بنحوه.

(5) رواه أبو نعيم في الحلية (8/ 328).

(6) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (13/ 210).

(7) رواه الديلمي في الفردوس (1/ 352).

«أفضل الدعاء لا إله إلا الله، وأفضل الذكر الحمد لله»[1].

وعنه ﷺ: «أفضل ما قلت والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله»[2].

وعنه ﷺ: «جددوا إيمانكم، أكثروا من قول لا إله إلا الله»[3].

وعنه ﷺ: «لا إله إلا الله لا يسبقها عمل، ولا تترك ذنبًا»[4].

وعنه ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا مخلصًا من قلبه»[5].

وعنه ﷺ: «افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إله إلا الله، وآخر كلمة لا إله إلا الله، ثم عاش ألف سنة ما سئل عن ذنب واحد»[6].

وعنه ﷺ: «إن الله حرم النار على من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله»[7].

وعنه ﷺ: «قلت: يا رب شفعني فيمن قال لا إله إلا الله، قال: ذاك إلي»[8]، هذه الكلمة هي المانعة والدافعة والنافعة والشافعة، فأما كونها مانعة فكقوله ﷺ: «لا إله إلا الله تمنع العباد من سخط الله، ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم، فإذا آثروا صفقة دنياهم على دينهم، ثم قالوا: لا إله إلا الله ردت إليهم، ويقال: كذبتم»[9]، وفي رواية: «لا تزال لا إله إلا الله تحجب غضب الرب عن الناس ما لم يبالوا ما ذهب من دينهم إذا صلحت بهم دنياهم، فإذا قالوا، قال: كذبتم لستم من أهلها»[10].

وأما كونها دافعة فكقوله ﷺ: «لا إله إلا الله تدفع عن قائلها تسعة وتسعين بابًا من البلاء، أدناها الهم»[11]، وفي رواية: «لا يزال قول لا إله إلا الله يدفع سخط الله عن العباد حتى إذا نزلوا بالمنزل الذي لا يبالون ما نقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم فقالوا: عند

---

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان (4/ 90).

(2) ذكره الأحوذي في تحفته ([illegible]/ 33).

(3) رواه الحاكم في المستدرك (4/ 28[illegible]).

(4) رواه ابن ماجه (2/ 1248).

(5) رواه البخاري (1/ 49).

(6) رواه الديلمي في الفردوس ([illegible]).

(7) رواه البخاري (1/ 164).

(8) رواه الديلمي في الفردوس ([illegible]/ 225).

(9) رواه الديلمي في الفردوس (5/ 7).

(10) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (16/ 126).

(11) رواه الرافعي في التدوين ([illegible]/ 429).

ذلك قال الله لهم: كذبتم»[1]. وأما كونها نافعة فلقوله ﷺ: «لا تزال لا إله إلا الله تنفع من قالها حتى يستخفوا بها، والاستخفاف بحقها أن يظهر العمل بالمعاصي فلا ينكروه ولا يغيروه»[2]. وأما كونها شافعة كقوله ﷺ: «كما تلتقي الشفتان...»[3] الحديث، وهي ثمن الجنة لقوله ﷺ: «ثمن الجنة لا إله إلا الله، وثمن النعمة الحمد لله»[4]، ومفتاح السموات والأرض؛ لقوله ﷺ: «لكل شيء مفتاح، ومفتاح السموات والأرض لا إله إلا الله»[5]، وحصن الله؛ لقوله ﷺ: «قال الله: لا إله إلا الله حصني، من دخلها أمن عذابي»[6]، وفي رواية: «يقول الله لا إله إلا الله حصني، فمن دخله أمن عذابي»[7]، وذاكرها محبوب الله؛ لقوله ﷺ: «يقول الله ﷻ: قربوا أهل لا إله إلا الله من ظل عرشي، فإني أحبهم»[8].

وقد عقد في «مفتاح الفلاح» لأسمائها فصلاً، وذكر أن الأول: كلمة التوحيد، والثاني: كلمة الإخلاص، والثالث: كلمة الإحسان، والرابع: دعوة الحق، والخامس: كلمة العدل، كلمة العدل الثابتة، [والاسم السادس: «الطيب من القول»، الاسم السابع: الكلمة الطيبة»، الاسم الثامن: «الكلمة الثابتة»، والتاسع: التقوى، والعاشر: كلمة الباقية، والحادي عشر: الاستقامة، والثاني عشر: كلمة الله، والثالث عشر: المثل الأعلى، والرابع عشر: العهد، والخامس عشر: مقاليد السموات والأرض، والسادس عشر: كلمة الحق، والسابع عشر: العروة الوثقى، والثامن عشر: كلمة الصدق، والتاسع عشر: كلمة السواء.

واستمدت لكل اسم بآية من الكتاب، ولها من المزايا والخصائص ما لا يسعه كتاب...

---

(1) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (17/ 145).

(2) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (3/ 162).

(3) سبق تخريجه.

(4) رواه الديلمي في الفردوس (2/ 103).

(5) رواه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 215).

(6) رواه الشهاب في مسنده (2/ 323).

(7) رواه الديلمي في الفردوس (5/ 251).

(8) رواه الديلمي في الفردوس (5/ 236).

(9) وقد ذكرها مع معانيها: الاسم الأول: «كلمة التوحيد» لأنها تدل على نفي الشرك على الإطلاق،

ومعنى على الإطلاق أنه تعالى قال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: 163]، فربما خطر ببال أحد أن يقول: هب أن إلهنا واحد لكن يمكن أن يكون لغيرنا إله مغاير لإلهنا، فأزال الله هذا الوهم بقوله تعالى: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: 163]؛ لأن قولنا: «لا رجل في الدار» يقتضي نفي الماهية، ومتى انتفت الماهية انتفت جميع أفرادها، إذ لو حصل فرد من أفراد تلك الماهية لحصلت تلك الماهية؛ لأن كل فرد من أفراد الماهية مشتمل على تلك الماهية، وإذا وجدت تلك الماهية فقد يحصل نفي الماهية، فيثبت أن قولنا «لا رجل في الدار» يفيد النفي العام الشامل، ولذلك لما قيل بعد ذلك: «إلا زيد» أفاد التوحيد الكامل. ولهذه الكلمة ثمرتان: الأولى: أن جوهر الإنسان خلق في الأصل مشرفًا مكرمًا، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70]، وإذا كان الأصل فيه مكرمًا، كان كونه مطهرًا على وفق الأصل، وكونه متنجسًا على خلاف الأصل، ثم إنا رأينا الإنسان متى أشرك صار نجسًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: 28]، فالنجاسة على خلاف الأصل، وكونه موحدًا يقتضي الطهارة أولاً؛ لأنه على وفق الأصل، فالموحد من خواص الله لقوله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: 26]. الثمرة الثانية: أن الشرك سبب لخراب العالم، فالتوحيد سبب لعمارة العالم؛ لأن الضدين مختلفان في الحكم، وإذا كانت كلمة التوحيد سبب عمارة العالم فأولى أن تكون سببًا لعمارة القلب الذي هو محل الوحدانية، ولعمارة اللسان الذي هو محل ذكر الوحدانية، وذلك يناسب عفو الله تعالى عن أهل التوحيد. الاسم الثاني: «كلمة الإخلاص» سميت بذلك؛ لأن الأصل فيها عمل القلب، وهو كون الإنسان عارفًا بقلبه وحدانية الله تعالى، وهذه المعرفة الحاصلة في القلب يستحيل أن يأتي بها الإنسان لغرض آخر سوى طاعة الله وحبه وعبوديته، فهذه المعرفة طلب لوجه الله لا لغرض آخر البتة، بخلاف سائر الطاعات البدنية فإنها كما يُؤتى بها لتعظيم الله تعالى، فقد يُؤتى بها لسائر الأغراض العاجلة من الرياء والمدح والثناء، فلذلك سميت كلمة الإخلاص. الاسم الثالث: «كلمة الإحسان» قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60] أي: هل جزاء الإيمان

واعلم يا عبد أن عليك عهد العبودية، وعلى كرمه عهد الربوبية، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: 40]، وعهد عبوديتك أن تكون عبدًا له لا لغيره، وأن تعرف أن كل ما سوى الله هو عبد الله، كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: 93]، وقول «لا إله إلا الله» يدل على اعترافه بأن كل من سواه ﷻ هو عبده، فثبت أن قول «لا إله إلا الله» إحسان من العبد، فقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60] أي: هل جزاء من أتى بقول «لا إله إلا الله» إلا أن أدخله في جنته «لا إله إلا الله»

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس 26]. والمراد من قوله ﴿أَحْسَنُوا﴾ هو قول: «لا إله إلا الله» باتفاق أئمة التفسير؛ لأنه لو قال ذلك ومات دخل الجنة. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [فصلت 33]، اتفقوا أنها نزلت في فضيلة الأذان المشتمل على «لا إله إلا الله». قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر 18]، وأحسن القول «لا إله إلا الله». وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل 90]، قيل: العدل: الإعراض عما سوى الله، والإحسان: الإقبال على الله، وقال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء 7]، الإحسان قول: لا إله إلا الله. وروي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾ [يونس 26]، أي: الذين قالوا: لا إله إلا الله».

الحسنى: هي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجهه الكريم. وكلما كان العمل أشد حسنًا كان جزاؤه أشد حسنًا، وأحسن الأذكار «لا إله إلا الله»، وأحسن المعارف: معرفة «لا إله إلا الله» فتكون هذه المعرفة وهذا الذكر إحسانًا. الاسم الرابع: «دعوة الحق» قال تعالى في سورة الرعد: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد 14]، وهو يفيد الحصر أي: له هذه الدعوة لا لغيره، كقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون 6]، أي: لكم دينكم لا لغيركم، ووجه إفادته الحصر أن الحق نقيض الباطل، والحق هو الموجود، والباطل هو المعدوم، ولما كان الحق سبحانه هو حقًا في ذاته لذاته، وصفاته، وكان يمتنع التغير في حقيقته كانت معرفته هي المعرفة الحقيقية، وذكره هو الذكر الحق، والدعوة إليه هي الدعوة الحقة، وأما ما سواه فهو ممكن لذاته، فلا تكون معرفته واجبة التحقق ولا ذكره، ولا الدعوة إليه، ودعوة الحق تارة تكون من الحق للخلق، وتارة تكون من الخلق للخلق إلى الحق.

أما أن دعوة الحق تكون من الحق؛ فلأنه هو الذي دعا القلوب إلى حضرته، فلولا دعوته إلى تلك الحضرة، وتوفيقه في ذلك الوصول، وإلا فمن أين يمكن العقل البشري الوصول إلى جلال حضرة الله تعالى؟ وأيضًا فمبادئ الحركات وأوائل المحدثات تنتهي إلى قدرة الله تعالى وقضائه. قال: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ [الروم 4]. وأما أن ذلك دعوة الحق فقال الله تعالى: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر 16]. وأما الانتهاء إلى الحق فقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ [النجم 42].

وأما أن دعوة الحق تارة تكون من الخلق فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت 33]. وقال تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران 193]. الاسم الخامس: «كلمة العدل» قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

=

والإحسان﴾ [النحل 90] وفي الحديث «إن جبريل عليه السلام قال يا محمد إن الله يأمر بالعدل والإحسان» وقال ابن عباس العدل شهادة «ألا إله إلا الله» والإحسان القيام بالعبودية وقيل العدل شهادة «ألا إله إلا الله» والإحسان الإخلاص فيها وقيل العدل مع الناس والإحسان مع من قطعك قال تعالى ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء 7] وقيل العدل مع الأعضاء والإحسان مع القلب بأن يزينه بعدل التوحيد وشرب محبته وقيل العدل رؤية الافتقار إلى المولى والإحسان مشاهدة إحسان الخالق على كل شيء في الخلق وسبب تسمية هذه الكلمة بكلمة العدل وجوه: الأول أن العدل في كل شيء تحصيل سبب عدله، وكمال حاله، وكمال حال القوى الحاسة في إدراك المحسوسات، وكمال حال القوة الغضبية في طلب الأشياء النافعة الخسانية، وكمال حال القوة الغضبية في دفع الأشياء الغير الجسمانية، وأما القوة العقلية فكمال حالتها وغاية سعادتها أن ترتسم فيها صور الحقائق، وأشياء المعقولات كما هي، حتى تصير القوة العقلية كالمرآة التي تجلت فيها صور الوجوه بتمامها، وأشرف المعقولات وأعلاها معرفة جلال الله وقدسه وعظمته، وعزته، فكان غاية العدل والاعتدال للأرواح البشرية والقوى العقلية، وكونها مقبلة على هذه الحالة مستغرقة فيها السبب الثاني أن معرفة الله متوسطة بين الإفراط الذي هو التشبيه، والتفريط الذي هو التعطيل، فمن بالغ في الإثبات وقع في التشبيه، ومن بالغ في النفي وقع في التعطيل، فالحق الاعتدال بين الطرفين السبب الثالث من ترك النظر والاستدلال في معرفة الله تعالى، وعدل إلى ما ألفه من الحس والخيال وقع في الضلال، وأما من توغل البحث وأراد الوصول إلى كنه العظمة تحير وتردد بل عمي، فإن نور جلال الإلهية يعمي أحداق العقول البشرية فصار هذان الطرفان مذمومين. فأولاً البحث في الاعتدال وترك التعمق، فعنه ﷺ أنه قال «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق»، فأمر تعالى في التوحيد وقال ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء 129]، أظهر العجز عن الضعيف وأقدر على الشريف ليعلم أن الكل منه

الاسم السادس «الطيب من القول» قال تعالى ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج 24] أي إلى «لا إله إلا الله» والألف واللام للاستغراق كأنه قال «لا عند ولا طيب إلا هذا» لأن صب عن [illegible] بالنسبة إلى هذه كلا طيب وأي كلمة أطيب وأطهر من كلمة [illegible] [illegible] سبب نجاسة [illegible] وزوال النجاسة بذكر هذه الكلمة مرة واحدة، [illegible] الطيب هو [illegible] وتشديد إدراك الملائم والملائم للقوى الحاسة والمحسوسات [illegible] [illegible] [illegible] جلال الله تعالى وقدسه، إدراك القوة الحاسة أما مدرك القوى الحاسة فهي الأعراض القائمة بالأجسام الكثيفة الفاسدة ومدرك القوة العاقلة هو ذات الله تعالى وعظمته، و[illegible] [illegible] [illegible]

=

فوق ومعرفة أشرف، كانت اللذة الحاصلة بسبب ذلك الإدراك أشرف وأعلى، فعلى هذا نسبة اللذة العقلية للحسية في الشرف والقوة كنسبة الإدراك العقلي إلى الإدراك الحسي، كنسبة ذات الله تعالى في صفاته في الشرف والتعالي عن الأعراض القائمة والأجسام، وكما أنه لا نهاية للنسبة الحاصلة بين هذين الإدراكين وبين هذين المدركين، فكذلك لا نهاية للنسبة الحاصلة بين اللذات العقلية الحاصلة من إدراك جلال الله ومن اللذات الحاصلة بسبب إدراك الطعوم والروائح وسائر الحواس فتبين أن الطيب المطلق، معرفة «لا إله إلا الله»، وذكر «لا إله إلا الله»، والاستغراق في نور جلال «لا إله إلا الله». الاسم السابع «الكلمة الطيبة» قال الله تعالى ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم 24] سميت بذلك لأنها طاهرة عن التشبيه والتعطيل، لكنها طريقة متوسطة بينهما مباينة لكل واحد منهما، كما أن اللبن خارج من بين فرث ودم وهو مبرأ عن كل واحد منهما

وقال المفسرون الشجرة الطيبة النخلة، وشبهت بكلمة التوحيد لأنها تنبت في بعض البلاد دون بعض، وكلمة التوحيد تجري على لسان بعض الناس دون بعض، ومعرفة التوحيد تحصل في قلب دون قلب، ولأن النخلة أطول الأشجار وكلمة التوحيد أعلا الكلمات، ولأن النخلة ثابتة في الأرض وفروعها في السماء، والكلمة الطيبة أصلها ثابت في القلب وهو المعرفة، وفروعها ثابتة في السماء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر 10]. الاسم الثامن «الكلمة الثابتة» قال تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم 27] سميت بذلك؛ لأن المذكور والمعلوم واحد ثابت واجب الثبوت لذاته، ممتنع العدم لذاته، فالقول كذلك. الاسم التاسع «كلمة التقوى» قال الله تعالى ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [الفتح 26]، وسميت بذلك لأن قائلها اتقى الكفر، ولأنها وقاية تمنعك من سيف المجاهدين أن يصيبك ولأولادك عن الأسر، فإذا انضاف إلى القلب اللسان صارت وقاية للقلب من الكفر، وإن انضاف صارت واقية لجوارحك من المعاصي. الاسم العاشر «الكلمة الباقية» قال كثير من المفسرين في قوله تعالى ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف 28] هي قول «لا إله إلا الله» لقوله قبل ذلك: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف 26، 27]

ومعنى ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ نفي الإلهية عن الأشياء التي كانوا يعبدونها، ثم قال ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ فكان هذا إثبات الإلهية للذي فطره ومجموع ذلك «لا إله إلا الله»

الاسم الحادي عشر «الاستقامة» قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت 30] هو قول «لا إله إلا الله»، وقولهم ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ إقرار بوجود الرب تعالى، ثم من المفسرين من
=

أثبت معه شيئًا شريكًا تعالى الله، ومنهم من نفى ذلك وهم الذين استقاموا على الصراط المستقيم، والاستقامة في انقسامها تعلو الاستقامة في نفي الشركاء.

الاسم الثاني عشر: «كلمة الله العليا» قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة 40]. وذلك أن القلب إذا تجلى فيه نور هذه الكلمة استحقت حصول القوة بالله، ولهذا صار العارفون المستغرقون في نور جلال الله يستحقرون الأحوال الدنيوية، وعظماء الملوك، ولا يبالون بالقتل، ولا يهتمون لمصائب الدنيا ورزيتها ورزاياها؛ ألا ترى إلى سحرة فرعون لما تجلى لهم نور هذه الكلمة كيف لم يلتفتوا إلى تقطيع الأيدي والأرجل، وإلى سيدنا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- لما استغرق في هذا النور لم يلتفت إلى الملكوت، كما قال تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم 17]. وهي مستعلية في القلب عن سائر الأديان قال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة 33]، ومستعلية على جميع الذنوب، فإنها مزيلة جميع الذنوب ولا يزيلها ذنب. الاسم الثالث عشر: «المثل الأعلى» قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل 60] معناه: قول «لا إله إلا الله»، ومعنى المثل هنا الصفة، كما قال أهل المعنى، ونظيره قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد 35] أي صفتها.

الاسم الرابع عشر: «العهد» قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم 87] العهد: قول «لا إله إلا الله». الاسم الخامس عشر: «مقاليد السماوات والأرض» قال ابن عباس: قول «لا إله إلا الله»؛ لأن الشرك سبب لفساد العالم، قال الله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم 90] ولما كانت كلمة التوحيد عمارة العالم، ولا تفتح أبواب السماء عند الدعاء إلا بقول «لا إله إلا الله»، وأبواب الجنة لا تفتح إلا بهذا القول، وأبواب النيران لا تغلق إلا بهذا القول، وأبواب القلب لا تفتح إلا بهذه الكلمة، وأنواع الوساوس لا تندفع إلا بهذا القول، فهي أشرف مقاليد السماوات والأرض وأعز مفاتيح الأرواح والنفوس والأجساد والعقول. الاسم السادس عشر: «كلمة الحق» بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف 86]، أي: قول «لا إله إلا الله». الاسم السابع عشر: «العروة الوثقى» قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة 256] يعني قول «لا إله إلا الله». الاسم الثامن عشر: «كلمة الصدق» لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر 33]. الاسم التاسع عشر: «كلمة السواء» قال الله تعالى: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران 64] [ص 134] مختصرا

حديث البطاقة، وحديث الرجل الذي حضره ملك الموت، فشق أعضاءه، فلم يجده عمل خيرًا، ثم شق قلبه فلم يجد فيه خيرًا فيه، ففك لحييه، فوجد طرف لسانه لاصقًا بحنكه يقول: لا إله إلا الله، فغفر له بكلمة الإخلاص، وحديث التلقين لسيدنا علي ﷺ فيه بعد ما طلب منه الدلالة على أقرب الطرق إلى الله ﷻ وأسهلها على عباده، وأفضلها عند الله، وحديث مبايعة الصحابة بعد سؤاله: هل فيكم غريب؟ يعني أهل الكتاب، وأمره بغلق باب المسجد، وقوله ﷺ: «ارفعوا أيديكم، فقولوا: لا إله إلا الله»، ورفعهم ذلك، وقوله ﷺ: «اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد، ثم قال: أبشروا، فإن الله قد غفر لكم»[1] الذي رواه البزار في «مسنده».

وحديث إرشاد سيدنا موسى ﷺ لما فيه دليلٌ على أنها أفضل الأذكار.

قال الشيخ إبراهيم الكوراني - رحمه الله -: تضمن سؤال موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام بقوله: «إنما أريد شيئًا تخصني به» أن يعلمه ذكرًا أفضل من الأذكار المتداولة بين العباد، ودل الجواب على أن الذي يطلبه من أفضل الأذكار هو المتداول بين العباد، فالمطلوب خصوصًا هو المبذول عمومًا، فوقع التخصيص في عين التعميم بتعظيم مرتبة لا إله إلا الله، والله أعلم.

ويشهد لأفضليتها على سائر الأذكار، حتى من الصلاة والتسليم على الحبيب المختار قوله ﷺ: «رأيت حمزة وجعفر، وكان بين أيديهما طبق فيه نبق كالزبرجد، فأكلا منه نبقًا، ثم صار عنبًا فأكلا منه، ثم صار رطبًا فأكلا منه، فقلت لهما: ما وجدتما أفضل الأعمال؟ قالا: قول لا إله إلا الله، قلت: ثم ماذا؟ قالا: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، قلت: ثم ماذا؟ قالا: حب أبي بكر وعمر»[2]، ولولا خشية الإطناب لأوردت في خصائصها ومنائحها العجب العجاب، فإن سائر أصحاب الطرائق، أرباب المشارب الفائق من كل دقيق دائق أجمعوا على اتخاذها وردًا وذكرًا لكل مزيد شائق، ودل إجماعهم على أفضليتها على غيرها من الأذكار، وإن كان كل ذكر يبلغ الأوطار، ولنكتف بهذا

---

(1) رواه البزار في «مسنده» (9/ 408)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (1/ 679).

(2) رواه الديلمي في «الفردوس» (1/ 399).

المقدار، فإن فيه كفاية لطالب رفيع الأطوار

ثم يقول الناظم كشف الله عنه الأستار: (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ)، سبق الكلام على الآل والأصحاب، (أَزْوَاجِه) جمع زوج، ويطلق على الرجل والمرأة، ويقال للمرأة أيضًا زوجة، والمراد نساؤه الأطهار، اللاتي اختارهن الله تعالى لنبيه سيد الأخيار، ورضي بهن له زوجات في هذه الدار، وفي تلك الدار، حتى استحققن أن يصلي عليهن تبعًا له ﷺ، وأنزل الله في شأنهن أنهن لسن كأحد من النساء، وأنهن يؤتين أجرهن مرتين مرتين، وقد فرد المحب الطبري لمناقبهن كتابًا، سماه «السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين»، ومعنى أمهات المؤمنين أي: في الاحترام والتوقير والتعظيم، وهن فيما عدا ذلك هن كالأجنبيات في غيره من الأحكام.

قال شارح «الدلائل»- رحمه الله: وهل من أمهات للمؤمنين أيضًا؟ فقيل: لا، وإلا حرم نكاحهن عليه، وقيل: نعم؛ لوجوب إكرامهن لهن، وهو تشبيه بليغ لا يراعى فيه جميع وجوه الشبه، وأزواجه ﷺ اللاتي دخل بهن بلا خلاف إحدى عشرة:

خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، وهي أولاهن، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، ثم سودة بنت زمعة القرشية العامرية، ثم عائشة بنت أبي بكر الصديق القرشية التيمية، ولم يتزوج بكرًا غيرها، ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب القرشية العدوية، ثم زينب بنت خزيمة الهلالية العامرية، وماتت في حياته مثل خديجة، ثم أم سلمة بنت أبي أمية بن مغيرة القرشية المخزومية، ثم زينب بنت جحش الأسدية- أسد خزيمة، ثم جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطلقية، ثم أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب القرشية الأموية، ثم صفية بنت حُيَيّ بن أخطب الإسرائيلية النضرية من سبط هارون بن عمران ﷺ، ثم ميمونة بنت الحارث الهلالية العامرية، واختلف في ريحانة القرظية، فقيل: زوجة نكحها بعد جويرية، وقيل: أم حبيبة، وقيل: سرية، واختلف هل ماتت في حياته ﷺ عند مرجعه من حجة الوداع، أم بقيت بعده؟ والتسع البواقي كلهن بقين بعده، وما تقدم في ترتيب أزواجه ﷺ هو الأشهر، وقيل فيه غير ذلك، وقد عقد ﷺ على نساء غير هؤلاء لم يبن في المشهور من أقاويل العلماء بواحدة منهن، فاستغنينا لذلك عن ذكرهن.

وأما سراريه ﷺ فقيل: إنهن أربع.

مارية بتخفيف الياء أم إبراهيم ابنه ﷺ وريحانة المتقدمة، وأخرى أصابها في بعض سبي سمها جميلة، وأخرى وهبتها له زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنهن أجمعين.

(وأهل بيته) دون السر المذكور أعظم الله له الأجور. قال في «المواهب»: وأما أهل بيته فقيل: من ينسب إليه حتى الأدنى، وقيل: من اجتمع معه في رحم، وقيل: من اتصل به بنسب أو سبب، انتهى.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝﴾ [الأحزاب: 33]، قال سيدي شهاب الدين أحمد بن حجر ـ رحمه الله ـ في «شرح الهمزية»: وأكثر المفسرين أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين ـ وقيل: نزلت في نسائه، ونسب لابن عباس، وكان مولاه عكرمة ينادي به في السوق، ورد بتذكير ضمير (عنكم) وما بعده، وقال جمع: نزلت فيهن، ورجحه جمع بأنهن سبب النزول، فيدخلن قطعًا، ويدل له ما صح عن أم سلمة: «قلت: يا رسول الله أنا من أهل البيت؟ قال: بلى، إن شاء الله تعالى»[1]، ولدخول آل البيت خبر مسلم: إنه أدخل أولئك الأربعة تحت كسائه، وقرأ الآية، وصح أنه ﷺ جعل هؤلاء تحت كسائه وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا»[2].

وفي حديث حسن: أنه ﷺ اشتمل على العباس وبنيه بملاءة، وقال: «يا رب هذا عمي وصنو أبي، وهؤلاء أهل بيتي، فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه، فقالت أسكفة الباب وحوائط البيت: آمين ثلاثًا»[3]، فعلم أن المراد بأهل البيت في الآية أهل بيت سكناه، وهم أمهات المؤمنين، وأهل بيت نسبه، وهم مؤمنوا بني هاشم وبني المطلب، وصح هذا عن زيد بن أرقم، والأشهر أن هؤلاء آله المذكورون في قوله: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»[4]، وقيل: المراد بآله هنا كل مؤمن، وخبر: «آلي كل مؤمن تقي» فصل

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير (23/286).
(2) رواه الترمذي (699).
(3) رواه الطبراني في المعجم الكبير (19/26).
(4) رواه البخاري (3/1233).

أهل البيت والآل وذوي القربى، وأولئك الأربعة في آية المباهلة، كما صرح به ما صح عنه ﷺ فيها، انتهى.

(بُكرة) أي: في البكرة، وهو أول النهار من الإبكار المقابل للعشي، وهو مما يعبر به عن الوقت كما قال: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الأعراف: 25].

وفي الحديث: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»[1] قال المناوي في «شرح الجامع الصغير»: أول اليوم الفجر، وبعده الصباح، فالغداة، فالبكرة، فالضحى، فالضحوة، فالهجيرة، فالظهر، فالرواح، فالمساء، فالعصر والأصيل فالعشاء الأولى، فالعشاء الأخيرة، وذلك عند مغيب الشفق، قال النووي في «رؤوس المسائل»: يسن لمن له وظيفة من نحو قراءة أو علم شرعي، أو تسبيح، أو اعتكاف، أو صنعة فعله أول النهار، وكذا نحو سفر وعقد نكاح، وإنشاء أمر هذا الحديث.

(وَأَصِيلاً) قال في «المختار»: والأصيل الوقت بعد العصر إلى المغرب، وجمعه: أصل، وآصال، وأصايل، كأنه جمع أصيلة، وأصلان أيضًا، مثل: بعير وبعيران، وقد آصل: دخل في الأصيل، وجاء مؤصلاً، انتهى.

وقال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٢٥﴾﴾ [الإنسان: 25]، قال القاضي: ودوم على ذكره كالدوام على صلاة الفجر والظهر والعصر، فإن الأصيل يتناول وقتيها.

(وَصَلِّ وَسَلِّمِ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ)، وإنما ألحق به ﷺ مع ما انضم إليه؛ لقوله صلوات الله وتسليماته عليه: «صلوا على أنبياء الله ورسله، فإن الله بعثهم كما بعثني»[2]، وفي رواية: «صلوا على النبيين إذا ذكرتموني فإنهم قد بعثوا كما بعثت»[3]، ذكرتهما في «الجامع الصغير»، والتعبير بالأبوة للتوقير ولنص الكتاب المنير، قال الله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: 78].

قال القاضي رحمه الله تعالى: وإنما جعله أباهم؛ لأنه أبو رسول الله ﷺ، وهو

(1) رواه أبو داود (3/ 35).

(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 149).

(3) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (1/ 96).

ذلك لأمه من حيث إنه سبب خيانهم الأبليه، ووجودهم على الوجه المعتد به في الخروج، أو لأن أكثر العرب من ذريته فغلبوا على غيرهم، انتهى.

ويقال له: أبو الأنبياء؛ لأن أغلب أنبياء بني إسرائيل من ذراته إسحاق ﷺ، والعرب من ذريته إسماعيل ﷺ، لما في حديث: «العرب كلها بنو إسماعيل بن إبراهيم إلا أربع قبائل: إلا السلق، والأوز، وحضرموت، وثقيف»[1] رواه ابن عساكر عن مثث بن خمر، وعنه ﷺ: «أهل فارس من ولد إسحاق»[2]، رواه الحاكم في «تاريخه» عن ابن عمر، وعنه ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نوديت من بطنات العرش: يا محمد، نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك علي»[3]، رواه الرافعي عن علي ﷺ.

وعنه ﷺ: «ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم»[4]، رواه أحمد والشيخان وأبو داود عن أنس.

وإبراهيم اسم أعجمي جامد غير مشتق؛ لأن الاشتقاق مخصوص بالأسماء العربية، وليس في أسماء الأنبياء معرب غير شمله، وقال المناوي: أعجمي معرب، أصله إبراهيم، انتهى.

قال في «الصحاح»: وفيه لغات: إبراهام، وإبراهم، وإبراهيم، وتصغيره: أبيره؛ لأن الألف من إلا تحذ؛ لأن بعدها أربعة أحرف أصول، والهمزة لا تلحق بنات الأربعة زائدة في أولها، وذلك يوجب حذف آخره كما يحذف من سفرجل، فيقال: سفيرج، وكذلك في إسماعيل، وإسرافيل، وهذا قول المبرد، ثم قال: ولا يعلم اشتقاقه، فتصغيره على بريهيم، وسميعيل، وسريفيل، وهذا قول سيبويه، وهو حسن، والأول قياس، ومعنى إبراهيم: أب رحيم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114]، وأما حليته عليه الصلاة والسلام، فحلية سيدنا الرؤوف الرحيم؛ لما في حديث: «رأيت موسى وعيسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى فآدم جسيم سبط، كأنه من

(1) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (14/ 354).

(2) ذكره ابن حجر في لسان الميزان (1/ 64).

(3) رواه أحمد (2/ 663).

(4) رواه مسلم (4/ 1807).

رجال الزط، وأما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم، وأما موسى فجعد آدم، كأني أنظر إليه أنحدر في الوادي، يلبي على جبل أحمر مخطوم بخلبة»[1]، رواه أحمد والشيخان عن ابن عباس، وعنه ﷺ: «إن الأنبياء يوم القيامة كل اثنين منهم خليلان دون سائرهم، فخليلي منهم يومئذ خليل الله إبراهيم»[2]، رواه الطبراني عن سمرة.

وهو أول من حرم بيت الله وأمنه، وأول من أضاف الضيف، وأول من يكسى من الخلائق، وأول من قص شاربه، وأول من اتخذ الخبز الملبق، وأول من عاش، وأول من عامل القسي.

وعنه ﷺ: «رأيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرئ أمتك السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وغراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[3]، رواه الطبراني عن ابن مسعود.

وعنه ﷺ: «خيار ولد آدم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ، وعليهم أجمعين»[4]، رواه ابن عساكر عن أبي هريرة، وعنه ﷺ: «لما ألقي إبراهيم في النار قال: اللهم أنت في السماء واحد، وأنا في الأرض واحد أعبدك»[5]، وفي رواية: «لما ألقي إبراهيم الخليل في النار قال: حسبي الله ونعم الوكيل»[6]، وعنه ﷺ: «فما احترق منه إلا موضع الكتاف»[7]، وفي رواية «أوتي بإبراهيم يوم النار إلى النار فلما أبصرها قال: حسبنا الله ونعم الوكيل»[8]، وفي رواية: «آخر ما تكلم به إبراهيم حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل»[9]، وعنه ﷺ: «اختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة، فيكون عمره مائتي سنة،

---

(1) رواه البخاري (3/ 1269) بنحوه، ورواه أحمد (1/ 296) بنحوه، ورواه الديلمي في الفردوس (2/ 256) بنحوه، ورواه ابن منده (2/ 238) بنحوه.

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير (7/ 258).

(3) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (4/ 271).

(4) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (8/ 255).

(5) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (8/ 20[illegible]).

(6) رواه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 30).

(7) ذكره المناوي في فيض القدير (1/ 44).

(8) رواه أبو نعيم في الحلية (1/ 19).

(9) رواه الديلمي في الفردوس (3/ 269).

وأنزل الله عليه عشر صحائف»[1]، وأما نسبه الكريم فهو: إبراهيم خليل الرحمن بن تارح بن ناحور بن ساروغ بن رعو بن فالغ بن عابر، وهو هود عليه السلام بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس عليه السلام، بن يرد بن مهلييل بن قينان بن أنوش بن شيث عليه السلام.

وقيل في نوح: إنه يُسمى نوحًا؛ لطول ما ناح على نفسه، وفيه نظر؛ لأنه اسم عجمي فلا اشتقاق، نقله شارح «الدلائل».

(خَلِيلك): الخليل بوزن فعيل اسم لمن صحت محبته لمحبوبه، مأخوذ من التخلل، وهو اشتباك البعض بالبعض، قال الشاعر: قد تخللت مسلك الروح مني، وبذا سمي خليل خليلاً، والإضافة للتشريف.

قال في «القاموس»: الخليل الصديق، أو من أصفى المودة وأصحها، والخلة الصداقة المختصة، لا خلل فيها، والخلة بالفتح الحاجة، ولذا وصف بها إبراهيم عليه السلام لقصر حاجته على ربه، كما جاء في بعض الأخبار: إن جبريل عرض له وهو في المنجنيق؛ ليُرمى به في النار، فقيل له: ألك حاجة؟ فقال: أمَّا إليك فلا، فقال: سل ربك، فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي.

أو هي من الخلة بالضم، وهو تخلل مودة في القلب، لا تدع فيها خلاء إلا ملأته، لما خالله من أسرار الغيبة، ومكنون الغيوب والمعرفة؛ لاصطفائه عن أن يطرقه نظر لغيره، ومن ثم قال ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً»[2]، واختلفوا أيهما أرفع، مقام المحبة، أو الخلة؟ فقال قوم: المحبة أرفع؛ لخبر البيهقي: إنه تعالى قال ليلة الإسراء: يا محمد سل ربك تعطى، فقال: يا رب إنك اتخذت إبراهيم خليلاً، وموسى كليمًا، فقال: ألم أعطك خيرًا من هذا؟» إلى قوله: «واتخذتك حبيبًا؟»، أو ما في معناه، ولأن الحبيب يصل بلا واسطة بخلاف الخليل، قال تعالى: في ذكر الحبيب ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: 9] وفي إبراهيم ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ

---

(1) ذكره المقدسي في المغني (1/ 63) بنحوه.

(2) رواه البخاري (3/ 1337) بنحوه، ورواه الترمذي (5/ 609) بنحوه، ورواه ابن ماجه (1/ 36) بنحوه، ورواه مسلم (4/ 1854) بنحوه، ورواه أحمد (4/ 4) بنحوه.

وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 75]، والخليل قال له: ولا تخزني، والحبيب قيل له: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ﴾ [التحريم: 8]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: 64].

وقال بعضهم: الخُلّة أرفع، ورجحه جماعة كالبدر الزركشي وغيره؛ لأن الخلة أخص من المحبة؛ إذ هي توحيدها، فهي نهايتها، ومن ثم أخبر نبينا ﷺ بأن الله اتخذه خليلاً، ونفى أن يكون له خليل غير ربه، مع إخباره بحبه لجماعة من أصحابه، وأيضاً فإن الله تعالى يحب التوابين والمتطهرين والصابرين والمحسنين والمتقين والمقسطين، وخلته خاصة بالخليلين، قال ابن القيم: ومن ظن أن المحبة أرفع، وأن إبراهيم خليل، ومحمداً حبيب غلط وجهل في رفعة ذات محمد ﷺ على إبراهيم ﷺ مع قطع النظر عن وصف الخلة والمحبة، وهذا لا نزاع فيه، وإنما النزاع في الأفضلية المستندة إلى أحد الوصفين، والذي قامت عليه الأدلة إسناده على وصف الخلة الموجودة في كل من الخليلين؛ فخلة كل منهما أفضل من محبته، واختصاصه؛ لتوفر معناها السابق فيها أكثر من بقية الأنبياء، ويكون هذا المتوفر في نبينا أكثر منه في إبراهيم؛ لأن خلته أرفع من خلة إبراهيم صلى الله عليهما وسلم.

كذا في «شرح الأربعين» لابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ ولقد قلت مشيراً لمقام الخلة سابقاً:

يَا خَلِيلِي عَرِّجْ عَلَى حَيِّ سَلْمَى ... وَأَقْبِلْ يَا خَلِيلِيَ السَّلَامَا
ثُمَّ سَلْهُمْ عَطْفًا عَلَيَّ بِلُطْفٍ ... فَمَتَى يَسْمَحُونَ بِوَصْلِي تَمَامَا
سَادَةٌ سَكَنُوا سُوَيْدَا فُؤَادِي ... وَبِرُوحِي تَخَلَّلُوا اسْتِحْكَامَا
ثُمَّ لَمْ يَتْرُكُوا بِعَقْلِي مَحَلًّا ... لِسِوَاهُ إِلَّا خُلُوَّةٌ وَغَرَامَا
مِنْهُمُ أُضْرِمَتْ نِيرَانُ وَجْدٍ ... فِي الْحَشَا أُحْمِيَتْ فَزَادَتْ ضِرَامَا
وَدَعَوْنِي لِوَصْلِهِمْ وَجَفَوْنِي ... فَعَلَامَ هَذَا التَّجَنِّي عَلَامَا
وَعُيُونِي مِنَ الْكَرَى مَنَعُوهَا ... ثُمَّ صَالُوا فِي الْهَجْرِ هَتُولًا بِرَامَا
وَتَخَلَّوْا فِي الْحُبِّ عَنِّي لَمَّا ... أَنْ رَأَوْنِي صَبًّا بِهِمْ مُسْتَهَامَا

بـ آسـابي جراحتـي عَلِّلُـوهَا　　　بِوِصَـالٍ مِـنْكُمْ يُـزِيلُ الأُوامـ

فـتحنُوا وعِـيمُ قَلْبِـي جَلُـو　　　هُ بِـنُورِهِ فَلَـمْ يَـرَ إِلَّا أَوْدَمـ

ثُـمَّ قَالُـوا مـاذا تُـرِيدُ قَـتْلَهَا　　　قَـدْ كَـشَفْنَا عَـنْـ ـشَنَا تَـسَامَا

فتعاسـيْتُ هيبـةً وَجـلالاً　　　بِالـتَّجَلِّي لَا أَسْـتَطِيعُ الْكَلَامَـ

هَكَـذَا الْحُـبُّ فِي الخفَـاءِ يَمْنَعُ الشُّرْ　　　بَ، وَفِي الْقُـرْبِ يُؤْثِـرُ الاحْـتِرَامَا

رَبِّ صَـلِّ عَـلَى الحَبِيـبِ التِّهَامِي　　　وَالطَّبِيـبِ الَّـذِي أَزَالَ الـسُّقَامَا

الْخَلِـيلِ الْكَلِيـمِ، وَالـرُّوحِ طَـهَ　　　الـصَّفِيِّ الأَمِـينِ عَـوْنِ الْيَتَامَا

وَعَلَى آلِـهِ وَصَـحْبٍ كِـرَامٍ　　　مَـنْ سَـدَا سَـعَةً وَإِفْسَادِ مَقَامَا

وَعَلَى التَّابِعِـينَ مَا سَـحَّ جَفْـنٌ　　　مِـنْ مُحِـبٍّ يُهْـدِي إِلَـيْهِمْ سَـلَامَا

أَوْ تَلَاقَـى مَـعَ الأَحِبَّةِ صَـبٌّ　　　بَعْـدَمَا أَنْحَـلُوهُ فِـيهِمْ كَلَامَـا

أَوْ غَـدَا مُـصْطَفَى يَـبُثُّ هُيَامَا　　　نَحْـوَ حُـبٍّ قَـدْ زَادَ فِـيهِ غَـرَامَا

وعنه ﷺ: «إن الله بعث جبريل إلى إبراهيم، فقال له: يا إبراهيم إني لم أتخذك خليلاً، إنك أعبد عبادي، ولكن اطلعت في قلوب المؤمنين فلم أجد قلبًا أسخى من قلبك»[1]، رواه أبو الشيخ في «الثواب» عن عمر.

وصل وسلم على (وَدَاوُد خَلِيفَتِك). اسم أعجمي، لا يهمز كما في «الصحاح»، ويقال: هو ابن نبي من أنباء بني إسرائيل، قاله شارح «الدلائل»، وفي «المسامرات لأكبريه» هو ابن إياس بن عربال، وهو من يهود، أو هو ولد يعقوب عليهم السلام، وكان يقرأ التوراة على اثنين وسبعين صوتًا، وكان له تسع وتسعون زوجة، وكان ملكه أربعين سنة، وشيع جنازته أربعين ألف راهب، وقيل: شرع في بناء بيت المقدس ولم يتمه، انتهى وبنى أتمه ولده سيدنا سليمان ﷺ من بعده، وقبره الشريف ظاهر بالقدس يزار.

(1) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (3/ 260)

وعينه من مذاهبه والأنوار ما يشهد له أنه يملك البقعة قرّ منه القرار، ولكم حنّت في عرفه رحتّ منه المدر، كما جاد الحق بزيادة سكان الغار أهل المجد والحمد والفخر، وأبيه الكريم شمس الشموس وقمر الأقمار، وغايت لديهم من البر كانت وبرحمات بحر ما لا يمنع به أشعر، فعليهم جميعًا صلاة وسلام العزيز الغفار، ما كرّ الليل على النهار.

وعنه ﷺ: «**كان داود أشد البشر**» قال المناوي رحمه الله تعالى: وفي رواية «**أعبد**»[1]: أي أكثرهم عبادة في زمانه، أو مطلقًا، والمراد أشكركم، قال تعالى: اعملوا آل داود شكرًا، أي بالغ في شكري، وابذل وسعك فيه، قيل: جزءًا، أي قسم داود ﷺ ساعات الليل والنهار على أهله، فما من ساعة إلا وإنسان منهم قائم يصلي.

وعنه ﷺ: «**كان الناس يعودون داود، يظنون أن به مرضًا، وما به إلا شدة الخوف من الله**»[2]، قال المناوي: وفي رواية بدله: «**الفرق**»[3]، زاد أبو نعيم في رواية: «**والحياء**»[4]، ودلت لما غلب على قلبه من الهيبة الجلالية، غاب القلب سلطانًا عظيمًا، في يتهيأ؛ لأنه يرمه الرجل حتى كاد يتلف كبده، فظهرت العبرة على جوارحه الظاهرة.

قال يزيد الرقاشي: خرج داود في أربعين ألفًا يعظهم ويخوفهم، فمات منهم ثلاثون ألفًا، ورجع في عشرة آلاف، وكان له جاريتان، اتخذهما إذا جاءه الخوف، وسقط فاضطرب قعدتا على رجليه وصدره؛ مخافة أن تتفرق مفاصله فيموت، رواه ابن عساكر في «ترجمة داود ﷺ»، وكذا أبو نعيم باللفظ المزبور، ثم قال: والديلمي، فاقتصار المؤلف على ابن عساكر غير جيد.

وعنه ﷺ: «**إن داود سأل ربه مسألة، فقال: اجعلني مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فأوحى الله إليه: إني ابتليت إبراهيم بالنار فصبر، وإسحاق بالذبح فصبر، ويعقوب بفقد يوسف فصبر**»[5]، رواه ابن عساكر والديلمي، عن أبي سعيد.

---

(1) رواه الترمذي (5/ 522).

(2) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 544).

(3) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 544).

(4) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 544).

(5) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (9/ 10) بنحوه.

وعنه ﷺ: «بعث داود وهو راعي غنم، وبعث موسى وهو راعي غنم، وبعثت أنا وأنا أرعى غنمًا لأهلي بجياد»[1]، وعنه ﷺ: «خفف على داود القرآن، فكان يأمر بدوابه، فتسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلا من عمل يده»[2].

قال المناوي: وقد دل الحديث على أنه سبحانه يطوي الزمان لمن شاء من عباده، كما يطوي لهم المكان، وذلك لا يدرك إلا بفيض سبحاني، قال القسطلاني: قال ابن أبي شريف: إن أبا طاهر المقدسي - وكان من معاصريه - كان يقرأ في اليوم والليلة خمس عشرة ختمة، قلت: وعن الشعراني ﷺ: أن أحد تلامذة أبي مدين ﷺ: أنه ورده كان في كل درجة ألف ختمة، وعنه ﷺ: «لقد قبض داود من بين أصحابه، فما فتنوا وما بدلوا، ولقد مكث أصحاب المسيح من بعده على سنته وهديه مائتي سنة»[3].

وعنه ﷺ: «كان داود فيه غيرة شديدة، وكان إذا خرج أغلقت الأبواب، فلم يدخل إلى أهله أحد حتى يرجع، فخرج ذات يوم وغلقت الأبواب، فأقبلت امرأة، تطلع إلى الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة لتفضحني بداود؟ فإذا الرجل قائم في وسط الدار، فقال له داود: من أنت؟ قال: الذي لا أهاب الملوك، ولا يمنع مني الحجاب، قال داود: أنت إذًا والله ملك الموت، من جاء بأمر الله فزمل داود مكانه حيث قبضت نفسه، حتى فرغ من شأنه، فطلعت عليه الشمس، فقال سليمان للطير: أظلي على داود، فأظلت عليه الطير حتى أظلمت عليهم الأرض، فقال سليمان: اقبضي جناحًا جناحًا، يومئذ المضرحية»[4] رواه أحمد عن أبي هريرة، كذا في «الجامع الكبير».

وعنه ﷺ: «إن داود قارئ أهل الجنة»[5]، كذا في «كنوز الحقائق» للمناوي -رحمه الله-، وعنه: «كانت صلاة الضحى أكثر صلاة داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يفر إذا لاقى»[6] وسبق في الكلام على الترجمة: «أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود»[7]

(1) رواه أحمد (3/ 96)، والطيالسي في مسنده (1/ 185)
(2) رواه البيهقي في السنن الكبرى (6/ 127) (3) رواه ابن عدي في الكامل (6/ 269)
(4) رواه أحمد (2/ 419) (5) لم أقف عليه
(6) رواه البخاري (2/ 698) بنحوه. (7) رواه البخاري (1/ 380)

حسنة»، وعنه ﷺ: «قال داود: يا زارع السيئات، أنت تحصد شوكها وحسكها»(1).

وعنه ﷺ: «قال داود: إدخالك يدك في فم التنين إلى أن تبلغ المرفق، فيقصمها، خير لك من أن تسأل من لم يكن له شيء»(2)، ثم فإن خلفاءك قال الله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: 26]، قال القاضي رحمه الله تعالى: استخلفناك على الملك فيها، أو جعلناك خليفة من قبلك من الأنبياء القائمين بالحق. اهـ

وقال عند قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، فالخليفة من يخلف غيره، وينوب منابه، والهاء فيه للمبالغة، والمراد به آدم ﷺ، وكذلك كل نبي استخلفه في عمارة الأرض، وسياسة الناس، وتكميل نفوسهم، وتنفيذ أمره فيهم، لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه، بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه، وتلقي أمره بغير وسط، ولذلك لم يستخلفوا ملكًا كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: 9]، ألا ترى أن الأنبياء لما فاقت قوتهم، واشتعلت قريحتهم بحيث ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: 35]، أرسل إليهم الملائكة، ومن كان منهم أعلا رتبة كلمه بلا واسطة، كما كلم موسى ﷺ، ومحمدًا ﷺ ليلة المعراج. انتهى

وصل وسلم (وَمُوسَى): اسم غير منصرف للعلمية والعجمة، قال الخثعمي ـ رحمه الله ـ في «مسامراته»: ولما وجد التابوت في الماء عند الشجر سمّاه فرعون: موسى، مركب من ماء وشجر، فإن الماء بلغتهم: «المو»، والشجر «الشا»، فسمي بصفة المكان الذي وجد فيه، ذكر ذلك شيخنا أبو زيد السهيلي في «المعارف والأعلام»، وقتل القبطي: وهو ابن أربعين، وأقام تسعًا وثلاثين سنة، ثم رجع إلى مصر بزوجته صفورا ابنة شعيب، ثم بعثه الله تعالى إلى فرعون، فأقام يدعوه إحدى عشر شهرًا، ثم سار ببني إسرائيل، وتبعه فرعون، فأغرقه الله تعالى، ومات ﷺ في التيه، وله مائة وعشرون سنة، بعد أن استخلف يوشع بن نون.

قال ابن إسحاق: حولت النبوة إلى يوشع بن نون في حياة موسى ﷺ، وأما نسبه ﷺ فهو: موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 502).

(2) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (4/ 87).

بن هيم عليه السلام، واسم أمه أناخت، وقيل نوحانيت، وقال ابن إسحاق حبيب، انتهى.

ولما دنت وفاته سأل الله تعالى أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، كما جاء في خبر عن سيد البشر ﷺ: «أرسل ملك الموت إلى موسى، فلما جاءه صكه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عليه عينه، وقال: ارجع وقل له يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي يا رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فلو كنت ثم، لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر»[1] رواه البخاري ومسلم والنسائي، عن أبي هريرة، وفي رواية للشيخين وأحمد عنه: «جاء ملك الموت إلى موسى، فقال: أجب ربك، فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها، فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: أرسلتني إلى عبد لك يريد الحياة، ففقأ عيني، فرد الله عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما توارت يدك من شعرة، فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم ماذا؟ قال: تموت، قال: فالآن من قريب، قال: رب أدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر، والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر»[2]، وفي رواية لابن عساكر عنه: «إن ملك الموت كان يأتي الناس عيانًا، فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه، فعرج ملك الموت، فقال: يا رب إن عبدك موسى فعل بي كذا، ولولا كرامته عليك لتعسفت عليه، فقال الله: ائت عبدي موسى، فخيره بين أن يضع يده على متن ثور فله بكل شعرة وارتها كفه سنة، وبين أن يموت الآن، فخيره، فقال موسى: فما بعد ذلك؟ قال: الموت، قال: فالآن، فشمه شمة، فقبض روحه، ورد الله عينه، فكان بعد يأتي الناس في خفية»[3]، وعنه ﷺ: «مررت بموسى ليلة أسري بي، وهو قائم في قبره بين عائلة وعويلية»[4]، رواه أبو نعيم في «الحلية» عن أنس، وفي رواية: «مررت ليلة أسري بي على موسى عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره».

---

(1) رواه البخاري (3/ 1250)، ورواه مسلم (4/ 1842).

(2) رواه البخاري (1/ 449)، ورواه مسلم (4/ 1842)، ورواه أحمد (2/ 269).

(3) رواه الحاكم في «المستدرك» (2/ 632).

(4) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (8/ 333).

وعنه ﷺ: «ما اطلع على قبر موسى إلا الرحمة، نزع الله عقلها لكي لا تدل عليه» رواه ابن عساكر عن محمد بن إسحاق يرفعه.

وعنه ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي موسى، رجلاً آدم طويلاً جعدًا، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس. ورأيت مالكًا خازن النار والدجال»[1]، رواه أحمد والشيخان عن ابن عباس.

وعنه ﷺ: «سمعت كلامًا في السماء، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا موسى، قلت: ومن يناجي؟ قال: ربه تعالى، قلت: ويرفع صوته على ربه؟ قال: إن الله ﷻ قد عرف له حدته»[2]، رواه أبو نعيم في «الحلية» عن ابن مسعود.

وعنه ﷺ: «إن الأنبياء يتكاثرون بأمهم، وقد كثر بهم إلا موسى بن عمران، وإني لأرجو أن أكثر، وقد أعطي موسى بن عمران خصلتان لم يعطهن نبي، إنه مكث يناجي ربه أربعين يومًا، ولا ينبغي لمتناجيين أن يتناجيا أطول من نجواهما، وإن ربك توحد بدفنه فلم يطلع أحد، وهو يوم يصعق الناس قائم عند العرش، لا يصعق معهم»[3]، رواه الطبراني وابن عساكر عن عوف بن مالك، وعنه ﷺ: «لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى»[4]، رواه أحمد ومسلم عن أبي سعيد ﷺ، وفي رواية الشيخين عن أبي هريرة: «لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور، فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من بعث، فإذا موسى آخذ بالعرش فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور؟ أم بعث قبلي؟ ولا أقول أن أحدًا أفضل من يونس بن متى»[5]، وفي رواية لهما ولأحمد وأبي داود وابن ماجه عنه: «لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن

(1) رواه البخاري (3/ 1182). (2) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (6/ 386).

(3) رواه ابن حبان في الثقات (4/ 111)، وذكره الذهبي في السير (17/ 58)،

(4) رواه مسلم (12/ 78)، وأحمد (22/ 380).

(5) رواه البخاري (11/ 222)، ومسلم (12/ 76).

صعق فأفاق قبلي؟ أو كان مما استثنى الله؟»[1].

وعنه ﷺ: «موسى بن عمران صفي الله»[2]، رواه الحاكم عن أنس.

وعنه ﷺ: «أكثروا من الصلاة على موسى؛ فما رأيت أحدًا من الأنبياء أحوط على أمتي منه»[3]، رواه ابن عساكر عن أنس، وفي «كنوز الحقائق»: قال الله تعالى: «يا موسى كما تدين تدان»[4]، وفيه قال موسى: «يا رب، من أعز عبيدك عندك؟ قال: الذي إذا قدر عفا».

وعنه ﷺ: «إن موسى كان حييًّا ستيرًا لا يرى من جلده شيء؛ استحياءً منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا الستر إلا من عيب بجلده، إما برص، وإما أدرة، وإما آفة، وإن الله ﷻ أراد أن يبرئه مما قالوا، فخلا يومًا وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذ ثيابه، وإن الحجر غدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه، وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ بني إسرائيل، فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضاربًا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه ثلاثًا، أو أربعًا، أو خمسًا، فذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: 69]»[5]، رواه البخاري والترمذي عن أبي هريرة، وعنه ﷺ: «رَحْمَةُ الله عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى، لَوْ صَبَرَ لَرَأَى مِنْ صَاحِبِهِ الْعَجَبَ»[6]، رواه أبو داود والنسائي والحاكم عن أبي ذر رضي الله عنه.

وحكى الشيخ الأكبر ـ قدس الله سره الأنور ـ أنه اجتمع بأبي العباس الخضر ـ صلوات الله عليه ـ فقال له: كنت أعددت لموسى بن عمران ألف مسألة مما جرى عليه من أول ما ولد إلى زمان اجتماعي به، فلم يصبر على ثلاث مسائل منها، انتهى.

---

(1) رواه البخاري (2/ 849)، ومسلم (4/ 1844)، وأحمد (2/ 264).

(2) رواه الحاكم (2/ 629).

(3) ذكره المناوي في «فيض القدير» (2/ 88).

(4) ذكره ابن حجر في اللسان (3/ 44).

(5) رواه البخاري (3/ 1249)، ومسلم (1/ 276)، وابن حبان (14/ 94).

(6) رواه أبو داود (4/ 33).

(كليمك) قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: 164]، وقال الله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: 144].

وعنه ﷺ: **«إن الله اصطفى موسى بالكلام، وإبراهيم بالخلة»**[1]، رواه الحاكم عن ابن عباس.

وعنه ﷺ: **«كلم الله موسى ببيت لحم»**[2] رواه ابن عساكر عن أنس.

وعنه ﷺ: **«لما كلم الله موسى، كان يبصر دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء من مسيرة عشرة فراسخ»**[3]، رواه الطبراني وأبو الشيخ في «تفسيره» عن أبي هريرة.

وعنه ﷺ: **«كان على موسى يوم كلم ربه كساء صوف، وجبة صوف، وكمة صوف، وسراويل صوف، وكانت نعلاه من جلد حمار ميت»**[4]، رواه الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه.

ويروى أن الرب تعالى قال له: **«أتدري لم اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي؟ قال: يا رب أنت أعلم، قال: إني نظرت في القلوب فما رأيت قلبًا أكثر منك تواضعًا لي»**[5].

وروي أن موسى عليه السلام لما كلمه الله تعالى أشرق وجهه بالنور، حتى كان من نظر إلى وجهه عمي، فتبرقع؛ لئلا تذهب أبصار الناس عن رؤيته، وبقي البرقع على وجهه إلى أن مات، وقيل: مكث أربعين ليلة لا يراه أحد إلا مات؛ لما غشي وجهه من نور رب العالمين، حتى اتخذ لنفسه برنسًا وعليه برقع؛ لئلا يبدو وجهه لكل أحد فيموت، وقيل: إن الله تعالى أوحى إلى الملائكة: **«إني أتجلى للجبل ولموسى بن عمران، قال: فارتعدت السموات والأرض والجبال والبحار والنجوم والشمس والقمر، وخروا كلهم سجدًا لله رب العالمين»**، ولما تجلى للجبل طارت لعظمته ستة أجبل، وصار محل التجلي في الأرض، فهو يذهب حتى الآن، قالوا: وإنما ظهر للجبل من عظمة الله تعالى قدر خرم الإبرة، ولما أراد أن يخاطب موسى أنزل إلى الأرض ظلمة قدر سبعة فراسخ، وطردت الملائكة الهوام على مسيرة سبعة فراسخ، ونزلت الملائكة المقربون، فأحدقوا بالجبل على مراتبهم، ثم وقف

(1) رواه الحاكم (2/ 629). (2) ذكره المناوي في «فيض القدير» (5/ 46).

(3) رواه الطبراني في «الصغير» (1/ 65). (4) رواه الترمذي (4/ 224).

(5) رواه أبو نعيم في «الحلية» (6/ 130).

موسى، وقد حفت به الملائكة صفوفًا، ثم تجلى عنه شيطانه وملكاه، وخصه الله تعالى، وجبريل إلى جانبه، لا يسمع الخطاب، وذكر أن الرب تعالى لما تجلى للجبل لم يبق على وجه الأرض من ماء إلا عذب، ولا أعمى إلا أبصر، ولا مجنون إلا أفاق، ولا ذو عاهة إلا برئ من بركات التجلي. نقله حجة الإسلام الإمام الغزالي في بعض كتبه «العوالي»، وقال في شأنه مولى تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه آية: 39].

قال البيضاوي رحمه الله تعالى: أي: محبة كائنة مني، قد زرعها في القلوب، بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك، فلذلك أحبك فرعون، ويجوز أن يتعلق مني بألقيت، أي: أحببتك، ومن أحبه الله أحبته القلوب، انتهى.

وقد ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع كثيرة، تنبئ عن رفعة كمال اقترابه، حتى قال بعض من ذاق من تكرار ذكره كؤوسًا: كاد القرآن أن يكون موسى، ولقد كنت تطفلت على علي جنابه بقصيدة، جاءت بمدحه الشريف فريدة، ومطلعها

صِلْ لِصَبٍّ قَدْ أَنْحَلُوهُ كَلَامَا وَصِلْ مَنْ نَالَ مِنْ مُنَاهُ الْكَلَامَا

سَيِّدٌ مُنْجِدٌ وَفِي صِفَتِي يُبْدِي شَيْخًا فِي أَرْضِهِ وَحَرَامَا

... مرح

واتفق أني أنشدتها مرة في أرض الساعة، فلما قلت المصراع الثاني من البيت الثاني فاحت رائحة الشيح والخزام معًا، تلك ومما يدل على أنه ﷺ في مقامه المشهود به، ولا كلام وجود إلا من في ساحته والبسط والسرور الظاهر من ساحته، وأنفة القلوب إلى حضرته، والراحة الجنانية في التملي بنظرته، ومواقع كثيرة دلت على وجوده في ذلك المكان، حتى أن ... لا ينكر ذلك إلا مكابر أو منكر للعيان.

وصل وسلم على (وعيسى) قال في «المختار»: وعيسى اسم عبراني أو سرياني، والجمع العيسون بفتح السين، ورأيت العيسين، ومررت بالعيسين، وأجاز الكوفيون ضم السين قبل الواو، وكسرها قبل الياء، ولم يجوزه البصريون، وكذا القول في موسى، والنسبة إليهما عيسوي، وموسوي، انتهى.

وقال الخفاجي رحمه الله تعالى في «شرح الشفاء»: وعيسى ليس بمشتق من العيس بمعنى البياض؛ لأنه اسم عجمي معرب، والاشتقاق مختص بكلام العرب، وإن

كما إذا أعربوه ألحقوه بكلامهم وتصرفوا فيه، فقد يعرضون اشتقاقهم لمعانٍ ووزنه وحكمه، وعيسى ﷺ رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، أو أربع وثلاثين، وهو الأشهر عند المفسرين والمحدثين، وقيل: ثمانين سنة، وقيل: مائة وعشرون سنة، كما نقله ابن حجر في «الإصابة»، واختلف أيضًا في مكثه في الدنيا بعد نزوله من السماء، فقيل: سبع سنين، وقيل: أربعين، وقيل غير ذلك، انتهى.

وقال سيدي محيي الدين - قدس الله سره - في «مسامراته»: وأما عيسى ابن مريم - عليهما السلام - فولد بعد قيام الإسكندر بثلاثمائة سنة وثلاث سنين، وقيل: بثلاثمائة وتسع عشرة سنة، وذكر الحسن: إن مريم حملت عيسى تسع ساعات، ووضعته من يومها، وقيل: حملت به على العادة، ومولده بيت لحم، وهربت به إلى مصر، فأقام بها اثنتي عشرة سنة، ثم رجعت به إلى الشام، وجاءه الوحي وهو ابن ثلاثين سنة، وكانت نبوته ثلاثين سنة، وقيل: تكلم في المهد ثلاث مرات، ثم لم يتكلم حتى بلغ المعتاد، انتهى.

وأما حليته المجموعة من الأحاديث: «أنه أحمر جعد، عريض الصدر، آدم كأحسن ما أنت راءٍ من آدم الرجال، سبط الشعر، ينطف - بكسر الطاء أي: يقطر - له لمة كأحسن ما أنت راءٍ من اللمم، قد رجّلها، أي: سرّحها»[1]، وفي رواية: «لمته بين منكبيه، رجل الشعر، يقطر رأسه ماء»[2]، وفي رواية: «مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، كأنما خرج من ديماس، أي: حمام»[3]، وفي رواية: «أبيض مبطن كأنه السيف»[4]، وفي أخرى: «ربعة، أبيض، يضرب إلى الحمرة، شبهه بعروة بن مسعود الثقفي»[5]، لا يجد ريح نفسه - بفتح الفاء - كافر إلا مات.

وأما دليل نزوله في الكتاب والسنة؛ أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء 159]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ

(1) رواه البخاري (5/ 2211)، ومسلم (1/ 154)
(2) رواه البخاري (3/ 1269)، ومسلم (1/ 155)
(3) رواه البخاري (3/ 1182)، ومسلم (1/ 151)
(4) لم أقف عليه
(5) رواه الهيثمي في «الزوائد» (1/ 75)

به [الزخرف: 6[illegible]1]، وقرئ في الشواذ: وإنه لَعَلَم بفتح العين واللام، أي: العلامة.

وأما السنة فقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية»[1]، وفي رواية: «والله لينزلن ابن مريم حكمًا عدلاً»[illegible] بنحوه، «ونزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، ويصلي بالمسلمين العصر، ويكون المتنحي له فيه أمر المهدي؛ لأنه إذ ذاك في القدس، وبهذا يجمع بين رواية التقدم والتنحي ويخرج في طلب الدجال، والأرض تقبض له إلى أن يأتي بيت المقدس، فيجده مغلقًا قد حصره الدجال، فيصادف ذلك صلاة الصبح، وقد أحرم المهدي والناس كلهم - أو بعضهم - لم يحرموا بعد، فيخرج إليه بعض من لم يحرم الصلاة، فيأتي والمهدي في الصلاة فيتقهقر، ويقول بعض الناس لعيسى: تقدم لما رأى تقهقر المهدي، فيضع يده على كتف المهدي: أن تقدم، ويقول للقائل: ليتقدم أمامكم، فيجيب المهدي بالفعل، والقائل بالقول؛ فيكون جواب كل على طبق قوله، ثم إذا أصبحوا شرد الدجال، فتضيق عليهم الأرض، فيدركهم عند باب لُدّ، فيصادف صلاة الظهر، فيتحيل اللعين إلى الخلاص منه بإقامة الصلاة، فلما عرف أنه لا يتخلص منه بذلك، ذاب خوفًا منه كما يذوب الملح في الماء، فأدركه فقتله، أو أنه ينشئ صلاة في غير وقتها، وهو أدل على ضلاله وجهالته بالله»

وأما سيرته ﷺ فإنه يدق الصليب، ويقتل الخنزير والقردة، ويضع الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام، ويوحد الدين، فلا يعبد إلا الله رب العالمين، ويظهر الكنوز في زمنه، ويفيض المال فلا يوجد من يقبل الزكاة، وتزول رغبة الجمع للمال؛ لقرب الحال، وترتفع الشحناء والبغضاء، وينزع سم كل ذي سم، حتى تلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم، ويرعى الذيب الغنم، وتنبت الأرض نبتها لعهد آدم، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، وكذا الرمانة، وتملأ الأرض سلمًا، ولا قتال، فترخص الخيل لذلك، ويعلو الثور؛ لحرث الأرض كلها، ويكون مقررًا للشريعة لا ناسخًا ولا رسولاً لهذه الأمة، وهو نبي وصحابي؛ لاجتماعه برسول الله ﷺ في السماء بجسده المعهود، وهو أفضلهم.

وأخبر التاج السبكي - رحمه الله تعالى - عنه فقال:

---

(1) رواه البخاري (3/ 1272)، والبيهقي (9/ 180).

([illegible]2) رواه أبو نعيم في «المسند المستخرج» (1/ 220).

مِـنْ بِاتِّفَـاقِ جَمِيعِ الخَلْـقِ أَفْـضَلُ مِـنْ خَـيْرِ الـصِّحَابِ، أَبِي بَكْـرٍ وَمِـنْ عُمَـرِ
وَمِـنْ عَـلِيٍّ وَمِـنْ عُـثْمَانَ، وَهْـوَ فَتًـى مِـنْ أُمَّـةِ الْمُـصْطَفَى الْمُخْتَـارِ مِـنْ مُـضَرِ

وذكر سيدي محيي الدين قدس الله سره المبين: إن له بسبب هذا الأمر حشرين، يحشر معنا في أمة محمد ﷺ، ويحشر في قومه، انتهى.

واختلف في مدة مكثه في الأرض، فقيل: يمكث أربعين سنة، وقيل: خمسًا وأربعين، وفي رواية: سبع سنين، ثم يتوفاه الله عند حجه وزيارته النبي ﷺ، ويدفن في السهوة الشريفة كما في «متن الدلائل»، الذي أورد بصيغة التمريض، فقال: يقال - والله أعلم - أن عيسى بن مريم يدفن فيه، قال شارحها: بعد نزوله إلى الأرض وموته.

وفي «المعارضة» لابن العربي: روي أن عيسى عليه السلام ينكح امرأة من بني غسان، ويدفن مع النبي ﷺ في البيت، وهناك موضع قبر يقال: إنما بقي له. انتهى.

وفي «الإشاعة» ورد أنه يتزوج بعدما ينزل، ويولد له، ثم قال: وأخرج الترمذي وحسنه، وابن عساكر عن عبد الله بن سلام قال: «مكتوب في التوراة صفة محمد ﷺ، وعيسى ابن مريم يدفن معه»(1).

وأخرج البخاري في «تاريخه»، والطبراني وابن عساكر عنه، قال: «يدفن عيسى ابن مريم عليه السلام مع رسول الله ﷺ وصاحبيه - رضي الله تعالى عنهما - فيكون قبره رابعًا». انتهى.

ثم قال صاحب «الدلائل» وكذلك جاء في الخبر عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل عيسى ابن مريم إلى الأرض، فيتزوج ويولد له، ويمكث خمسًا وأربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري، وأقوم أنا وعيسى ابن مريم من قبر واحد، بين أبي بكر وعمر»، ذكره في «المواهب»، وقال: كذا ذكره في «تحقيق النصرة»، والله أعلم، انتهى.

ونحوها لابن الجوزي وللقرطبي في «تذكرته»، وفي «فتاوى» السيوطي ورد في الحديث: «إن عيسى عليه السلام يمكث سبع سنين»(4)، وفي رواية: «أربعين، وأنه يتزوج ويولد

(1) رواه الترمذي (5/ 588). (2) ذكره ابن حجر في اللسان (4/ 303).

(3) ذكره الذهبي في «الميزان» (4/ 281).

(4) رواه ابن حبان (15/ 159).

له، ويدفن عند النبي ﷺ[1]، ثم قال. قال الجلال السيوطي في «تكميله لتفسير الجلال المحلي»: فيحتمل أن المراد مجموع لبثه في الأرض قبل الرفع وبعده، انتهى.

وقد روي: «إنه رفع وله ثلاث وثلاثون سنة»[2]، وضعف ابن حجر دفن عيسى عليه السلام مع نبينا ﷺ، انتهى.

ومن خصائصه: إن الشيطان لم يطعنه كأمه؛ لحديث: «كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه، إلا مريم وابنها»[3]، رواه مسلم عن أبي هريرة. وفي رواية: «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بإصبعه حين يولد، غير عيسى ابن مريم، ذهب يطعن فطعن في الحجاب»[4]، رواه البخاري عن أبي هريرة، وعنه ﷺ: «لم يتكلم في المهد إلا عيسى، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وابن ماشطة فرعون»[7]، رواه الحاكم عنه، وعنه ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، ليس بيني وبينه نبي، والأنبياء أولاد علات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»[5]، رواه أحمد والشيخان وأبو داود عنه.

وعنه ﷺ: «من أدرك منكم عيسى ابن مريم فليقرئه مني السلام»[6]، وعنه ﷺ: «تلقى عيسى حجته في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: 116]، فلقاه الله: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: 116] الآية كلها»[8]، رواه الترمذي عنه.

(روحة الموجود) ثمر ملك، قال القاضي رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: 12]. من الحلال والحرام، يعني مريم، فنفخت، أي: عيسى عليه السلام، أي: أحييناه في جوفها، وقيل: فعلنا النفخ فيها من روحنا (روحنا): من الروح الذي هو أمرنا وحده، أو من جهة روحنا جبريل، انتهى.

(وإسحاق) بن إبراهيم عليهما السلام، وهذا الاسم أعجمي، قال في «المختار»

---

(1) ذكره ابن كثير في تفسيره (1/ 584).
(2) ذكره ابن كثير في تفسيره (1/ 584).
(3) رواه البخاري (4/ 16[illegible]5).
(4) رواه البخاري (11/ 64).
(5) رواه مسلم (4/ 19[illegible]) بنحوه، ورواه أحمد (1/ 303).
(6) رواه البخاري (3/ 1270) بنحوه.
(7) رواه الحاكم في المستدرك (4/ [illegible]87).
(8) رواه الترمذي (5/ 260).

سحق: سم وحل، فإن أردت به الاسم الأعجمي لم تصرفه في المعرفة؛ لأنه غير عن جهته، فوقع في كلام العرب غير معروف المذهب، وإن أردت المصدر من قولك: أسحقه السفر إسحاقًا صرفته؛ لأنه لم يتغير، انتهى.

(فبحث) جاء في الحديث: «الذَّبيح إسحاق»(1)، قال المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ: أخذ به الأكثر، وأجمع عليه أهل الكتابين، وعزي لثلاثين من الصحب وتابعيهم أو يزيدون، واختاره ابن جرير وجزم به في «الشفاء»، لكن سياق الآية شاهد لكونه إسماعيل؛ إذ هو الذي كان بمكة، ولم يُنقل أن إسحاق كان بها، ورجحه معظم المحدثين.

قال الحليمي: إنه الأظهر، وأبو حاتم: إنه الصحيح، والبيضاوي: الأظهر، وابن القيم: الصواب، قال: والقول بأنه إسحاق باطل من نيف وعشرين وجهًا.

قال بعضهم: ويدل لكونه إسماعيل أنه سبحانه وصفه بالصبر دون إسحاق، فدل على أنه الصبر على الذبح، وبصدق الوعد فدل على أن المراد به وعد بالصبر على ذبح نفسه، ومن ثم قيل لرسول الله ﷺ: ابن الذبيحين، انتهى.

وقال الشيخ علي السحاوي ـ رحمه الله الباري ـ في «الكوكب: شرح الجامع الكبير»: ولم يرد في القرآن ولا في الأخبار الصحيحة ما يدل على أن الذبيح إسحاق أو إسماعيل، وأما ما يروى من قوله ﷺ: «أنا ابن الذبيحين»(2) فخارج عن الأخبار الصحيحة، وفي التوراة: إن الذبيح إسحاق.

ثم أورد بعض أقوال بعض العلماء على أن الذبيح إسماعيل، ونقل سيدي محيي الدين ـ قدس الله سره ـ في فصوصه: إن الذبيح إسحاق، وقال في «مسامراته»: وأما إسحاق عليه السلام فأصح الروايات أنه الذبيح، ولما عرضه للذبح كان ابن سبع سنين، وكان مذبحه في بيت إيليا، ولما علمت سارة بما أراد إبراهيم عليه السلام بإسحاق من ذبح أخذها البَطن من الجزع يومين، وماتت في الثالث، وقيل: كان ابن ست وعشرين سنة، ولما تم عمر إسحاق ستين سنة ولد له العيص ويعقوب، وكانا توأمين، فولد العيص الروم، وكل بني الأصفر من ولده، وقيل: إنما سموا بني الأصفر لأن العيص كان أصفر، وولد

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك (2/ 609).

(2) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (1/ 250).

يعقوب الأسباط، وعاش عليه السلام مائة وثمانين سنة، وكان ضريرًا، وكانت وفاته في السنة التي سبقه فيها يوسف بمصر، ودفن عند قبر أبيه عليه السلام، انتهى.

وعنه ﷺ: «أكرم الناس يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»[1].

قال المناوي في «شرحه الكبير»: ورواه الطبراني عن أبي الأحوص، وزاد بعد إسحاق ذبيح الله، وبعد إبراهيم خليل الله، انتهى.

(وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِم) أي: إخوان هؤلاء المذكورين، (مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ) المختلف في عددهم، لما في حديث الأمين: «كان فيمن خلا من أخواني من الأنبياء ثمانية آلاف نبي، ثم كان عيسى ابن مريم، ثم كنت أنا بعده»[2]، رواه الحاكم، وتعقب عن أنس، وعنه ﷺ: «النبيون مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي، والمرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر، وآدم نبي مكلم»[3]، رواه الحاكم والبيهقي عن أبي ذر، ومن رواية أحمد والطبراني وابن حبان والحاكم وابن مردويه والبيهقي، عن أبي أمامة قال: قلت يا رسول كم عدة الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربع وعشرون ألفًا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا»[4].

(وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) على نعمة مناجاته بالأذكار والدعوات القدسية، ونعمة مناجاته بالأنوار والأسرار الخفائية للأطوار الخفائية، جاء في الحديث الشريف: «الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبده لا يحمده»[5]، رواه عبد الرزاق في «الجامع»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عمر، وعنه ﷺ: «ما أنعم الله تعالى على عبد نعمة فقال: الحمد لله إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ»[6]، رواه ابن ماجه عن أنس، وفي رواية: «ما أنعم الله على عبد نعمة فحمد الله عليها، إلا كان ذلك الحمد أفضل من تلك النعمة، وإن عظمت»[7]، رواه الطبراني عن أبي أمامة، وعنه ﷺ: «لو أن الدنيا كلها بحذافيرها بيد رجل من أمتي، ثم قال: الحمد لله، لكان الحمد أفضل من ذلك كله»[8]، رواه ابن عساكر

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (2/ 90).

(2) رواه الحاكم في المستدرك (2/ 653).

(3) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (11/ 482).

(4) رواه أحمد (5/ 265).

(5) رواه البيهقي في شعب الإيمان (4/ 97).

(6) رواه ابن ماجه (2/ 1250).

(7) رواه البيهقي في شعب الإيمان (4/ 98).

(8) ذكره المناوي في فيض القدير (5/ 304) بنحوه.

عن أنس ﷺ

وعنه ﷺ «ما أنعم الله على عبد من نعمة فقال: الحمد لله، إلا أدى شكرها، فإن قالها الثانية جدد الله له ثوابها، فإن قالها الثالثة غفر الله له ذنوبه»(1) رواه الحاكم والبيهقي عن جابر، ووجه مناسبة هذا الختام للأقسام، والدعاء المسطر في أول المقدمة أن

الحمد رأس الشكر، وأهل الذكر هم أرفع أقسام طوائف المقربين بمقتضى العلام؛ لأن الله تعالى جعلهم ختام آية: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: 35] في شيء، فناسب إلحاق الذكر المطلق للذكر المقيد للسر الأجمع الأوفى، والحمد الجميل هو الثناء الجميل على الجميل، وأهل الذكر للوكيل لا يفترون عن الثناء الموجب هم المتكلمين، وهذا ختام آية من القرآن، والذكر: القرآن، وأهل القرآن أهل الله، فحصلت المناسبة، ولنشرع الآن في التكلم على القصيدة الميمية بعون رب البرية، وهي

ثُمَّ يَشْرَعُ فِي قِرَاءَةِ الْقَصِيدَةِ الْمِيمِيَّةِ لِلْمُؤَلِّفِ وَهِيَ هَذِهِ

إِلَهِي بِأَهْلِ الذِّكْرِ وَالْمَشْهَدِ الْأَسْمَى ... بِمَنْ عَرَفُوا فِيكَ الْمَظَاهِرَ بِالْأَسْمَا

بِنُورٍ بَدَا فِي غَيْهَبِ الْوَهْمِ فَانْجَلَى الـ ... ـظَّلَامُ وَذَاكَ النُّورُ مَا خَلْفَهُ مَرْمَى

بِسِرِّ مَقَامَاتٍ يَجِلُّ لِمُطْلِبِهَا ... عَنِ الْوَصْفِ إِذْ فِي وَصْفِهَا حَيَّرَ الْفَهْمَا

بِكُلِّ حَبِيبٍ قَدْ خَلَا عَنْ شَوَائِبٍ ... وَكُلِّ جَلِيلٍ قَدْ جَلَا نُورُهُ الظُّلْمَا

بِعَرْشٍ بِفَرْشٍ بِالسَّمَاوَاتِ بِالْعُلَا ... بِمَا قَدْ حَوَى قَلْبُ الْمُحَقِّقِ مِنْ رُحْمَى

بِأَسْرَارِكَ اللَّاتِي سَتَرْتَ جَمَالَهَا ... فَلَمْ يَرَهَا إِلَّا فَتًى فِي الْهَوَى تَمَّا

بِسِتْرٍ أَتَى يَهْدِي الْأَنَامَ لِحُبِّكُمْ ... فَكَمْ فَازَ بِالْخَيْرَاتِ مَنْ رَكْبُهُ أَمَّا

بِأَهْلِ الْفَنَا وَالسُّكْرِ وَالصَّحْوِ وَالْبَقَا ... بِكُلِّ مُحِبٍّ فِي مَحَبَّتِكُمْ هَمَّا

بِكُلِّ مُرِيدٍ طَالِبٍ لِجَنَابِكُمْ ... فَلَمْ يَعْرِفِ الْأَحْزَانَ فِيكُمْ وَلَا الْهَمَّا

(1) رواه الحاكم في المستدرك (1/ 688)

هذه القصيدة من بحر الطويل، وهو أول بحر من الدائرة المختلفة، وهذا البحر له عروض واحدة وثلاثة أضرب، وأجزاؤه ثمانية، قال شارح «الخزرجية» الشيخ محمد المخزومي الدمامسي ـ رحمه الله تعالى. أقول: سُمِّي طويلاً لأنه تام الأجزاء، سالم من الحذف والشطر والنهك

قال الخليل ومعناه أنه طال بسبب تمام الأجزاء، وقال الزجاج لأنه أكثر الشعر عدد حروفه؛ مبنية على أصله، ثمانين، وأربعين حرفاً، لوقوع الأوتاد أول أجزائه، وهي أقوى من الأسباب، ونقضه الصفاقسي بالوافر والهزج والمضارع، وجوابه ابن قيس في الأعلام في اللغة ممتنع اتفاقاً على ما قرر في أصول اللغة، وهذا البحر مبني في الدائرة على هذه الصورة

فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُ مَفَاعِلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُ مَفَاعِيلُنْ

انتهى

ولنقطّع هذا البيت؛ ليقاس عليه غيره، وصورته:

إِلَيْـ/ ـكَ بِأَهْـ/ ـلِ الذِّكْـ/ ـرِ وَالْمُقْـ/ ـسَمِ الأَسْنَى تَضَرْ/ رَعْ/ زَمُوا فِيكَ الْ/ مُطَاوِ/ زَ بِالأَسْمَا

فعولن مفاعيلن فعولن/ مفاعيلن فعولُ/ مفاعيلن/ فعولُ مفاعيلن

أي أتوسل إليك بأهل الذكر عليك، فإنه لا يُقْسَمُ عليه تعالى إلا بصفاته، وجوز بعض القسم بمحمد ﷺ خير مخلوقاته، والذكر: إما أن يُراد به القرآن، قال الله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ [الحجر: 9]، وفي الحديث: «أهل القرآن أهل الله وخاصته»(1)، وفي رواية «أهل القرآن عرفاء أهل الجنة»(2)؛ ولذا لن يراد به مطلق الذكر، فيعم كل تسبيح واستغفار وصلاة على النبي ﷺ، وقرآن ودرس علم وخُلُق ذِكرٍ بأي اسم كان، فيصح التوسل بالذكر مثل: لأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ويكل شيء وولي قومهم لا يعقلون، وهو في اللغة الصيت والثناء، قال الله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: 1]

(1) رواه ابن ماجه (1/ 78)

(2) ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (2/ 87)

أي: ذي الشرف، فقطع التوصل بكل من ذكر؛ لأنهم أهل الشرف الأكمل، ويصدق على كل ذي عرف أجمل وعرف أشمل، وهؤلاء القوم هم الذين رؤيتهم توقظ الغافل من النوم، وهؤلاء أولياء الله الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله، كما رواه الحكيم عن ابن عباس، وفي رواية له عن أنس: «أفضلكم الذين إذا رُؤوا ذكر الله لرؤيتهم»[1]، وفي أخرى له عن ابن عمر: «وخياركم من ذكركم بالله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، ورغبكم في الآخرة عمله»[2]، وعنه ﷺ: «خياركم الذين إذا رؤوا ذُكر الله بهم، وشراركم المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون البراء العنت»[3]، رواه البيهقي عن ابن عمر، وفي رواية: «خيار أمتي الذين إذا رؤوا ذكر الله، وشرار أمتي...»[4] الحديث.

قال المناوي ـ رحمه الله تعالى: إذا نظر الناس إليهم ذُكِرَ برؤيتهم، يعني أن رؤيتهم مذكرة بالله ومذكرة مما يعلوهم من البهاء والإشراق والهيبة وحسن السمت، وفي النهاية: العنت: المشقة والفساد والهلاك والإثم والغلط والزنا، والحديث يحتمل كلها، والبراء جمع بريء، وهو والعنت منصوبان مفعولان للباغون، وبغيت الشيء: طلبته، وقال عند الكلام على الحديث الذي قبل هذا: زاد أبو الشيخ في روايته في «التوبيخ»: «يحشرهم الله في وجوه الكلاب»، انتهى، أي: في وجوه كوجوه الكلاب، أوحى الله إلى موسى: «إن في بعدك ساعيًا بالنميمة، ولست أمطرك وهو في أرضك، فقال: يا رب دُلّني أخرجه، قال: يا موسى إني أكره النميمة، وأنم! فأتبع بحصلة تفضي إلى حبس قطر السماء»[5]، انتهى.

وقد أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ بسؤال أهل الذكر، أي: العلم. وهو على قسمين: كسبي، ووهبي.

وأهل العلم الوهبي أعلى؛ لأن الله هو المتولي تعليمهم؛ لقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 282]، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65]، فسؤالهم

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس (1/ 138) بنحوه، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (2/ 41).

(2) ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (2/ 39).

(3) رواه ابن عبد حميد في مسنده (1/ 45).

(4) رواه البزار في مسنده (7/ 158).

(5) ذكره المناوي في فيض القدير (3/ 466).

لأنهم يتعلمون من الله أعلم من غيرهم؛ لنور قلوبهم بنور قلبه وحبه ومشاهدته، وذكره بالمجموع، دون تخلل، مع استصحاب الذكر والخضوع.

فمنهم من يقول: علمني الله به إرثي، وإذا شعر الإنسان بعلمه ذكر الله دائمًا في كل حال لا ينسى، ويستنير قلبه بنور الذكر، فيرزقه ذلك النور الكشف، فنور النور يقع الكشف.

وقد يكون الذاكرون أعلى الطوائف مطلقًا، ولهذا ختم الله بذكرهم صفات المقربين من الله، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: 35] إلى أن ختم بقوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: 35]، وما ذكر بعد الذاكر شيئًا، والذكر من نعوت كونه متكلمًا، وهو نفس الرحمن الذي ظهرت فيه حقائق حروف الكلمات، والذكر لله تعالى على أقسام، وأول من يكون باللسان، ثم بالجنان، ثم بالأركان، ويقع في النفس، ثم في الروح، ثم يكون بالعقل، ثم بالسر، ثم بالخفي، ثم بالأخفى بالمجموع، ومن عد الذكر اللساني فبالملاحظة من غير حركة ظاهرة، ويصدق على ما عداه بأنه ذكر خفي، وفي الحديث: «**خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي**»[1]، رواه أحمد وابن حبان والبيهقي عن سعد، وعنه ﷺ: «**الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذي تسمعه الحفظة بسبعين ضعفًا أو تمامه**»[2] كما ذكره المناوي رحمه الله، فإذا جمع الله تعالى الخلق، وجاءت الحفظة بما كتبوا وحفظوا، يقول: «**انظروا هل بقي من شيء؟ فيقولون: ربنا ما تركنا شيئًا إلا أحصيناه وكتبناه، فيقول الله: لك عندي خبيء لا يعلم به أحد غيري، وأنا أجزيك به، وهو الذكر الخفي**»[3] رواه أبو يعلى والبيهقي والديلمي وغيرهم، ومن جملة أقسام ذكر الله ذكر أصحاب الله؛ لما جاء عن رسول الله ﷺ: «**ذكر علي عبادة**»[4] رواه الديلمي عن عائشة، ويقاس عليه بقية الصحابة والسادة.

والعبادة ذكرًا هو أن يتناول لكل تهليل وتكبير وتوحيد وتحميد وصلاة وتلاوة وتدريس، وكل قربة من عمل سري أو جهري، وعنه ﷺ: «**ذكر الأنبياء من العبادة، وذكر**

(1) رواه أحمد (1/ 172)

(2) ذكره المناوي في فيض القدير (3/ 570)

(3) لم أقف عليه

(4) رواه الديلمي في الفردوس (2/ 244)

الصاحبين كمفارقه، وذكر الموت صدقة، وذكر القبر يقربكم من الجنة»[1]، رواه الديلمي عن معاذ، وحقيقة الذكر دوام الحضور من غير تخلل غفلة وقصور، فإن تخلله شيء فما ذكر.

وأنشد سيدي وإمامي أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي - قدس الله سره:

عَجِبْتُ لِمَنْ يَقُولُ ذَكَرْتُ رَبِّي ... وَهَلْ أَنْسَى فَأَذْكُرُ مَا نَسِيتُهُ؟!

شَرِبْتُ الحُبَّ كَأْسًا بَعْدَ كَأْسٍ ... فَمَا نَفِدَ الشَّرَابُ وَلَا رَوِيتُ

وأنشد أبو جحمة رحمه الشبلي - قدس الله سره:

ذَكَرْتُكَ لَا أَنِّي نَسِيتُكَ لَمْحَةً ... وَأَيْسَرُ مَا فِي الذِّكْرِ ذِكْرُ لِسَانِي

وَكُنْتُ بِلَا وَجْدٍ أَمُوتُ مِنَ الهَوَى ... وَهَامَ عَلَيَّ القَلْبُ بِالخَفَقَانِ

فَلَمَّا أَرَانِي الوَجْدُ أَنَّكَ حَاضِرِي ... شَهِدْتُكَ مَوْجُودًا بِكُلِّ مَكَانِ

فَخَاطَبْتُ مَوْجُودًا بِغَيْرِ تَكَلُّمٍ ... وَلَاحَظْتُ مَعْلُومًا بِغَيْرِ عِيَانِ

ومن خصائص أهله: إنهم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، وإن أهله معانون على كل ما يقصدون من الحوائج؛ لقوله ﷺ: «أكثر ذكر الله؛ فإنه عون لك على ما تطلب»[2] رواه عن عطاء بن أبي مسلم مرسلاً، وإنهم يردون القيامة خفافًا لوضع الذكر أثقالهم، وإنهم إذا رؤوا ذكر الله، وإنهم إذا اجتمعوا عليه وتفرقوا عنه قيل لهم: قوموا مغفورًا لكم، وإنهم أهل الطاعة لله والحب في الله، المبرؤون من النفاق، تنزل على مجالسهم السكينة، وتحف بهم الملائكة، وتغشاهم الرحمة، ويذكرهم الله فيمن عنده، وفي رواية: «عند عرشه»، وإن بقاعهم تفتخر على غيرها من البقاع، وتستبشر بذكر الله إلى منتهى سبع أرضين، وإنهم أهل الكرم؛ لحديث: «يقول الرب ﷻ يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم، قيل: ومن أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: أهل مجالس الذكر في المساجد»[3]، وإن الصواعق والبلايا تتحاماهم، ولهم تصرف، وإنهم يعطون فوق ما يعطى السائلون؛ لاشتغالهم

---

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (3/ 564).

(2) ذكره المناوي في فيض القدير (1/ 456).

(3) رواه أحمد (3/ 68).

فتذكر عن المسألة، وإن الأذكار لها صور ذات أنوار يتعاطفهن حول العرش، لهن دوي كدوي النحل، يذكرن بصاحبهن، أفلا يحب أحدكم أن لا يزال له عند العرش شيء يذكر به، كما جاء في «الجامع الكبير»[1]، وإن الله تعالى يذكرهم بذكرهم إياه، وفي الخبر على ما نقله صاحب «الرسالة»: أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ: «إن الله يقول: أعطيت لأمتك ما لم أعط أمة من الأمم، فقال: وما ذاك يا جبريل؟ قال قوله: (اذكروني أذكركم)، لم يقل هذا لأحد غير هذه الأمة»[2]. وقال فيها: وقيل: «إن الملك يستأمر الذاكر في قبض روحه»، وفي بعض الكتب: إن موسى عليه السلام قال: يا رب أين تسكن؟ فأوحى الله تعالى إليه: «في قلب عبدي المؤمن»[3]، ومعناه: سكون الذكر في القلب، فإن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ منزه عن كل سكون وحلول، وإنما هو إثبات ذكر وتحصيل علم.

ثم قال مسندًا إلى الجنيد: سمعت السري يقول: مكتوب في بعض الكتب التي أنزل الله: إذا كان الغالب على عبدي ذكري عشقني وعشقته، ثم قال: وقيل: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صُرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فتجتمع عليه الشياطين، فيقولون: ما لهذا؟! فيقول: قد مسه الإنسي بالذكر، انتهى.

ومن خصائص أهل الذكر: إن الساعة لا تقوم وهم على وجه الأرض، يقولون: الله الله، وهم لا وحشة عليهم عند الموت، ولا عند النشر، وإنهم في الغافلين بمنزلة الصابرين في الفارين، وهم فيهم كالمصباح في البيت المظلم، والذاكر فيهم يُعرف به مقعده، ولا يعذب بعده، وله من الأجر بعدد كل فصيح وأعجمي، وينظر الله إليه نظرة لا يعذبه بعدها أبدًا، وللذكر خصائص كثيرة، ونتائج كبيرة، منها:

أنه منشور الولاية، وقوت أرواح الهداية، والنار المحرقة للأغيار، والمدهشة للأفكار، وهو مطردة للشيطان، ومرضاة للرحمن، يذهب الهم ويجلب الفرح، ويحيي القلب ويوجه نوره، ويسهل الرزق وييسره، ويكسو المهابة ويدني الإصابة، ويورث المراقبة والإنابة، ويفتح باب المعرفة والإجابة، ويحبط الذنوب ويرفع الحجب عن المحجوب، وينفي

---

(1) لم أقف عليه.

(2) ذكره القشيري في الرسالة القشيرية (1/ 102).

(3) رواه الديلمي في الفردوس (3/ 174) بنحوه.

حسرة والندامة، ويدافع الحجب يوم القيامة، وهو سبب للعتق من النيران والأمن، وذكر مرحوم، ويعدل عتق الرقاب ويوجب الاقتراب من رب الأرباب، وينوب عن سائر الأعمال، ويقوي الجوارح ويخفف الأثقال، وهو يُذهب الأحزان الناشئة من ذنوب الشهوات أو الحرام، ولا وقت له، ولم يرد النص إلا بالإكثار منه، وصاحبه جليس السلام، وبه من الملذات ما يفوق على المطعومات والمشروبات، ووجه الذاكر وقلبه يكتسي في الدنيا نضرة وسرورًا، وفي الآخرة وجهه أشد بياضًا من القمر نورًا، والذاكر حي وإن مات، وتاركه الغافل فإنه من جملة الأموات، والذكر يورث الري من العطش عند الموت، والأمن عند خوف الموت، وله فوائد شتى توجب النجاح، انتهى

ملخصًا من «مفتاح الفلاح وقواعده» شيخ مشايخ طريقتنا العلية جنيد البغدادي - قدس الله سره الزكية - وكنا من أركان الطريق الثمانية، وذكرتهم في «الأرجوزة» التي سميتها تحفة المريد، ومشتهى موقف سعيد، وكذلك آدابه العشرين

واعلم أن ليس كل ذاكر حاضرًا، ولا كل حاضر مقرب لنسبي للحضور، ولا كل مقرب محبوب، ولا كل محبوب موهوب، ولا كل موهوب مكلم، ولا كل مكلم معلم، ولا كل معلم على أهل عصره مقدم، ولا كل مقدم له مقاليد المملكة تُسَلَّم، ولا كل مُسَلَّم له العوالم عن أمره تستخدم، ومن خدمته العوالم فهو الخليفة الأعظم

وأول ما يكون الذكر باللسان؛ لأنه طريق الذكر الشهودي، فإذا حصل استغنى به، كالمدلول إذا حصل استغنى به عن الدليل، ولا يترك الذكر اللساني جملة لأجل تنوير الجوارح الظاهرة، ولإقامة العدل، ولإعطاء كل ذي حق حقه، لا سيما إن كان الذاكر ممن يُقتدى به، ولو في بعض الأحيان، فإن المشاهد إذا ذكر الله تعالى ذكر من خلف حجاب العزة، الذي لا يرتفع دنيا وأخرى، وقد ذكرنا طريقة الذكر القلبي على طريق السادة النقشبندية في الألفية، والذكر الجهري عندهم رخصة، والخفي عزيمة، وعندي في الأول الجهري هو عزيمة، ثم بعد تمكينه من القلب يصير رخصة، ويلقنون المريد اسمين الأول ونفي، إن كان يحتاج إلى مجاهدة، وإلا لقوة الثاني فقط، وربما عند بعض فرقهم ثلاثة، وأهل طريقتنا يلقنون المريد سبعة أسماء، وخلوتية الشام اثنا عشر، ويعدونها له دورًا أولاً وثانيًا وثالثًا، ونحن نقتصر على الدور الأول، وعلامة تمكنه أن تجري على لسانك من

عمر قصة في حال العقلة

وعلامة ذكر القلب سماع ذكره أحيانًا بأذن الجسم، وسماع ذكر الجماد؛ لأنها تذكر مع ذكر القلب، وعلامة ذكر الروح حصول فتوح، يحقق في معنى: وإن من شيء إلا يسبح بحمده وتحقق في توحيد الأفعال، وعلامة ذكر السر انجذاب القلب إلى حضرة الرب، جذبٌ مدركٌ لصاحبه من طريق الذوق والوجدان، ويحقق في توحيد الأسماء، وعلامة ذكر الخفي تحقق صاحبه بمقام الفناء، وتوحيد الصفات ليبلغ المنى، وعلامة ذكر الأخفى التحقق بنفسه عن الفناء، وتوحيد الذات لتكمل له اللذات، وعلامة ذكر الخمسة التحقق باللقاء مع الفناء، وبقاء البقاء بعد الفناء، والعثور على كنز معرفة الذات بعد معرفة الصفات، وأسماء الذات المشهد الأسماء، ولكل ذكر من هذه الأذكار عو لا تذكر مع صاحبها بأمر القهر، ومن الذاكرين من يذكر بنفسه، وهو المحجوب، ومنهم من به وهو المرعوب، ومنهم من يذكر به امتثالاً لأمره في: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾[الأنعام 91]، فعلم أنه لا به حظًا من أقسم بعمره، وإذا قوي الذكر القلبي تضرر من اللساني، فيعفى بتركه إلا في المفروضات، فإن الذاكر لا يتركه فيها، وقال شيخ شيخنا قرة باش علي أفندي - قدس الله سره - في «رسالته» التي جعلها في جواز الدورات في الذكر: فالصوفي بعد الذكر الجهري يصل إلى مقام فيه ينسى ما سواه، فيحصر له سلطان القهر من حضرة اسمه تعالى القهار، فيعقد نفسه، فلا يبقى مشهودًا له إلا هو، بحسب ما يتجلى له، فما يقدر شيئًا، أي وجود شيء من المحسوسات والمعلومات والجزئيات والكليات، ويقال لذلك مقام الغيبة والحضور، أي عن غير الله، والحضور مع الله، فكيف يذكر الغائب عن وجوده بمشهوده لنفسه؟ لا يكون هذا؛ لأن اللسان فانٍ، وإذًا فهذا ذكر خفي، ممدوح عند الله والناس، لا يعرفه ملك ولا مخلوق، أي: لأن ما ثَمَّ غير الله، فلا يعرفه إلا الله، والحقيقة الأعظم المحمدية، وتكامل الإنسان الكامل، فالنتيجة أول ماتكون منه، أي: من الذكر الجهري مسمى هذا، أي: الذكر السري الخفي هو المطلوب، لا هذا اللساني، بل هذا، أي الظاهر الجهري هو المرعوب؛ إذ لا يتم هذا بدون هذا، بل هذا الخفي نشأ عن هذا اللساني الأركاني، من كلامه فلا لسان؛ لحديث «فبي ينطق»[1]، أسمع الكلام ممن ليس له

---

(1) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (3 / 64)

لسان، بمحق مقام الإحسان، فمن كان يشهد ذلك، أي: إنه لا لسان له، فلا ذكر له، فأين الجهر والخفاء واللسان؟ انتهى، مع بيان بعض ألفاظ.

وقد تكلمنا على الذكر وتركه في رسالة، وسميناها «المدام المسكر في بيان أقسام الذكر، وترك الذكر» وغيرها من الرسائل.

وقلت:

للذكر سر عجيب فيه المحب حبيب

أذوقه ليس يحصى للبعض ذات اللبيب

من حل يومًا فناه عنه المنى لا يغيب

له الجليس أنيس له المقام المهيب

من يترك الذكر هذا من دائه لا يطيب

وتارك الذكر حالا للشهود ذاك يصيب

فارجع لربك، واعمل بقوله: وأنيبوا

ومن ينادي لقرب أجب؛ لأمر أجيبوا

واذكره سرًا وجهرًا فهو القريب المجيب

واترك سواه تراه قلبًا، وليس تخيب

واقبل عليه، لترقى هذا الأدب الأديب

وقلت:

عَجِبْتُ تَدَّعِي بِدُونِ تَنَاهٍ حُبَّ تَرَدٍ وَالْقَلْبُ بِالْغَيْرِ لَاهِ

لَازِمِ الذِّكْرَ عَلَّ بِذِكْرِكَ الْحَقُّ فَتُسَمَّى مُسْتَيْقِظًا لَسْتَ سَاهِ

سعد صب قَدْ أَسْعَدُوهُ بِذِكْرٍ فَغَدَا آمِرٌ بعدا الْكَوْنِ نَاهِ

وبحمد سَفِينَةٍ قَدْ أَغْرَقَ حَتَّى أَفْنَى جَمِيعَ الملاهي

وبحرم علام خط ولحظ للسوي | قد أبـاد دون الملاهي
وَحذارُ الفؤادِ من فوقِ كنزٍ | باحتكامٍ لقامةٍ لأكواهي
وعدا داجلاً خطائرَ ذكرِ الذكـ | ـرِ ويَنتقي من أكؤوسِ الانتباه
يتهادى في روضةِ القدسِ تيهًا | بافتخارٍ ما بينَ راهٍ وماهِ
عَبِرٌ ناسٍ ذِكرَ الأحبةِ | صَرفًا بجميعِ الأجزاءِ لا بالشفاهِ
كيفَ ينسى لكئيبُ ذِكرَ قريبٍ | خَضَعَتْ في حماهُ شمُّ الجباه
وبنورِ الأنوارِ أفناهُ عنهُ | ثمَّ أبقى لهُ فمن ذا يُباهي
وتلألأ نورُ التجلي عليهِ | فمحى النورُ ظلمةَ الاشتباهِ
وحماهُ من طارقاتِ الليالي | ودعاهُ لهُ بعزٍّ وجاه
إنَّ هذا لغايةُ الفخرِ قلْ وا | با وُشاةُ لنا، فعند التناهي
والعزمَ واحزمِ الفكرَ ترقى | يا نديمي وتُفَكُّ كلُّ الدواهي
واستقم مثل ما أُمِرتَ بحقٍّ | ثمَّ كُنْ والهًا بحسبِ الإلهِ
وصلاةٌ مع السلامِ على من | شَرفُ المدحِ فيهِ للأفواهِ
وعلى آلهِ الكرامِ وصحبٍ | ما تحث أبدلاه فاه
وعلى التابعينَ ما صاح ذاعٍ | من بعيدٍ يومًا بياهٍ وياه

(وَالْمَشْهَدِ الأَسْمَى)، أي: وبأهل المحضر الأرفع، فشفع الذي يخص أهل الحضرة الأحصر الأرفع، أرباب المشهد الذاتي الأجمع الأنفع، الذي مُدت لهم موائد الشهود فلا ترفع، وقصرت الأيدي عن تطاول ثريا مقامهم فلا ترتفع، وإن رفعت ترفع (بِمَنْ عَرَفُوا)، أي: بالذين علموا، (فِيكَ)، أي: في حال شهودك وتجليك، وتعريفك لهم وتوليك وإسعادك، وقد يقال أن (في) بمعنى الباء، أي: بسببه، أو إمدادك بالتعريف وإسعادك بالتعريف

(المظاهر) مفعول، جمع مظهر، على وزن مفعل كمذهب، وهو محل الظهور، أو من الظهور ومحله، كما قيل في مذهب، والظاهر من الممكنات وأمثال الأعيان الثابتة. ويُعبّر عنه بالمحالي والظلال.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: 45]، أي: الوجود الإضافي على الممكنات، قال السيد الشريف في «التعاريف». والمظهر محل الظهور لتقدير التجلي الرشيد للصور. قال العارف الفارضي قدس الله سره:

بَـدَتْ باحْـتِجابٍ واخْـتَفَتْ بمَظاهِـرِ   عـلى صِبَغِ التَّلْوِينِ في كـلِّ بَـرْزَةِ

وقال شيخنا الشيخ عبد الغني ـ منحه الله الفيض السني:

لـذاتي بـذاتي لا لكـم أنـا ظاهـرٌ   ومـا هـذه الأكـوان إلا مظاهـرُ

وقلت في هذا المقام:

مِـنَ النُّظَّامِ بَدَتِ الحَقِيقَةُ بالجَمالِ الظَّاهِرِ   تَجَـلَّى عَلَيْـنَا في بَدِيـعِ مَظَاهِـرِه

فَغَـدَا الْفُـؤَادُ طَـيْفَ وَجْـدٍ سَـاهِرٍ   وَالدَّمْعُ يَسْقِي أَرْضَ جَفْنٍ سَاهِرِ

قَـدَرٌ أَمْ كِـتْمَانُ الغَـرَامِ فَلَـمْ يطِـقْ   وَيَحِـقُّ أَنْ يُـسَمَّى الهَـوَى بِالْقَاهِـرِ

بَاغِـي الـتَّدانِي مِـنْ حِمَى مِـنْ حِبِّـها   نَـادَاهُ بَاهِـي الحُـسْنِ: إِنَّـكَ بَاهِرٌ

طَهِّرْ لَهَا الأَحْشَاءَ لِكَيْ يمحى الْغِشَاءُ   فَلَعَلَّهَـا تُجْـلَى لِقَلْـبٍ طَاهِـرِ

تَبًّـا لِلَّهْـوِ تُلْهِـي غُـرِيبَ حَبِيبِهَا   إِلَّا إِذَا لَمْ يُـدْرِكْ ذَلِـكَ ظَاهِـرِ

وَلَقَدْرِهَا كُلِّي بِقُرْبٍ بِقُرْبِ خِيَامِهَا   لَمَّا انْتَشَقَتْ مِنْهَا عَبِيرَ عَنَاصِرِي

مَـنْ كَـانَ يَـدْرِي مَـا الْمُـرَادُ بِوَصْـلِهَا   وَطَـرِيقَةٌ تَهْـدِي مَصَـمِّمَ الماهِـرِي

وَيَسُرُّ لِلْـسِّـرِّ الخَفِـيِّ سِرُّهُ   فَالسِّرُّ عَـنْ جَهْـرِي سِرِّي ظَاهِرِي

وَيَـصِيرُ بِـالأَسْرَارِ صَـنْعَةَ جَوْهَـرِي   هُـوَ عَـارِفٌ بِاللآلِـي وَجَوَاهِـرِ

يُـبْدِي لِلْعَـارِفِ عِـنْدَ كُـلِّ مُحَقِّـقِ   وَلِـذِي الـسَّوِيِّ يَأْتِي بِعِلْمِ الظَّاهِرِي

ثُمّ الصلاةُ مع السَّلام على النَّبِي ... ودجاءنا بِزَوَاهِ وزَوَاهِر

ولآلِ والأصحابُ والأتباعُ مَنْ ... نَالُوا بِرُؤيَتِهِ شُهُودَ الظَّاهِرِي

(بالأسماء) جمع اسم، أي: ممن علموا فيك المكنونات، باستعمال الأسماء الإلهية حتى تنورت بها قلوبهم، وأشرقت سرائرهم، فانفتقت جيوبهم، فعرفوا مبدأ الوجود ومنتهى الغيوب، وعلموا ما احتوى عليه الكون وانكشف لهم عن منازل الصوب، أو أنهم علموا ما فيه وظهرت لهم ظواهرها وخوافيها بتجليات الأسماء فبالعليم علموا أسرارها، وبالظاهر ظهرت لهم أنوارها، وبالبصير شاهدوا أطوارها، وبالنور انجلت لهم شموسها وأقمارها.

ومن العارفين من عرف الجزء، ومنهم الكل، ومنهم العالم والاثنين، ومنهم الألف والألفين، ومنهم الذي يحوطه الله على عوالمه، وبكرمه شهود سائر معالمه، وهو النادر القليل والفرد الذي ليس له مثيل.

ولما تنوعت الأسماء تنوعت آثارها، فأثر اسمه تعالى الرحمن غير اسمه المنتقم، وباختلافها تنوعت الثمار، فكل اسم له ثمرة ليست لغيره، وله أنوار وأسرار وتجليات رفيعة القدر، تكون بسبب استعداد الذاكر وصدقه، وقوة عوالمه الباطنية، وتوجهه في خلاصه، وهي اختلاف بحسب الطبائع، بل الحروف لها ذلك لسر حسه رائع، وكذا استعمال اسمه القهار يورث وهجًا وحرارة، تظهر في الجسد جراحًا، واسم المحيي يقمع العطش ويروي الظمآن، وذكر الصمد بعد أن تنقطع من الذاكر بذكره أنفاس سمعة، يكسب صرف حرارة الجوع، فاعرف لكل اسم طبعه.

ومن أخذ من الأسماء ما يناسبه من حيث طبيعته، ووافق عدده عدد اسمه كان اسم الله الأعظم في حقه وسهل باستعماله فتق رتقه، ورتق فتقه، ومن لم يجد ذلك في اسم، فلينصب في اسمين أو أكثر لتظهر بهذا السر الأكبر، ويحكى أن بعض مشايخ الطريق من أهل المعرفة والتحقيق، كان إذا جاء مريد إليه أجلسه بين يديه، وتلا الأسماء الحسنى عنده، وهو ينظر في وجهه، فأي اسم رآه أثر في وجوده انفعالاً لقنه له، ولو تعددت الأسماء موافقة له، فيورثه انفعالاً وتمنحه كمالاً، ولما كان الذكر نورًا يمحو سرورًا، ويربو سره ظهورًا، ناسب أن يوصل المؤلف بالنور، ولذا قال أعظم الله له الأجور

(نُورٍ)، أي: سر نور، وهو ضد الظلام، قال في «القاموس»: النور بالضم الضوء أيًّا كان شعاعه، جمعه أنوار ونيران، وقد نار نورًا، وأنار واستنار، ونور وتنور، ومحمد ﷺ، والذي ينير الأشياء، انتهى.

وهو اسم إلهي، ومعناه: الظاهر بنفسه المظهر لغيره، وقيل: مظهر الظاهر، المبين لذات كل شيء على أتم ما من شأنه أن يبين ويظهر.

قال القيصري ـ رحمه الله تعالى: النور في الأصل كيفية تدركها الباصرة أولاً، وبواسطتها سائر المبصرات، كالكيفية الفائضة من النيرين على الأجرام الكثيفة المحاذية لهما، وهو بهذا لا يصح إطلاقه على الله تعالى إلا بتقدير مضاف، كقولك: زيد كرم، بمعنى: ذو كرم، أو على تجوز بمعنى: منور السموات والأرض. وقد قرئ به، فإنه تعالى منورها بالكواكب، وما يُفيض عليها من الأنوار، وبالملائكة والأنبياء، أو مدبرها من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم؛ لأنهم يهتدون به في الأمور، أو موجدها، فإن النور ظاهر بذاته مظهر لغيره.

وأصل الظهور هو الوجود، كما أن أصل الخفاء هو العدم، والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه، والذي به يدرك، أو يدرك، أصلها الباصرة لتعلقها به، أو لمشاركتها له في توقف الإدراك عليه، ثم على البصيرة؛ لأنها أقوى إدراكًا، فإنها تدرك نفسها وغيرها، من الكليات والجزئيات، الموجودات والمعدومات، وتغوص في بواطنها، وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل.

ثم إن هذه الإدراكات ليست لذاتها، ولا لما فارقتها، فهي إذًا من سبب يفيضها عليه الله تعالى ابتداء، أو بتوسط من الملائكة والأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ، ولذلك سموا نورًا، ويقرب منه قول ابن عباس ﷺ: «معناه هادٍ من فيهما، فهم بنوره يهتدون»، وإضافته إليهما؛ لدلالته على سعة إشراقه، ولاشتمالها على الأنوار الحسية والعقلية، وقصور الإدراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما، والمدلول لهما، انتهى.

وقال سيدي محيي الدين ـ قدس الله سره المتين ـ في «فتوحاته» عند الكلام على حضرة اسمه تعالى النور:

النور نوران: نور العلم والعمل من نور توحيدنا الموصوف بالأزل

طلبت شخصًا عسى أحظى برؤيته ... من حضرتي صاعد العلة العسل

ولم أُعرّج على كون أمر به ... جنًا ولا كان ذا الكون من أملي

حتى مررت بشخص لست أعرفه ... فلم يزل مؤنسي فيه ولم يزل

فقلت ماذا؟ فقالوا: الحق؟ قلت لهم ... هذا الذي كنت أبغيه مع الرسل

يدعى صاحبها عبد النور، قال الله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: 35]، وقال في معرض الامتنان: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: 122]، وما يمشي إلا بذاته، فعين وجوده عين نوره، وليس وجوده - أي: الذي به قيامه وثبوته - سوى الوجود الحق، فإنه قيامه وشهيده، وهو سبحانه النور، فهو يمشي في الناس بربه، أي: بتجليه عليه وبذاته إليه، وهم لا يشعرون، أي: لغفلتهم عن شهود أنهم عين المعدوم بين يديه، كما قال: «إذا أحب عبدًا كان سمعه الذي يسمع به»، وذكر في الخبر جميع قواه وأعضائه، إلى أن قال: «ورجله التي يمشي بها»(1)، وما مشى في الناس سوى رجله في حال مشيه بربه؛ إذ لا حول ولا قوة إلا بالله، فهو الحق، أي: الممد لعبده في كل حركة وسكون، ليس غيره يقول للشيء: كن فيكون، وإن قال فبإذنه وأمره، قل: فما قال غيره فإن بنوره ظلمة حدوث الكون، فإنه ما حدث شيء، أي: من حيث إن الأعيان الثابتة في العدم ما شمت رائحة الوجود في العين ولا عين الممكن، ما زال في مشيئته ثبوت ما له وجود، وإنما ثبت حكم عينه في الوجود الحق، فقال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9] هو قوله فيمن لا يعلم: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: 122] وهو ما لقي من مشيئته ثبوتها، لا حكم في الوجود الحق، فهو في الظلمات حتى يظهر، فيبقى غيرها كذلك من لا يعلم حتى يعلم، فيلحق بأصحاب النور، ولا بد أن ينفر من لا يعلم، فنور الوجود ينفر ظلمة العدم، ونور العلم ينفر ظلمة الجهل.

ثم تعلم أن الأنوار - وإن اجتمعت في الإضاءات والتنفير - فإن لها درجات في

---

(1) رواه البخاري (5/ 2384).

لفصيلة، كما أن لها أعيان محسوسة، كنور الشمس والقمر، والسراج والنار والبرق، فكل نور محسوس ومنور، أو أعيان معقولة: كنور العلم ونور الكشف، وهذه نور البصائر والأبصار، وهذه الأنوار المحسوسة والمعنوية على طبقات، تفضل بعضها بعضًا، فنور علم وأعلم، ومدرك وأدرك، كما تقول في المحسوسات: نيّر وأنوار، وأين نور الشمس من نور السراج؟! كما يتفاضل في الإحراق، فإن الإضاءة محرقة مدهشة على قدر قوة النور وضعفه، وقد ورد حديث السبحات، والسبحات والأنوار الوجهية هي، يقول إنه بالحجب، فيل هذا العالم، فإذا ارتفعت الحجب لاحت سبحات الوجه، فذهب اسم العلم، وقيل هذا هو الحق، وهذا لا يرتفع عمومًا، فلا يرتفع اسم العلم، لكن قد يرتفع خصوصًا في حق قوم، ولكن لا يرتفع دائمًا في السر، لما عليه من جمعية الوجود، وما ارتفع إلا في حق العالين، وهم المهيمون الكروبيون، وهذا في البشر في أوقات.

إذا كـان عـين العبد فالعبد ناظـر وإن كـان سـمع الحق فالحـق سـامع

فـما الأمـر إلا بـين فـرض ونفلـة واقــت، وعــين الله للحــق جامــع

فحـق وخلـق لا يـزال مـؤيدًا فقطـي وجـود العـين وقتًا، ومانـع

إذا كـان عـين العبد، فالليل حالـك وإن كـان عـين الحق، فالنور ساطع

فـما أنـت إلا بـين مشرق ومغـرب فشمسـك مـا غـرب ويـدرك طالـع

وأما (النور على النور) فهو النور المجعول على النور الذاتي، فالنور على النور هو قوله ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ [النور: 35]، وهو أحد النورين، والنور الواحد من النورين مجعول، يجعله الله على النور الآخر، فهو حاكم عليه، والنور المجعول عليه هذا النور مستتر به، مندرج فيه، فما حكم إلا للنور المجعول، وهو الظاهر، وهذا حكم نور الشرع على العقل، فليس له سوى التسليم فيه، وليس له سوى ما تعطيه، فإن أولته لم تحظ منه بعلم في القيامة ترتضيه، فتحشر في ظلمة جهلك، ما لك نور تمشي به ولا تسعى بين يديك، لترى أين تضع قدمك ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 40] ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى 52].

﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: 122]، جعلنا الله من أهل الأنوار المجعول له، آمين، انتهى.

واعلم أن الأنوار مطايا القلوب إلى علام الغيوب، ومطايا الأسرار إلى حضرت الجبار، وهي المحبات العرفانية والوردات الربانية، وكلها دالة على الله هادية إليه، وأعظم الأنوار دلالة على العزيز الجبار أشرف داع مختار البشير النذير السراج المصباح المنير المعلوم الشهير، ومن أسمائه: نور، قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة: 15]، قال شارح «الدلائل»: قيل: محمد ﷺ، وقيل: القرآن، فهو ﷺ نور الله الذي لا يطفأ، ويأبى الله إلا أن يتم الله نوره، ولا يشكل على تفسيره بالنبي ﷺ إفراد الضمير بعده في قوله: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: 16] مع تقديره عطفهما بالواو، أو كما قيل، أو كما قيل؛ لأن الضمير راجع إليهما معًا باعتبار مذكور، أو لأنهما كالشيء الواحد، وهداية أحدهما عين هداية الآخر، قد صرح القرافي بجواز مثله جوازًا مطردًا، وبه ورد القرآن في آيات كثيرة، وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ [النور: 35] الآية، وقال كعب وابن جبير وسهل بن عبدالله: المراد بالنور الثاني هو محمد ﷺ، انتهى.

ومن أسمائه ﷺ: النجم الثاقب، والماحي ظلام الكفر بنوره، والعاقب وأول ما يحمل التوسل في هذا البيت عليه؛ إذ هو المصباح نور الوجود.

(بَدَا)، أي: ظهر، قال في «القاموس»: بدا بدوًا وبدوءًا وبداءة وبدوًّا: ظهر وأبديته، وبادئة الشيء: أول ما يبدأ منه، وبادي الرأي: ظاهره، وبدا له في الأمر بدوًا وبداءً، وبداءة: نشأ له فيه رأي، انتهى.

(فِي غَيْهَبٍ) أي: الظلمة، قال في «القاموس»: الغيهب: الظلمة كالغيهبان، وغيهب صار فيه، انتهى.

(الْوَهْمِ) حيث غاب الفهم من كل فهيم، وتوعر سلوك السبيل القويم، وقام سلطان الوهم على قدم وساق، ونام يقظان الفهم والآنام لحضرته ساق، فحسب ظلمته ظلمة على أهل الأرض، وعمتهم بحكمها، وامتلأت في طولها والعرض، ولم يبق على ظهرها من يوحد الخليل توحيدًا ينجي من عذاب الكميل، لظهور التعبير ... في

الكتب المنزلة من الجليل، وصارت الناس في هرج ومرج وضيق وحرج، سيما حتى جاء عزهم، فأزال الكرب عنهم وعن الخلق أجمعين، فإنه الرحمة المرسلة للعالمين، لكن العرب قبله ﷺ كانوا في ضنك عيش وطيش، ولهذا كان من أسمائه ﷺ عز العرب.

قال شارح «الدلائل»: فإن العرب كانوا قبله ﷺ في جهد وبؤس وضنك مخصوص بنوى من الجوع، ويأكلون الجلود والميتة، ويعبدون الشجر والحجر، مشتتة آراؤهم متفرقة أهواؤهم، لا يدينون بدين ولا ينقادون لملك، ولا يتسعون في بلاد، يغير بعضهم على بعض، ويسفك بعضهم دماء بعض، ويسبون نساءهم وأبناءهم، ويستحيون حريمهم وينتهكون حرمتهم، ويأسرون رجالهم، قد عمتهم الجهالة وأعمتهم الضلالة، لا يعرفون نبوة ولا كتابًا منذ زمان إسماعيل عليه السلام، وكان غيرهم من الأمم يستصغرونهم ويحتقرونهم، ولا يقيمون لهم وزنًا، ويتطاولون عليهم بالنبوة والكتاب، والملك والظهور، وكثرة الأموال، فجاءهم الله بسيد أهل النبوات والرسالات، وخير أهل الأرض والسموات -عليه أفضل الصلوات وأزكى التحليات- رسولاً من أنفسهم، فصلح به حالهم، واستقام دينهم، وظهروا به على سائر العباد والبلاد، واستولوا على الأمم وشرفوا عليهم، وانقادوا لهم، ودانوا دينهم، وحازوا ملك كسرى وقيصر وغيرهم، وصاروا بعز الدنيا والآخرة، وصار الناس يحجون بلادهم ويتعلمون لغتهم، ويأخذون بسنتهم ويروون أشعارهم، ويحفظون أمثالهم ويتصرفون عن سيرهم وأيامهم، ويتنافسون في ذلك، ويتعبدون الله ﷻ به، انتهى.

وجميع الخلق قبل ظهور النور المحمدي في تيه الجهالة، يمرحون في الضلال والغيّ، وهم يحسبون أنهم على شيء، حتى آن أوان ظهور نور من بعثه الله رحمة مهداة، وبعثه برفع قوم وخفض آخرين، وبعثه رحمة ولم يبعثه عذابًا، ومبلغًا لا متعنتًا، فبمجرد ظهوره (فَانْجَلَى)، أي: انكشف وانقشع، (الظَّلَامُ): الناشئ عن الوهم، أو مطلق الظلام، فدخل تحته ظلام الجهل والكفر والبعد، وظلام النفوس والأهواء، وغير ذلك.

(وَذَاكَ النُّورُ): الماحي كل فجور، الدافع للستور عن كل مستور، (ما خَلْفَهُ)، أي: ما وراءه، (مَرْقَى)، أي: مطلب عظيم لطالب، فإن النور المحمدي ما فوقه نور يقصد إلا الواحد، إذ هو نور الأنوار، ويعسوب الأرواح والأسرار، الذي يحير عقول الألباب

وفكر الأذكياء الأطباء عن تصور ذاته، بل عن صفة من على صفاته، ويشهد لهذا الكلام قوله ﷺ: «يا أبا بكر، والذي بعثني بالحق لم يعلمني حقيقتة غير ربي»(1)، فهو الأب الأول الذي عليه المعول، وقد ذكرناه في حديث رواه الديلمي عن ابن عباس: «أتاني جبريل فقال: يا محمد، يقول الله: لولاك ما خلقت الجنة، ولولاك ما خلقت النار»(2)، وقد جاء في حديث: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»(3)، وفي رواية: «أنا سيد النبيين ولا فخر»(4)، وفي أخرى: «المرسلين إذا بعثوا، وسائقهم أنا، وردوا ومبشرهم أنا، أيسوا وإمامهم أنا، سجدوا وأنا أقربهم مجلسًا، إذا اجتمعوا أتكلم فيصدقني، وأشفع فيشفعني، وأسأل فيعطيني»(5)، رواه ابن النجار عن أبي كرز، إلى غير ذلك من الروايات الدالة على أنه غاية الغايات، ونهاية النهايات، ليس فوقه واسطة؛ إذ هو واسطة الوسائط، والفاتح الخاتم الذي كمل بظهوره بناء الحائط، فكما أن ليس وراء الله مرمى، كما جاء في الخبر، وإليه المنتهى، فكذلك ليس وراء مقام رسول الله مقام إليه يُنتهى، ولا منظر على خاطري كي خيالي تقصيي يُشتهى، وفي أول «الشفاء»: ليس دونه منتهى، ولا وراءه مرمى.

قال الخفاجي في شرحه «نسيم الرياض»: مرمى بميمين مفتوحتين، بينهما راء مهملة، وهو مقصور، مفعل من الرمي، وقد ورد استعمال هذا اللفظ بعينه وإطلاقه في حق الله تعالى في الحديث، فروى المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ في «مشارقه»، وابن الأثير في «نهايته»: ليس وراء الله مرمى، وتكلمت به العرب العرباء، وربما هو معناه قديمًا، كقول النابغة:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ... وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَطْلَبُ

قال في «النهاية»: ليس بعد الله لطالب مطلب؛ لأن العقول وقفت ثمة، فليس وراء الله، ولا وراء معرفته والإيمان به غاية تقصد، انتهى.

وفي «المشارق»: ليس وراء الله مرمى في أي مطلب لطالب، والمرمى: الغرض الذي يرمى به، وربما ينتهي سهم الرامي، ويجوز لسواكما، إلى الله انتهت العقول ووقفت، فليس

(1) لم أقف عليه.

(2) رواه الديلمي في الفردوس (5/ 227) مرفوعًا وذكره العجلوني في كشف الخفاء (1/ 46).

(3) رواه الترمذي (5/ 308). (4) تقدم تخريجه.

(5) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (7/ 17).

و... معرفته ولا إيمان به ملتمس، ولا غاية يرمى إليها، انتهى.

وأنشد المحيوي البالغ رتبة السها:

لـيس وراء الله مرمـى لـرائم ‏ ‏ فما هو الحق الذي لا يرام

عند مقام الحق لا تتقلوا ‏ ‏ تحرم في هذا المقام المقام

إلى آخر الأبيات، وحيث كان صدره منتهى الطالب، وغايته قصوى كل غاية، ومطلب ليس وراءه بعد الله مرمى، والسند: السند الأعز الأحمى والأرفع الأسمى، لزمت أن نتوسل بحسبه، ونستشفع بجميع أقاربه، ورفيع أنسابه وأحسابه، على سقي صرف أكوابه في أبوابه، ونجاتي من عقاب الله وعذابه، فلهذا قلت والقلب طامع في شرب شرابه في رحابه، بين ندمائه وأحبابه:

إِلَيْكَ رَسُولَ الله أَشْرَحُ قِصَّتِي ‏ ‏ وَأَنْتَ بِهَا أَدْرَى وَأَنْتَ المُؤَمَّلُ

وَأَنْتَ وَجِيهٌ شَافِعٌ وَمُشَفَّعٌ ‏ ‏ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ وَأَصْلٌ مُتَوَكَّلُ

شفيق كريم صادق ومصدق ‏ ‏ ومدثر يس طه مزمل

كفيل وكيل سيد عاقب بل ‏ ‏ أمين ومأمون مطاع مفضل

فكن راعيًا في دفع ضر أصابني ‏ ‏ وتقريب حاجات بها القلب يشغل

فإنك أعلى من يرجى ويلتجى ‏ ‏ إليه وأغلى من به متوسل

وأفخم مطلوب وأشرف خاطب ‏ ‏ وأعرف موهوب له يترحل

وأحمد خلق الله أسعد من بها ‏ ‏ وأرشد أهل الكون عقلاً وأكمل

وأعلمهم قلبًا وأكرمهم يدًا ‏ ‏ وأعظمهم سرًا وجهرًا وأجمل

وأعربهم لفظًا وأقربهم يدًا ‏ ‏ وأعذبهم نطقًا وأحلى وأشمل

ولولاه ما كانت علوم ولا بدت ‏ ‏ فهوم ولا لاحت نجوم تحول

ولا زخرفت جنات عدن لأهلها ‏ ‏ ولا بنيت دور بها لا تشمل

ولا طلعت شمس ولا قمر سرى … ولا فاح في الأكوان ند ومندل

ولا حركت أيدي الصبا زهرة الربى … ولا أقبلت يومًا قبول وشمأل

وقبلت

وأعطي خمسًا لم ينلها قبله … نبي وجاز الفضل وهو المفضل

وقد جاء مهداة إلينا ورحمةً … بلى وهدى للعالمين بكمل

وأسري به الرب الجليل لقربه … وأدناه منه حيث لا حيث يعقل

فكان كقاب القوس من حضرة اللقا … ومن ذاك أدنى ضمن نص يرتل

أعشي أغشى سيدي ستري فقد … تطاول عهد القرب والأمر مفضل

وكن لعبد أفقدته ذنوبه … فأصبح موثوقًا بها يتململ

وخلصه من أيدي الهوى وقرينه … ومن شر نفس بالشرور تفضل

ومن عمدتي تبدي الصواحي لعينه … لعل بمبداها فؤادي يعسل

وتجلى لنا منا منادي صبحتي … فأسلم من جهل لعقل بذهل

وأغلب نفسًا قد دعت شهواتها … وأقهر شيطانًا سمور بسوّل

ويبدو الذي غاب عني لناظري … بشدة ضعف فالقوي ليس يحمل

فكن صاحب الإكليل والتاج للذي … بأتامه بين العوالم يهمل

عليك صلاة الله ثم سلامه … مدى الدهر ما قلب بذكر يعلل

كذا الآل والأصحاب ثم وتابع … لأتباعهم ما الدمع بالمقد يهمل

وما مصطفى البكري زاد الشاعه … إلى القرب من دار بها الحب ينزل

وأصر سوسل في هذا البيت وذاك النور قد لاح من أسماء على طريق كفاية في
لاله كما هو مصطلح أهل الطريق أُولي المهابة، والخلالة من التعرف ستمى وبين

وسعدى وعلوى، وللكنايات وقع في النفوس لا محالة، وقد توسعت العرب في ذلك وعدوه من المحسنات، والشائقة والصوفية من الغيرة، وسترًا عن الغُزال أهل سنة، وهذه الأسماء وغيرها إذا أطلقت في عرف أهل الغزل؛ فمرادهم الغزل منه علا أو رق، وأهل السلوك يريدون بها ما يحل لهم من عوارف الأسرار، وطوارق الأنوار، ونادرة غير ذلك من تجليات يتنعم بها السالك، وأهل المحبة يعنون بها محبوبهم، وأهل التربية مطلوبهم ومرغوبهم، وأهل العرفان معروفهم المحسان إذا الكناية والإشارة تقع على ما كنى أو أشار به المشير في العبارة، قال العارف: إشارتنا شيء، وحسنك واحد، وكل إلى ذلك الحسن يشير

وكما صرحنا في هذه القصيدة بذكر سلمى وليلى، وأجريناه في ميدين التكنيات حيلاً، ولما وردنا – بمعونة الله – ورد حلب تُشفى من مياه منبن الحب بأقداح أفرح صب، تنبه بعض من هم طلب، ورغب في نيل كل مطلب، وقد بين هذا المورد يقرأه المقرئ، ويعزي البالغ الأدب الذي يفهم مصادر الكلام وموارده، فيحصل له الطرب، وربما غاب الغبي عن فهم ما هو الأحب الأوجب؛ فالمقصود تعبير هذه الألفاظ بمفهوم الظاهر بمعلوم المشرب لكل من يشرب، فأجبت لذلك، وعدت إلى ما هنالك، وهنا نكتة ينبه عليها السالك في هذه المسالك، وتلك أن كل شيء يرجع إلى مقره الأول، ومحله الذي عنه يتحول، ودليل ذلك من طريق الإشارة كما بدأكم تعودون، وإليه يرجع الأمر كله منها، وفيها نعيدكم، ومنها نخرجكم تارة أخرى.

والأوراد والألقاب النازلة على القلوب من حضرة علام الغيوب تتسع بحسب اتساع دائرة صاحبها، وتعلو بحسب الحضرة التي تنزلت منها؛ فمن كانت مادة تنزلاته وفيوضاته عرشية، أو كرسية، أو لوحية، أو قلمية كان لها من الأنوار ما لتلك الحضرة العلوية سوريه، فإذا تنزلت تلك العلوم، والمعاني، والفهوم الغريبة التي من تلك الحضرات العالية، والنطرات العالية لفظها حواص الكون، وتجلت قلائد أحد مصابيح صوره، وربما ظهر لها فيها حدائق تحقيقات ذات بهجة، فيهيج أحدهم من عظم بهج، وهم أفحم لهجة، هذا حال تدليها، وكذلك في حال عروجها وتحليها، وقد مرت من أولئك الصفوف تلقتها بالقبول صفوف وألوف عمن أذن له الملك بذلك من أهل العالم السماوي، والروحاني، والرباني، والروحاني، والجناني؛ فإذا بدل المؤلف أو غير أحد

حيث المعنى، وأجابه وارد عقلي أو نفساني؛ فقد يقبل ذلك أهل تلك العوالم، ويرضيه، وقد لا يقبل ذلك؛ لحكم اللفظ الأول اقتضاها

ففهم هذا الخطاب فإنه من اللباب عند الخطاب، ولما توسل المؤلف بأهل الذكر والنور الآتي بالذكر، وهما يورثان توارد الأحوال على قلوب الرجال من أرباب المحال، ناسب أن يتوسل بالمقامات العوالي، فقال: عفي عنه المتعال بسر مقامات جمع مقام؛ كحمام وحمامات، وسجل واسطبلات؛ فيجمع بألف وتاء، وإن كان مذكرًا، قال سيدي عبد الكريم الجيلي ـ قدس الله سره ـ في كتابه «غنية أرباب السماع في كشف القناع عن وجوه الاستماع»: اعلم ـ وفقك الله ـ أن للطائفة اختلافًا كثيرًا في تعريف الحال والمقام

فمنهم من ذهب إلى أن الحال متى دام للشخص صار مقامًا

ومنهم من ينفي دوام الحال، ويقول: إنه لا دوام لها، والمقام عنده بعكسه، وهو ما لا يفارق الشخص كالتوبة، والتوكل، والزهد، وأمثال ذلك؛ وهذا هو المختار عندنا

فإن الشخص ولو ارتقى من مقام التوبة، فإنها لا تفارقه بخلاف الأحوال، فإن الشخص من موطن لابسه فيه حال فارق ذلك الحال، وفارقه الحال عند ترقيه من الموطن، فلا يرد عليه ذلك الحال بعد الترقي؛ لأنه ترقى من الموطن، فلو كان فيه؛ لورد عليه مثل ذلك الحال الأول لا عينه، ولا تزال الأحوال واردة صادرة غير مستقرة، فعلى هذا التقرير المقام ما يلزم ثبوته العبد، والحال ما لا يدوم زمانين، فإن تصور عندك حال له دوام؛ فإنما ذلك مثل أعقب المثل، فاتك التمييز لرقة الحجاب، وفيما ذكرناه للقوم فيه اختلافات كثيرة، اقتصرنا منها على ما وقع الاختيار فيه، بحسب علمنا واجتهادنا ـ والله الموفق لا رب غيره ـ انتهى

(تَجِلُّ) أي: تعظم في نفس السامع، وتعلو وتعلوا لديه نورها اللامع، قال في «تهذيب الصحاح»: وقد جل فلان، يجل بالكسر، جلالة؛ أي: عظم قدره، فهو جليل، انتهى.

(لِعُظْمِهَا) متضمنها اللام تعليلية؛ أي: لكبرها، ورفعة شأنها وكثرتها، قال في «المهذب»: عظم الشيء عظمًا كبر؛ فهو عظيم، وعظم الشيء بوزن فضل أكثره ومعظمه، انتهى

(عن الوَصْفِ) أي: النعت، فإن ناعتها بل ناعت مقام منها لا يمكن استيعاب ما

فيه على وجه الإحاطة والشمول؛ خوافيه، فإن مقام الزهد مثلاً يصدق على ترك الدنيا، ومن موافاتها للآخرة ولذاتها، وعلى ترك السوى، وكل ما بالسالك هوى، وعلى ترك الوقوف على ما يحوق، ويحوف من أنوار، وأسرار، وعوارف أفكار، وغير ذلك من أوطار، ويختلف باختلاف السيار قوة التحقق فيه وضعفًا، وله بداية ووسط ونهاية، ولكل مقام مقدمة، ولكل مرام رجال؛ فلذا علل، فقال: (إِذْ فِي وَصْفِهَا) أي: وصف المحبة (حُيِّرَ) الحق سبحانه وتعالى، وهذا من باب الالتفات من الخطاب للغيبة، قال في «القاموس»: حار يحار حيرة، وحيرى وحيرانًا، وتحير واستحار نظرًا إلى الشيء فعشي، ولم يهتد لسبيله فهو حيران، وحايرهم حيروهم حيارى، ويضم، انتهى. ألفها مفعول حير، وتقدم الكلام على الحيرة.

(الفَهْمَا) أي: عني الله على فهم من يريد أن يعرفها معرفة تامة، بما أودعه فيها من العظم والكبر، والأذواق المختلفة تدركها من حيث، فأي فهم يدرك بحور لو وجر لتي من أول من آخر؛ إلا إن كان من طريق الكشف الإلهي المخصوص بأهل الدوائر الكبرى.

جل تجلي العليم بصفة العلم، وكشف لهم سترًا فسترا، فيعرفون عند ذلك كل مجهول لديهم، ويكشفون أطياب غابات عنهم بوصولها إليهم، وهنا يقوم بهم وصف العلم الكلي؛ لأنه إلي، وإذا ستر عليهم الحق يضطر أن يثبت وجودهم، ورجع إليهم الجهل الكلي، لكن حق هؤلاء الأخيار من يكون في ستر حاله بالخيار؛ فإذا أراد كشف له كل مستور، وإن شاء غمض عين في جيبه بادلاً الستور، ومنهم من يكون له ذلك بحكم اسمه القهار، فليس إرادة في رفع الأستار، ولا إبقائها؛ لأنه مجبور غير مختار، ولكل فرد من هؤلاء الأطهار حبيب جليل، حلا عن شوائب الأكدار - وجليل مقدار حلا نوره ظلمات الأغيار، والألف في الفهما للإطلاق، وهذا وجه المناسبة بين هذا البيت، وبين البيت الذي يليه أيها النبيه، وله مناسبات أُخر تظهر للطالب في تعلمه، وتدبره دون تنبيه قائلهم.

(بِكُلِّ خَلِيلِي) الباء للقسم، وكل لاستغراق الأفراد والأجزاء، وسبق الكلام على كل أول التوسلات، وخليل زنة فعيل، ووقع هنا نكرة موصوفة، كخليلي الآتي بعده، فدخل العموم تحتها كل مَنْ اتصف بهذين الوصفين من خلة وجلالة، والخلة عند أهل الطريق أول درجات القربة، وانتهاء مقامها ابتداء مقام الحب؛ لأن الحب من فهم

محبوب بصفاته، وهو بصفات محبوبه، وإلى مقام الحبيب الإشارة بقوله تعالى: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: 80] قال الإمام القشيري، رضي الله تعالى عنه: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله عذرني فإن محبة الله شغلتني عن محبتك، فقال: يا مبارك، ومن أحب الله فقد أحبني، انتهى.

والحبيب هو من أصفى المودة، وقصر حاجته على مولاه في كل شدة، كما قال الخليل الحبيب: أما إليك فلا، وسبكت هذا المعنى في أبيات على

لـــــــان محـــــبٍ أديـــــق بـــــلا ... مـــن عهـــد بـــلا وهـــي حلـــيلاً مـــلا

فـــــؤاده حـــــبًا ووجـــــدًا ... لا كمـــثل الفـــؤاد مـــنه خـــلا

لـــو نـــار النمـــرود وضـــعوا ... ثـــم حلـــوا جـــسمي بكـــل بـــلا

ومُنعـــوا عنـــي ولي مـــنعوا ... رؤيـــة في الخـــلا لهـــم ومـــلا

لم أمـــل عـــنهم ولـــو جمعـــوا ... لي أســـاهم فـــإن ذاك حـــلا

إذ عـــذاب الحبـــيب عـــذب مـــذاق ... لديـــنا يفـــوق كـــلا طـــلا

مـــا خلـــيلي عـــندي أراه معـــي ... غـــير مـــولا لـــه عـــسلٌ ولا

معـــه بي بـــا ذي الخـــلي منـــي ... ارتجـــيه أمـــا إلـــيك فـــلا

كـــيف أرجـــو الـــورى ولـــست أرى ... غـــيره وأصـــلي بـــدون قـــلا

ومـــداه بكـــل كـــلي سرى ... وبهـــا سري الـــسلو ســـلا

وأقـــام الجـــوى لمقعـــد وجـــدي ... فأمـــسيت في الهـــوى مـــثلا

وجفـــوني فـــيه جفـــوني وقـــد ... مـــستعوني الكـــرا وعهـــد بـــلا

كـــل حـــب عـــير الحبـــيب هـــبا ... كـــل شيء ســـوى القـــرب كـــلا

واســـمع قـــول شـــاعر للبـــيد ... لـــصديق أتـــى فقـــال ألا

ثم حقق قرب الوريد تجد كأس قرب منه عذبك حلا

وصلاة ثم السلام على من ساء رفعه وعزا علا

وعلى الآل والصحابة ما نال خلٌّ من خله أملا

وقد مضى الكلام على الخلة قريبًا عند قولنا وإبراهيم خليلك؛ (قَدْ) للتحقيق، (حلا) أي عذب قلبًا وقالبًا، ونال إربًا ومطالبًا. (عَنْ شَوَائِبِ) جمع شائبة، وهي الأقذار والأدناس، وتخلّيه عنها يحصل له الارتقاء، والنماء في منازل المواصلة والمحبة، والحبيب للحبيب لا يكون إلا من عشق منتهي؛ ولهذا استقى من دنان المعرفة وسقي

(وَكُلُّ جَلِيلٍ) معطوف قال في «التهذيب». وقد جل فلان يجل ـ بالكسر ـ جلالة؛ أي عظم قدره، فهو جليل، انتهى

أي وأسألك بكل عظيم قدر لديك له حرمة عندك؛ لانتسابه إليك، وقبله عليك، وقيامه بين يديك، (قَدْ جَلَا) أي أذهب، وكشف (نُورُهُ) أي نور يقينه، وعرفانه، وإيمانه، ويقينه، وطاعاته، وإحسانه، نقل المرسي عن شيخه الشاذلي ـ عنهما الله ـ رضي الله عنه ـ أنه قال لو كشف للناس عن نور المؤمن العاصي؛ لطبق ما بين السماء والأرض، فكيف بالطائع؟ انتهى.

وكان سيدي داود بن باخلا يقول: لو كشف لنور المؤمن، أو العارف عن في قلبه؛ لأشرقت منه الأكوان، انتهى

(الظُّلَمَا) قال في «القاموس»: والظلمة بالضم وبضمتين، والظلماء والظلام: ذهاب النور، وليلة ظلمة على طرح الزائد، مظلمة شديدة الظلام، وليل ظلماء شديد، انتهى

ونور الخليل عند الجليل يجلو ظلام القلوب، ويمحي الكروب، ويدفع البلى لا فقد، ويحق الأحزان، ولنور الخليل العارف المعان تشعشع وتلألأ ولمعان، وظهور في الزمان والمكان والإنسان؛ فمن الأول، والثاني قول شيخنا المصان: أحبه الله محبوبة بحماه؛ وتباهي زمني به، وتسامت بي دمشق؛ لتنويره لها بأنواره، وتحليها بخصوصيات أسراره، وتعطي مما يطيبه الوارد عليه من حضرات جليه، الذي لا يشبه من كرم، ولا يكون عرفه عروم، ومن الثاني؛ ما ذكره سيدي الخواص المعدود من الخواص أن

وحشته، وإن إذا دخل مكانًا، أو مشى فيه تبقى ستة أشهر كما يشهده أرباب القلوب، فكيف بمكان سكنه، وهذا بعكس بيوت الظلمة والعصاة تجدها موحشة لا أنس بها، ولا روحانية، انتهى.

ومن ذلك ما ذكره المحبي: الفريد عن بيت أبي بريدة إن كل من دخله، وأراد أن يعصي فيه خرجت عليه نار، فأحرقت أثوابه، وهي أثر عن الروحانية التي تعلقت بالمكان سيدي، وكذلك ما يحكى عن الأنس الذي يوجد في بيت الجنيد البغدادي، وقد أدركت شيئًا من هذا الأنس المحقق، لا الموهوم في دار شيخنا المرحوم، وكان سيدي داود بن باخلا ﷺ يقول: لو تنفس عارف في بلدة ثبت إيمان كل عبد فيها؛ وهذا من ظهور نور المعرفة في الإنسان، وقال: ليس العارف من يصف لك دواءً تستعمله، بل من داواك في حضرته؛ أي: لظهور نوره في جنانه، وإسحابه على أركانه، وكلما كبرت دائرة المعرفة واتسعت، وعمت أنوار حقيقته، وارتفعت؛ عمت بركاتها أهل زمانه، وانتفعت به أشكاله من أقرانه، وربما تعدت لمن قبله؛ فانتفعوا بذلك، وربما ارتفعوا بها، وتصححت لهم المسالك، ومن وقف على تجليات الحاتمي أدرك ما هنالك، فثبتت له المشيخة على كل متمتع به شعرًا، ولا بحكم المالك.

وفي البيت الجناس المصحف بين خليل وجليل، وجلا وخلا وجناس بالتضاد بين الظلام والنور، ووجه المناسبة بين هذا البيت، والذي يليه أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ لما توسل بالأخلاء والأجلاء، وهم عرشيون علويون الأرواح، والأشرار فرشيون الأشباح بأدرانهم، والأقطار ناسب ذكر العرش، والفرش وما علاه، وقلب المحقق الذي هو كالعرش محل تجلي العلي الأعلى؛ ولذا قال: (بِعَرْشٍ بِفَرْشٍ) قال في «القاموس»: والفرش المفروش من متاع البيت، والزرع إذا فرش، والفضاء الواسع ... إلخ

قال الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ۝﴾ [الذاريات 48] (بالسماوات) جمع سماء، وهي غير الجرم المعهود، تطلق لغةً على كل ما ارتفع، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق 12] أي: وأسألك بسر السموات التي جعلتها مهبط الوحي، ومسكن الملائكة فلا يسكنها غيرهم من إنس وجن إلا ما تحقق لعيسى ﷺ، ومحل عروج الأنبياء، أرواحهم فيها، وطهارتها عن صدور المعاصي عنهم، وب

القرآن المشتمل على الأوامر والنواهي منها، ورفعها وقدمها في الذكر في أكثر الآيات، وجعلها محل التجلي الإلهي، وهذه أوجه تفضيل السماء على الأرض، الذي ذهب إليه البعض، ومن عكس علل بأن الأرض منشأ النوع الإنساني ومحل الأنبياء، ودفنهم فيهم، وهم أفضل من الملائكة، والأشرف إنما يكون بأشرف المحال، وحكى بعضهم هذا عن الأكثرين، ونسب النووي الأول للجمهور، والله أعلم

وفي «الشجرة المفرعة في المسائل المتنوعة» للشيخ أبي عبد الله العمري المرصفي: السماء أفضل من الأرض، إلا بقعة في الأرض ضمت أعضاء النبي ﷺ فهو أفضل منها حتى من العرش والكرسي؛ ثم علل وجه أفضلية السماء على الأرض

فقال: لأن السماء بها العرش، والكرسي، والجنة، واللوح، والقلم، والبيت المعمور، ومنزل الملائكة المكرمين المعصومين الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ومنها يتنزل أمر ربنا وأسري بالنبي ﷺ إليها، واجتمع فيها بإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، وإدريس، وغيرهم من الأنبياء - صلى الله عليهم أجمعين - وأوحى إليه فيها ما أوحى، ودنا من ربه فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، وفرضت عليه الصلاة خمسين صلاة في كل يوم وليلة، وتداركه الله بلطف المنة حتى صارت خمسًا، وفي الأجر خمسين، وجاء في الحديث الشريف «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا»[1] أي: أمره، **«فيقول: ألا من تائب فأتوب عليه، ألا من مستغفر فأغفر له، ألا كذا وكذا حتى يطلع الفجر»**[2]، انتهى

ملخصًا من شرح «الدلائل»، وحكى المرصفي - رحمه الله تعالى - من خصوص البقعة المباركة التي عرفت - لفضلها بساكنها - عن المشاركة مسألة جرت على ألسنة أقلام أعلام من أرباب الأفهام، وأصحاب أخبار وإلمام، لكن لما لم يرد النص الصريح الصحيح في ذلك؛ نحسر على السالك سلوك هذه المسالك؛ إن التفضيل بدون دليل غير جميل، ونسبة اعتبار عند أولي الأبصار، وأما كونها أفضل بقاع الأرض في الطول والعرض، فمجمع عليه بلا نكران ولا اعتراض، وممن حكى الإجماع القاضي عياض،

---

(1) رواه أبو داود (4/ 234)

(2) رواه أحمد (2/ 433) وابن أبي عاصم في السنة (1/ 219) بنحوه

وأنشد بعض الأفراد ينتقي المراد قوله:

جزم الجميع بأن خير الأرض ما ... قد حاط ذات المصطفى وحواها

ونعم لقد صدقوا بساكنها علت ... كالنفس حين زكت زكا مأواها

قال الزركشي في «إعلام الساجد بأحكام المساجد» بعد ما نقل حكايته الإجماع عن القاضي عياض وأبي الوليد وغيره عن كل ماجد، وحكمة التفضيل المجاورة؛ كما بين ونصح ورد بآثار، ولهذا يحرم على المحدث مس المصحف، قال القرافي: ولما حكي هذا المعنى عن بعض الفضلاء أنكر الإجماع في ذلك، وقال: التفضيل إنما هو بكثرة الثواب على الأعمال، والعمل على قبره ﷺ محرم، وإذا تعذر الثواب هناك على عمل العامل، مع أن التفضيل إنما يكون باعتباره كيف يحكي الإجماع في أفضلية تلك البقعة على سائر البقاع؟ انتهى

ولم يعلم أن أسباب التفضيل أعم من الثواب، والإجماع منعقد على التفضيل بهذا الوجه؛ بكثرة الثواب على الأعمال، ويلزم أن لا يكون جلد المصحف، ولا المصحف نفسه أفضل من غيره؛ لتعذر العمل فيه، وهو خرق للإجماع. انتهى

وألف بعض أهل العصر رسالة في هذه المسألة، وهي ما ذكره المرصفي وغيره ومن تقدمه، ما أسلف من عدم ورود ذلك في أحاديث دين المالك، لكن قال الخفاجي ـ رحمه الله ـ عند قول صاحب «الشفاء»: ولا خلاف أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض كلها، بل أفضل من السموات، والعرش، والكعبة؛ كما نقله السبكي لشرفه ﷺ، وعلو قدره، ثم قال: وقال ابن عبد السلام: التفضيل يكون لأمور العمل، فقبره ﷺ أفضل الأمكنة؛ لتجلي الله تعالى بما ينزل من الرحمة، والرضوان، والملائكة، ولا حاجة إلى قيل من أنه ﷺ حي في قبره، وأن أعماله فيه مضاعفة -وإن كان صحيحًا- وإن سلمنا أن المكان لا فضل له في ذاته كفى أنه؛ لأجل ما حل فيه.

وقال السروجي من الحنفية: لم نجد من تعرض لهذا في مذهبنا، ليس للتوقف على فيه، بل لعدم قومه عليه، ويكفي لفضله ما اشتهر أن أحدًا يدفن في التربة التي خلق منها، فدفن فيها، وفي هذا فضل لصجيعيه وفخر، كفى شرفًا لهما كما مر، حتى قال في «عوارف المعارف»: روى ابن عباس: إن أصل طينته ﷺ من سرة الأرض، وهو موضع الكعبة بمكة، فدون من تحت درته ﷺ؛ أي: عند قول الله تعالى: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا﴾

صحيحه [فصلت 12]، ومنها دحيت الأرض وهو أصل التكوين، وأنك ث سع به، و
موج مقطوف ... إلى نطيشه إلى محل دفنه، ففي الحقيقة لم يدفن إلا في أصل الكعبة الذي منه خلق ﷺ، انتهى.

وهو غريب لا يعلم مثله إلا بالنقل، وهو ثقة، انتهى.

وقد نالت هذه البقعة الشريفة من المجد والفخار ما لم تنله بقعة في سائر الأقطار، كيف لا، وعليها وقع اختيار الجبار لنبيه نزل قرار، واختارها لنفسه المختار؟! ففي الحديث: «ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه»(1)، وما رشحت تفيض من رشحات الفيوضات الذاتية التي توافيهم، على حد قول القائل من الأوائل:

شربنا وأهرقنا على الأرض جرعةً ... وللأرض من كأس الكرام نصيب

وعنه ﷺ: «وضعت منبري على ترعة من ترع الجنة»(2)، والترعة: هي الباب من أبواب الجنة، وفي رواية بزيادة: «وما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة»(3).

قال الزركشي في «إعلام الساجد»: وإذا كان منبره ﷺ قد بلغه، بجلوسه فيه وقيامه عليه هذه المنزلة، فقبره الذي تضمن بدنه وصار له مثوى أولى بأن يكون في روضة من الجنة، أرفع منها وأحرى، وهو بذلك منه أولى، وقد يكون قبره في روضة منها غير الروضة المذكورة في الحديث، وقد يكون منها فيما يجمع الروضة وغيرها مما شرفه الله به، وأبان منزلته به عن الناس، انتهى.

وقال الخفاجي ـ أعظم الله له الأجور ـ في الشرح المذكور: وفي كلام شيخنا ابن قاسم مقتضى ما تقرر أن فضل البقعة التي ضمت أعضاءه عليه الصلاة والسلام ثابت قبل دفنه فيها، بل وقبل موته، بل وقبل هجرته، نعم قد يقال تفضيلها على الكعبة والعرش والكرسي إنما يثبت بعد دفنه فيها لشرفها به لا قبله؛ لأنها حينئذ ليس فيها، إلا أنها جزء من الكعبة، فلا تزيد على بقية الأجزاء قبل دفنه فيها، وهل البقعة المذكورة أفضل من منزلته عليه الصلاة والسلام في الجنة، أو منزلته أفضل كما يسبق إلى الفهم؟ وقد يقال

(1) رواه الترمذي (3/ 338).

(2) رواه ... في المختارة (1/ 304).

(3) رواه أحمد (2/ 534).

فهذه أفضل من آدم فيها، فإذا صار في الجنة صار منزله أفضل، وقد يقال: يجوز أن تكون هذه مفضولة من منزله في الجنة أو ينقل إليها، فلها حكمه، فليتأمل.

(بالعُلا) جمع عليا، مقابله سفلى من العلو الذي هو الارتفاع، ويحتمل الحسي والمعنوي، والحسي بالأجرام العلوية أو بسكانها من خواص البرية، وعطف العلا على ما قبله من عطف عام على خاص، إن حمل على كل ما سما، فعُطف تفسيرًا، وخُصَّ بالأجرام، فمن عطف خاص على عام (بِها) أي: وسألتك بالذي (قَدْ حَوَى) أي: جمع وأحرز.

(قَلْبُ المحقِّقِ) أي: فؤاد صاحب التحقيق، وهو الذي يحقق المسألة بدليلها، ويحقق به، وبأدلة أخرى، والمراد به هنا: كل من قام به هذا الوصف حتى قيل به محقق فتكون (أل) فيه للاستغراق، ويصح أن تكون للجنس، وكذلك العهد، ويخص بأكمل وارث معهود.

(مِنْ رُحْمَ) مؤنث رحم، بالضم الرحمة؛ إذ هو المتخلق بأخلاق الله، ومنها الرحمة، وفي الحديث: «من لا يَرحم لا يُرحم»[1]، وفي رواية بزيادة: «ومن لا يَغفر لا يُغفر له»[2]، وزاد على هذه في أخرى: «ومن لا يتب لا يتب عليه»[3]، وفي رواية: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»[4]، وأول ما يلزم الإنسان أن يرحم نفسه بترك المعاصي؛ خوفًا من عذاب يوم لا أحد بالعاصي، ثم قلبه وروحه وسره وعقله، فلا يصرف شيئًا من ذاته إلا فيما خُلق لأجله، ثم يعم أهله وجيرانه وأصحابه وخلانه، ويوسع دائرات الرحمة حتى يعم بها الخلق؛ لأجل الحق من حيث هم عبيده.

ولا يتحقق بهذه الرحمة العامة إلا من شرب من عين العرش الطامة؛ فإنه محل تجلي الرحمن، فمن شرب من عينه يعم برحمته الأكوان، ولما كان ﷺ عين تلك العين كان رحمة مهداة لكل عين، ومن أسمائه ﷺ: رؤوف رحيم، رسول الرحمة، نبي الرحمة، مفتاح الرحمة، فما حوى قلبه تحقق من الرحمة، ما حوى قلبه الشريف إذا كان محقق على مشربه وقصده بسبب.

(وأسْرارك) جمع سر، ومر الكلام عليه، والضمير فيه راجع للمناجي المتوجه إليه،

---

(1) رواه البخاري (5/2235). (2) رواه أحمد (4/365).

(3) رواه الطبراني في المعجم الكبير (2/352). (4) رواه الترمذي (4/323).

(اللاتي) اسم موصول يؤتى به لجمع المؤنث عاقلاً أو غير عاقل، وربما حذفت منه الياء، فيقال: اللات (سترت) أي: أخفيت يا مولاي عن غير أهلها (خفها)، أي: خفي نيات الأسرار، أي: خسيسها، وسمي أوائل الموصلات الكلام على الجمال.

واعلم أن ستر سنة الحسب أسرار التقريب، عن غير من لم تدريب وتهذيب في محبة المحبوب، عدم فهمهم لها؛ لعدم الأهلية، وغيرة عليها أن تذاع بين الحمر الأهلية، وقد ورد النهي عن إعطاء الحكمة غير أهلها من أهل القصور، وشبهها عند إعطائهم لو قبر على تلك المقصور، وقد قال الغمري - ذو السر المعمور -: من تكلم بالأسرار لذي الأغيار كان كمن قدم فائدة الحياة لأهل القبور.

ومن النصيحة التي تأمن صاحبها من الفضيحة: التنزل لعقول المحجوبين من أرباب الستور، والتكلم معهم بالنقول الصحيحة والاستدلالات الرجيحة الظهور، فهو أوفق لكل مهجور، خوفاً عليهم من الوقوع في مهاوي الدعاوى وقول الزور؛ لأن فهمهم قصر عن إدراكها، فيخشى عليهم من العلوق في أشراكها؛ وأما من تم من أهل النور فإنهم يكشفون به عن حقائق الأمور، فلا يجدون في سراهم ضلال، ولا يعتريهم فيه كلال، فضيق النطق إذا تكلم أهلك، والواسع ملك وملك، وهذا هو العمل بقول الأمين المأمون: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟»[1]، فإذا تكلم هو بين جمع فيهم النائل والمحروم، أتى بعبارة يفهمها العموم مجملة محتملة المفهوم، فيأخذ منه كل حاضر نصيبه المقسوم وحظه المعلوم، وكلما كتم العارف أسراره تشعشع نورها؛ فحمد أطواره، وإذا برزت بوادر غيبة أو دهشة بقي محلها فارغاً، فأورثت وحشة، وليس ثم من يكتم الأسرار في هذا النوع كالملامية الأمناء الأخيار، فإنهم ورثة الأنبياء في هذا التكتم الرفيع المنار.

قال الحموي، حاوي الفخار، في كتاب «العقد له الأحجار»: مواضع الأسرار، ومنابع الحياة والأرواح، فمن كتم سره منهم اتخذه الله أميناً، ودونهم في الكتمان النبات، ولكن لا يبلغ في حفظ السر مبلغ الأحجار، ألا ترى الأزهار تنم بما فيها؟ ودونهم في الكتمان الحيوان، ألا تراهم ينبهون بحركاتهم وأصواتهم على ما في نفوسهم؟ فهؤلاء

(1) رواه البخاري (1/59).

لأوصاف كونهم أمناء الله على ما يؤول الأمر إليه، ودونهم في الكتمان الإنسان، وفوقه هم، ومن في نوع الإنسان من يكتم ما لم يرد إذن بإفشائه؛ إلا أن الأنبياء والملامتية وهم أعلاء صنف هذا النوع، وعليهم يدور الأمر، وهم العرائس والصنائن، والمقصورات في الخيام، ومنهم الذين يقال فيهم: علماء أن لله أمناء، انتهى.

(فلمْ يرها) أي: فلم يشهدها على الكمال، ولا يحقق في حقائق ذلك الحجاب

(إلاّ فتًى) منصوب بإلا، كما في قوله ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: 249]، و«إلا» هي مختصة عن الأصح، وهو مذهب المبرد والزجاج وابن مالك، ووجهه من قوله الرضي: إن «إلا» مقوية لمعنى الاستثناء ومحصلة له، والعامل ما به يتقوى معنى المقتضي، وإن إلا دالة عن استثنى كما أن حرف النداء نائب عن أنادي، وقال البصريون: العامل الفعل، وقد جاء بعد تمام الكلام فشابه المفعول، قال في «المغني»: ولها أربعة وجوه

فتكون للاستثناء كما هنا، وتكون بمنزلة (غير) فيوصف بها جمع منكر أو شبهه، وتكون عاطفة، وتكون زائدة، انتهى.

و(الفتى) هو الشاب السخي الكريم، قال القشيري ـ رحمه الله تعالى ـ في الفتوة، وقال أبو بكر الوراق: الفتى من لا خصم له، وقال محمد بن علي الترمذي: الفتوة أن تكون خصمًا لربك على نفسك؛ سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: سمعت النصراباذي يقول: سمي أصحاب الكهف فتية؛ لأنهم آمنوا بالله تعالى بلا واسطة.

قلت: وبسبب هذا الإيمان أورثهم اليقظة والانتباه، أكرمهم الله تعالى بتلك النومة التي حفظتهم من الافتتان بعد الإذعان وزوال الاشتباه، وأكرمهم ثانيًا بنومة أخرى طويلة دين بين وأمن، إلى نزول روح الله فيوقظهم الله عنده، ويكونون وزراءه، ويسعد كل منهم بصحبته منه، وبصحبة غيرهم عصابة من المحمديين المقتبسين من نور مشكاته، وإليهم الإشارة بقوله ... من قربه الله وأدناه: «عصابتين من أمتي أحرزهما الله من النار: عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم»[1] رواه أحمد والنسائي والضياء، عن ثوبان، وقيل: يكونون مع المهدي أولاً ثم مع الروح الممسوح باعًا أطولاً

ثم قال: وقيل: الفتى مَنْ كسر الصنم، قال الله تعالى ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ﴾

[1] رواه النسائي (3/ 28)؛ ورواه أحمد (5/ 278)

رهبُم ﴿ [الأنبياء 60]، وقال تعالى: ﴿فجعلهم جُذاذًا﴾ [الأنبياء:58]، وصنم كل إنسان نفسه، فمن خالف هواه فتى على الحقيقة، وأتى في الباب بالعجب العجاب، وأنشد الأكبري المهاب في أول هذا الباب - في الباب الذي بعده المعقود في مقام ترك الفتوة، مستنبطًا من فتحه المكي المنساب - قوله

إن الفتوة ما يعطك صاحبها	مقدمًا عند رب الناس والناس
إن الفتى من له الإيثار تكرمة	فحيث ما كان فمحمول على الرأس
من إن تنزله الأهواء تقوتها	لكونه ثابتًا كالشامخ الراسي
لأخذن بحكمة: لا خوف يشغله	من المكارم حال الحرب والبأس
انظر إلى كسرة الأصنام متفردًا	بلا معين فذاك اللين الناسي

وقال في الباب الذي بعده، المعقود في مقام ترك الفتوة بعدما ذكر صاحب السفرة التي تركها للنمل، وقول شيخه له: لقد دققت هذا الفعل من باب التدقيق في الفتوة، ونعم ما فعلت، ونعم ما فاته؛ فلو قال أحد هذا الشيخ كيف تشهد له بالتدقيق في الفتوة من جهة المدح، والأضياف متألمون بالتأخير، وهو أفضل من النمل، ومراعاتهم أولى من مراعاة النمل؟ فإن قال الشيخ النمل أقرب إلى الله - من حيث طاعتهم لله - من الإنسان؛ لما يوجد من المخالفة وكراهة بعض الأمور التي هي غير مستندة، قيل: وجسم الإنسان وجوارحه وشعره وبشره ناطق بتسبيح الله تعالى كالنمل، وهو يشهد يوم القيامة على النفس الناطقة الكافرة الجاحدة؛ ثم قال: فكان الأولى مراعاة الأضياف الذين أمر الشارع ﷺ بتعجيل تقديم الطعام لهم، فلو تفتى هذا الخادم وترك السفرة للنمل، واستأذن الشيخ وعرفه القضية، ونظر من تقديم أمر آخر للأضياف كان أولى، وأرق في باب الفتوة... إلخ

(في الهوى): مقصود العشق؛ ومعناه ميل الطباع بشهوة، وإنه بمعنى المحبة، غير أن معناه أعم منها؛ لاستعماله في الخير والشر، والمحبة خاصة بالخير، والمراد به هنا المحبة وسبب بعض النسبة عليها.

(تَمّا) أي: كمل، والألف للإطلاق، والمعنى: السالك بأمر الإطلاق أحسب

حجبها عن من ليس من أهلها، فلم يشهد كمالها، ولم يباين سنا أنوارها حتى رفع أستارها، إلا الذي بلغت به مقام الكمال في الغرام، وأوصلته درجة التفضيل بعد الإجمال لأذواق هيبة، فدل رتبته في الحب لا ينال إلا عنه ذي الجلال والإكرام، وعرّفته نصفته وأذواقه، فصار الأحوال الحسان، ولم يحجب بها عن شهود المآل، ولزم الإدلال، واعترف الإدلال في المقام كحجبه الرجال أرباب المجال عن عبوديتهم، بسد المقام عن كرف عرف المقام

ولو له نقطة فيها يحار فيها العالم النحرير، وهي نقطة الأكوان إن جوزتها كنت الحكيم، وعممت الإكسير، وكمل من تم هواه، فقد تم عليه حوّاه، فهذا الذي يد أمده الله تعالى وقواه، يُعطيه من الحب الذي رفعت ألواه، ما لو وضع جزء منه على الكون لذاب مع ما حواه، وهذا حتى من شرب قطرة من بحار الحب فطواه وكواه، ثم من يشرب كأسًا وكوبًا على قدر ما حصه الذي سواه، ولم يشرب هذا البحر على الكمال إلا سيد أهل الكمال، فرد الجمال من إليه أواه، حتى اطلع على أسرار الحب المغيبات في سرادقات الشرب من بحر العرفان، فإذا المراد في هذا البيت هو ﷺ لا سواه، وإن قصد غيره، فعلى المجاز عنه تجوز بل به داواه، ومقام تمام الحب هو مقام الكمال المطلق، هو عبارة لدى أهل القرب.

قال الجيلي، ذو الإبداع في «غنية أرباب السماع»: الكمال المطلق هو عبارة عن مقام إلهي فيه يعطي الكامل حقائق الأشياء حقها بالتمام والكمال، فيتصف بسائر صفات الربوبية ويتصف بجميع أوصاف العبودية، ويعطي كل صفة من الصفات الكمالية، والصفات النقصية، حقها من ذاته بغير إخلال ولا إضلال، بشأن إلهي عن شأن حقي عن شأن حقي، وصاحب هذا المقام هو الفرد الجامع، انتهى.

ولما توسل بالأسرار الباطنة المستورة، ناسب أن يتوسل بالبدر الأعظم ذي الأنوار الظاهرة المنظورة، فلذا قال، صاحبه الكبير المتعالي: (بِبَدْرٍ) قال في «القاموس»: البدر القمر الممتلئ، ثم قال: وجمعه بدور وبُدُرٌ، وقال في «تهذيب الصحاح»: والبدر سلاح تسرعوا إلى أخذه، ومنه شمس البدر لمبادرته الشمس بالطلوع، وقيل سمي به لتمامه، انتهى.

والهلال غرة القمر، والقمر يكون في الليلة الثالثة، أو لليلتين أو إلى ثلاث وإلى سبع، والبدر القمر الممتلئ الذي قابل الشمس مقابلة تامة، ولا يقابلها على التمام إلا ليلة

الرابع عشر، وبعض ليلة الخامس عشر، والمراد به هنا السيد الذي بادر قمر ظهوره شمس الوحدة بالظهور والطلوع، وامتلأ وجوده بالنور الإلهي الذي من سائر حضرات الأسماء مجموع، فهدى نوره كل ضال من الأصول والفروع، واتصل به المقطوع وارتفع به الوضيع وانمحى به السحر الموضوع وانخفض لواء الشرك والظلام المرفوع، وانجبر به المكسور، فهو بما معه مرفوع بسند المدح المجيد البحر الخضم ﷺ، ووجه شبهه بالبدر: إنه نور محض يعم بوشره القاصي والداني، ويهتدي به الحائر الخائر العاصي، والجاهل الجاني.

يروى أن بعض الصحابة قال: نظرت إلى وجه رسول الله ﷺ وإلى القمر ليلة البدر، فكان وجهه ﷺ أنور منه، قال شارح «الدلائل»: قال أبو الخطاب بن دحية عن تشبيه البراء بن عازب وجه رسول الله ﷺ بالقمر: أبدع من غير تشبيهه بالشمس؛ لأن القمر يملأ الأرض بنوره ويؤنس من يشاهده، ونوره من غير حر يفزع ولا كلل يزعج، والناظر إلى القمر يتمكن من النظر، بخلاف الشمس فإنها تغشي البصر، وتجلب للناظر الضرر، انتهى.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: ما رأيت أحسن وجهًا من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه، فإذا ضحك يتلألأ في الجدر، وقال جابر بن سمرة: كان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف، قال: لا، بل مثل الشمس والقمر، وكان مستديرًا، وكان البراء بن عازب يقول: ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله ﷺ.

وقال علي كرم الله وجهه: **«ما بعث الله نبيًا إلا حسن الوجه حسن الصوت، وكان نبيكم أحسنهم وجهًا وأحسنهم صوتًا»**(1) رواه الدارقطني عن قتادة، وحكاه الترمذي عنه أيضًا.

وقال علي كرم الله وجهه في أمره وشأنه: **«من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبه»**(2)، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله، وهذا كقول عبد الله بن أبي رضي الله عنه:

«لو لم تكن فيها آيات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر»(3)، والحاصل أن البدر

(1) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (1/ 376)، وذكره الحافظ في فتح الباري (7/ 210).

(2) رواه الترمذي (5/ 599).

(3) ذكره ابن حجر في الإصابة (4/ 95).

مكتسب من أنوار الحسية؛ إذ هو النور السَّاري في الحقائق الوزانية، و لتحصن من لاجسام الطبيعية؛ إذ هو نور كله، عُرف ذلك من عدم وجود ظل له ﷺ على الأرض

وأشار الوصيري -رحمه الله تعالى- بقوله:

ومدا مـا مـشى محا سوره الظل	وقـد يثـبت الظـلال الـضحى

وكذا حبيبي رحمه الله تعالى - في تائيته التي نظم فيها المعجزات، فقال

لقـد سره الـرحمن ظلـك أن يُـرى	عـلى الأرض ملقـىً، فانطـوى لمـزيه
وأثـر في الأحجـار مـشيك، ثـم لم	يـذثـر بـرمل حـل بطحـاء مكـه

قال شارحها رحمه الله تعالى: قيل: إنه - عليه الصلاة والسلام - كان لا يقع ظله على الأرض، لأنه نور روحاني، بيت:

مـا يطـه رأى الـبرية ظـلاً	هـو روح، ولـيس للـروح ظـل

والنور لا ظل له، وكذا الروحانيات كالملائكة؛ لأنها أنوار مجردة، وقيل: قصد أظهر لأمية لئلا يقع ظل يده على اسم الله لو كتبه، ولا يحمي ما فيه، وقيل: لم ير ظله؛ لأن لعيم يطمه، وقيل: به تكريم له لئلا ظله على الأرض فيوطئ، ونقل أن بعض اليهود كان يطأ على ظل المسلمين إهانة لهم، فصين؛ لئلا يُمتهن، وقيل غير ذلك، انتهى

وأنشد الخفاجي -رحمه الله تعالى- في رباعيته:

مـا جـد لظـل أحمـد أذيـال	في الأرض كـرامة، كـما قـد قالـوا
هـذا عجـب، وكـم بـه مـن عجـب	والـناس بظلـه جمـيعاً، قالـو

(أتى) جاء، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة 128]

(يهدي)، أي يرشد ويدعو إلى الحق على بصيرة، قال الله تعالى: ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ [الشورى 52]، أي: ما ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص 56]؛ أي ... هداية لمن أردت، على يد من أردت، وأصل الهداية البيان و الدلالة، ويوصف بها ... سبحانه ونبيه، ويطلق على خلق الاهتداء، وهذا خاص به تعالى، و على

هدى ومنه ﴿ولكل قوم هاد﴾ [الرعد 7]، ولا يستعمل إلا في الخير، وقوله ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ [الصافات 23] تهكم، ومن أسمائه ﷺ (هدي)؛ لأنه عين هداية، و(مهدي)؛ لأنه هدى الأنام نهاية وبداية، أو بضم الميم، من أسماه وأهداه من ثمرته والوهبة، والتعريف الذي هو أجل عطيه تمحق غوائله، وهدايته عليه الصلاة والسلام تكون لظواهر الأحكام، وإلى بواطنها تكون بإتقان وإحكام، والأول عامة، خدمة الأنعام، والثانية خاصة بآل عمران الاختصاص والإكرام، من مدت لهم مائدة (فيهم) لأنهم سورة الأنعام؛ وثم نوع خاص بخاصة الخاصة من خاصة الأصحاب الأفخام - كشيخي الإسلام - المعمرين.

وأول من لقبهما به رابع الخلفاء الأعلام، ولما كان الصديق الأكبر ﷺ أوسع من الفاروق بعدُ، بتصديق وتحقيق وإقدام، خصّه المصطفى - حبيب العلام - بصب ما صب في صدره، فكان غيبة سره، فإن من هدايته الخاصة وليلة قدره، وهو من استعداده، كان الخليفة من بعده، وبسابق تخصيص أزلي من مولاه وسابق وعده، وتقربه من باطنه وسره العلي قدَّمه على عمه العباس، وابن عمه عليٍّ، واتضح بعبير هذه الأرواح أن قرب الأرواح مقدم على قرب الأشباح، وهذا القرب هو الذي قدم سلمان، وأحرز رتبة فحرم الأمان، وحيث كان باب الهداية لم يفتح إلا بواسطته، وبسببه ختم بالمهدي رجل من أمته، وعلى قدمه ومن خدمه وأهل نسبه؛ ليكون به الفتح والختام ومرج الزمان، به يلتئم.

(الأنام) أي: الخلق، قال في «القاموس»: الأنام كسحاب، والأنام بالمد، والأنيم: الأمير، أو الجن والإنس، أو جميع ما على الأرض، انتهى.

(الحَيِّكُمْ). والحي: واحد أحياء العرب؛ كما في «التهذيب»، أو البطن من بطونهم، وجمعه أحياء، كما في «القاموس»، أي: لمنزل كرامتكم ودار سلامتكم، والميم للتعظيم، والمراد به هنا حصن الأمان، وركن الإذعان لشهود العيان، وحمى الأوامر والنواهي التي تحلب لمهملها الدواهي، وتجلب إلباث الشقاء لملازمها، فإن الدواهي ومرب القرب الذي حمته به أن ينتهي؛ إذ القريب فيه بعيدي، والكئيب يتناجى يا إلهي، وهو مقر البقاء وموطن الصفاء، ووادي الأفراح ووادي الانشراح، وبيت الصغار ومسكن الوفاء، ودار الأماني وحماء التهاني، ومكان الأمكان ومنزل الإحسان

وكان هذا النذير العريان الذي جاء بالأمن والإيمان؛ لما عرفه الشفيه بمقصده ومن يقصده من مقصده، وأطلعه على المقرب إليه والمقبول لديه، أخذ يهدي الأمم لذلك ويحجزهم عن الوقوع في المهالك، وطرح زين المهالك بما هنالك، فقال «مثلي ومثلكم، كمثل رجل أوقد نارًا، فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها، وهو يذبهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار تفلتون من يدي»[1] رواه أحمد ومسلم عن جابر (فَكَمْ) الفاء للتفريع وكم للتكثير.

(فَازَ) أي: ظفر، قال في «القاموس»: الفوز النجاة والظفر بالخير، والهلاك ضد النجاة: فاز مات، وبه ظفر ومنه نجا، انتهى.

(بِالْخَيْرَاتِ): جمع خير، وهي الفاضلة من كل شيء، قال الله تعالى ﴿ وَأُولَـٰئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ﴾ [التوبة:88]، قال القاضي: منافع الدارين، النصر والغنيمة في الدنيا، والجنة والكرامة في الآخرة، وقيل: الحور، لقوله تعالى: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ [الرحمن: 70]، وهي جمع خيرة، تخفيف خَيِّرَة، انتهى.

وقال ابن عباس: «لا يعلم معنى الخيرات إلا الله»[2]، نقله الكواشي، والخير ضد الشر، قال الخفاجي- رحمه الله تعالى- في شرح «الشفاء»: وهو النفع الذي يرغب فيه، ويكون صفة مشبهة، وخيرٌ أفعل تفضيل من أخير؛ كشر من أشر، وهو يطلق من أصله إلا نادرًا؛ كقوله: بلال خير الناس، وابن الأخير، وقرئ في الشواذ: سيعلمون غدًا من الكذاب الأشر شر، ويكون صفة؛ كالخيِّر بالتشديد، انتهى.

(مَنْ) أي: الذي (رَكِبَهُ) أي: ركب ذلك النذير المنير البشير النذير، وركبه: كناية عن شيعته وأنصاره وأصحابه المهتدين؛ كأنواره السائرين سيره، الطائرين بركبه وخيره، وكل تابع سيوم لقيمة فهو مندرج في ركبه المصحوب بالسلامة، غير أن الأولية هنا مرتبة، والمصدقون أولاً من الأصحاب لهم امتياز عن غيرهم عند رب الأرباب، وقد جمعهم بوابه في الاقتداء؛ ليهتدي بهم طالب الاهتداء، سيما الخلفاء من بعده الحافظين حرمة عهده.

---

[1] رواه مسلم (4/ 1790)، ورواه أحمد (3/ 392)

[2] في تفسيره للكواشي (2/ 295/ ق)

فقال فيهم: «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ»[1]، ثم عمم وأباح للطلاب سلوك سبيل أي من كان من الأصحاب، فقال: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[2]، وأي نور أعظم من نور متابعته، وأي نجو أحسم من جور اتباعه، فهنيئًا لمن لاحقه ذلك الركب، (أَمَّا): أي قصده، والألف للإطلاق، فإن من قصده فإن الله قصده، ومن رصده الناس بركاته ورصد ذاته فقد رصده، ومن أتى الباب دخل، ومن دخل ارتقى، ومن ارتقى استمى، ومن استقى استعد نفسه، ومن استعد تلقى، ومن تلقى نال البقاء، ومن بقي وصل، ومن وصل حصل وحصن، ولمن انفصل، أتدرك بلقيه ما لا يدرك ولا يترك ولا يرتقي، كيف وصحبة هذا البدر التمام صحبة الله القدوس السلام، ومحبته محبته، ومبايعته مبايعته؛ لرفعة الجاه والمقام، وذلك سبيل المحبة في مراد المحب في مراد الحبيب، ليحصل له المرام، فناسب أن يلحق هذا البيت المتقي بالتوسل بأهل الفناء، والسكر والصحو والبقاء؛ فقال بعد ما جنى في مجال المحو، وبعد مشيه فيه عنًا، (بِأَهْلِ الفَنَا)، أي أتوسل بسر أهل الفناء عنك.

قال الإمام القشيري -رحمه الله تعالى- أشار القوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف الذميمة، وأشاروا بالبقاء إلى الأوصاف المحمودة، وإذا كان العبد لا يخلو عن أحد هذين القسمين، فمن المعلوم: أنه إذا لم يكن أحد القسمين كان القسم الآخر لا محالة، فمن فني عن أوصافه المذمومة استترت عليه الصفات المحمودة.

واعلم أن الذي حصل به العبد أعمال وأخلاق وأحوال؛ فالأعمال تصرفاته باختياره، والأخلاق جبلة فيه، ولكن تتغير بمعالجته على مستمر العادة، والأحوال ترد على العبد على وجه الابتداء؛ لكن صفاؤها تقدر بها الأعمال، فهي الأخلاق من هذا الوجه؛ لأن العبد إذا نازل الأخلاق بقلبه، ونفى بجهله سفسافها، من الله تعالى عليه بتحسين أخلاقه، وكذلك إذا واظب على تزكية أعماله بذل وسعه من الله تعالى عليه بصفقه أحواله، بل بتقوية أحواله، فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة، يقال: إنه فني عن شهوته، وإذا فني عن شهوته بقي بنية إخلاصه في عبوديته، ومن زهد في دنياه عنه

---

(1) رواه المروزي في السنة (1/ 27)

(2) ذكره المناوي في فيض القدير (6/ 297)

فني عن رغبته، وإذا فني عن رغبته بقي بصدق أمانته، ومن عالج أخلاقه بنفي عن قلبه الحسد، والحقد، والبخل، والشح، والغضب، والكبر، وأمثال هذا من رعونات النفس

فقد فني عن سوء الخلق، فإذا فني عن سوء الخلق بقي بالفتوة والصدق، ومن شاهد جريان قدرته في تصاريف أحكامه، فقد فني عن حسبان الحدثان من الخلق، فقد فني عن توهم الآثار من الأغيار بقي بالحق، ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عينًا، ولا أثرًا، ولا رسمًا، ولا طللًا، يقال: إنه فني عن الخلق، وبقي بالحق، ففني العبد عن أفعاله الذميمة، وأحواله الخسيسة بعدم هذه الأفعال، وفناؤه عن نفسه وعن الخلق بزوال إحساسه بنفسه وبهم، فإذا فني عن الأفعال، والأخلاق، والأحوال فني عن نفسه وعن الخلق، فتكون نفسه موجودة والخلق موجودين، ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق، غير محس بنفسه وبالخلق، وقد يرى الرجل يدخل على ذي سلطان، أو محتشم، فيذهل عن نفسه وعن أهل مجلسه، وربما يذهل ذلك المحتشم، حتى إذا سئل بعد خروجه من عنده عن أهل مجلسه، وهيأت ذلك الصدر، وهيأت نفسه، لم يمكن الإخبار عن شيء، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف:31]، لم يحدث عند لقاء يوسف عليه الصلاة والسلام – على الوهلة – إلا قطع الأيدي، وهن أضعف الناس، وقلن: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف:31]، ولقد كان بشرًا، وقلن: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:31]، ولم يكن ملكًا، فهذا تغافل مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق، فما ظنك بمن يكاشف بشهود الحق سبحانه وتعالى؛ فلو تغافل عن إحساسه بنفسه وأبناء جنسه، فأي أعجوبة فيه، فمن فني عن شهوته بقي بإنابته، ومن فني عن رغبته بقي بزهادته، ومن فني عن أمنيته بقي بإرادته، وكذلك القول في جميع صفاته، فإذا فني العبد عن صفته بما جرى ذكره يرتقي منه عن فنائه، وعن رؤية فنائه، وإلى هذا أشار قائلهم:

وقوم تاه في أرض بقفر / وقوم تاه في ميدان حبه

فأفنوا، ثم أفنوا، ثم أفنوا / وأبقوا بالبقاء من قرب قربه

والأول فناؤه عن نفسه بفنائه بصفات الحق، ثم فناؤه عن صفات الحق بشهود الحق، وفناؤه واستهلاكه في وجود الحق. انتهى.

قال حبيبي رحمه الله تعالى في «غنية أرباب السماع»: الفناء هو عبارة عن فقدان

لوازم البشرية؛ إما ذهولاً عن علمه به، أو علمًا بانعدامه، أو حالاً حقيقيًا، وهو على سبعة مراتب لكل مرتبة منها اسم مخصوص.

المرتبة الأولى: الذهول: هو عبارة عن عدم شعور العبد بنفسه عند الاستغراق في ذكر الحق لأهل الحجاب، أو عند بروز أنوار الجمال لأهل الكشف.

المرتبة الثانية: فالذهاب: هو عبارة عن فناء العبد عن أفعاله بسيره، وذهابه في الحق، فتكون أفعاله جميعًا أفعال الله، ويكون العبد في هذه المرتبة كمثل القلم بيد الكاتب تقلبه الأصابع كيف شاءت في اليد؛ فالكتابة ولو كانت صادرة عن القلم إنما هي فعل الكاتب لا فعل القلم، وهذا معنى الذهاب؛ لأن العبد ذهب عن فعله لشهود فعل الله به، وقد يطلق اسم الذهاب على الترقي مطلقًا، سواء كان في سيره إلى الله، أو في الله.

المرتبة الثالثة: السلب: هو عبارة عن فناء صفات الخلق بظهور صفات الحق، فتسلب في هذا المشهد جميع أوصاف العبد، وتكون صفات الله تعالى عوضًا عنه، فيكون سمعه، وبصره، وعلمه، وحياته، وقدرته، وإرادته لله تعالى. ويكون العبد نسبته نسبة مرآة ينسب إليها ما ظهر من حليتها الصورة فيها، بل الحسن، والجمال للصورة المتجلية لذلك، فتكون تلك الصفات الظاهرة في العبد غير منسوبة إليه؛ بل هي منسوبة إلى الله تعالى؛ إذ هو المتجلي بصفاته في مرآة الكون، فالعبد في هذه المرتبة مرآة ظهور الحق فيها بصفاته؛ فالصفات صفات الله، والعبد مجلى ظهورها.

المرتبة الرابعة: الاصطلام: هو عبارة عن فناء العبد في ذاته لوجود ذات الحق، فيبقى العبد من حكم الوجود، فلا يكون له وجود؛ بل الوجود لله، والعدم للعبد، فلا يخطر بباله أنه موجود بحال؛ لعلمه بعدمه ذاتًا وصفات.

المرتبة الخامسة: الانعدام: هو عبارة عن فناء العبد عن فنائه، فلا يبقى عنده شعور بأنه فني؛ بل يفنى عنده جميع صفاته وأحكامه، وذاته [وأفعاله]، فلا يبقى عنده عدمه فيتحقق بمقام الانعدام، وفي هذه المرتبة يقال فيه واحد، ومن هذا المشهد ينتقل إلى مقام البقاء، وسيأتي بيان البقاء في محله.

واعلم أنه لا يلزم من تحققه بالانعدام أن لا يبقى فيه أحكام البشرية؛ بل يجوز أن يتحقق بمقام الانعدام، وفيه البقاء؛ لأن هذا التحقق إنما هو من حيث عدمه، وعدمه لا من حيث لا هو عليه في الظاهر؛ لأن جسمانيته باقية على حالها، وإنما هو محجوب بالله عن

لشبه به وأحكامها، والذي تزول عنه البشرية سائر أحكامها إنما هو في مقام الطمس والمحو، وسيأتي بيانها في هذا المحل إن شاء الله تعالى.

المرتبة السادسة: السحق. هو عبارة عن زوال الحس من نفس العبد؛ فتقبل الأوصاف الإلهية من غير تعمل، ولا تعقل، ولا استحضار؛ بل تقبل صفات الحق كما تقبل صفات نفسه؛ لا يبقى عنده بينهما فرق، وهذه المرتبة من أول مقامات التحقيق، فيه يتحقق العبد بالله، أو من حيث تجليه عليه، وتوليه له، وتقريبه إليه، وهو مقام عزيز؛ لأن النفوس مجبولة على الأوصاف الخلقية من العجز، والذل، والحقارة، والعدم، والحصر، وأمثال ذلك مما هو طبع البشر، ولازم المخلوقية؛ فإذا نسب إليها شيء من صفات القدرة، والعز، والكبرياء، والعظمة، والألوهية بالطبع، والضرورة؛ وإن قبلت شيئًا من ذلك فمن تعمل، وتصنع، وبعد استحضار لأصليته، أو بإيمان يؤمن به، ولم تطمئن له النفس، ولم يستكن، ويشتبه ذلك على كثير من العارفين، إذا وجد فيه شيء من صفات الله تعالى، فيظن أن الحس قد زال عن نفسه بالكلية، وليس الأمر كذلك، اللهم إذا صار في مقام الانعدام، وعلامته ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يقبل بذاته سائر الأوصاف الإلهية.

الثاني: أن لا يجد فرقًا بين قبول صفات الله، وبين قبوله صفات نفسه؛ بل يقبل هذا كما يقبل هذا بالسواء من حيث الوجدان.

الثالث: أن لا يحتاج في قبوله صفات الله إلى استحضار اسم، ولا إلى تعقل معنى؛ بل بمجرد ما هو عليه، يقبل ما يعلمه الله بذاته سبحانه وتعالى.

المرتبة السابعة: المحق. هو عبارة عن زوال الحد والحصر من جسمانية العبد، وروحانيته معًا؛ فإن اليد مثلاً ليس في جبلتها الطبيعي أن يكون فيها قوة المشي على الهوى، على أن القدرة الإنسانية فيها جميع ذلك، وإنما تقييد النفس بالعادات منعه، وحصرها عن ذلك وحصرها على حد لا تتعداه الجوارح، فإذا زال الحصر عن الجارحة ظاهرًا، أو عن النفس باطنًا، فقد تحقق هذا العبد، وتحقق بهذه المرتبة الشريفة، ومنها ينتقل إلى مقام الطمس

المرتبة الثامنة: الطمس. هو عبارة عن ذهاب أحكام البشرية مطلقًا من طبعه، وعادته، وظاهره، وباطنه فلا يغيره الجوع المفرط، ولا السهر الدائم، ولا الزلازل

الطعام؛ بحيث إنه لا تدعوه نفسه في ذلك إلى غيره؛ وإذا سهر لا تدعوه نفسه إلى النوم، وإذا جاع لا تدعوه نفسه إلى الأكل، وكذلك في سائر أحواله، والأمور العادية والطبيعية مع زوال الحصر عنه؛ كما سبق في المرتبة الأولى التي هي قبل هذه المرتبة، والفرق بين المحق والطمس أن الممحوق، ولو زالت عنه أحكام الحد والحصر المتعلقين بالأجسام؛ فإنه لا يشترط فيه زوال عنه أحكام البشرية، والمطموس شرطه أن يزول عنه أحكامها.

المرتبة التاسعة: المحو: هو كمال الفناء؛ لزوال سائر الآثار الخلقية بظهور الآثار الحقية؛ فإن المحو شرطه ظهور آثار الحق على هيكل الإنسان؛ لأنها - أعني آثار الحق - لا ينشأ ظهورها على جوارح العبد إلا لوجود بقية فيه، وعلامة زوال ظهور أثر الحق على جميع الجوارح.

واعلم، أن هذه المراتب الأربع التي هي: السحق، والمحق، والطمس، والمحو مخصوصة بأهل مقام البقاء دون المراتب الخمس الأول، فإنها مخصوصة بأهل مقام الفناء؛ لأن الباقي بصفته من صفات الله لا يظهر عليه أثرها إلا بعد التحقق بمقام المحو، وهو غيبة نفسه عن الكيفيات، والحدود الخلقي، وأما قبل التحقق بهذا المقام لا يظهر الأثر كله على جوارحه بحكم الاختيار، ولو كان في مقام البقاء، وهذا لا يعرف بطريق العقل والفكر، ولعل طائفة من المتصفين المتشدقين بعلوم الحقيقة لا يسلمون في ذلك؛ لزعمهم أن الباقي من شرطه أن يكون متصفًا بسائر أوصاف الكمالات، وليس الأمر كذلك؛ بل الناس في مقامات البقاء على درجات، والله أعلم، انتهى.

وقال النقاني قدس الله سره: وأكثر العارفين أضافوا معرفة الله إلى فناء الوجود، وفناء الفناء، وذلك غلط، وسهو واضح؛ فإن معرفة الله لا تحتاج إلى فناء الوجود ولا فناء الفناء؛ لأن الأشياء وجود لها، وما لا وجود له لا فناء له، وفي إضافة معرفة الله تعالى إلى فناء الوجود وفناء الفناء إثبات الشرك؛ لأنك إذا أضفت معرفة الله تعالى إلى فناء الوجود، وفناء الفناء كان الوجود لغير الله تعالى ونقيضه، وهذا شرك واضح؛ لأن النبي ﷺ قال: «من عرف نفسه، فقد عرف ربه»(1)، ولم يقل من أفنى نفسه فقد عرف ربه؛ فإن إثبات الغير يقتضي فناءه، وما لا يجوز ثبوته لا يجوز فناؤه، ووجودك لا شيء، والشيء لا يتصف

(1) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (10/208).

في شيء، لا فان ولا غير فان، ولا موجود ولا معلوم، انتهى.

لكن القوم إنما ذكروا الفناء وأثبتوه، أولاً: لوروده في الكتاب والسنة، وثانيًا: فقد أدرك أهل السير ذوقًا من عين المنة، فإن الوجه الخلقي غير منتفٍ بالكلية للنصوص القطعية، فمن نظر لتقدم الخمر، وهو شهود حق من غير خلق تفاه، ومن نظر للمعرف الثاني، وهو شهود حق وخلق أثبته، وهذا مقام الكمال، وأنشد العارف من بحر الجلال، والجمال

لا بـد مـن عـين عـبد، وهـي ثابـتة حتـى تـصح محاكـاة مـن الحاكـي

وقوله: حتى تفنى ما لم يكن أي من القيود الرسمية، والحدود الوهمية، ويبقى ما لم يزول، وهي الأثر الخفية، والصفات الربية، وأنشد الجيلي في إنسانه، منحه الله من منته

ما الحقيقة إلا اسم الوجود على حكم المجاز وفي التحقيق ما أحد

فعندما ظهرت أنواره سلبوا ذاك التسمي فلا كانوا ولا فقدوا

أفناهم وهم، وفي عينهم عدم وفي الفناء فهم باقون ما جحدوا

فعندما عدموه صار الوجود له وكان ذا حكمها من قبل ما وجدوا

فالعبد صار كما أن لم يكن أبدًا والحق كان، كما أن لم يكن أحد

لكنه عندما أبدى ملاحته كسى الخليقة ثوب الحق فاتحدوا

أفنى، وكان عن الفاني به عوضًا وقام عنهم، وفي التحقيق ما فقدوا

كالموج حكمهم في بحر وحدته والموج في كثرة بالبحر متحد

فإن تحرك، فالأمواج أجمعها وإن تكثر لا موج ولا عدد

(وَ لِسُكْرٍ) أي: واسألك بأهل السكر الذين غيبهم الوارد القوي عن سلوك سبيل الصحو لسوى، والوارد إما أن يكون أقوى من المحل الوارد عليه، فيظهر الضعف بسبب قوة الوارد عليه، أو يكون المحل أقوى فلا يظهر له حكم، أو متساويان قوة وضعفًا، فحينئذ قال الإمام القشيري رحمه الله تعالى: الصحو رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة،

والسكر غيبة تورد قوي، والسكر زيادة على الغيبة من وجه، وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوطًا إذا لم يكن مستوفيًا في سكره، وقد يسقط اختيار الأشياء عن قلبه حال سكره، وتلك حالة المتساكر الذي لم يستوفه الوارد؛ فيكون للإحساس فيه سبيل، وقد يقوى سكره حتى يزيد على الغيبة، وربما يكون صاحب السكر أشد غيبة من صاحب الغيبة إذا قوي سكره، وربما يكون صاحب الغيبة أتم في الغيبة من صاحب السكر، إذا كان شكرٌ غير مستوفٍ، والغيبة قد تكون للعباد بما يغلب على قلوبهم مما يوجب الرغبة والرهبة، ومقتضيات الخوف، والرجاء، والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجيد؛ فإن كوشف العبد بنعت الجمال حصل السكر، وطرب الروح، وهام القلب، وفي معناه أنشدوا:

صحوك من لفظي هو الوصل كله وسكرك من لحظي يبيح لك الشربا

فما مل ساقيها، وما مل شارب عقار لحاظ، كأسه يسكر اللبا

فأسكر القوم دور كأس وكان سكري من المدير

وأنشدوا:

لي سكرتان وللندمان واحدة شيء خصصت به من بينهم وحدي

سكران سكر هوى وسكر مدامة فمتى يفيق فتى به سكرات

قال الأستاذ - رحمه الله تعالى: واعلم أن الصحو على حسب حال السكر، فكل من كان سكره بحق كان صحوه بحق، ومن كان سكره بحظ مشوبًا كان صحوه بحظ مصحوبًا، ومن كان محقًا في حاله كان محفوظًا في سكره، والسكر والصحو يشيران إلى طرف من التفرقة، وإذا ظهر من سلطان الحقيقة علم؛ فصفة العبد الثبور القهر، وفي معناه أنشدوا قولهم:

إذا طلع الصباح بنجم راح تساوى فيه سكران وصاح

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف 143]، هذا مع رسالته خرَّ صعقًا، وهذا مع صلابته وقوة الجبل صار دكًّا مكسرًا، والعبد في حال سكره يشاهد الحال، وفي حال صحوه يشاهد العلم؛ إلا أنه في

حالة سكره محفوظًا بتصرفه لا بتكلمه، وفي صحوه محفوظًا بتصرفه، والصحو والسكر بعد الذوق والشرب، انتهى.

وقال الإمام السهروردي ﷺ في «عوارف المعارف»: والسكر استيلاء سلطان الحال، والصحو العود إلى ترتيب الأفعال وتهذيب الأقوال، قال محمد بن خفيف: السكر غليان القلب عن معارضات الذكر المحبوب.

وقال الواسطي: مقامات الواجدين أربعة: الذهول، ثم الحيرة، ثم السكر، ثم الصحو، كمن سمع بالبحر ثم دنى منه ثم دخل فيه، ثم أخذته الأمواج، ومن بقي عليه أثر من سريان الحال؛ فعليه أثر من السكر، ومن عاد كل شيء منه إلى مستقره فهو صاحٍ؛ فالسكر لأرباب القلوب، والصحو للمكاشفين بحقائق الغيوب، انتهى.

قال الملائي -رحمه الله تعالى- في «جنة المعارف»: والسكر نظر القلب إلى الصفات والنعم التي يرد عليه مع سقوط التمالك، ومتى تبرأ من هذه الأمور، وبقي به تعلق فصحو، انتهى.

وقال الهروي -رحمه الله تعالى في باب السكر: رب أرني أنظر إليك. السكر في هذا الباب اسم يشار به إلى سقوط التمالك في الطرب، وهذا من مقامات المحبين خاصة، فإن عيون الفناء لا تقبله، ومنازل العلماء لا تبلغه، وللسكر ثلاثة علامات: الضيق من الاشتغال بالخبر والتعظيم قائم، واقتحام لجة الشوق والتمكين دائم، والغرق في بحر السرور والصبر هائم، وما سوى ذلك فحيرة تنحل اسم السكر إليه جهلاً، أو هيمان يسمى باسمه جورًا، وما سوى ذلك فكله نقائص؛ كسكر الحرص، وسكر الجهل، وسكر الشهوة، انتهى.

قلت: وأنشد بعض من أرشد لسكرات نقص ينبغي اجتنابها، فقال:

سكرات خمس، إذا مني المرء بها ... صار خلسة للزمان

سكرة المال والحداثة والعشـ ... ـق، وسكر الشراب والسلطان

وقال سيدي محيي الدين -قدس الله سره- في (الباب في معرفة مقام الفتوة وأسرارها) بعد كلام طويل: فالتوقيف في الإطلاق، و(ألم)، أي: إطلاق أسماء لم يُسم الحق بها نفسه، وما فعل هذا سبحانه كله إلا ليُعلم الخلق الأدب منه؛ إذ قد علم أن من أهل الله من له

شطحات، لنتأدبوا فلا تشطحوا؛ فإن الشطح نقص بالإنسان؛ لأنه يمحق نفسه فيه بمرتبة الإلهية ويخرج عن حقيقته؛ أي: لأن الشطح إطلاق من وثاق قيود، وخروج عن دائرة حدود، وبه يخرج عن حقيقة عبوديته، ويغفل عن شهود نقصه وكمال سيده، وأحديته، فيحققه الشطح بالجهل بالله وبنفسه، وقد وقع من الأكابر، ولا أسميهم؛ لأنه صفة نقص، وأما رعاع الناس فلا كلام لنا معهم؛ لأنهم رعاع بالنسبة إلى هؤلاء السادة، وإذا وقع مثل هذا من السادة، فعليهم يقع العتب منا، وقد شطح الأدنى على الأعلى؛ كمثل الشطحات على مراتب الأنبياء، وهي أعظم عند الله في المؤاخذة من شطحهم؛ في مرتبة الإله تكذيبهم عند السامع؛ وأما شطحهم على الأنبياء فموضع شبهة، يمكن أن تقبل النصحة في نفس الأمر فيعتبر السامع الحسن الظن به الذي لا معرفة له بمراتب أصناف الخلق عند الله، فيعذر الله بذلك، من حيث هو حق للغير، وما يؤثر من الضلال في الناس والنفس، فيؤاخذ صاحب الشطحة بها، ولا سيما إن ظهرت منه في حال صحو، وكذلك الشطحات المقولة عن السادة من رؤية فضيلة حسبها من البشر عن الملائكة جهلاً منهم، وهم مسؤولون، أو مؤاخذون بذلك عند الله، والعالم بالله الكامل هو الذي يحمي نفسه أن يجعل الله عليه حجة من الوهب، زاد من زال أن يسلم من ذلك، فليتق عند الأمر والنهي، وليرتقب الموت ويلزم الصمت إلا عن ذكر الله من القرآن خاصة، فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلبًا، ولا من الشر مهربًا، وقد استبرأ لنفسه، وأعطى كل ذي حق حقه؛ كما أعطى الله كل شيء خلقه، وهذا هو العاقل مقصود الحق من العالم، وما فوق هذه المرتبة مرتبة لمخلوق أصلاً، انتهى.

ولنذكر عبارة أجراها على القلم الوارد، فأثبتناها في جميع الموارد، وهي السكر شأن من فيهم الحال، فلا يقوم بأهل الكمال، إذ أهله ما لكون الموارد دون كل شارد، خدمهم المحو في الصحو، والصحو في المحو، السكران لا يلام لأنه مغلوب، والمسيء به مصحوب عند أهل القلوب، الذائق معذور والصائق يعذركم أغرق خمر السكر من عذير وكم سبب له كل متجرد صابر، يا عجبا! كيف يلام من سكر من خمر المحبة، وهذه في سوى عيون مدام هاتيك الشربة، حتى أذهله سكره عن كل مألوف، وغيبه عنه بذكر كل مخطوف عن كل مشغوف المعروف، لا يدري شمالاً من اليمين، ولا يشهد سوى محبوبه ونحبه، لا يميز، لا يطلب من الرق عتقًا، ولا يشرب إلا بالدق خمرًا عتقًا، لو عرضت به

بت في سكره عمرها، أو البحار الزواخر شمها، ولأسرار الأطوار عمرها، إذ عارضه الحوض بسيف عزمه قطعها، وإن نازعته براري الأمل خلعها وقطعها، وإن فتحت له الموجبات الإلهية، وتمكن في كتمها أخفاها، وإلا أبداها لطلابها، وعن عيون أرباب أحجابها.

قال أبو مدين الغوث - رزقنا الله به المياث والغوث -: إن السكران في حال سكره، فقد يرتفع التكليف في سكره عنه؛ فإنه منوط بالعقل حسبما صح به النقل، والسكران عقله مستور وبحاله مجبور مقهور، وأنشد لسان الحال في هذا المقام من المقال:

أيها السكران من شرب الرحيق	قل متى تصحو متى أنت تفيق
فأجاب الحب عنه قائلاً	من بنا بسكر هذا لا يفيق
كيف يصحو من سقي من أكؤوس	لم تشب بل هي من صرف العتيق
أذاقها أحبابنا من قديم	وبها هام أبو بكر العتيق
وكذلك الصحب جمعًا قد سقوا	فأسير منهم فيها طليق
أيها اللاجي متى تضيق بها	ما لو تذقها لم تلم أهل الطريق
بل لهم كنت تصافي أبدًا	وتوافي حالهم في كل ضيق
هذه الخمرة من ذاق لها	فهو للحضرة والوصل يليق
والذي يصحو بعيد السكر من	ها فذا بالقرب والشرب حقيق
فلها بتم وفي بحر الهوى	خف، وكن في وسطه أنت الغريق

فالسكران غائب عن الإحساس بموارد أطايب عجائب الإيناس ما سور سلطان محو مطلق في ميدان الاحتمال، أدهشه محق بعظيم تجلياته وأنسه مقدس بمداد أسمائه وصفاته؛ ولتلوينه كما لو لون في الأشياء إذا تجلى عليه المقصود بالذات، قال: أناه فيجري الحق على لسانه ما يريد، وهو غائب عن وجوده وعيانه، فمن سمع منه ولم يكن مكاشفًا بما هو الأمر عليه نسب ما صدر من قول، وفعل إليه، ومن حقق ودقق النظر عرف أنه محو فني عن وجوده حظه، كيف ينطق من لا نطق له، أو يدعي قوة وحولاً ولا قوة له

وإن قيل: كل الخلق بالنسبة لوجود الحي الذي لا يموت أموات غير أحياء لا نطق عندهم، ولا سكوت، قلنا: نعم، لكن ما فاز بشهود هذا المشهد على سبيل الذوق، والوجدان إلا السالك في معالم السلوك، والمتدرج في درج العرفان، وأما مجرد الدعوى بغير ثبوت؛ فواهية الأركان؛ كبيت العنكبوت.

عرج على وادي العقيق تصيب ... واد لكل فتى لديه نصيب

وترى الندامى أسكروا بعبيره ... لقلوبهم بين الرحاب وجيب

لا يعرفون سوى بنور عمهم ... لما تجلى في الظلام قريب

ولهم سقي كأس اللقا كي يدركوا ... سر البقاء فيعظم التقريب

فتوجهوا بجميعهم لحبيبهم ... وتحققوا أن المحب حبيب

ولقد صحوا من بعد ما سكروا به ... وأتاهم التدريب والتهذيب

فسروا على نهج السورة لم يفته ... ترغيبهم بتعمد ترهيب

أنعم بهم من معشر كل امرئ ... منهم معلم شفاء النفوس طبيب

رضا الإله عليهم ما إن سرى ... لحمى الندماء في والديه وكثيب

أو ما توجه نحو طيبة قاصد ... قربًا ودمع العين منه صبيب

(وَالصَّحْوِ) أي: وأسألك بأهل الصحو الذين رجعوا للإحساس بعد الغيبة بوارد قوي يغمر الأنفاس، وهو فوق السكر؛ إذ هذا مقدمته، فمقام السكر لأهل البداية والصحو لأهل النهاية، فكل سكران صاحٍ في سكره، وكل صاحٍ سكران في صحوه، يسكره أي: فيه ينكر على السكران بما يبديه في شطحاته، ويقبل إنكاره عنه؛ بدونه مقدمه، ويرقيه بتصحيه، ومن السكارى من يسكر شهرًا، ويصحو دهرًا، ومنهم من يسكر أبدًا، ولا يفيق أعوامًا، وفيهم من يسكر ساعة، ولا يصحو ليوم الساعة، ومنهم من يسكر مدة عمره الطويل، ولا يفيق إلا قبل موته بقليل، ومنهم الذي يسكر، ولا يدري بسكره، وغيبته، ويظن أنه صاح، وهو ماح أسطر الصحو من رق غيبته، ومنهم السكران بعوالمه

الشربة فصحا بعد أن غمر المحيّا، ومنهم السكران الصاحي في سكره، والصاحي السكران في ذكره، ومنه اختلاف الاستعداد، والتهيئة لطلوع المراد، فإن من شرب قد خف ليس كمن عب الأكواب طافحًا، فبعد صحوه لقرب مفرط سكره، وفي صحوه لقدمه من حب شكره، وعن صحوه إذا كان سكره أعز، وهو خزع محلة الهيام لقدم، وثبت في هتر، ولبس الحر من الوجدان، وغيره لبس بالعقد البر، وأنشد العالم الجيلي - رفع الله أعلام قربه وحبابه أعز

فؤاد به شمس المحبة طالع — وليس لنجم العذل فيه مواقع

صحا الناس من سكر الغرام وما صحا — وأفرق كل، وهو في الحان جامع

ومنهم من شرب كأس خمر الحب الذي رقا، ولا يصحو من سكرته إلا ليوم اللقاء.

نقل القشيري الإمام، بسنده إلى السري المقدام أنه: رأى معروفًا الكرخي في المنام كأنه تحت العرش، يقول الله تعالى لملائكته الكرام: من هذا، فيقولون: أنت أعلم يا ربنا، فيقول هذا معروف الكرخي، سكر من حبي فلا يفيق إلا بلقائي، انتهى.

ومنهم الشارب بكأس الهيام من خمر أولي الهيمان من أهل الاصطلام، ويسرح بروحه في عالمهم الأعلى، وشرح صدود صدور بحال أعلى ومقال أغلى، ويحفظ الله جسمه من طوارق النقص والخلل، ويلحظه بتسليات بوارق الأزل، ويسأل ويجيب ويحكم فيصيب، وهو غير دار بحقيقة ما هو فيه، اللهم إلا أن يشرف على مقامه صاحب كشف لمقامه ير فيه فيحمده بحاله فيصافيه، وربما لإحساسه بعد طول غيبة، فأدرك ما حصنه فيها، وأزال الله شكه وريبه، ولقد قلت من قصيدة مخاطبًا للنفس الغافلة، التي في أثواب الزهو واللهو رافلة:

ومع الهيام هيمي وتشوّقي — زاكي العرف، وبالوجد اشطحي

وامرحي ما بينهم إن أذن الحق — في ذلك يومًا، وامرحي

وقلت من قصيدة:

نحن السكارى بخمار الشهود فلو — يمسنا صاح بالسكر يفتضح

واعلم أن أهل الصحو هم المحققون المخلصون من ورطة السكر والمحو، القائمون في مركز مقام الكمال الإحاطي الجمعي الأحدي الوسطي القلبي، المستمعون بجمعهم من الكتاب المبين عنه من رزق فيه، فهما ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:114]، صاحبه معقول القول مقبول عن شهود القوة والحول، يعطي كل ذي حق حقه ويبلغ كل طالب ما استحقه، به يسير السوي والمنهج القوي، لا يجيب من ناداه من خلفه وهو الواحد المقصود بالألف، ثبت بقدم الصحو مثبت، ناظر بالجمع، والمقدم والولي في سره الأسرار بست، سكر الحلاج، فلم يكن من أهل الاحتجاج، وصحا أبو دلف فكان مرضي القول عند السلف، إذ سار ركب أهل السلوك إلى ملك الملوك لاحت لهم اللوائح وفاحت عطريات الروائح، فجذبتهم داعية الشوق إلى عالم الوجدان والذوق، وأشرفوا على وادي القرب، واغترفوا من بحر الحب، فاعتراهم بالشرب هيمان وطرب، وجلسوا على منصاته فبلغوا الأرب، ثم إذ تمكن منهم لاعج الغرام سكروا بتجليات الحبيب على الدوام، وقلّ من يثبت عنده فلا يغيب، ويصبر لصدماتها ولداعيها يجيب، وأنشدوا:

لكلٍّ إلى شأو العلى حركات ... ولكن قليل في الرجال ثبات

وأما الصاحي بعد غيبته، الماحي نقوش السُّكْر من رق فكرته، الراجع من تنزّله لمقام تمكينه والقائم في مقام الإرشاد نيابة عن أمينه، فهو نادر قليل؛ لأنه حال جليل ومنال جميل، لا يستطيع الصبر إلا بالصبور مشاهدةً، ولا تحمل القوى البشرية إلا به حمل أعبائه إذ بدت معاهدة، والتجلي مغني مدهش والحجاب مبقي منعش، كما أن المشاهدة فيه لا لذة فيها؛ لأنها تذهب بمصافيها ومواقيها، فالصاحي وهو في بحر التجليات غريق عريق، شرب بعشق عتيق، باقٍ بحبيبه مطلق وثيق، لوجهه بريق، يكاد من يراه يغص بريقه

(وَالْبَقَا)، أي: وأسألك بأهل البقاء الذين منحتهم الارتقاء، وهو في الاصطلاح: رؤية العبد قيام الله على كل شيء.

قال الجيلي قدس الله سره في «غنية أرباب السماع»: البقاء هو عبارة عن صفة جميلة يتصف بها العبد بعد فنائه عن نفسه، وقد تقرر أن الفاني محجوب بالله عن وجود نفسه، والباقي حينئذ كاشف غير محجوب، يرى نفسه ويرى ربه والناس في مقام البقاء على

درجات، فمنهم من هو مع الله بصفة أو صفتين، ومنهم من هو معه بالكلي، ومنهم من هو معه بأسماء المراتب، ومنهم من هو معه بالخيال، ومنهم من هو معه بالجلال، ومنهم من هو معه بالكمال، فمن كان معه بصفة أو صفتين لا يشترط فيه زوال أحكام البشرية من كل جهة، بل يكفي ذلك إذا أفنى هو عنها بغيوبته في الله، فإنه إذا تحققت تجلى الله له فيها، ويشهده عينه، فيرجع إلى نفسه بالله ويعرف نفسه بغير تلك المعرفة التي كان يعرفها بها في مقام الفناء؛ لأنه كان يعرف نفسه بالعدم، فصار يعرفها بالوجود المطلق، وسببه ظهور الحق له فيها من غير حلول؛ فلأجل ذلك يبقى ببقاء الله؛ لأن أمره إذ ذاك منسوب إلى الله، فهو الباقي.

وأما من يكون مع الله بالكمالات الإلهية فشرطه: زوال أحكام البشرية وآثارها، كما سبق بيانه، وقال في كتاب «المناظر الإلهية»، منظر البقاء: يبقيك الله تعالى - في هذا المشهد - نوره الذاتي، فيرد عليك وجودك كما كان أولاً، فتشهد سمعك وبصرك وعلمك وقدرتك وقوتك وحياتك وكلامك وفعلك وحالك كلها منسوبة إليك، وتعلم حقيقة أن حياة الله وعلمه وسمعه وبصره وإرادته وقدرته وكلامه، غير علمك وحياتك وقدرتك وأمثال ذلك، وتميز صفة الله من صفاتك، فتلحق الكمالات به وتلحق بك ما هو منسوب إليك من الكمال والنقص، فتشهد الحق حقًا فتتبعه، والباطل باطلاً فتجتنبه، وبذلك قال عليه الصلاة والسلام: «أصدق بيت قاله العرب:

ألا كـل شيء مـا خـلا الله باطـل»[1]

ثم علمت في قوله: «اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه»[2]، وتنزع الحق في هذا المشهد أن تنسب إليه ما يستحقه من الكمالات، وتنزهه عما لا يليق بكبريائه تعالى، ومن هذا المشهد تكون بداية أهل حق اليقين في إعطائهم الحق حقه، ومن هو دون هذا المشهد فليس هو من أهل اليقين؛ بل من أهل عين اليقين أو علم اليقين.

فهذا المنظر اشتغالك بذات الله عن صفاته، فأنت إذا محجوب عنه؛ أي عن

---

(1) رواه البخاري (3552).

(2) رواه ابن راهويه (1/ 9).

صفاته، ومن هذا المشهد يُرْتَقَى إلى التلوين، أي: في التمكين، انتهى

وقال الشيخ عبد الله الأنصاري - رحمه الله تعالى - في «منازل السائرين»: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، اسم لما بقي بعد فناء الشواهد، وذلك عام في سائر أنواع ما يبقى بعد متصف به مدركٌ به بعد فناء الشواهد، يعني الأدلة والآثار، لاختلاف أحوال السالكين، ومن يفنيهم الحق عنه ويبقيهم معه، وهو على ثلاث درجات

الأولى: بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عينًا لا علمًا

والثانية: بقاء المشهود بعد سقوط الشهود وجودًا لا نعتًا

والثالثة: بقاء ما لم يزل حقًّا بإسقاط ما لم يكن - محوًا - التحقيق ﴿بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة 260]، والتخليص قلبي، والتلخيص من الخلق والحق وفي الحق، فالأول: أن لا يخالج علمك علمه، والثاني: أن لا ينازع شهودك شهوده، والثالث: أن لا يناسم رسمك رسمه، فسقطت العبارة والإشارة، انتهى ملخصًا

وقال الشيخ يوسف العجمي الكوراني في «شرح ما وجد الواحد من وجده»: وقد يعرف أبو محمد روزبهان البقاء: بقاء البقاء حضور القلب في مشاهدة بقاء الحق، بعد تصرفه ببقائه، فإن قلت: هل يكون بعد البقاء فناء؟ فإن قلت: نعم، فيشكل عليك؛ لأن الفناء مورده الوجود الأول الظلماني أو النوراني، وذلك قد انعدم عنه، وإلا فهو فناء بالحق بوجود بقائي، وذلك الوجود لا يراجعه الفناء، وإن قلت: لا يشكل عليك أنه يكون لأهل البقاء تلوينات، والتلوين لا يمكن إلا في فناء صفة وثبوت أخرى، ثم قال: قلت: اخترت جواز الفناء بعد البقاء، ولكن مورد الفناء في حالة البقاء وجوه مشهودة بالوجه الذي تجلى له، فإنه إذ تجلى عليه مشهود بوجه آخر أكمل وأقوى من الوجه الأول، فلا شك أن الوجه الأول ونوره ينسخ في نور الوجه الثاني، وكذا الثاني في الثالث إلى ما لا يتناهى، بحيث لا يتجلى لأحد بوجه واحد مرتين، ولا بوجه واحد على عبدين، بقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص 88]، أي: كل شيء يتناهى وينعدم إلا وجه الله، أراد وجوه أسمائه وصفاته وكمالات ذاته، فإنها لا تتناهى أبد الآبدين كما قال

وفي قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة 115]

إشارة: إلى أن الباقي وغيره كلها حول وجه من وجوه الله غير متناهٍ، ثم وجه أعلى

علاء من الأول، فعنافي في تلك التحولات الوجوهية الذاتية والأسمائية لا يتغير، وجوده نفسه في ذاته، ولكن لا بنوره من حيث تعلقه بمشهود آخر الذي هو وجه آخر من الوجوه (لهمه، وذلك لا سبق بقاء الوجود البقائي على حاله في نفسه، فهو كما يشبهه في نور وجهي الذي الأسمي، قائمًا به [ومقومًا لما دونه، فالآن يشاهد بذله نور الوجه الثاني]، مستترًا الوجه الأول، مقوما لما دونه من الأشياء، فعبر عن هذه الحالة بالتلوين بعد التمكين والتمكين بعد البقاء، وهذا من دقيق العلم الذي انكشف لكلبهم الباسط ذراعي حسيّته وروحانيته بوصيد أصحاب كهف الفناء، وفتاه أرباب كل البقاء الذين فروا بدينهم من دقيانوس الوجود الحاجب عن الحق وارد بحصول فناء الفناء، وأكناف بقاء البقاء، وقد اندرس كثير من دقيق علمهم، أي الطائفة العلية، كما انطمس كثير من حقائق رسومهم.

وقد قال سيد الطائفة الجنيد بن محمد البغدادي – رحمه الله تعالى: علمنا هذا قد طُوِي بساطه ونحن نتكلم في حواشيه. وما أشد فيهم قولهم:

هم القوم، هاموا فاستقاموا على السرى	بــأنهم هـــم تـــسموا إلى العلـــم الفـــرد
بحياء الحياء والعدم والحلم والنـ	ـدى دار الـسخاء والعز والشكر والحمد
كنوز الـصفاء والعشق والصدق والـ	ـولاء فهم من بحار الغيب ورد على ورد
عليهم سلام الله ما هب الضياء قبـ	ـيل ابتسام الـصبح في طالـع سـعد

(بِكُلِّ مُحِبٍّ)، أي وأسألك بكل محب قام به وصف الحب، وصفى بشرب شرابه من العقل والنفس، تيمة الجمال وهيمة الكمال، حتى أسقاه من خمار الخمار وأرجحت له حسن لب وطهره الطهر، وكشفت له ما وراء حجابها وحمته من حجابها، ومنحته بمنح حضنها، بدرته مطيع خطابها، أمها على أم رأسه، وله ولهٌ بها زائد، وهنا بها عن غيرها وبه عنها به زائد، عقد شمه واسمه واختفاء حظه وقسمه، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون، يعملون بما يعملون، فورثوا علم ما لا يعلمون، أحبوا الله وأحبوا من أحب الله أو أحبه الله؛ لأنهم أهل الله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31]

لطمة، سحاب سمائها ماطر، وربوات نعم عطائها عاطر، مسكوب حبها المس به

ق، ومسبوت صبها بيد صبها للملا راق، وأورد وردها لهفان، وو جد وجد هـ، قب شهد العذب عذبًا والصائب شهدًا، فلا يعرف سلوىً إذ ذاق حلاوة في حب تفوق عن المن والسلوى، يشتهون الخرق ويراه نحواه سهلاً، ويستقبل فرحًا أهلاً وسهلاً، يستحسن الموت ويستقبح الفوت؛ إذ الممات في أحبابه عين حياته، بل هو من أطيب طيباته، وقد أحسن من سها سهاته في قول الفائق على البدر في هلاله.

أيهـــددون محـــبكم بمماتـــه ومماتـــه في الحـــب عـــين حـــياته

لـــو أنهـــم شربـــوا مدامـــة وجـــده علمـــوا أن الـــذي جهلـــوه مـــن راحاتـــه

أنـــتم وجـــود محـــبكم، فـــبقاؤه فـــيكم مـــع التجـــريد مـــن آفاتـــه

مـــن كـــان قـــد عـــرف الحبيـــب بوصـــفه فـــإذا الـــذي عـــرف الحبيـــب بذاتـــه

عنـــي خـــذوا حكـــم الغـــرام لأنـــني مُـــبْدٍ حقائقـــه وذات صـــفاته

وبي اشـــهدوا وجـــه الحبيـــب فناظـــري أبـــدًا يـــراه مـــن جمـــيع جهاتـــه

محلها القلب، ولا يمكن صاحبها قلب، وتنتشر في الجوارح بعد ظهورها فيه؛ تستغرقه جملة بظواهره وخوافيه، هي مرن تدور عليه المنازل، ورتبة يحتجبها الصاعد والنازل، لولاها ما سار سار سالك، ولا طار للأوطان منْ لحاله مالك

وقلت في معنى ذلك: وقلت في معنى ذاك:

لـــولا المحبـــة لم يســـر نحـــو المـــلا ســـار ولا رحلـــت إلـــيه الظُّـــلُـــث

وحقهـــا لـــولا دمـــوع أســـيرها حاكـــى بـــروق الســـحب منها الحلـــب

ولأهل اللغة في مادة الحب خمس استعمالات.

الأول: الصفاء والبياض، ومنه قولهم لصفاء الأسنان ونضارتها: أحب الأسنان، والحب إذا لم يصف من الأكدار، ويتصف تخلصه بوصفه الصاف لا يعول عليه لدى الأحرار، ولا يُعَدُّ صاحبه من الأطهار

قلت زعجالاً بعدما جلت في ميدان الحب مجالاً

مـن لم يكـن صـاف مـن الأكـدار   في حـبـه لم يحـظ بالأوطـار

إن المحبـة بالـصفا مقـرونة   مـن لم يكـن صـاف فـذلك طـاري

فـأنخ ركابـك في ميـادين الـصفا   إذ ذقـت كـأس الحـب بـاري المـسوي

واصـعد بهـا درج المعـاني ناظـرًا   لمعـارج الأبـرار والأخيـار

وإذا وصـلت قـصور سـعدى   فانـزلـف فيها، تفـز بطوالـع الأنـوار

وأشرف عـلى كـل العـوالم مـن ذرى   عليـائها، واكـشف عـن الأسرار

وإذا رسخت فسر بـصدق صـاعدًا   بعـوالم تـأتي بكـل فخـار

واحـذر وقـوفًا عـند كـون هالـك   بـل كـن هنـاك ككـوكب سـيار

فعسى لـك الأبـواب تفـتح كلهـا   وتعـاين الحـضرات باسـتقرار

هـذي نتـائج حـبه، أعظـم بهـا   مـن مـسعف يأتـيك بـالأثار

ألـزم بهـا مـن منجد قـد أنجـد الـ   ـأرواح مـن بـين وحكـم نفـار

وإذا عـيون فيوضـه سـحب أتـت   بعجائـب، لكـن عـلى مقـدار

فالـزم حماهـا لتحمـي بـسها   هـر وقواطـن مـن سـائر الأغيار

ثـم الـصلاة مـع الـسلام عـلى الـذي   قـد جـاء يهديـنا لحـب البـاري

والآل والأصـحاب مـن نالـوا بـه   حـبًا وتقـريبًا رفـيع مـنار

الثاني العلو والظهور، ومنه: حبب الماء وحبابه: ما يعلوه عند المطر الشديد، وحب المحبوب إذا لم يعلوا على غيره في غيابات القلوب، فليس هو الحب المطلوب، ولا يعول عليه عند من صفا لهم المشروب، ومن وصف علوه أنه لا يكتم في جيوب الغيوب، بل يظهر وصفه على صاحبه، فيتركه على ظروب ومحجوب

وقلت،

إن تحب منصب الاعتلاء ... وظهور بأمر بغير خفاء

وله القهر والسلطان فينا ... وكذاك التمكين باستيلاء

غالب للهوى فما قاومته ... قط نفس ذاقت شراب اجتلاء

ليس صب يقوى على كتم حبه ... قد سرى في الوجود سري الدماء

والذي يدعي لذلك كتما ... لم يذق من خمور حب وباء

رافع الحجب عن فؤاد مقاد ... بزمام للطاعة الوعساء

ظاهر الأمر بأهل السر بادي ... السر بادي الإحسان كالأنواء

مسجد النور محبة الطور محراب ... حضور، وجامع الأهواء

معهد الشرب معهد القرب ... أيضًا، من العز قبة الاصطفاء

من سُقي من كؤوسه فهو ... حي، وخلي مميت الإحياء

صبه مراق على كل راق ... قد أنيل الشفاء من كل داء

عبده الحر غيرة، فرقيق ... وطليق ما سوره في العلاء

وصلاة مع السلام على من ... قد جبي من درة بيضاء

وعلى آله الكرام وصحب ... عرفوا سر قبة خضراء

وعلى التابعين ما صب صب ... صيب الدمع خشية الإقصاء

والثالث: اللزوم والثبات، ومنه حبه البعير، وأحب إذا برك فلم يقم، فمن لزم حب فؤاده، وثبت عليه وصبر لإرادته؛ فقد بلغ مراده، وحصل على السعادة

وأما من مال عنه لمحًا أو سلا طرفًا ... فما ذاق منه مزوجًا، فكيف يدعي عرفا

وقلت

كل قلب سلا عن الحب طرفًا ... فهو قلب ما كان للحب ظرفا

عاريًا عنه إذ تحلى بوصف الميل ... ما اشتم من شذا الحي عرفا
حمل قلبه لبس بذري خوافيه ... الموالي، ولا قرى عنه حرفا
لم يذق قط من قتيل خمور ... كيف حتى ادعى بذلك صرفا
لا، ولا ذاق من مدام مدام ... رشفة، كيف يدعي الشرب
أيها الساترون للحب بالحب ... عن الغير فاصرفوا القلب
ثم طيروا للحي، بالحي تدنوا ... واعرفوا عرف ذلك الحي
واستقيموا على الوفا وأقيموا ... مقعد العزم، واجرفوا الصد
وعلى ما مضى من العمر في غير ... التصافي فلتذرفوا الدمع
ثم توبوا، وللمدارج أوبوا ... وأنيبوا للحب تلقون
واجمعوا ثم فرقوا وللحجب ... مزقوا تدركوا بذلك
رب صل سلام على البدر طه ... كل إن ما الحب حرك
وعلى الآل والأصحاب جميعا ... ما بواو وألف نقصد

والرابع: اللب، ومنه حبة الفؤاد، أي لبه، فكل من لم يسكن الحب من قلبه وروحه، ويترك بين شغافه، ويستقي من أكوابه؛ ليعرف قشره من لبابه، ولا يدنيه من ساحة قترابه؛ لم ينل شراب الحب، ولن يجد مثل شرابه.

وقلت:

إن قلبًا فيه حبًا ما هوى ... ذاق قلب لم يذق طعم الهوى
وفؤاد منه شربًا ما ارتوى ... ذا غليل، لم ينل خلاه الدوا
خاب شربًا سرى فيه الجوى ... في حبيب حبه عين الدوا
وهو روح الروح لب اللب ... بل، سر سر السر، بل قوت القوى

وغدا الجسم في ظاهره ... وكذا الباطن فيه لا يُزوى

وبه الأفلاك دارت، إذ به ... حركات العشق قامت تستوي

وكذا الأملاك قد قام بها ... وصف حب عن سوى الحب طوى

وحبه ثم أُنس قام بل ... كل شيء ذا حب قد كوى

وبه ما فاز إلا المتيمون ... حالاً وحالاً باحتوى

فله هيا وهيا يا مريد ... شراب الحب من غير التوى

وانو في السير على الصدق وبال ... حق سرٌّ يُسري لكي ما نوى

واخطب الحسنى وقدم مهرها ... ودع الأهواء فذو الدعوى غوى

وابذل الجهد ولا تصغ لمن ... لام فيها، فالذي لام غوى

فمحب ما انثنى عن حبه ... فيها يومًا، وعنانًا ما لوى

وإذا وافيت ذاك الحي حي الصلا ... ة للسكان به ذاقوا الجوى

ثم قلت جودوا لبكري ... مصطفى البكري من فيكم نوى

عليهم أن يسمحوا لي ساعة ... باللقا، كي أنج من أيد النوى

ربنا صل على خير الورى ... ثم سلم ما بدى نجم هوى

أحمد المختار من لم يكن ... ينطق فيما جاء فيه عن هوى

وعلى آل وصحب سادة ... قادة نالوا به سر السوى

وعلى الأتباع من كل فتى ... قد طووا الحب فيه فانطوى

والخامس: الحفظ، ومنه الحب، وهو الوعاء الذي يحفظ ما فيه، وتمسكه على تحقيق من حفظ عهد الحب الوثيق، ولزم عهوده، ورعى حدوده.

وقلت: عهد، وقلت.

عهد حب من له حفظا … رعا ذاك مولاه رعاه ورعا

ومتى يمسك من غير صباح … له، هذا له السعد سعى

ولدي ما حاد عنه سلوة … كل أعداء له الدهر نعى

ولأعباء التحلي قد غدا … حاملاً، والسر في السر معا

وإذ ما عثرت رجل له … قالت الأكوان: من حب لعا

يا خليلي بعهد المحيا … سر أسرار الهوى مني اسمعا

ولحجب قد تكاثرت … على القلب واللب، بجاه فارفعا

ولمن يلجأ كما في السكر … من خمر حب قد تصافا فاقطعا

فرقًا كل عيون أبلغت … وافتحا عين عيون واجمعا

وبأوصاف علت فاتصفا … وسمات نزلت فلتدعا

وأدبر بصلاة السنا … وسلام يغشيان الموجعا

واهديا هذين للبدر الذي … جاء يهدينا بقرآن دعا

ولآل ثم صحب جمعوا … كل بر ما الفتى المهد رعا

وقد أعطوا الحب حركة الضم، التي هي أقوى الحركات، وأشدها إشارة؛ على أنه بقوته يستولي على المحب، فيضعف أركانه، وبشرته، وقوته، وعزمه أضعفه، وأهانه، وأدمى جفنه، وهو يعطي صاحبه القوة والشدة، فترى الجبان فيه شجاعًا، والسر من المكنوز مدعًا، والعديم مليًّا، والحكيم شقيًّا.

وأعطوا الحب الذي هو المحبوب حركة الكسرة لحلمها؛ إشارة لخفة المحبوب عن نفوسه، وبها جر محبه إلى المهالك، وألقاه في بحر المهانة الحوالك، وجره للرق فعاد مملوكًا وكان مالكًا، وعاد مأسورًا بعد ما كان مطلق الجناحين في المسالك، ويشير إلى كسر قلب المحب بخفضه، وجره بالمواصلة الموجبة للصفاء

قال الجيلي – الهمام المطاع – في «غنية أرباب السماع»: المحبة هي نار تتقدح عن مثل القلب إلى محبوبه، فتحرق ما سواه، فلا يبقى لغير المحبوب وجود، والمحبوب على أنواع

منهم من تحرق محبته ما سوى محبوبه، فيكون المحب في هذه المرتبة باقيًا مع محبوبه بمحبته ونفسه. وهذه مرتبة المكلمين وهو لعوام الطائفة

ومنهم من تحرق محبته ما سوى محبوبه مطلقًا، فتحرق نفسها والمحب أيضًا، فيصير فانيًا تحت سلطان ظهور المحبوب، وهذه مرتبة المصطلمين وهي لخواص الطائفة

ومنهم من يبقيه الله بعد فناء، فتكون محبته باقية وهو باق ببقاء الله تعالى.

فالأول مريد، والثاني مراد، والثالث كامل؛ وإن شئت قلت: الأول مريد، والثاني عارف، والثالث محقق، ويُقال أن محبة الأول إرادة، وإرادة الثاني هو محبة، ومحبة الثالث هي العشق.

واعلم أن العوام ليس عندهم من المحبة حقيقية شيء؛ فمحبتهم إنما هي ميل القلب لأجل الإحسان، فهم لا يعرفون ذوق المحبة الذاتية أبدًا، بل ولا يعرفون المحبة الصفاتية أيضًا؛ لأن المحبة الصفاتية أيضًا: أن يحب الله لكونه أهلاً أن يُحب، لا لكي أن يقويك ويدنيك، والمحبة الذاتية: هي التي تكون بعد الرؤية، وليس عند العوام بشيء من ذلك، وإنما عندهم المحبة الفعلية: وهي محبة الإحسان؛ وأعني بالعوام: خواص العباد والزهاد والنساك، فافهم، انتهى.

(في محبتكم). كان الخطاب للعظيم، والميم للتعظيم (همًا) وهم قال في «التعريفات»: عقد القلب على فعل شيء قبل أن يفعل من خير أو شر، وفي «اللمعة»:

الرد، قال الإمام الجيلي – في إنسانه أمده الله تعالى بمحض عرفانه – في باب نفسه: اعلم أن وجه القلب يكون دائمًا إلى نور في الفؤاد يسمى الهم. هو محل نظر النفس وجهه توجهه إليه، فإذا حاذاه الاسم أو الصفة من جهة الهم نظره القلب، فانطبع بحكمه، ثم يزول فيعقبه اسم آخر، إما من جنسه أو من غير جنسه؛ فيجري معه على ما جرى مع الأول، وهكذا على الدوام

وأما ما كان من قفا القلب فإنه لا ينطبع به، ثم اعلم أن القلب مرآة فقد يصل عنه.

بل كله وجه، لكن موضع الهم منه يسمى وجهًا، وموضع الفراغ منه يُسمى قفًا، وهذه فيها كلها كما ذكر دائرة.

واعلم أن الهم لا يكون له من القلب سوى جهة الأسماء مخصوصة، بل قد يكون تارة إلى فوق وقد يكون تارة إلى تحت، هكذا هو.

والصفات وعن اليمين وعن الشمال على قدر صاحب القلب؛ الاسم الحاكم، ورب من الناس من يكون همه إلى فوق أبدًا كالعارفين، ومنهم من يكون همه إلى تحت كبعض أهل الدنيا، ومنهم من يكون همه إلى اليمين كبعض العباد، ومن الناس من يكون همه إلى الشمال وهو عين النفس؛ لأن محله في الجانب الأيسر، وأكثر البطالين لا يكون همه إلا بنفسه.

وأما المحققون فلا هم لهم، فليس لقلوبهم موضع يسمى قفا، بل يقبلون بالكلية كلية الأسماء والصفات، وليس يختص وقتهم باسم دون غيره؛ لأنهم ذائقون، فهم مع الحق بالذات لا بالأسماء والصفات، فافهم. انتهى

ولما ذكر أهل الفناء، ومن بعدهم من أهل الإرادة لطريق السعادة، ثم ختم بذكر القصد وهم في محبة المولى البر عبادة، ناسب أن يلحق بهذا البيت بيتًا فيه ذكر مريد من أهل السيادة؛ فلذا قال: منحه الله الحسنى والزيادة(1)

---

(1) اعلم أيها الأخوان أن للرحمن بحرين بينهما برزخ لا يبغيان، يخرج من أحدهما در المحبة والمرجان، ومن الآخر سبسبة الغضب والعدوان، وأنبت من ذلك السر النفسي جميع الأكوان، لتحصيل المحبة وتزييد القربان، وتكثير المودة وتنوير العرفان، على حسب سبق الرحمة على صفة الغضب، كما قال نبينا محمد حبيب الرحمن: «كل مولود يولد على فطرة الإسلام، إلا أن أبويه يمجسانه، ويهودانه، وينصرانه»، وورد في الحديث القدسي النبوي: «سبقت رحمتي على غضبي»، وذلك لأن الله تعالى كان ولم يكن معه شيء من الكون والمكان، ثم أحب بحسب الحكمة الحكيمة، أن يعلن جميع مراد محبوبه، فجعل مرآة الأكوان لينظروا بها إلى جمال الرحمن، كما ورد في الكلمات القدسية «كنت كنزًا مخفيًا، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق» فكانت المحبة كانت مناط جميع الموجودات، ... لكن المخلوق الأول هو العقل، وفيه أقوال علمها في موضعه بعض العلماء، لكن ... والتوجيه روح محمد ﷺ دل عليه النقل كما ورد في الخبر «أول ما خلق الله نوري» ... «أول ما خلق الله العقل»، وورد «أنا أبو الأرواح وآدم أبو الأشباح»، وشهد

=

عنه عقل لأن الله تعالى خلق العقل بالذات، وغيره بالوسائط، ومعلوم أن مخلوق الذات أشرف المخلوقات، فيكون روح محمد لأنه خلاصة الموجودات، وألا يوجد شيء أشرف منه

وهو خلاف ما ذهب إليه مشايخ أهل السنة رحمهم الله وخلاف ما دلّ عليه صريح السنة نص لأنه جوهرة، فسبحانه من عجيب، وأمر غريب، ولطف لطيف، وشيء شريف، وسر موجود، وأمر معهود وسر مخبوء، وعزومه معيون فيها الإيمان والإسلام، وبها الأمان والسلام، وبها التوبة والإنابة، وبها الرغبة والإطاعة، وبها الرياضة والمجاهدة، وبها التوكل والقناعة، وبها الوقار والسكينة، وبها الخضوع والخشية، وبها الهيبة والرهبة، وبها العزة والعظمة، وبها الكرامة والمعجزة، وبها النبوة والرسالة، وبها الولاية والمشيخة، وبها الشفاعة والمناجاة، وبها العصمة والفكرة، وبها الهمة والعزيمة، وبها الارتقاء والرفعة، وبها الرتبة والمنزلة، وبها الجنة والدرجة، وبها العون والنصرة، وبها التوحيد والشهادة، وبها الصوم والصلاة، وبها الحج والزكاة، وبها المنة والنعمة، وبها الشفقة والرأفة، وبها الإحسان والرحمة، وبها الصبر والسلامة، وبها الخلوة والعزلة، وبها المصابرة والمرابطة، وبها الصدق والمصادقة، وبها الروح والروحة، وبها الخمود والشهرة، وبها الأنس والاشتياق، وبها التحسر والاحتراق، وبها الخوف والرجاء، وبها التسليم والرضاء، وبها الزهد والتقوى، وبها الورع والهدى، وبها الفقر والغنى، وبها العناء والاستغناء، وبها الخلاص عن الحرص والهوى، وبها الترقي إلى الرتبة العليا، وبها الوصول إلى نهاية الارتقاء،

وكان العبد بها عزيزًا سلطانًا، وكان السلطان بها حقيرًا عريانًا، وكان اللائق بها جنة وبستانًا، وكان السفيه بها حجة وبرهانًا، وكان العطاء بها منة وإحسانًا، وكان الكفر بها خدمة وإيمانًا، وكان اليأس بها أمنية وقرآنًا، وكان المكر بها سطوة وأمنًا، وكان الفرقة بها وصلة ووجدانًا، وكان العقل بها حبة وحيرانًا، وكان العقل بها والهًا وسكرانًا، وكان الفقر بها غناء واستغناء، وكان النعمة بها فقدًا وفناء، وكان التعب بها ذوقًا وصفاء، وكان قصر المهد بها أداء ووفاء، وكان السقم بها شفاء، والشفاء بها داء، وكان السحاب بها محلًا، والمحل سحابًا، وكان الرياء بها إخلاصًا، والإخلاص رياء، وكان البلاء بها خلاصًا، والخلاص بلاء، وكان الجفاء بها وفاء، والوفاء جفاء، وكان الشهر بها لحظًا، واللحظ شهرًا، وكان الفرح بها غمًا، والغم فرحًا، وكان الغفلة بها فكرًا وذكرًا، وكان العصيان بها طاعة وشكرًا، وكان الكبر بها خضوعًا وابتهالًا، وكان الإعراض بها رجوعًا وإقبالًا، وكان العادل بها ظالمًا، والظالم عادلًا، وكان الجاهل بها عالمًا، والعالم جاهلًا، وكان الموصول بها مفصولًا، والمفصول موصولًا، وكان المودود بها مبغوضًا، والمبغوض مودودًا، وكان المسعود بها شقيًا، والشقي مسعودًا، وكان السعد بها نحسًا، والنحس سعيدًا، وكان الصمت بها صخرة دوارًا، والسحاب صخرًا مستقرًا، وكان الأرض بها سكونًا ووقارًا، والوقار بها حركة ودوارًا، وكان الماء بها حريًا وبحارًا، والبحار جامعًا جرارًا، وكان النار بها صحرًا، والصحر نارًا، وكان الماء بها مرة

=

(بكُلِّ مُرِيدٍ)، أي: وأسألك بمن قام به وصف الإرادة لمولاه، لا لطلب علم غيب ولا شهوده، وشوهد له في أول أمره ثم محوها في السير (الثاني)- من ثاني الولادة في هذ

=

وموته مددًا، وكأن البدر بها بدرًا، والنور نارًا، وكأن السقم بها صحة، والصحة عنه، وكأن الموت بها حياة والحي ميتًا، وكأن السجن بها روضة، والروضة عنه، وكأن القهر بها رحمة والرحمة رحمة وكأن النور بها ظلمة، والظلمة نورًا، وكأن الجحيم بها بردًا وسلامًا، وكأن المستعذب بها عذبًا وعذابًا، وكأن الميت بها عولاً، والعول ملكًا كريمًا، وكأن الجماد بها بشرًا سويًا، والبشر ملكًا زكيًا، وكأن المحجوب بها عقلاً سنيًا، والجاهل بها أديبًا كليًا، وكأن الغضب بها حلمًا، والحلم غضبًا، وكأن الذهب بها فضة، والفضة ذهبًا، وكأن العرشي بها فرشيًا، والفرشي عرشيًا، وبها تموج البحار، وجري الأنهار، وبها بر الأبرار، وخير الأخيار، وبها هبوب الرياح، ودفع شر الأشرار، وبها قبول الأبرار وقبور الأسرار، وبها أمن القرى وعمار الأمصار، وبها عتق العبيد، ورق الأحرار، وبها ظهور الأسرار، وأسرار الإظهار، وبها قطر الأمطار في الليل والنهار، وبها ظهور الأنجاس، وطهور الأطهار، وبها إعدام الظلام، وإيجاد الأنوار، وبها البيعة والشورى، وبها العسر واليسر، وبها الفكر والذكر، وبها الأولى والأخرى، وبها الوصول إلى العلي الأعلى والمولى المعلى، وكأن بها العصا في يد موسى حية، والحية قربًا صادقًا، وكان بها الريح الصرصر جندًا والخصم أخًا موفقًا، وكأن الأخ بها عدوًا، والعدو حبيبًا عتيقًا، وكان بها الهواء حاملاً، والماء محمولاً، وكأن البحر بها منصفًا، وفرعون غرقًا، وموسى ناجيًا، والحاصل بها فعل جميع الأنبياء ما فعلوا، وبها قالوا ما قالوا وبها أظهروا ما ظهروا، وبها عدوا ما جاهدوا، وبها وصلوا ما وصلوا، وبها نال جميع الأولياء ما نالوا، وبها جدُّوا ما جدُّوا، وبها وجلوا ما وجلوا، وكأن آدم بها صفيًا، وكأن نوح بها نجيًا، وكأن إبراهيم بها خليلاً، وكأن موسى بها كليمًا، وكأن داود بها خليفة، وكأن عيسى بها روحًا، وكأن محمد بها نبيًا حبيبًا منصورًا، وكأن جميع الأنبياء بها محبوبًا مسرورًا، وجميع الأولياء بها مقبولاً مرغوبًا، وهي مفتاح مفاتيح كان بها إلى أوج العزة ومقر سعادة وبرج العزة، وإنما طيارًا، وبراق به كان بها في الملك والملكوت والجبروت واللاهوت راكبًا سيارًا، فتكون له آلة وسلاحًا، وعين المهالك فلاحًا ونجاحًا وهي أم مكارم الأخلاق والخصال، ويتم محاسن الأعمال والأفعال، كأنها ذات شريف قدير من عباد، وشأن لطيف مسعد للأصول، فأثريه والإصلاح إلى الصلاح مصحوب وتمكين، والمتخصص عن شوائب الرذائل تكامل وتنوير، وكعين جارية ما من شيء إلا وله منها شربه، وما من شيء عامر إلا له إليها إربه، وهي مهد سليمان، واسم الله الأعظم، من تمكنت به يكون عند الله من الملك المقرب أكرم، ومن لم يكن فيه عنه فهو من أخذ الأنام بل هو أدنى، ويكون عند الله تعالى كالأنعام بل هو أضل [درر البحار للأسكداري ص 37] مختصرًا

مقام السليد، قال أبو يزيد: أريد أن لا أريد بعض الإفادة، وإلا فمريد من يبسط به إرادة، وأنشدوا

تكــون مــريدًا ثــم فــيك إرادة إذا لم تــرد شــيئًا فأنــت مــريد

قال الله تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ [آل عمران: 152].

قال الشبلي المكي: فأين من يريد الله، ثم قال: وإنما سكت عن ذكره؛ سترة وجوده وعزة شهوده، أو ما معناه، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام: 52].

والمريد هو من تجرد عن الإرادة، وانقطع إلى الله تعالى عن نظر واستبصار في طلب خرق كل عادة، وتحقق أن كل ما وقع في الوجود بإرادة المريد، فمحا إرادته بإرادته، واستراح من طلب المريد، ولم يكن مريدًا حتى أراده المريد، فحينئذٍ كل مريد مراد للمولى الحميد، غير أهل السر والتجريد، اصطلحوا على الفرق؛ فسموا المبتدئ مريدًا، والكامل مرادًا، وعرفوا كلًّا بتعريفات كثيرة.

فمنها قولهم: المريد مجتهد والمراد محمود؛ المريد معنى والمراد محظي، والمريد متعوب والمراد موهوب، المريد حاله الحنون والمراد من عبر بحر الصوت وحل بر السكون.

وقيل: المريد المريد من خلع العذار، وهتك الأستار، وحسن حسبه الأطوار، وقدم الصدق حتى بلغ الأطوار؛ المريد من باع نفسه الخسيسة في سبيل شتراء الروح النفيسة، سكر بشراب الآداب مصحّا لدى باب الاقتراب، ثم سكر بشراب اللباب، وصحا في حضرة الوهاب، المريد من مات عن هواه حيًا معاشر، وتخلى عنه مولاه معطش، وله أدب في نفسه ومع شيخه ومع إخوانه، ألف الأعيان فيها ليدخل مصافقها، جنة آمنة، (صَائِبِ حَسَبِكُم) فهو مخصوص من عموم، فإن أهل الإرادة أعم في المفهوم، يرد طلاب حب أعز صب، انصفوا بطلبة الأحباب، بل هم الغرباء بين الأدباء، فعلى قدر شرف المطلوب شرف الطالب، ولما كان طالب الحق طالب علوم غريبة وفهوم عندهم غير قريبة، إذ يطلب إليه وانحلف عليه تغربت عن وطنها، فيقال لغرابته مستهونًا بشد شد حطته

قل فيه غريب، ومتى لاح له بارق من بوارق الشهوت وتغرب به عن ... وه هو

الوجود، وعلم أنه لا وجود لموجود إلا بالله المعبود، وعرف قول العارف المردود، وطلب غيره في الأرض كلها، كطالب ماء من سراب بقيعة، وفي الحديث: «طلب الحق غربة»(1) أي: غريب من طلب تغرب عن عاداته، وارتحل عن مراداته، وسافر عن عقلائه، وتغرب عن خلانه، وكذلك من طلب الحق تغرب عن الباطل، وأدى الواجب عليه ولا ينقص.

وما عزت الطلاب وقل الخطاب، توحش سالك طريق الرحيب؛ فكأنه في غربة وليس بغريب، وأنشدوا:

وما عزت الطلاب إلا لأنه ... إذا عظم المطلوب قل المساعد

وفي «العدة»: من طلب الله وجده، وهو حسن، أي: من طلب، فإن من طلب ما طلب نفسه، بل الله له طلب، فلو وقع طلبه في نفس الطالب، فوجد المطلوب عين الطالب والمرغوب عين الراغب، ومتى ارتفع ستر الغيب عن الحق، فحضر المطلوب، وقد تجرد عن وجوده غائب في نور وجود الحق وشهوده، وتحقق أن وجوده سراب، ووجد الحق عنده فأسقاه من معرفته شرابًا؛ وما دامت العبودية فالطلب ثابت والحكم لا يرتفع؛ وما به لعبد في الدارين ينتفع، وفي حديث: «وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم؛ فحجاب العزة المسدل الذي لا يزول ولا يتبدل»(2).

(فَلَمْ يَعْرِفِ الْأَحْزَانَ) جمع حزن، ضد السرور، (فِيكُمْ)، أي: في حال وردكم وطلبكم، والتقريب من مقام وصلتكم لغيبته في آثار أنوار حضرتكم، وفنائه في شهود جمال الحضرة عزتكم، أو لعدم رؤيتها لقصور المنظر عن مشاهدتكم، وهذه حالة المتوسطين، وأما أهل النهاية فهم خمشهم وسداها، وملح طعام حالهم، ورأس مالهم في طلب مولاهم، وحالة الخواص هي حالة العوام؛ فإن النهايات رجوع إلى البدايات أيها العوام.

قال الإمام القشيري ﷺ في «الرسالة»: الحزن يقبض القلب عن التفريق في أودية الغفلة، والحزن من أوصاف أهل السلوك، سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: صاحب الحزن يقطع من طريق الله تعالى ﷺ في كل شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه سنين، وفي الخبر

---

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (1/293).

(2) ذكره حقي في تفسيره (9/75) بنحوه.

أن الله تعالى يحب كل قلب حزين.

وفي التوراة: «إذا أحبَّ الله عبدًا نصب في قلبه نائحة، وإذا أبغض عبدًا جعل في قلبه مزمارًا».

وروي: أن رسول الله ﷺ «كان متواصل الأحزان دائم الفكر»(1).

وقال بشر بن الحارث: الحزن ملك، فإذا سكن في موضع لم يرض أن يسكنه أحد.

وقيل: إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب، كما أن الدار إذا لم يكن فيها ساكن تخرب، ثم قال: وتكلم الناس في الحزن، فكلهم قالوا: إنما يحمد حزن الآخرة، فأما حزن الدنيا فغير محمود، إلا أبو عثمان الحيري فإنه قال: الحزن بكل وجه فضيلة، وزيادة للمؤمن، ما لم يكن بسبب معصية، فإنه إذا لم يوجب تخصيصًا فإنه يوجب تمحيصًا، وكان بعض المشايخ إذا سافر واحد من أصحابه، يقول: إذا رأيت الحزن فأقرئه مني السلام.

وبسنده إلى الفضيل بن عياض أنه قال: كان السلف رحمهم الله يقولون: إن على رأس كل شيء زكاة، وزكاة العقول الحزن.

وقال الإمام الأكبري في «مواقع النجوم»: الحزن حلية الأدباء، فرضي الله عن المحزون، فليتني أرى محزونًا، يا أيها المحزون طوبى لك، ثم طوبى لك، والله لسعيد أنت، والله صاحب التحقيق أنت، والله خليل الصديق ـ وهو أبو بكر رضي الله عنه ـ أنت، ليت الله يمن به من خزائن جوده، فللحزن مخازن لا يعطي الله منها شيئًا إلا لصديق محبتي، فحزين عرف بقدره حزين، هو العارف الحزين، هو الوارث الحزين، سر الله في أرضه حزين، إذ فُقد من القلب حزن، يا مخدوع بظن لك في الحاصل وأنت في الفائت، يا مسكين متى لست تعلم أن الذي فاتك أكثر مما حصل لك، فبأي شيء تفرح، صاحب الأمن والبشرى في هذه الدار قرن على التقصير في هذه النعمة، مع أنه يرى توليها الحق في نفسه شكرًا، وهو عري عن ذلك، ناظر بعين التوحيد والأدب، أنت أنت وهو هو.

وإذا كان صاحب الأمن بهذه الحالة، فما ظنك بالخائف الذي لا يعرف ما قدمه، طوبى لمن كان شعاره الحزن، طوبى لمن كان دثاره الحزن، وبيته الحزن، وطعامه الحزن.

---

(1) رواه الطبراني في الكبير (22/ 156).

وشر به حزن، به يتعبد الصديقون والنبيون، الحزن جامع الخير كله؛ إذا أحب الله عبدًا ألقى به نائحه في قلبه، من لم يذق طعم الحزن لم يذق لذة العبادة على أنواعها، فلا يعرف بنفي ما تسمع من قول صديق متمكن أن الحزن مقام نازل

فليس يريد صاحب «المحقق» ﷺ ما تخيله بعض المتطفلين على الطريقة، فإن الحزن تابع لسمع العين، مثل العلم تابع المعلوم، فيتصع باتصاعه ويرتفع بارتفاعه، فحيث أقدمك الحق في أعلى المقامات، التي تنتهي إليها أعلى الموجودات، هل دنت شيء أم لا؟ أم من جهة احترامها لعلوها، أو من جهة أخرى فوق هذا الست، تجد الحزن إن كنت مكملاً غير محجوب بشيئًا، وإن حجبك ذلك المقام فأنت ذا نقص، فليت الله يمن على قلبي بلطيف الحزن ودقيق الشعور؛ ثم قال:

مطلــع هلالــه حــزن الفــؤاد بــه	ودينــه ومذهبــه إن حييتــه وجدتــه
أمــرًا عــبرًا مــركبه، وكــل	مــن شــغله مقامــه لا يطلبــه

وقال في «العادلة» إن من رجال الله من يضحك ولا يبكي، ومنهم من لا يضحك ولا يبكي، ومنهم من يضحك ويبكي، ومنهم من يبكي ولا يضحك، وهذا لكامل الذي يوفي المقام حقه، فإن علم مراد الله من البكاء بكى، وإن علم أن مراده الضحك فيضحك، ولهذا كان رسول الله ﷺ مع كونه متواصل الأحزان يضحك أحيانًا حتى تبدوا نواجذه، وكان أكثر ضحكه التبسم، فالغالب على غلبات خلق الانبساط مع ملازمة الأدب على البساط، بما يفوح ويلوح لهم من شهاتة لمحات الحب، وينجلي لهم من عظيم جسيم المدد الأسماء.

قال الإمام الشوبوني ﷺ في «شرح الأسماء» عند الكلام على اسمه الباسط والبسط قد يكون بعد لسعة الرحمة الإلهية، فكل قبض لا بُدَّ أن يعقبه بسط ولا يلزم عكسه؛ كرحمة أمم رحمهم الله بما عاده بعد وقوع العذاب بهم، فهذا بسط بعد قبض، ويمكن أن يعقبه قبض مؤلف، فظهور أحكام هذه الحضرة في موطن الآخرة أو على من هو في حكم الآخرة من أهل الفناء في الله، فإن لهم إرسال عنان الفرح في ميادين البسط، ودول السرور بما حصلوا من الحضرة الإلهية من نفحات ألطاف العناية، ونسمات أنوار اصطفائه

ومن عنده من وفقهم الله تعالى لوجود أفراح العباد على أيديهم، وأدنى درجاتهم

من يضحك الناس بما هو مباح، وهو الذي يسمى مسخرة؛ فيهزو به الحاضر، ويضحك عليه، ولا يرى له وزنًا، وأين هذا الجاهل من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم: 43]

فالعارف المراقب الذي يشاهد آثار تجليات الحق في أعيان الوجود، ويرى النعت الظاهر في عين المسخرة ويعظم قدره، ولهذا كان نعيمان الأنصاري يحضر بين يدي رسول الله ﷺ فيضحكه، وحاشا منصب النبوة أن يعتقد فيه السخرية والاستهزاء، بل كان ﷺ يشهد محلاً إلهيًا يشاهد هذا الوصف الإلهي في مادته؛ أي: الإضحاك المشار إليه في الآية، وحقيقته تلك لا تنكشف إلا للعلماء بالله، انتهى

فمريد الحق لا يعرف الأحزان شغلاً بشهود الديان، فلم يبلغ درجة الاعتدال الوسطى الكمالي رجحان (ولا) يعرف هذا المريد أيضًا (الهمّا)، والهم: الحزن لغة، وقيل: إن الهم الذي يكون في أمر متوقع، والحزن فيما وقع، والهم: هو الحزن الذي يذيب الإنسان، فهو أشد من الحزن، وهو خشونة لما يحصل فيها من الغم، فافترقا، وقال القاضي: الفرق بين الهم والحزن: أن الحزن على الماضي، والهم على المستقبل، وقيل: الفرق بالشدة والضعف.

قال: من حيث إن تركيبه أصل في الذوبان، يقال: أهمني المرض؛ بمعنى أذابني، وسنم مهموم: مذاب، وسمي به ما يعتري الإنسان من شدائد الغم؛ لأنه يذيبه، وهو أبلغ وأشد من الحزن الذي أصله الخشونة، وفي الحديث: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال**»(1).

فإن قلت: كيف استعاذ النبي ﷺ من الهم والحزن مع أنه كان متواصل الأحزان، وهو عين الكمال في حقه لأنه من نتائج العجز، وهو صفة العبد؟ قلت: استعاذ من رؤيتهما والأنس بهما، أو يكون استعاذ من حزن وهم يكونان في أمر الدنيا حتى يصرفان النفس عن النظر إلى العقبى، أو الفطرة التي فطر الله العباد عليها، وهي الحيرة في جلاله، وجماله وهذه لا انفكاك للعبد عنها.

ومن قال بزوال الحيرة في الله فمراده: عند التجلي في عين عدم المراد، وبغير هذا

(1) رواه البخاري (3/ 1059).

الشعراني عن شيخه الخواص في «ميزان الذرية»[1]، فتكون الاستعاذة من الحجب عن

---

(1) قال الشيخ الشعراني في «الميزان الذرية»: الحيرة في الله من كمال المعرفة به، وهي سارية في جميع الوجود، وذلك أن العالِم ما ظهر إلا على ما هو عليه من العلم الإلهي، وما هو في العلم الإلهي لا يتبدل: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: 30] لأنه لم يفطرهم إلا على الحيرة، وذلك لأن المرتبة الإلهية تعطي بذاتها التقييد عنها، والمؤمن يعطي الإطلاق عنها، ولا نشهد إلا صورها من التقييد. فهذا هو سبب شدة الحيرة في الوجود، ولا أحد أشدّ حيرةً في الله من العلماء به؛ ولهذا ورد أنه ﷺ كان يقول: «ربّي اللَّهُمَّ زِدْنِي فِيكَ تَحَيُّرًا»، ومع ذلك فأعلى ما يحصل به العلماء بالله تعالى من طريق نظرهم مبدأ العالم؛ لأنها كغيرها محصورةٌ على حيرة في الله ﷻ، والإنسان يريد أن يخرج بما أعطاه الله تعالى من العقل والروية وإمعان النظر عن الحيرة التي فُطر عليها، فلا يصحُّ له ذلك. وعلى هذا الذي قررناه الإشارة بقوله تعالى في حقّ قوم: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 44] فإن التشبيه بالأنعام إنما هو في الحيرة لا في المحار فيه، فليس ذلك نقصًا في الأنعام، وقوله: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أي طريقًا؛ لأنهم زادوا عن ضلال البهائم وحيرتهم في الله، والحيرة عَمًى بلا شكٍّ، ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: 72] أي جاهلًا بالذات، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، كما هو في الدنيا؛ ولذلك كان العارف المحقق عمرو بن عثمان المكي يقول في صفة العارفين: وكما هم اليوم يكونون غدًا. فعُلم أن من طلب معرفة الذات من طريق الفكر والنظر كان مآله إلى الحيرة، كما أن من طلب التوحيد في عينه لم يحصل إلا على الحيرة، فإنه لا يقدر على الانفكاك من الجمع والكثرة في الطالب والمطلوب، وكيف يقدر على ذلك، وهو يحكم على نفسه بأنه طالبٌ، وعلى نفسه بأنه مطلوبٌ، ومقام التوحيد يتعالى أن يحلّ في شيءٍ، أو يحلَّ فيه شيءٌ؛ لأن الحقائق لا تتغير عن ذاتها، إذ لو تغيرت لتغير التوحيد في نفسه، وتغير الحق في نفسه وتغيير الحقائق محالٌ.

واعلم أن حيرة أهل الكشف والشهود أعظم من حيرة أصحاب النظر في الأدلة؛ لاختلاف الصورة عليهم عند الشهود، فإن أصحاب النظر والفكر ما برحوا بأفكارهم في الأكوان، فهم بين محيِّرٍ ومتحيِّرٍ، وهؤلاء ارتفعوا عن الأكوان، وما بقي لهم شهودٌ إلا فيه، فهو مشهودهم، فكانت حيرتهم باختلاف التجليات أشد من حيرة النُّظّار في معارضات الدلالات، وفي الحقيقة ما في الوجود إلا الله، ولا يعرف الله إلا الله، فمن وصل إلى الحيرة من الفريقين فقد وصل، والسلام.

وسمعت شيخنا يقول: العلماء بالله على أربعة أصناف: صنف ما لهم علمٌ بالله إلا من طريق النظر الفكري، وهم العقلاء بالسلوب. وصنف ما لهم علمٌ بالله إلا من طريق التجلي، وهم القائلون بالسلوب والحدود التابعة للصورة. وصنف يحدث لهم علمٌ بالله بين الشهود والنظر، فلا يقولون بالصورة في التجلي، ولا يصلون إلى معرفة هذه الذات الظاهرة بهذه الصورة في عين

—

الخيرة في الأحباب، ولما توسل بها توصل، وغص بها في اشتهائه تحصل، أحدثته حرارة حرارة الصراعة، وبذلته مرارة خوف عدم الإجابة في باع الكآبة وراعه، وثارت زفرات حسراته، وذرفت عيون عيونه كالدماء مخافة إقصائه؛ لوجوب قلب أو ه عنت مسب في سبل التقرب المحبب، لا عن ثوران مرة سواد هم ولا صفراء حرب وهم، ولا حمرة وحصية تشبه الدم، ولا ساطي امتاض يحاكي البلغم، بل خشية ردٍّ ورهبة صدٍّ؛ فقد قيل حقق الله عنه

المتحيرين، وصنف ليس واحداً من هؤلاء الثلاثة، ولا يخرج عن جميعهم، وهو الذي يعلم أن الله تعالى قابلٌ لكل معتقدٍ في العالم، من حيث إنه عين الوجود، وهذا القسم ينقسم إلى صنفين: صنفٌ يقول: عين الحق هو المتجلي في صور الممكنات، وصنفٌ يقول: أحكام الممكنات، وهم الصور الظاهرة في عين الوجود الحق، وكلٌّ قال ما هو الأمر عليه، ومن هنا ثبتت الحيرة في المتحيِّرين، وهي عين الهدي في كل حائرٍ، فمن وصل مع الحيرة حار، ومن وقف مع كون الحيرة هدًى وصل، ومن وصل لا يرجع، لأن من المحال الرجوع بعد كشف الحجاب إلى الحجاب؛ إذ المعلوم لا يجهله العالم بعد تعلق العلم به. ومرادنا بالوصول الوصول إلى السعادة التامة. وهو معنى قوله: «فإذا أحببتُه كنتُ سمعه وبصره» الحديث. فَعُلِمَ أن من أعظم غلطات أهل النظر طلبهم الخروج عن الحيرة بالخبرة والرياضة، وذلك لا يكون لهم أبدًا، لأن التجرد عن المواد يُعقل ولا يُشهد، ولا يُسلم لهم عقلٌ من حكمٍ ولا خيالٍ؛ لأن كل ما سوى الله حقيقته الإمكان، والشيء لا يزول عن حكم نفسه، ولا يتعقل إلا ما كان على صورته، تعالى الله عن ذلك. وكان شيخنا ﷺ يقول: من الرجال من زالت عنه الحيرة في الله ﷻ. فقلت له: كيف ذاك؟ فقال: إن تجلي الله تعالى متقلب في غير عدم المواد زالت الحيرة، وعلم من الله على قدر ذلك التجلي من غير تعيينٍ، إذ لا يقدر أحدٌ على تعيين ما قد تجلَّى له إلا كونه تجلى في غير مادةٍ لا غير، ثم إذا رجع من هذا التجلي إلى عالم المواد صحبته تلك تجلي الحق تعالى.

ففي من حضر يدخلها إلا ويعرف الله تعالى في تجليها؛ لأنه قد ضبط من معرفته أولاً ما ضبطه، فعلم أن التجلي قد تحوَّل في أمر آخر، فلا يجهله بعد ذلك أبدًا، ولا يحتجب عنه، فإن الحق تعالى ما تجلى لأحدٍ هذا التجلي، فاحتجب عنه بعد ذلك أبدًا. فإذا نزل العبد إلى عالم حجبه فقد عرف الأمور على ما هي عليه مشاهدةً بعد أن عرفها قبل ذلك علمًا وإيمانًا رأى الحق تعالى في صورة عالم معيّنة أعلم منكرها لكن لا يسعه إلا السكوت؛ لأنه حينئذٍ يرى أن لا معلوم إلا الله، وإذا كان لا معلوم إلا الله فلا يدري أحدٌ ما يقول ولا كيف يسب الأمور.

(دعوْناك) أي سألناك مجمعا أو جيعنا دعاء موقنًا بالإجابة، مظهرًا لمكانة، (والأحْشاءُ) بالمد للضرورة. وهي ما انضمت عليه الضلوع، وهي مبتدأ، (يَبْدُو) فعل مضارع، و(زَفِيرُها): فاعل.

ثم قال حفظه الله عنه الأثقال:

دعــوْناكَ والأحْــشاءُ يــبْدُو زَفــيرُها وَعَيْــنَايَ جَــادَا في دُمُــوعِ كَمَـا الــدَّمَا

قال الشارح (دَعَوْنَاكَ) أي سألناك بجمعنا، أو جميعنا دعاء موقن بالإجابة مظهر لمكانة، (وَالأَحْشَاءُ) بالمد للضرورة، وهي ما انضمت عليه الضلوع، وهي مبتدأ، و(يَبْدُو) فعل مضارع، و(زَفِيرهَا) فاعل. وجملة (زَفِيرهَا)خبر، والجملة اسمية في موضع الحال. يبدو بدون همزة بمعنى: يظهر لك وليتأتى بعد استقرارها في صميم جناني، (زَفِيرهَا)أي تنفسها الداخل من الخشية التي تدخل الرجل عظيم المداخل، وفي «التهذيب»: والزفير إدخال النفس والشهيق إخراجه، وقد زفر يزفر، والاسم الزفرة، والجمع زفرات بالتحريك؛ لأنه ليس بنعت وربما سكنها الشاعر للضرورة كما قال: وستريح النفس من زفراتها، والزفير الراجية وزفرة الرجل أنصاره وشيعته عشيرته، انتهى.

المهم أن تعلم أن زفر الأحشاء المضطرمة عن الغرام المقومة لمعوج ضلوع، أو أم لمستهم وبه زفر أحشائي أقيمي من الحوى حنايا ضلوعي فهي غير قويمة، وعيناي معطوف على الاختيار وعلها الابتداء، وجاد فعل ماض، والألف علامة التثنية، والجملة خبر، والياء للمتكلم مثنى عين، وجمعها: أعيان وأعين وعيون، وتأتي المعان كثيرة، جادا أي: سمح وسمحت، أو ماسحًا في دموع جمع دمع، قال في «القاموس» الدمع: ما للعين من حزن، أو سرور، جمعه دموع، والدمعة: القطرة منه، انتهى.

ذكر قال بعض الأخيار: دمع الحزن حار ودمع الفرح فاتر، ومنه: أقر الله عينك؛ أي: أبرده، وأنشد بعضهم.

طفــح لــسرور عــليَّ حتــى أنــه مــن عظــم مــا قــد سرني أبكــاني

قال بعض أهل التحقيق: البكاء عند التلاق من بقايا أثر الفراق، ومن فوائد سكب الدمع وجريانه ما قاله الصديق الأكبر في ديوانه: ألم تعلما أن الدموع إذا جرت دواء صداع الرأس والخفقان، وقد يجري الدمع منضًا على أصله ومسوكا، وقلت في ذلك

لا تسلوا دمعي المسود حين جرى ... من مقلتي بحب عدن

جرت عيوني دمعًا حتى أنها ... جرى السواد كسيل سح منهال

واعلم أن منشأ جريان الدمع الرغبة، وتارة يكون عن الرهبة، وتارة عن بوادر صدمات المحبة، وجثا عن بوادر عزمات تطلب القرب ووقفا من خشيته، وحذرًا وخوفًا من خوف نار، وطمع دخول دار قرار، وبعض الأحيان يكون عن تذكر ذنوب، وتفكر عيوب.

وجاء في الحديث الشريف: **«لا يلج أحدٌ في النار بكاء من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع»**[1].

وقال عقبة بن عامر ﷺ: ما النجاة يا رسول الله؟ قال: **«أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»**[2].

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: قلت: يا رسول الله يدخل الجنة أحد من أمتك بغير حساب، قال ﷺ: **«نعم من ذكر ذنوبه فبكى»**[3].

وعنه ﷺ: **«ما من قطرة أحب لله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى»**[4] كذا في «الأخبار».

ومن دعائه ﷺ: **«اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان القلب بذرف الدموع من خشيتك قبل أن تكون الدموع دما والأضراس جمرا»**[5] رواه ابن عساكر عن ابن عمر، وعنه ﷺ: **«لو وزن دموع آدم بجميع دموع ولده لرجح دموعه على دموع ولده»**[6] رواه الطبراني، وابن عدي، والبيهقي، وابن عساكر عن سليمان بن بريدة عن أبيه، قال ابن عدي: روي موقوفًا عن ابن بريدة، وهو أصح (كَمَا) أنها الكاف للتشبيه، وما زائدة، و(الدَّمَ) جمع دم، وأصله دمي بوزن فعل، وقال المبرد: أصله دمي بالتحريك، والذاهب منه الياء، وهو الأصح، وتصغيره دمي، كذا في «المختار». وأنشد بعضهم

(1) رواه الترمذي (4/ 555)، والنسائي (6/ 12)، وأحمد (2/ 505)

(2) رواه الترمذي (4/ 605)، وأحمد (4/ 148)

(3) ذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (8/ 340)

(4) رواه معمر في الجامع (11/ 188)

(5) رواه ابن أبي عاصم في الزهد (ص [illegible])

(6) رواه البيهقي في الشعب (1/ 500).

أمنت أن تتقطعوا بوصالكم فرأيت من هجرانكم ما لا أرى
وعلمت أنْ بعادكم لا بُدّ أن يجري له دمعي دما وكذا جرى

وقد أكثرت الشعراء من ذكر الدماء مكان الدموع، فإنها إذا تعدت سال الدم، وهذا من باب المبالغة، وإن قلت: والتالي لهذا البيت إذا لم يكن حاله كما ذكر، هل يعد قوله كذبًا أو لا؟ قلت: لا؛ لأن البكاء ربما وجد في القلب، ولم يظهر منه على الحس شيء، ولقد كان الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: ليس البكاء بكاء العين، وإنما البكاء بكاء القلب، فإن الرجل قد يبكي وقلبه قاسي، وكان سفيان بن عيينة رضي الله عنه يردد الدمع في عينيه، ويقول: أنه أبكى للكمد انتهى.

والإنسان عالم كبير في تقيه، فربما بكى، أو سر، أو روحه، ولم يشعر بما يجد رقة في باطنه، وذلة، واستكانة، ولم يشعر أن هذا من بكاء عوامله الباطنية لتجلي إلهي حصل له، أو مدد رباني، أو تعرف صمداني، فيقرأ البيت وهو في بكاء روحاني، ويصدق في قوله كل الدماء، فكان بكاء الأرواح، والعالم الجثماني أبلغ من بكاء الإنسان بالدمع المائي؛ لأنه عن شهود إنسي، وحود وجود نفساني، وربما بكاء بطرفه الحساني بكاءة صدرًا عن أمر سبحاني في عمره مرة، أو مرتين، أو أكثر، فيصير يخبر عن ذلك ويصدق في إخباره؛ لصدوره من السالك فيما هنالك، وقس عليه، والأحشاء يبدو زفيرها، وكذلك قولنا في «المنهجة»: ودموع العين تسابقني من خوفك تجري كاللمح، والمراد: إظهار الخضوع والتمسك بين يدي مولاه لا يحسن التملق.

وكان سفيان الثوري -رحمه الله سبحانه وتعالى- يقول: البكاء عشرة أجزاء، واحد منها لله، والتسعة كلها رياء، فإذا حصل الجزء الذي لله في السنة مرة واحدة يبحو صاحبه من النار إن شاء الله تعالى.

وفي الحديث: «بكاء المؤمن من قلبه، وبكاء المنافق من هامته»[1].

وعنه ﷺ: «المنافق يملك عينيه يبكي كما يشاء»[2].

عن مالك بن دينار: قرأت في «التوراة»: إذا استكمل العبد النفاق ملك عينيه،

(1) رواه الطبراني في المعجم الصغير (2/ 41) (2) ذكره المناوي في فيض القدير (6/ 277)

ومن ثم قيل دمع الفاجر حاضر.

قال المناوي -رحمه الله تعالى- قال الصلاح الصفدي رحمه الله تعالى: رأيت من يبكي بإحدى عينيه، ثم يقول لها: قفي فيقف دمعها، ويقول للأخرى ابكي أنت فيجري دمعها، انتهى.

وفي «تنبيه المغترين» للإمام الشعراني قدس الله سره الذي لا يكمل مقام الرجل في البكاء إلا ببكاء عينيه وقلبه، والباكي بأحدهما ناقص؛ لاسيما إن كان له أتباع، فإن بكاؤه بالقلب لا يذوقه أتباعه، فيحتاج إلى بكاء العين ضرورة، وإن كان مقامه عن ارتقاه عن ذلك، انتهى.

وسبب سحها كذلك خشية المالك، وفي حديث زين المملك الذي نذرت بظهوره حوالك: «عينان لا تصيبهما النار؛ عين بكت في جوف الليل من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»[1].

وعنه ﷺ: «عينان لا تريان النار أبدًا؛ عين بكت وجلاً من خشية الله، ورحم الله عينا سهرت في سبيل الله، وعينا باتت تكلأ في سبيل الله»[2].

وعنه ﷺ: «رحم الله عينا بكت من خشية الله»[3] وحق لمن في ميدان المعاصي عدى، ولم يدر إلى ماذا يؤول أمره غدًا أن يبكي الدِّما، ويهجر الفنا

وحق لعين الصب تبكي الدماء أسى ... إذا لم يكن يدري غدًا ما الذي يجري

ولاسيما إن كان لم يرضي ربه ... وفي مرصد أن الوفاء لم يكن يجري

ولا عجب أن ذاب من حرقة النوى ... فإن راع الخوف في قلبه يجري

ولما ذكر أن أحشاءه بدا ضيعها، وعينيه كالدماء جرى صبيبها، ومن كان حاله كذلك يقينًا، أو عليه طرق من المسالك لابُدّ أن يفنى صبره عن احتمال هذا الحال؛ فعندها لم يبق سوى خلال. وصبري الصبر هو تجرع المصائب، والشدائد من غير شكوى، والمكابدة على جزعه من له كلل يهوى، وربما استغرق بالموارد الإلهية المحب المجذوب، فلم يشعر بها و...

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 488) (2) رواه النسائي في السنن الكبرى (3/ 11)

(3) رواه الترمذي (4/ 175)

البلايا بعينه بمشاهدة المحبوب، وقيل: هو حبس النفس على المكروه، وعقد اللسان عن شكواه، ومكابدة الغصص في تحمل العبد بلواه، وهو على ثلاثة أقسام.

صبر العوام وهو تحمل مشقة، وتجرع غصة، والثبات على ما يجري من الأحكام، وهذا هو الصبر لله.

والثاني للمريدين؛ وهو الصبر بالله، وحقيقته؛ محبة ما يصنع به مولاه، وفيه تسهيل وتخفيف؛ لثقل الموارد.

والثالث: صبر العارفين؛ وهو الصبر على الله وحقيقته التلذذ بالبلوى، والاستبشار باختيار المولى، وتسمى: الاصطبار الصبر الفاروق الأفخم، والترياق الأعظم، وبه حفظ القلب والروح مربوط، وكذا الروح والصفاء، ولو لم يكن فيه إلا معية الله مع أهله لكفى، وهو كما في الحديث: «الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله»[1]

وفي الحديث أيضًا: «الصبر والاحتساب أفضل من عتق الرقاب، ويدخل الله صاحبهن الجنة بغير حساب»[2] وعنه ﷺ: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد»[3]

قال المناوي ـ رحمه الله تعالى الكبير ـ في «شرحه الكبير»: لأن الصبر يدخل في كل باب، بل في كل مسألة من مسائل الدين، فكان من الإيمان بمنزلة الرأس من الإنسان.

قال علي ﷺ: فإذا قطع الرأس مات الجسد، ثم إنه رفع صوته قائلًا: أما أنه لا إيمان لمن لا صبر له؛ أي: وإن كان فإيمانه قليل، وصاحبه ممن يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه.

وعنه ﷺ: «الصبر عند الصدمة الأولى»[4]

وعنه ﷺ «الصبر عند المصيبة»[5] والعبرة لا يملكها أحد صبابة المرء إلى أخيه، قال الشارح المذكور أعظم الله له الأجور: الصبابة رقة الشوق وشدته.

فائدة: قال ابن القيم: الصبر ينقسم إلى الأحكام الخمسة؛ فالواجب الصبر على الواجب، وترك المحرم، وتحمل المصيبة، والمندوب الصبر على فعل المندوب، وترك

(1) رواه الديلمي (4/ 175) (2) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 233)

(3) رواه أحمد (1/ 340) (4) رواه وكيع في الزهد (1/ 220)

(5) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 123)

المكروه، والمحرم الصبر على ترك نحو الأكل حتى يموت، والصبر على نحو حية، أو سبع، أو غرق، أو كافر يقتله، والمكروه الصبر على نحو علة الأكل حدًّا، أو عن حسبه بلا حاجة، والمباح الصبر على ما خير بين فعله وتركه، انتهى.

وقد ورد في فضل الصبر أحاديث كثيرة.

منها ما هو على مطلق البلايا، والأمراض، والمصائب.

ومنها ما هو خاص؛ كالصبر على فقد البصر، وفقد الأولاد، والحمى، وغير ذلك من أنواع المكاره والشدائد، وفي «غنية أرباب السماع» للعجيلي المطلع الصبر هو السكون عند نزول البلاء.

وله علامات، الأولى: عدم الشكوى من المبتلي، الثانية: عدم الملل من دوام البلاء، والصابرون على مراتب.

منهم: من صبره احتسابًا بالله طلبًا لجزيل الثواب، وسكونٌ إلى صدق وعد من لا يخلف الميعاد، وهذا هو صبر العباد، وكافة أهل النسك، وهو صبر معلول.

ومنهم: من صبره لا من أجل الثواب، فيحمل أعباء البلاء لأجل المبلي رضى بقضائه وقدره، وهذا هو صبر السالكين.

ومنهم: من صبره في الله؛ يعني في حب الله، لا يجد مرارة الصبر، بل لا يجد مشقة البلاء، ثم ينتهي في هذا المعنى إلى أن يلتذ بالعذاب، كما يلتذ بالنعيم نظرًا إلى فعل الله، كما قال سلطان المحبين، وقدوة العاشقين الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض ﷺ وأرضاه:
وتعذيبكم عذب لدي، وجوركم عليَّ بما يقضي الهوى لكم عدل.

ومنهم: من صبره على الله؛ وهو صبر المريد، فيصبر على حمل أعباء دوام التعلق بالله، فضبط الإحساس، وعد الأنفاس، ولا يشتغل أبدًا إلا بالله، فلو اشتغل بشغل ما، لكان مشتغلًا بالله في ذلك الشغل عن شغله، كما قيل:

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي ... فأصبح لي عن كل شغل بها شغل

ومنهم: من صبر مع الله فلا يخطر له خاطر غير الله كما قال بعض الشيوخ كتب بوابًا قلبي ثلاثين سنة صبرت مع الله فيها، وما تركت القلب يسرح ويربع في شيء سواه، وهذا الصبر؛ هو صبر العارفين.

ومنهم من صبره عن الله، لكن بالله، وذلك أن العبد إذا وصل إلى الله، وتحقق بمقام بقائه في حضرة الله، كان سمعه وبصره، وقد يرجعه الله إلى الخلق لتكميله، أو تكميل غيره، فيرسل دونه حجابًا رقيقًا، فيقف العبد خلف ذلك الحجاب، وقد يتأدب لكن مقام ما يرومه من الأدب، فصبره في هذه المرتبة عن الكمالات الإلهية هو الذي يسمى بالصبر عن الله، وهو أشق الصبر وأمره وأصعبه؛ ولكنه للمحققين، انتهى

قلت: وهذا الصبر هو الذي يصبر عليه أبو يزيد بلغه الله المزيد لما قيل له: اخرج إلى خلقي بوصفي أي: صفتي لعبادي، وحببني إليهم ليحبوا القرب، ويأتوا [ادرب ويسقوا] شربي فما خطا خطوة صعق، فقيل: ردوا علي حبيبي فلا صبر له عني؛ لكن قد يقال: إن عدم الصبر كان في مقام المحبة، فلما بلغ مقام القوت، ورزق لذة الحب لا الحب لغيبته بلذة الحب عن الحب صبر بالله، فهون تحوله عليه عسيرة، ودعا إلى الله على بصيرة.

وقال سيدي عبد الله بدر الحبشي رضي الله عنه تلميذ الإمام الأكبري في كتاب الإنباء في طريق الله الذي جمعه من كلام الشيخ رحمه الله تعالى: وقال: رجال الصبر على أقسام: فصابر عن الله، وهم رجلان: رجل مخالف لله في كل ما أمر به ونهى عنه، وهو صابر عن الله؛ لأنه غير ملتفت إلى الجانب المقرب إلى الله، ورجل صبر عن الله بنسبة الصبر إليه كنسبة الصبر إلى الله من اسمه الصبور، وهو أعلى المقامات في الصبر وأسمى أحواله، وصابر مع الله وهو الذي يشاهد المعذب وقت تعذيبه إياه، فتصحبه المشاهدة في العذاب، وصابر بالله، وهو الذي يسأل الله الصبر عند حلول البلاء، وصابر لله وهو يحتمل البلاء رجاء لقاء الله، وصابر في الله، وهو الذي يؤذى في ذاته إذ قال: احتملت في الله فيختبره الله، وصابر لله وهو الذي يحتمل البلاء رجاء لقاء الله، وليس البلاء ما يطلق عليه العامة اسم البلاء، فقد يبتلي الله عباده بالسراء كما يبتلي بالضراء، وحكم الحال فيه يختلف؛ فمن ابتلي بالضراء طولب بالصبر، ومن ابتلي بالسراء طولب بالشكر، هذا الأمر ظاهرًا وباطنًا؛ حتى أنه إذا وجد لذة عند الحرق بالنار فما هو مطالب في هذا الوقت إلا بالشكر لأنه في نعمة، كما أنه إذا وجد الألم عند إسباغ النعم الظاهرة عليه طولب في ذلك الوقت بالصبر هكذا هي الحقائق، انتهى

(١) كذا في الأصل.

وقد عقد القشيري ﵀ في «الرسالة» بابًا، وأيده الحاتمي في فتوحه في باب الصبر، وتركه لنا.

وأنشد بعضهم فيه لما دخل مقامه وحظا فيه:

وصبرت ولم أطلع هواك على صبري ... وأخفيت ما بي منك في موضع الصبر

مخافة أن يشكو ضميري صبابتي ... إلى دمعتي سرًّا فتجري ولا أدري

وأنشد ابن عطاء الله حباه الله عطاء ما مثله عطاء:

سأصبر كي ترضى وأتلف حسرة ... وحسبي أن ترضى ويتلفني

وأنشد غيره، دام في الدارين سيره:

إذا لعب الرجال بكل شيء ... رأيت الحب يلعب بالرجال

وكيف الصبر عمن حل مني ... بمنزلة اليمين من الشمال

وأنشد الفرضي حباه الله من الرضا ما به أسارير وجهه تضيء:

وصَبريَ صَبْرٌ عنكُمُ وعليكُمُ ... أرى أبدًا عندي مرارته تحلُو

وقلت:

الصبر إلا عن لقائك يحمد ... والميل إلا عن فنائك يقصد

والسكر يهجر غير سكر مدامة قد ... عتقت فالقوم عنها تبعد

خمارها من يسق من خمارها ... إلا خصي فيها بها يتجرد

وله بها ولـه يزيد وأنة ... تسمو وحرقة مهجة تتوقد

ودموع عين لا تمل من البكاء ... وجموع أحزان بها تستجد

وطلوع شمس الحب في أسراره ... وسطوع أقمار اشتياق تشهد

فلمثل ذا الساق يبيح دنانه ... وبنزه حان المدام مسعد

وأداره للقاديم موهلاً ... أسقاه من كوب قديم يرشد

نعيت عن هذا الوجود وأهله ... سكرًا به درج المعارف يصعد

ويصيح أن سموه وصل وصالهم ... لا صبر لي عنكم ولا أتجلد

بالله لا تجفوا عبيدًا مغرمًا ... يسخو بروح كي به يتودد

عودوه القرب فقطع عوائد ... صعب لعشاق الملاحة يكمد

وحياتكم لا صبر لي في فقدكم ... وإذا منعتم وجدكم من أقصد

فبحق طه المصطفى خير الورى ... لا تحرموا رفدكم بل اجدوا

صلى عليه الله فيه مسلمًا ... ما القلب زورته قريبًا يرصد

والآل والأصحاب ثم وتابع ... ما عابد لله فيه يعبد

أو ما شدا شاد بذكر محبة ... أو مصطفى للسير صبحًا يجهد

قال المصنف:

وَصَبْرِي تَقَضَّى وَانْقَضَى الْعُمْرُ رَاحِلاً ... وَحُبُّكَ يَا مَوْلَايَ قَلْبِي قَدْ أَضَمْ

قال الشارح: (تَقَضَّى) قال في «القاموس»: (تقضّى): فني وانصرم؛ كتقضّض، انتهى.

(وَانْقَضَى الْعُمْرُ) قال في «القاموس»: والعمر بالفتح والضم وبضمتين: الحياة جمعه أعمار؛ أي: قارب الانقضاء وما قارب الشيء يعطى حكمه؛ إذ قد جاوزني التقدير، وكثرت النذر الداعية دعتني وحذرتني؛ أي: تحذير، ومع هذا فالغفلة مستولية على جناني، والمهلة تسوف وتوعد بكواذب الأماني، وأرجو من الكريم مولاي أن يجذبني مني إليه؛ لأكون من حضراته داني، وممن طال عمره وحسن عمله، ففي الحديث: «خياركم أطولكم أعمارًا وأحسنكم أعمالاً»[1] وفي رواية: «أخلاقًا».

وعنه ﷺ: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله»[2].

قال المناوي رحمه الله تعالى: لأن من خصال المؤمن: الازدياد، والترقي من مقام

(1) رواه أحمد (2/235).

(2) رواه الترمذي (4/566).

في مقام حتى ينتهي إلى مقام القرب؛ فلا ينبغي للمؤمن المتزود للآخرة الساعي في زيادة عمل الصالح أن يطلب قطعه عن مطلوبه بتمني الموت.

وعنه ﷺ: «خير الناس من طال عمره، وحسن عمله، وشر الناس من طال عمره، وساء عمله»(1).

وعنه ﷺ: «طوبى لمن طال عمره وحسن عمله»(2).

وعنه ﷺ: «السعادة كل السعادة طول العمر في طاعة الله»(3) وفي رواية: «السعادة [illegible]».

وعنه ﷺ: «كلما طال عمر المسلم كان له خيرًا»(4).

واعلم أن من الناس: من يمضي عمره مهملاً؛ فيذهب كله، ولم يك يومًا للقرب مؤهلاً.

ومنهم: من تدركه العناية في أوله فيتصوم في المهد، ويتكلم فيه، وينبه على من يرقيه قبل جد وبذل جهد.

ومنهم: من تحصل له الرعاية، وتعمه الحماية أوسط عمره، فيقوم بالله لا يريد غيره، وهذه الحال الغالب على كل طالب.

ومنهم: من تلحقه الألطاف آخر عمره بالإشراف من أهل الإشراف.

ومنهم: من يكون آخر عمره مبروكًا.

ومنهم: من يكون ممحوق البركة فيه متروكًا.

ومنهم: من يوسع له فيه حتى يقرأ في الدرجة ألف ختمة.

ومنهم: المجذوب بجذبة توازي عمل الثقلين تطلق رحله، وتفكك من قيد ختمه.

ومنهم: الذي يعمر الله عمره بالإمداد ويغمره بالإسعاف والإسعاد، ويرقى صاحبه المدرج الكلي، ويرفعه المقام الجلي العلي، وربما لا يدرك بذلك؛ لأن ترقيه بخطوة سير محولة بمعونة الله المالك، وربما يصلحه الله تعالى في ليلة؛ كالمهدي شدد الله عزمه وحصنه، وكثر رحمه وحمله، ووفر نيله ومثيله، ومن الناس: من يكون له في كل عام عمر فيسأل عنه فيخبر عن مدة طويلة تعمر عمل العمر عمرًا وبالعكس، ويكون بحسب سعة

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (3/ 480)

(2) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 287)

(3) ذكره المناوي في فيض القدير (4/ 140)

(4) ذكره المناوي في فيض القدير (5/ 8)

ضيق زمن ذلك العالم ووسعه، وله في كل عالم نشأة خاصة بين أهله، وظهور وفي قدمه وجمعه، وعمر السالك من أول سلوكه، وعمر العارف من مبدأ معرفته وزوال شكوكه، وعمر المحقق من ابتداء تحققه، وانكشاف السر له عن صحته وتمزيقه

قال الأكبر ﵁ في «العبادلة»: حشر العارفين عند موتهم، وحشر الغافلين عند بعثهم من القبور؛ فحياة العارفين لا موت فيها، وحياة العامة رجوع بعد مفارقة، فقد يكون عين المفارق، وقد لا يكون، فإن آفات الفرقة كثيرة

وقال فيه: تنقضي أعمار العارفين، وهم مع الحق على أول أقدامهم، فلم تنقض همم أعمارهم بما تعلقت به هممهم من إقامة حقوق الحق عليهم، وهم في الغيب مشهودون في الشهادة مغيبون، فهم ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وليس وراء الألف مرتبة، فإنه آخر مراتب الأعداد فيها ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: 4] وعين العارف ظهر هذا الفرقان في العلم والروح فيها ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: 193-194] تنزل الملائكة كذلك قلب العارف تختلف عليه الملائكة بضروب الأوامر، فإذا طلع الفجر زالت ليلة القدر؛ فصار نور أبعد ما كان ذو وجهين، وهذه أسرار لأهل الله مصونة عن أعين الأغيار ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114]، انتهى.

وقد كانت الأمم في عصر تقدم؛ مؤتلفة أموالهم، عزيزة أعمالهم، كبيرة أجسامهم، كثيرة أحوالهم، طويلة أعمارهم، فرحم الله هذه الأمة بنبيها نبي الرحمة، فكانت على عكس من سلف خير أمة خدمت رسولها، وأنعم بها من خلف.

جاء في الحديث الشريف عنه ﷺ أنه قال: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين»(1) قال المناوي -رحمه الله تعالى-: أي: البالغين من أمتي هذا القدر من العمر هم أقلهم، فإن معترك المنايا ما بين الستين والسبعين؛ فمن جاوز السبعين كان من الأقلين.

قال الحكيم: هذا من جملة رحمة الله على هذه الأمة، وعطفه عليهم أخرهم في الأصلاب حتى أخرجهم إلى الأرحام بعد نفاذ الدنيا، ثم قصر أعمارهم لئلا يتلبسوا بالدنس إلا قليلاً، ولا يتدنسوا؛ لأن القرون الماضية كانت أعمارهم، وأجسادهم على

(1) رواه الترمذي (5/ 553).

أضعاف منا؛ لأن أحدهم يعمر ألف سنة، وجسمه ثمانون ذراعًا، فيتناولون الدنيا بمثل هذه الصفة على مثل تلك الأجساد، وفي مثل تلك الأعمار؛ فأشروا وبطروا واستكبروا ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: 13، 14].

وعنه ﷺ: «أقل أمتي الذين يبلغون السبعين»[1] قال الشارح المذكور -رحمه الله تعالى: كذا في النسخ المتداولة بتقديم السين، قال الهيثمي: ولعله التسعين بتقديم التاء، انتهى.

«رَاحِلاً» أي: انصرم وفني متنقلاً، ومرتحلاً عني، ونصب على الحال المؤكدة، فإن العمر ينتقل في كل يوم إلى درجة أقرب من درجته التي كان فيها قبل الآخرة؛ إذ العمر كل يوم؛ بل وساعة تمضي فيه في نقص من الحياة الدنيا، وزيادة قرب من العقبى.

(وَحُبُّكَ): أي: وحبي إياك ولك، (يَا مَوْلَايَ): أي: يا ناصري ومتولي أموري (قَلْبِي) مفعول حبي، (قَدْ أَصْمَا)؛ أي: رماه فأهلكه وأفناه وهو يراه، ومن أصاب حشاه سهم الحب فقتله أحياه مولاه به، وأبقاه وسقاه من ماء الحياة فبلغ مناه.

قال في «التهذيب»: وأصميت الصيد إذا رميته فقتلته وأنت تراه.

وعن ابن عباس قال له رجل: إني أصمي الصيد فأصمي وأنمي، فقال: كل ما أصميت ودع ما أنميت، وقال فيه وتقول: رميت الصيد فأنميته إذا غاب عنك؛ ثم مات والنامي النامي، انتهى.

ولما أخبر المؤلف -سامحه الله تعالى: إن الصبر مني كالعمر في ارتحاله، وأن الحب في الله أصما الفؤاد، وهكذا شأنه في آله، فإن الحب غلاب للنهي، سلاب له الهيمنة، والسلطان على كل محب هجر الأوطان، فيكسبه ثوب الذلة، ويتجلى عليه برداء العزة، وناهيك به من رداء وحلة؛ فيتحقق المحب بكل شيء بديه من الحبيب الجليل إلا التملق، والتذلل، والانكسار دون ميل وتحويل، فإن من قامت به أوصاف العزة والجلالة يطلب مقابلها من غيره لا محالة.

وأنشدوا:

عـــن تكـــن فـــيها لديـــه طامعـــا	فالـــزم الـــباب ذلـــيلاً خاضـــعا

---

(1) رواه الترمذي (10/ 206).

وروي: أن الانكسار عليه المدار في كل دار، وأنه مما يرضي الجميل، ويرفع الأستار، قام على أقدامه رافعًا لكف الحاجة، وإبرامه لنيل فيض مدرار، فانكشف له ستر عن مقام الذلة والافتقار، والخضوع والانكسار؛ فعاين له من الأنوار والأسرار ما يبهر الأفكار، ويحير ألباب أهل الاستبصار، وشاهد لأهله من الدرجات الكبار ألوفًا تنفي الصغار عن الصغار، وهذا عندما تحقق المؤلف بهذا المقدار علم رفعة مقام الانكسار، وإن أهله ممن رفع الله لهم المنار، وبلغهم به الأوطار يسأل الله بهم لعلمه أنهم خيرة بررة أطهار؛ فلهذا قال سامحه الله الغفار:

إِلَهِي بِأَهْلِ الانْكِسَارِ وَحَقِّهِمْ وَمَنْ بِكَ قَدْ نَالُوا المَقَامَ المُعَظَّمَا

قال الشارح: (إِلَهِي بِأَهْلِ الانْكِسَارِ وَحَقِّهِمْ) ومضى الكلام عليه في الخطبة باختصار.

(وَحَقِّهِمْ) أي: وأسألك بما لهم من المرتبة العلية، والمزية السنية عندك المشار إليها في حديث قدسي يخاطب به الرب خليفته داود ﷺ: «**تواضع لمن تعلمه، ولا تطاول على المريدين، فلو علم أهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم أرضًا يمشون عليها**»(1).

وفي حديث: «**وبحق السائلين عليك**»(2)؛ أي: بما وعدتهم من استجابة دعائهم والإثابة على طاعتهم؛ إذ ليس لمخلوق حق على خالقه كما هو مذهب أهل السنة خلافًا للمعتزلة في قولهم الصلاح والأصلح فله تعذيب الطائع، وإثابة العاصي غير الوعد منه حق، والقول منه صدق، وقد وعد الطائع بالجنة والعاصي بالنار، وله أن يفعل في ملكه ما يشاء؛ إذ هو الفاعل المختار ومعنى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:54] كما قال القاضي: التزمها تفضيلاً وإحسانًا، انتهى.

وقيل: أوجب وعدان يرحمهم قطعًا، وفي الحديث: «**كتب ربكم على نفسه بيده قبل أن يخلق الخلق أن رحمتي سبقت غضبي**»(3)، قال المناوي: قال التفتازاني: الكتابة باليد تصوير وتمثيل لإثباته وتقديره، انتهى.

---

(1) رواه أبو نعيم في الحلية (10/ 80).

(2) رواه ابن ماجه (1/ 350).

(3) رواه البخاري (6/ 2700)، وابن ماجه (1/ 67).

وقال اللقاني - رحمه الله تعالى - في «جوهرته»: وقولهم إن الصلاح واجب عليه زور فاعليه واجب؛ إذ العبد لا حق له على سيده أصلاً فرعًا وأصلاً، وما في حديث: «ما رفع قوم أكفهم إلى الله يسألونه شيئًا إلا كان حقًا على الله أن يضع في أيديهم الذين سألوا»[1].

فقال المناوي -رحمه الله تعالى: وعبر عن إعطاء المسؤول بلفظ الحق إشارة شهد بها إلى أن أعطاهم سألتهم؛ كالواجب عليه نظرًا إلى صدقه في وعده، فليس الحق قضاء بمعنى الواجب؛ إذ لا يجب على الله شيء عند أهل الحق خلافًا للمعتزلة، انتهى.

وفي «تنوير الأبصار» للشيخ حسن التمرتاشي الحنفي: وكره قوله بحق رسلك وأوليائك وحق البيت؛ لأنه لا حق لمخلوق على الخالق تعالى، ولو قال لأحد: بحق الله، أو بالله ألا تفعل كذا لا يلزمه ذلك، وإن كان الأولى فعله، انتهى.

لكن قال الشهاب الخفاجي في شرح «الشفاء» على قول أبينا آدم: «اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي»[2]، أي: بما يستحقه عليك من الزلفى والكرامة، وهذا الحديث رواه البيهقي، والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما بسند فيه ضعف، وفيه دليل: على أنه يجوز أن يقال في الدعاء: بحق الأنبياء ونحوه خلافًا لمن أفتى من علماء العصر أنه لا يجوز أن يقال مثله؛ لأنه ليس لأحد على الله حق، وقد وقع مثله في أحاديث، ومعناه: ما مر، انتهى.

(وَمَنْ) أي: وأسألك بالذي ربك؛ أي: بقوتك، وحولك، وقدرتك، وحولك الحق للتحقيق، (قَدْ نَالُوا): أي: أصابوا، قال في «المختار»: نال خيرًا، يقال: نيل أصاب نيل ينيل مثل فهيم يفهم، والأمر منه نل بفتح النون، وإذا أخبرت عن نفسك كسرت النون، انتهى.

وقيل: النيل هو وصول النفع إذا أطلق وإن فيه وقع على الضرر؛ لأنه أصله الوصول إلى الشيء، انتهى.

وفي الحديث: «اللهم أعطني إيمانًا ويقينًا ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة»[3] المقام مضى الكلام عليه، (المُعَظَّمَا): الألف للإطلاق،

---

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (5/ 447).

(2) رواه الطبراني في الأوسط (6/ 313).

(3) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (1/ 115)، والطبراني في الدعاء (1/ 491).

والمعظم: هو الذي عظمه الحق بأن رفعه على غيره، فصار عظيمًا في نفسه، معظمًا عند أهل أنسه، وأعظم المقامات قدرًا، وأتمها بدرًا، وأكملها شهودًا، وأعدلها وجودًا؛ المقام الذاتي الإحدى الذي تجليات أهله ذاتية، وإن تنزلوا اختيار التجليات الصفاتية، وأكمل أهل هذا المشهد تصورًا، وأجل أهله بهجة ونورًا، وأرفعهم منارًا، وأجمعهم أسرارًا صاحب الوقت في كل آن المتفرد به الحق في ذلك الزمان الجامع لما تفرق في أهل عصره بفضل سيده، وتوليه، ونصره، ويحتمل إرادة الجنس فيصدق التوسل بأهل كل مقام، فإن ما من مقام إلا وهو عظيم في نفسه، وبالنسبة لما تحته، ولما كان المقام الكمالي الجمعي الوسطي الإحدى بطلب الانفراد، وعدم الاستناد لغير المراد.

وهكذا كل ذي مقام لا بُدّ له من توحد العزيمة؛ لنيل المرام، ناسب أن يعطف على النائلين غايات الإحسان الذين طلقوا الأكوان، فله فاه من المؤلف اللسان بحول المنان، فقال:

وَمَنْ أَطْلَقُوا الأَكْوَانَ حِبِّي وَطَلَّقُوا الْـ ... ـمَنَامَ وَلَمْ يَشْكُوا لِـرَادٍ وَلَا ظَمَـا

قال شارح: (وَمَنْ أَطْلَقُوا الأَكْوَانَ) أي: وأسألك، والذين (وَطَلَّقُوا) أي: تركوا وخلوا الأكوان من نظرهم، فلم يلتفتوا إليها، ولا عرجوا عليها؛ إذ الوقوف معها حجاب، والشغوف إليها قنع بالسراب عن الشراب، فحال من لم يعرفها طرفه، ولا وسعها ظرفه؛ بل أطلقها، وما قيد خوفًا من شغله بها أن يقيد حال الشيء، أي: رأى جنيًا فقيده بنظره؛ إذ بالخاصية لا يمكنه التحول عن بصره مادام الإنسي متبعًا بصره إليه؛ إذ لا ينفك شبح صورته قائمًا بين يديه، غير أنه يبرز صورة أخرى، فمتى نظر إليها الآدمي ذهبت الأولى، وتبعتها الثانية قهرًا، فبمجرد رؤيته يصرف عنه العين؛ لتنمحق منه العين خوفًا من شغل البال بغير الكبير المتعال.

وربما أراد المؤلف أرباب المقامات من كمل الرجال الذين صارت في أيديهم ككرة أطفال، يتصرفون فيها كيف شاءوا بمشيئة ذي الجلال؛ ثم تركوها موكلين الوكيل عن أمره، وهذا مقام جليل.

ويحتمل أنه أراد أهل السير التاركين كل غير، إذ الوقوف مع الحادث حدث يجب التطهر منه بالغيبة عنه، وهو فقير مثلك طالب ممن لك بالتخلي عن غيره مطالب، وأهل